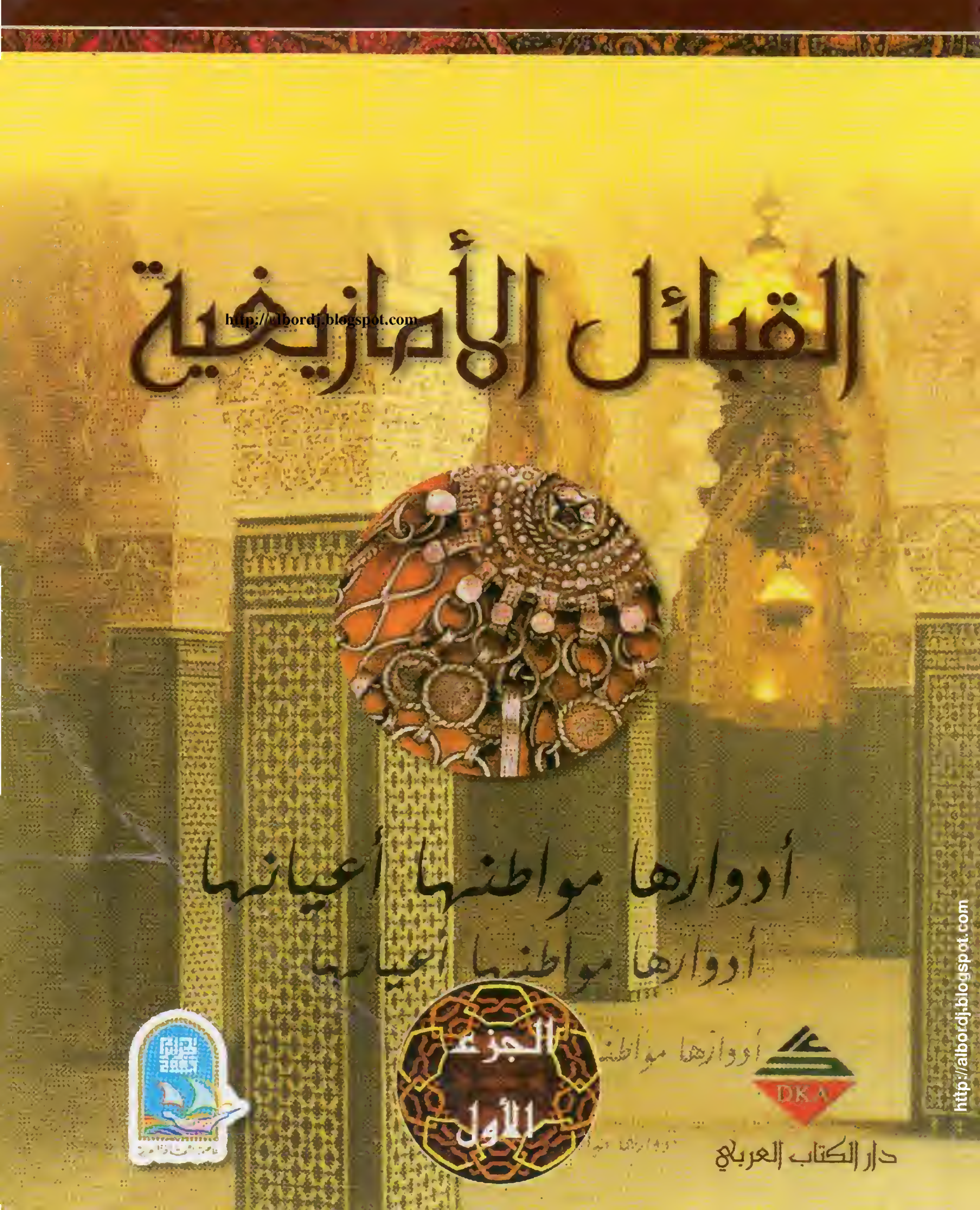
بوزياني الدراجي

سلسلة العصبية القبلية



القبائل الأمازيغية

أدوارها مواطنها أعيانها

أدوارها مواطنها أعيانها

الجزء الأول

DKA

دار الكتاب العربي

بوزياني الدراجي

القبائل الأمازيغية

أدوارها - مواطنها - أعيانها

الجزء الأول



دار الكتاب العربي

دار الكتاب العربي
للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة

حي العناصر عمارة 309 رقم 03. القبة. الجزائر
الهاتف/فاكس: 021 31.44.51
الجـوال: 070 91.77.73

تأليف: بوزياني الدراجي
تصميم الغلاف: لويزة الحسين
الإخراج الفني: فراس الجهماني

الإيداع القانوني:2007-152
ردمــك: 978-9947-833-98-4

بوزياني الدراجي
القبائل الأمازيغية ج1، تصميم الغلاف لويزة الحسين، الإخراج الفني فراس الجهماني .- الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007.- 292ص.، 23سم

إهداء

إلى الذين سهروا الليالي في سبيل نحت سطور لا تنمحي...

إلى الذين جدوا وكدوا في سبيل التعليم والتعلم...

إلى الذين اختاروا سلاح القرطاس والقلم، لمواجهة جيوش الجهل والظلام...

إلى الذين آمنوا بأن الفقر... كل الفقر يكمن في فراغ الأدمغة، وضحالة العقول...

إليكم جميعا أهدي هذه الباقة المزخرفة من تراث بلادي، وهذه العينات من فرسان العلوم بهذه الربوع.

بوزياني الدراجي

مقدمة

يدخل هذا الكتاب ضمن سلسلة من الأعمال التي تعالج موضوع العصبية القبلية في المغرب الإسلامي. فبعد كتاب القبائل الأمازيغية؛ سوف تتبعه كتب أخرى؛ من بينها كتاب يدرس موضوع القبائل العربية في هذه الديار، وكتاب دول المغرب ودور العصبية في قيامها وسقوطها، وكتاب العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية، وكتاب أثر العصبية القبلية في النظم: السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والدينية.

بدأت في الاشتغال بموضوع العصبية خلال السبعينيات؛ عندما وجدت نفسي في خضم إعداد أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي. وفي تلك الأثناء؛ وجدت عونا كبيرا من أستاذي الفاضل الدكتور لقبال موسى؛ فعملت بتوجيهاته المفيدة؛ فكان لي خير عون وسند؛ وبالمناسبة أشكره شكرا جزيلا على كرمه العلمي، ومعاناته، وسهره في قراءة ما كنت أعرضه عليه من فصول بحثي؛ فلا يبخل بالنصيحة والتوجيه.

ويعتبر موضوع القبائل الأمازيغية من المتطلبات الملحة، والهامة التي كان من الواجب العمل على معالجته في وقت سابق؛ غير أن ذلك لم يتحقق لأسباب عديدة؛ نتركها للمهتمين بها. لذا لم يحدث أن ظهر في سوق الكتب ــ في العصر الحديث ــ أي كتاب، أو دراسة شاملة ــ باللغة العربية ــ عن القبائل الأمازيغية بالمغرب الإسلامي؛ مع أننا شاهدنا مراجع أخرى ظهرت؛ وكانت تدرس موضوع القبائل العربية في بلاد المغرب. ولما أحسست بهذا الفراغ العجيب..!! أردت تدارك الأمر؛ والبدء بموضع القبائل الأمازيغية في بلاد المغرب الإسلامي. لعلي أكون قد قمت بسد ثغرة في تاريخ بلادنا؛ لم يقم أحد بسدها ــ بشكل شامل ــ منذ عصر ابن خلدون؛ الذي انفرد ــ حتى يومنا ــ بهذا العمل الهام.

وليس معنى هذا أن المؤرخين في البلدان المغربية تجاهلوا ــ تماما ــ موضوعا كهذا. بل قام بعضهم؛ مثل: مبارك الميلي، وعبد الوهاب ابن منصور بالحديث عن القبائل الأمازيغية؛ ولكن بشكل مقتضب؛ أو ضمن دراسة تاريخية عامة لا تخصهم وحدهم. كما قام أساتذة آخرون؛ مثل: لقبال موسى، ومحمد بن عميرة

بإعداد دراسات تخص قبيلة معينة؛ مثل كتاب دور كتامة للدكتور لقبال؛ وإن كان قد أشار لبعض القبائل الأخرى باختصار؛ ثم كتاب دور زناتة لابن عميرة. أما المراجع الأجنبية المتوفرة؛ فقد أشار بعضها إلى عينات من القبائل الأمازيغية؛ التي أثارت اهتمامهم؛ ولكن ضمن مواضيع تاريخية عامة؛ لا تخص القبائل الأمازيغية كلها تقريبا؛ وبشكل مقتضب كذلك.

ومن جهتي فقد بذلت جهدي كي يشمل عملي هذا أقطار المغرب كافة؛ دون استثناء. كما تناولت فيه القبائل الأمازيغية التي عرفت في العصور الوسطى كلها. مرتكزا بصفة خاصة على ما كان ابن حزم قد ذكره باقتضاب، وما انتشر في مصادر عربية كثيرة؛ أهمها العمل العظيم الذي أنجزه العلامة عبد الرحمن ابن خلدون. كما استعنت ـ أيضا ـ بما كتبه بعض المستشرقين؛ مثل: غوتييه Emile-Félix. Gautier، وليفي بروفنسال E. Lévi-Provençal، وجورج مارسي Georges Marçais وغيرهم..

ولم يقتصر عملي هذا على التعريف بأسماء القبائل الأمازيغية، وذكر أماكن سكناهم فحسب؛ كما حدث في كثير من المصادر والمراجع؛ بل توسعت في الحديث عن الأدوار التي قامت بها تلك القبائل: سياسية منها، وعسكرية، وثقافية. كما حرصت على إبراز أعيانهم؛ بشكل استوفى نشاطاتهم العلمية، والثقافية، والسياسية. وبهذا أكون قد عملت على إزالة طبقات الغبار التي حجبتهم، وأنست الناس في أصولهم الأولى. ومن جهة أخرى وضعت منجزات أولئك العباقرة، والعظماء بين أيدي أبناء هذا الجيل الحائر؛ لكي يتعرف على نهج أسلافه، وما تم إنجازه بواسطتهم من كنوز أثرت التراث العربي الإسلامي؛ دون تعصب، ولا تحزب، ولا انكماش، أو تنكر.

وهكذا سيجد القارئ بين يديه عينات أدبية في منتهى الروعة؛ من إبداع أبناء هذه الأرض الخصبة؛ التي أنجبت عبقريات؛ تسابقت في دروب النماء؛ لبناء، وتشييد صرح الحضارة العربية الإسلامية؛ شرقا وغربا. وكانت إسهاماتهم عظيمة الشأن، كريمة، المنبت، دائمة الفائدة.

ولابد هنا من تقديم عرض ولو بإيجاز عن المنابع التي يمكن أن ينهل منها كل دارس لتاريخ البلاد المغربية وسكانها؛ منذ العهود الأولى. ففي البدء ـــ ولمنع المغالطات، وكبح جماح الذين يحلقون في الخيال، أو الذين يصرون على إبراز شيء وإخفاء أشياء ـــ يستحسن الإشارة إلى المصادر التي يستقي منها الباحثون ـــ بمختلف معتقداتهم وتنوع اتجاهاتهم ـــ مع الإجابة على مدى أهميتها، ودرجة الصدق فيها.

وعليه فما تقدمه المادة التاريخية ـــ حتى الآن ـــ لا يخرج عن نطاق المصادر: **اليونانية، والرومانية، والعربية، والعينات الأثرية** التي كشفت منذ عهد الاحتلال الفرنسي. والعيب كله ليس في المصادر المذكورة؛ بقدر ما يتمثل في مستعملي تلك المصادر.. إذ أن مبعث الالتباس ـــ هنا ـــ هو تلك التأويلات التي سلطت على المادة التاريخية المطروحة للبحث من جهة، وإصرار بعض الدارسين على الاكتفاء بنوع معين من أنواع المصادر المعروضة؛ دون الأنواع الأخرى من جهة ثانية. وهذا هو ما يفسر انطلاق العنان للأهواء والميول المشبوهة..

ولمنع الأنزلاق في الاتجاه الخاطئ يستحسن تناول الموضوع بحذر وجدية وشمولية.. وقبل الخوض في أعماقه لا بد من الإشارة باختصار إلى تلك المصادر واحدة فواحدة.. فأولى المصادر المكتوبة زمنيا ــ فيما يخص تاريخ سكان بلاد المغرب ــ هي المصادر اليونانية؛ غير أنها لا تفي بالحاجة المطلوبة؛ نظرا لمحدوديتها، واقتصارها على حيز ضيق لا يتجاوز برقة؛ وإن كان هيرودوتس قد تعرض ــ باقتضاب ــ لما سمعه عن منطقة التاسيلي؛ إلا أنه لم يزر تلك الجهات؛ كما حدث بالنسبة لبرقة، ومصر، وغيرهما من الأقاليم؛ وإنما نقل أخبار تاسيلي مشافهة. وعليه يمكن القول أن معلوماته لم تكن واسعة ولا دقيقة في هذا المجال. وكل ما ذكره هي بعض أسماء القبائل المتواجدة في تلك الديار؛ مثل قبائل: **الناسامونين، والماكاي، والقارامونت، والأوليميدين، والجيتول.** وهذه القبائل كلها كانت تسكن في بلاد ما كان يعرف قديما بلوبيا أو ليبيا. كما قال باقتضاب شديد: أن بعض تلك القبائل كانت تشتغل بالصيد؛ إذ يركب أفرادها عربات؛ تسحبها أربعة خيول؛ يطاردون بها طرائدهم..

وبعد المصادر اليونانية تأتي المصادر الرومانية؛ وهذه المصادر محدودة العطاء؛ ولا تهتم إلا ببعض الجوانب؛ التي يكون الرومان فيها يمثلون المادة الأولى؛ كما أنها محتكرة من طرف بعض المؤرخين الأوروبيين، والفرنسيين على الخصوص؛ نظرا لقصر باع الدراسات المغاربية عامة، والجزائرية خاصة، واكتفائها بالمراجع الفرنسية؛ على الرغم مما تحمله من شحنات سياسية تخدم احتلالهم لبلاد المغرب. ومن هذه الكتابات الفرنسية ــ المعتمدة حاليا من طرف كثير من الباحثين ــ ما يتصف بالنزاهة، ومنها ما يميل إلى التحيز والمغالطة.. ولا يتسع المجال هنا لإحصائها، والتعليق عليها؛ ولكن يمكن ذكر عينتين منها على سبيل التوضيح. فمثلا اتفق كثير من المحللين على أن المؤرخ الفرنسي شارل أنديه جوليان Ch. André Julien، يتحلى بالنزاهة والموضوعية؛ حتى وإن صرح ببعض الآراء التي لا يقره عليها كثير من المؤرخين. وفي الجانب المقابل يقف إيميل فيليكس غوتييه E. F. Gautier موقفا متحيزا، وتغلب عليه المغالطات والارتجالية في غالب الأحيان؛ وهذا باعتراف زميله شارل أندريه جوليان الذي يتهمه بالمغامرة، والمخاطرة في الأحكام كما

يقول.. ومن يراجع كتبه سيكتشف بسهولة مغالطاته..

أما أوسع المصادر شمولا وأهمية وعناية بأبناء البلاد المغربية فهي المصادر العربية التي كتبها وتناقلها المؤرخون، والنسابة العرب، والأمازيغ ــ على السواء ــ باللغة العربية. وهذه المخطوطات فيها ــ بالطبع ــ الغث والسمين.. كتبت جلها باسلوب كان سائدا في تلك العصور؛ وقد نقده ابن خلدون؛ ولا داعي لشرحه هنا.. ويمكن مراجعة ذلك في مقدمته الفذة. وإلى جانب كثافة المصادر العربية السطحية توجد مصادر أخرى في منتهى الدقة والموضوعية؛ وهي قليلة؛ أمام زخم وكثافة الكتب ذات الطابع الإخباري الروائي. منها ــ على سبيل المثال ــ جمهرة أنساب العرب لابن حزم، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري، وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون؛ وكتب أخرى عديدة سيشار إليها عند الحاجة. وقد احتلت المصادر العربية مكانة أولى بين المصادر الأخرى؛ لأنها تنفرد بمعالجة تاريخ المغرب بكافة سكانه: أمازيغا كانوا أو عربا. ومن هنا تأتي أهميتها؛ حيث يفهم لماذا كان الباحثون والمؤرخون

الفرنسيون والأوروبيون يتسابقون على اقتنائها، ودراستها ونقدها.؟ كما تعتبر هذه المصادر العربية بمثابة معين رئيس للدارسين المحدثين؛ من البلدان المغربية، ومن غيرها.

بقي الآن جانب آخر؛ يمكن تفسير التاريخ بواسطته؛ هذا الجانب يتمثل في العينات الأثرية التي اكتشفت في بلاد المغرب ومصر وجهات أخرى. وهذه العينات الأثرية استغلت من أجل تعزيز ودعم بعض النظريات المطروحة للبحث والدراسة الآن.. منها ما يتعلق بمواضيع أنثروبولوجية، وتفسير النشاطات الحضارية والتاريخية؛ ومنها ما أخضع للأبحاث المخبرية وتتبع السلالات البشرية. وقد احتكر هذا الميدان العلمي – في السابق – بعض العلماء الفرنسيين والأوروبيين؛ إلا أن أبناء البلدان المغربية شرعوا مؤخرا في الاعتناء بهذا الميدان؛ وإن كان ذلك بجهد محتشم... وما يعيب تلك الدراسات هي أنها تستند إلى نظريات جنسية وانثروبولوجية لم ترق إلى الحقائق الثابتة. ومع هذا تبقى تلك النظريات محل بحث وعناية؛ لأنها أقرب إلى الحقيقة، وأكثر صدقا من روايات الإخباريين الخيالية.

وكما سبق قوله فكل ما قيل عن بلاد المغرب ـ قديما ـ لا يخرج عن نطاق أصناف المصادر المذكورة آنفا. لذا فقد كان لزاما علينا مراعاة المنهج الصحيح؛ الذي يحتم العودة إلى قدر ما من تلك الأصناف. على أننا أعطينا الأولوية إلى المصادر ذات المصداقية؛ وإن لم نهمل الإطلاع على المصادر الضعيفة السند، والاستفادة ما أمكن منها.

....

القبائل الأمازيغية

1) ـ البحث عن الجذور:

فعلى الرغم مما تم إعداده من كتب ودراسات متباينة، وبلغات مختلفة، وفي عهود شتى؛ فإنها بكاملها لم تفصل ـ قطعيا ـ في حقيقة الأصول الأولى للمجتمعات المغربية. غير أن الفرضيات التي وضعت لا سبيل إلى نكرانها ـ تماما ـ أيضا. وهكذا تبقى الحقيقة معلقة حتى يظهر ما يسندها علميا، أو ينفيها نهائيا. وعليه فلا بد من الإشارة إلى مختلف الفرضيات؛ وذلك بتلمس المؤشرات التي تقترب من الحقيقة.

إذن يمكن إجمال المناهج المتبعة في تتبع الأصول الأولى لسكان بلدان المغرب ضمن أسلوبين: الأول هو المنهج الذي يستند إلى المخطوطات والروايات، والثاني هو القائل بالمعطيات الأنثروبولوجية، والأعمال المخبرية. فأما الأسلوب الأول فيمكن تطبيقه من خلال المصادر العربية القديمة؛ التي تعتبر أهم المصادر المكتوبة عن بلدان المغرب وشعوبها. ذلك لأن المصادر اليونانية والرومانية شحيحتان في المادة التاريخية التي تدرس أصول سكان بلاد المغرب. أما

المصادر العربية القديمة ــ كما سبق ذكره ــ ففيها ما يتصف بالموضوعية، وفيها ما تخللته الأساطير والخرافات.

أ ــ تسميات وتعاريف:

محاولة معرفة التسمية الحقيقية لسكان المغرب قديما تتطلب عرض الآراء كلها؛ أوجلها على الأقل؛ لأن المصادر التاريخية مازالت ــ حتى الآن ــ عاجزة عن إقناع القراء بالأصول الأولى لسكان هذه الديار، وبالمسميات التي عرفوا بها إلى وقت قريب. فتسميات: **لوبي**، **وإفري**، **وبربر** كلها أطلقت على أبناء هذه البلاد؛ منذ القدم حسب ترتيبها زمنيا. فالأولى شاعت لدى اليونانيين، والثانية قد تكون من مبتكرات الفينيقيين، والثالثة سماهم بها الرومان بتأثير من اليونان. مع أنها كلها لا تعبر عن الحقيقة كلها؛ نظرا لكونها مسميات صدرت عن أطراف خارجية، ولم تحض باعتراف شامل من قبل المعنيين بالأمر. فكلمة **بربر** مثلا سماهم بها الرومان؛ بعد أن ورثوا معناها عن اليونانيين. ويقال أن مصدرها الأول هي الكلمة اليونانية **فارفاروس** Varvaros وهي تعني

اللغط، وتداخل الأصوات في الكلام؛ بذلك فهم ينعتون بها كل الذين لا يتكلمون لغتهم؛ ومن هنا سموا إيطاليا **بربارياً**[1].

ولما انتقلت سيادة العالم إلى الرومان حذوا حذو اليونان؛ فسموا ـ بدورهم ـ كل الشعوب التي لا تنتمي إليهم، أو قاومت نفوذهم **بربرا**؛ تحقيرا واستخفافا. من ذلك عبارة **بارباريسي** أو **باربارجيا**؛ التي كانوا ينعتون بها القبائل الخارجة عن نفوهم؛ مثل القبيلة المسماة بهذه التسمية في جزيرة سردينيا. كما كانوا يسمون المحيط الهندي **البحر البربري**، وخليج عدن **بالخليج البربري**؛ وسموا أيضا ثلمة من نهر السند **بارباريكوم**. وفي مصر العليا مدينة سميت **بارباري**. وفي معبد الكرنك بمصر عثر على كتابة تعود إلى زمن رمسيس الثاني؛ ذكر فيها أن ذلك الفرعون قد أخضع شعبا في الجنوب سموه **بيرابيرتا**؛ وهذا يبعث شكوكا في المصدر الأول للكلمة؛ فهذا النص يدل أن الكلمة مصدرها الأول ليس اليونان؛ إذ يجوز أن يكون اليونانيون قد أخذوها عن المصريين.. وفي الصومال توجد **بربرة**؛ كما سميت الشعوب

---

[1] قبائل المغرب، ج: 1، ص: 262.

الجرمانية ((**باربار**)) بمعنى القساة والهمج الجهلة. وقد اجمع الباحثون على أن كلمتي **بربر وبربار** تعنيان: إما اللغط والرطانة والضوضاء؛ أو الهمجية والقسوة. ولم تكن هذه التسمية ــ في يوم ما ــ تسمية صحيحة؛ لأي جنس من الأجناس؛ وإنما كانت بمثابة النَّبَز والشتيمة. ولما حاول بوسكي G. H. Bousquet تفسير كلمة **بربر** قال: أنها مشتقة من كلمة **بربا روس** BARBARUS وهي كلمة لاتينية تنعت بها فئات مختلفة؛ ليست خاضعة لسلطان الرومان؛ والقصد منها هو وصف تلك الفئات بالتخلف[2].

وإذا كانت هذه التسمية لا يختص بها سكان البلاد المغربية وحدهم؛ فما هو الاسم الذي أقره هذا الشعب العريق، وأطلقه على نفسه؟ وهنا يستحسن التذكير بأن شعوب المغرب كانت ــ في الحقيقة ــ تعيش ضمن قبائل، وأحلاف قبلية كبرى عديدة؛ لا يجمعها اسم موحد؛ معترف به من طرف القبائل كافة؛ بل تسمى كل قبيلة باسمها، أو كل حلف باسم غالب عليه. وهذا شبيه بما عرفه العرب القدماء؛ الذين كانوا يتكتلون ــ بدورهم

Les Berbères, (Que sais-je ?) p: 8. [2]

ـــ ضمـــن قبائـــل مختلفـــة ومتناحـــرة؛ حـــتى جـــاء الإســـلام فجمـــع شتاتهـــم، ووعاهـــم بوحـــدة الهوِيَّـــة. ومـــع ذلـــك لـــم ينســـوا انقسامهـــم الرئيـــس إلى يمنييـــن وعدنانييـــن..

وعنـــد تتبـــع مسألـــة المجتمعـــات المغربيـــة تاريخيـــا سيتضـــح مـــن خـــلال خبـــر مفـــاده: أن جماعـــة مـــن **قبيلـــة لواتـــة** أرسلهـــم عمـــرو بـــن العـــاص إلى عمـــر ابـــن الخطـــاب بالمدينـــة المنـــورة؛ فسألهـــم ـــ كمـــا جـــرت عـــادة العـــرب ـــ عـــن نسبهـــم؛ فأجابـــوا: أن جدهـــم هـــو **مازيـــغ**[1]. وإن صحـــت هـــذه الروايـــة؛ ستكـــون هي المـــرة الأولى في ـــ العهـــد الإســـلامي ـــ الـــتي وردت كلمـــة **مازيـــغ** كاســـم لجـــد هـــذا الشعـــب؛ ربمـــا تكـــون اسمـــا لجـــد فئـــة منـــه؛ كمـــا يعتقـــد بعـــض الباحثيـــن[2].. وثمـــة مـــن يـــرى أن كلمـــة **أمازيـــغ** قديمـــة جـــدا؛ ربمـــا عـــادت إلى العهـــود الفرعونيـــة[3]، أو عصـــور السيـــادة الإغريقيـــة.. ودلـــت بعـــض الأبحـــاث عـــلى استعمـــال كلمـــة قريبـــة مـــن عبـــارة **مازيـــغ**؛ حيـــث وردت هـــذه الكلمـــة مـــن طـــرف المـــؤرخ اليونـــاني هيكتايـــوس Hekatoios (الـــذي عـــاش في القـــرن الســـادس قبـــل

---

[1] طبقـــات مشائـــخ المغـــرب، ج: 1، ص ص: 16 ـــ 17.

[2] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p:10-11.

[3] عروبـــة البربـــر، ص: 178.

الميلاد)؛ فسمى فئات منهم بـ (مازييس) Mazyes؛ وهذه الكلمة قريبة من عبارة **مازيغ.**
أما هيرودوتس Herodotos ـ في القرن الخامس قبل الميلاد ـ فقد ذكر اسما هو (ماكسييس) Maxyes؛ وهي الكلمة التي نقلها عنهم اللاتين بشكل محرف؛ فسمو الشعب النوميدي: (مازاس) أو (مازكيس) أو **(مازيكس)** -- Mazaces -- Mazax -- **Mazikes**. وهكذا ترى أن الكلمة المسطرة قريبة جدا من العبارة المتداولة الآن.

ويبدو أن كلمة **أمازيغ** لم تنتشر بشكل واسع في الزمن الأول للفتح؛ إذ تغلبت عليها كلمة **بربر**؛ التي وجدها المسلمون متداولة بين الناس عندما فتحوا البلاد؛ فبادروا إلى منح هذه الكلمة مدلولا أكثر طهارة ونقاء مما كانت عليه قبل مجيئهم؛ وذلك تبعا لما نصت عليه التعاليم الإسلامية السمحة؛ التي تنهى عن التنابز بالألقاب؛ كما جاء في التنزيل الحكيم: **((يا أيها الذين آمنوا لا يسخَرْ قومٌ من قومٍ عسىَ أن يكونوا خيرا منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسىَ أن يكُنَّ خيرا منهُنَّ ولا تلمِزوا أنفسَكُمْ ولا تنابَزوا بالألقاب**

بئسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمان ومن لم يتبْ فأولئك هُمُ الظالمون))[1].

ب ـ *الأساطير نصف الحقيقة*:

وعليه فقد اختاروا المدلول الذي ينسجم مع فلسفة الأسماء عندهم؛ لذا فقد وجدوا أن أقرب دلالة إلى ذهنهم ومنطقهم؛ هي التي تجعل من كلمة **بربر** عبارة مشتقة من اسم إنسان؛ افترضوا أنه جد هذا الشعب؛ أو يكون فعلا جدا لهم. غير أن بعضهم الآخر رأى في كلمة **بربر** ما يدل على اللغط والرطانة أثناء الكلام؛ وربما قال بهذا الرأي الذين كانوا مطلعين على التراث اليوناني؛ لأن اليونان ـ حسبما ورد ـ منحوا المفهوم نفسه لكلمة **بربر**. ولكن الإخباريين ـ كما هي عادتهم ـ نسجوا قصصا وأخبارا؛ حاولوا من خلالها تفسير أسباب تلك المسميات.. وقد ملئت صفحات كثيرة بتلك الروايات والأساطير العجيبة؛ التي تتحدث عن الشعب الذي سموا أعضاءه **بربرا**.. فقال بعضهم أنهم أبناء **بر ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار**؛ واضعين

---

[1] سورة الحجرات، الآية: 11.

في ذلك بعض الأساطير والأشعار؛ الهدف منها هو دعم مزاعمهم وافتراضاتهم[2].. ومع هذا فهي تدل على النزعة الإنسانية في انتحال الأشياء، والمواقف؛ بغرض دعم مزاعم، وافتراضات معينة؛ على الرغم من أنها ليست منطقية؛ نظرا لغياب الدليل العلمي من جهة، وبعدها عن المعقول من جهة أخرى. من ذلك؛ أنهم زعموا أن جد البربر المدعو **برا**؛ قدم إلى بلاد المغرب هاربا من أخيه عمرو ابن قيس؛ ولما طال غيابه بَكَتْه شقيقته **تماضر** بقولها:

لِتَبْكِي كُلُّ بَاكِيَةٍ أخَاهَا
كَمَا أبْكِي عَلىَ بَرٍّ بن قَيْسِ
تَحَمَّلَ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَأضْحَى
وَدُونَ لِقَائِهِ أنضَاءُ عِيسِ

ومما نسب إلى تماضر أيضا:

وَشَطَّتْ بِبَرٍّ دَارُهُ عَنْ بِلاَدِنَا
وَطَوَّحَ بَرٌّ نَفْسَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

---

[2] أنظر هذه الأخبار والأشعار في العبر، مج: 6، ص ص: 176 ـــ 192.

وَأزْرَتْ بِـبَـرٍّ لَكـْنَــةُ أعْجَــمِــيَّـــةٌ
وَمَــا كَــانَ بَــرٌّ فِي الحِجَــازِ بِأعْجَمَــا

كَأنــَّا وَبَــرًّا لَـمْ نُغِــرْ بِــجِيَادِنَــا
بِنَجْــدٍ وَلَــمْ نُقَــسِّمْ نِهَابــاً وَمَغْنَمَــا

وهكــذا تــرى المسحــة الأسطوريــة في هــذه الأقــوال.. **فبــر** يهــرب **منفــردا**؛ مــن أخيــه إلى بــلاد بعيــدة كالمغــرب..! أي مــن قــارة إلى أخــرى؛ بكــل بساطــة ودون عنــاء..! ولمــا أصبــح في تلــك البــلاد النائيــة؛ علمــت أختــه أن كــلام أخيهــا شوهتــه لَكْنَــة أعجميــة..! ومــع هــذا لــم يســأل المتحمســون لهــذا الخبــر أنفسهــم: كيــف علمــت تماضــر بذلــك رغــم البعــد، وانعــدام وسائــل الاتصــال..؟! هــذه واحــدة مــن الحكايــات؛ أمــا الأخــرى فيزعــم رواتهــا: أن مــن أسمــوه الملــك **النعمــان بــن حميــر بــن سبــأ** فاجــأ أبنــاءه ــ في أحــد الأيــام ــ فقــال لهــم: إني عزمــت عــلى إرسالكــم إلى بــلاد المغــرب لتعمروهــا..؟! فلبــوا أمــره عــلى الفــور؛ وتوجهــوا إلى حيــث اختــار لهــم المقــام الأبــدي..!! وهــؤلاء الأبنــاء هــم: **لمــت** (أبــو لمتونــة)، **ومسفــو** (أبــو مسوفــة)، **ومرطــا** (أبــو هسكــورة)، **وأصنــاك** (أبــو صنهاجــة)، **ولمــط** (أبــو

لمطة)، **وإيلان** (أبو هيلانة)، **ومصمود** (أبو مصمودة)، **وكزول** (أبو كزولة)، **وأجانا** (أبو زناتة)..ألخ. فنزل هؤلاء الاخوة في بلاد المغرب متفرقين: منهم من سكن جبل درن، ومنهم من اختار سكنى السوس وطنجة، ومنهم من استقر في درعة، ومنهم من توقفت رحلته في إفريقية والمغرب الأوسط. والحكاية كما يقول ابن خلدون طويلة. وهكذا ترى كيف يضيق أبٌ بأولاده..؟ فيتخلص منهم؛ بنفيهم ــ دون حماية كافية ــ إلى مغرب الشمس، وبحر الظلمات.. حيث نهاية العالم القديم آنذاك؛ ولا هدف له من ذلك؛ سوى أنه يرغب في الأعمال الخيرية..!! ويحب تعمير بلاد المغرب الشاغرة..!! تلك البلاد التي بدت له ــ فجأة ــ بأنها فارغة من السكان، ومحتاجة إلى من يعمرها.. فعمرها النعمان بفلذات كبده..؟!!

وثمة حكاية أخرى يقول أصحابها: أن ملكا من التبابعة يسمى **افريقش بن قيس بن صيفي**؛ غزا بلاد المغرب؛ فسميت باسمه إفريقية؛ بعد أن قتل بها من أسموه بالملك **جرجيس**، وتقول الرواية أيضا أن إفريقش هذا

اختط الأمصار، وشيد المدن بتلك الجهات النائية قبل أن يعود إلى بلاده في المشرق..! وتقول الرواية كذلك: أنه لما لاحظ رطانة سكان تلك البلاد، واختلاط الأصوات في لهجاتهم؛ قال متعجبا: **"ما أكثر بربرتكم"..!** فسموهم ـ منذئذ ـ **بربرا..** غير أن رواية أخرى تقول أنه حشد قبائل شتى؛ عبأهم في الشام؛ لغزو بلاد المغرب؛ من هذه القبائل: حمير، ومضر، والقبط، والعمالقة، وكنعان، وقريش؛ فلما سمع لغطهم؛ سماهم البربر؛ ثم أنشد:

بَرْبَرَتْ كَنْعَانُ لَمَّا سُقْتُهَا
مِنْ بِلَادِ الضَّنْكِ لِلخِصْبِ العَجِيبْ
أيُّ أرْض سَكَنُوهَا وَلَقَدْ
فَازَتِ البَرْبَرُ بِالعَيْشِ الخَصِيبْ

وثمة حكاية أخرى تقول أن **أبرهة ذا المنار** ـ ملك اليمن ـ هو الذي تركهم ببلاد المغرب بعد أن فتحها وليس إفريقش..! وهكذا تلاحظ اختلاف الروايتين.. ثم يمكن التساؤل: ما هي الطريق التي سلكها إفريقش هذا..؟! وهل تركه الفراعنة يمر بسلام؛ كما مرت قبائل بني هلال بعده بقرون؟! وإن صح

ذلك..! أيكون مرور هذه الجيوش بمصر حدث هذه المرة بدون ضجة تذكر..؟! وهل من سبيل آخر يكون قد سلكه..؟ ثم ما هي المدة الزمنية التي بقي فيها إفريقش هذا ببلاد المغرب؛ التي يقال أنه منحها اسمه..؟! وكما هو معلوم فإن تخطيط المدن، وتشييد الأمصار يحتاج إلى سنوات وسنوات؛ فما هي وسائله السحرية التي استعملها في إنجاز مشاريعه الخارقة..؟! أما الذي قالوه عن تعبئته لعدد من القبائل المختلفة في بلاد الشام؛ بغرض غزو المغرب؛ فإنه – على ما يبدو – تمكن من تعبئة أمم، وشعوب مختلفة؛ وليست قبائل فحسب كما قيل..! ومن الزاوية التاريخية للأدب العربي؛ يبدو أن **إفريقش بن قيس بن صيفي**، **وتماضر بنت قيس** – في هذه الحال – يكونان قد سبقا من عرف حتى الآن من شعراء الجاهلية الأوائل؛ **كالمهلهل بن ربيعة**، **وامرؤ القيس بن حجر..!** وعليه.. يكون تاريخ أول نص شعري جاهلي؛ هو تاريخ أبيات تماضر أو إفريقش..!

ولم تنته الحكايات عند هذا الحد؛ إذ وردت روايات أخرى كثيرة ومتناقضة؛ منها: أن

البربر من أبناء **يقشان بن إبراهيم الخليل..!** أو أنهم جماعات متفرقة من أهل اليمن..! أو أنهم من قبائل اليمن الذين تفرقوا ـــ مع **الغساسنة** ـــ بعد نكبة سيل العرم.. أو أنهم من **لخم وجذام**؛ الذين أخرجهم أحد ملوك الفرس من فلسطين؛ فنزحوا إلى مصر أولا؛ ثم واصلوا هجرتهم نحو المغرب؛ بعد أن منعهم الفراعنة من الاستقرار بمصر.. وأشهر الروايات هي التي تقول: أنهم من أصحاب **جالوت**؛ وهم أخلاط من: **الكنعانيين، والعمالقة**؛ نزحوا جميعا إلى المغرب بعد مقتل جالوت؛ حيث تم ذلك بواسطة إفريقش.. كما يزعم آخرون أن الذي طردهم من فلسطين هو داود عليه السلام بالوحي؛ ونقل ابن خلدون عن أولئك الإخباريين نصا جاء فيه **((قيل يا داود أخرج البربر من الشام فإنهم جذام الأرض))**[1]..! أما آخرون فيقولون أنهم هربوا إلى مصر؛ بعد مقتل جالوت؛ فأخرجهم القبط منها؛ فنزحوا إلى برقة، ثم إفريقية، ومنها إلى المغربين: الأوسط والأقصى. وثمة أخبار أخرى تنسبهم إلى **حام ابن نوح**؛ بينما قال آخرون أنهم أبناء **سام**

---

[1] العبر، مج: 6 ص: 185.

ابن نوح.. وقد وردت في هذا الأمر حكايات عجيبة يضيق المجال بذكرها كلها.. على أن بعض الإخباريين لم يعمموا كغيرهم؛ واكتفوا بضم فئة من البربر إلى أهل اليمن؛ هي: القبائل الكتامية؛ والقبائل الصنهاجية؛ **كتامة وصنهاجة**. وقد ظلت هذه القائمة مفتوحة للأهواء؛ إذ تسابق الناس لإضافة أنفسهم أو من يحبون..

جـ ـ نقد واعتراض:

تولى ابن خلدون الرد على تلك المزاعم؛ مفندا إياها واحدة فواحدة.. فَبَدَأ بالادعاء القائل: أن البربر من أبناء **يقشان بن إبراهيم** عليه السلام؛ فذكر أن بين **داود** (وهو قاتل جالوت) **وإسحاق** (وهو أخو يقشان) حوالي عشرة آباء؛ لا غير؛ ثم يتساءل: فهل يعقل أن يتشعب أبناؤهم، وأن يتناسلوا بهذه الكثافة العظيمة التي عليها شعوب البربر.؟! بعد ذلك ينتقل إلى الادعاء الثاني؛ فيقول ما نصه: **((وأما القول بأنهم من ولد جالوت، أو العماليق؛ وأنهم نقلوا من ديار الشام، وانتقلوا؛ فقول ساقط؛ يكاد يكون من أحاديث خرافة؛ إذ مثل هذه الأمة؛ المشتملة**

على أمم، وعوالم ملأت جوانب الأرض؛ لا تكون منتقلة من جانب آخر، وقطر محصور؛ والبربر معروفون في بلادهم، وأقاليمهم؛ متحيزون بشعارهم من الأمم؛ منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام. فما الذي يحوجنا إلى التعلق بهذه الترهات؛ في شأن أوليتهم... وإفريقش الذي يزعمون أنه نقلهم؛ قد ذكروا أنه وجدهم بها، وأنه تعجب من كثرتهم، وعجمتهم؛ وقال: ما أكثر بربرتكم؛ فكيف يكون هو الذي نقلهم؛ وليس بينه وبين أبرهة ذي المنار من يتشعبون فيه إلى مثل ذلك؛ إن قالوا أنه الذي نقلهم؟))[1]. أما المزعم القائل بانتمائهم إلى النعمان بن حمير، أو إلى قيس بن عيلان بن مضر؛ فيرفضه ابن خلدون تماما؛ بدعوى أنه منكر من القول؛ محتجا برأي محمد بن حزم؛ عندما نفى — بدوره — هذه المزاعم؛ حيث قال: **((قال قوم: إنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام؛ وادعت طوائف منهم إلى اليمن؛ إلى حمير؛ وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل، ولا شك فيه. وما علم**

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 190.

النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه بر أصلا؛ ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر؛ إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن))[2]. ويبدو أن الاعتراض على هذه المزاعم لم يقتصر على ابن حزم وابن خلدون فحسب؛ بل صدر عن علماء آخرين؛ منهم: البلاذري الذي نقل في كتابه فتوح البلدان رواية جاء فيها: **((وحدثني بكر ابن الهيثم قال: "سألت عبد الله بن صالح عن البربر فقال: هم يزعمون أنهم من ولد بر بن قيس؛ وما جعل الله لقيس ولدا يقال له بر؛ وإنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود عليه السلام. وكان منازلهم على أيادي الدهر فلسطين؛ وهم أهل عمود؛ فأتوا المغرب؛ فتناسلوا به"))**[3]. وهذه الرواية سبقت زمن ابن خلدون وابن حزم على السواء؛ ذلك أن البلاذري عاش في عهد المأمون العباسي، ونقلها عمن سبقوه.

وواصل ابن خلدون نقده؛ فتصدى لمزعم ابن قتيبة القائل: بأن البربر من أولاد جالوت؛ الذي نسبه إلى قيس بن عيلان. فاستبعد ابن

---

[2] الجمهرة، ص: 495.

[3] فتوح البلدان، ج: 1، ص: 265.

خلدون هذا الادعاء؛ محتجا بكون قيس بن عيلان من ولد **معد**؛ المعاصر **لبختنصر**. وهذا الأخير ـ كما هو معلوم ـ طارد العرب، واضطهدهم؛ الأمر الذي حدا بالنبي **أرميا** إلى تهريب **معد** نحو الشام؛ خوفا عليه من سخط بختنصر؛ ذلك الملك الغشوم؛ مدمر المعالم الدينية التي شيدها ببيت المقدس داود وسليمان؛ قبل ذلك بأربعمائة وخمسين سنة تقريبا. إذن فمعد جاء بعد داود؛ بنسبة زمنية تتوافق مع تلك القرون الأربعة على الأرجح؛ ثم يتساءل ابن خلدون: كيف يكون قيس عيلان بن معد أبا لجالوت المعاصر لداود.؟! وبهذا التحليل المنطقي؛ نسف ابن خلدون أوهام ابن قتيبة. ومع هذا لم يكتف بالتفنيد، والرفض لآراء الأسلاف؛ بل أرسل دلوه هو الآخر؛ لتفسير الأصول التاريخية للأمازيغ؛ فانتهى إلى القول: **((والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم؛ أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح؛ كما تقدم في أنساب الخليقة. وأن اسم أبيهم مازيغ،**

واخوقهم أركيش، وفلسطين إخوانهم بنو كِسلوحيم بن مصرايم بن حام))[1].

لم يشذ ابن خلدون برأيه هذا ـ كما قد يبدو لبعضهم ـ فقد سبقه إليه علماء آخرون؛ مثل القديس أوغسطين SAINT AUGUSTIN الذي نسب مجتمعه الأمازيغي إلى الكنعانيين أيضا؛ حيث كتب في إحدى رسائله: **((إذا سألتم فلاحينا عن أصلهم؛ سيجيبون: نحن كنعانيون))** Si vous demandez à nos paysans ce qu'ils sont, ils répondent, nous sommes CANANEENS))[2] . فهذا النص كتبه فيلسوف من هذه الديار؛ قبل الفتح الإسلامي بقرون. ويتفق فيه مع أقوال ابن خلدون، وبعض مؤرخي المغرب الإسلامي. وهم جميعا يستندون إلى معلومات تناقلها النسابة الأمازيغ؛ أبا عن جد. وإن اتفقوا على انتمائهم إلى كنعان؛ فإن الخلاف ظل ماثلا بخصوص انتماء كنعان نفسه إلى حام. وهذا الرأي قال به بعض العلماء المحدثين ممن اشتهروا بالتحقيق والضبط؛ مثل العلامة الألماني بروكلمان؛ في كتابه تاريخ اللغات السامية. ويرى هذا الباحث الكبير أن اليهود هم الذين

---

[1] العبر، مج: 6 ص: 191.

[2] **E. F. GAUTIR, Le Passé de L'Afrique du Nord, p:139.**

أقصوا كنعان من سلسلة النسب السامية؛ لأنهم كانوا من أعدائهم التقليديين. على أن يحيى بن خلدون ــ وهو أخو عبد الرحمن ــ أورد بعض الأقوال منها: أن بعض المؤرخين القدماء نسبوا البربر إلى جد يدعى **بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن سام**، وآخرون إلى **عملاق بن لاود بن أرم بن سام**؛ وهذا طبعا رأي من ينسبهم إلى العمالقة..

ويتبين مما سبق؛ أن دلالة كلمة بربر ــ في مفهوم المسلمين ــ كانت إما نسبة لأحد الأجداد يسمى **بربر**، وإما نعتا لطريقة كلامهم، ولغطهم، وبربرتهم التي لا يفهمها العرب. فالتسمية ــ في هذه الحال ــ جاءت من خارج ذلك المجتمع المعني بالأمر؛ ولم تصدر عن قناعة منه. وعليه فمن حق أبنائه أن يعترضوا على تلك المسميات التعسفية؛ كما أنهم أهلا لكي يطلقوا على أنفسهم الاسم المناسب؛ وبما أن جلهم يحبذوا اسم **أمازيغ**؛ فاليكن لهم ذلك.. إذ الراجح أن تكون هذه هي تسميتهم الحقيقية؛ خاصة عندما نعود إلى ما جاء في الرواية التي تقول بأنهم انتسبوا ــ أمام عمر بن الخطاب ــ إلى جد يدعى **مازيغ**.

على اعتبار أنه اسم لجدهم؛ وهذه إحدى وجهات النظر. أما الرأي الآخر المفسر لمعنى أمازيغ فيقول بأنها تعني صفة من صفاتهم؛ وهي:((**الأحرار النبلاء**)). وهذا يقود إلى تصور الاعتقاد الذي اعتمده بوسكي؛ حين قال باحتمال أن تكون كلمة أمازيغ نسبة رفيعة لشخص أو لفئة أرستوقراطية قديمة[1].. وربما تكون هذه الكلمة كما وردت في النصوص اليونانية واللاتينية ـ السابقة الذكر ـ بهذا المعنى؛ الذي نعت هذا الشعب به نفسه..

ومن جهة أخرى يستحسن الإشارة إلى المعلومات التي ذكرها الباحث محمد على مادون في كتابه عروبة البربر؛ حيث أورد بعض الدلائل التي تنص على استعمال كلمة **(بر)** في العهد الجاهلي؛ بشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام؛ إذ أتت الكلمة في كثير من المرات بعدة معاني؛ منها: كاسم لشخص يدعى **بر**، ومرات تأتي بمعنى **(ابن)**. ومما قدمه هذا الباحث بعض النصوص المنحوتة في عينات أثرية؛ مثل: الوثيقة التي أعطاها رقم **4**؛ وهي عبارة عن نقش مدون بالأبجدية الصفائية؛ المتفرعة

---

[1] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 10 - 11.

عــن الخــط المعــروف بالمسنــد؛ عثــر عليــه في موقــع عرعــر بشمــال الجزيــرة العربيــة؛ جــاء فيــه مــا نصــه[1] :(2) **(لــ: سعــد بــن أســد ذ آل بــر)** ومعنــاه: دُوِّنَ هــذا النقــش مــن أجــل **سعــد بــن أســد من قبيلــة بــر.** وهــذا يــدل عــلى تواجــد قبيلــة ــ في تلــك الجهــات ــ كانــت تــدعى **آل بــر.** كمــا أورد الباحــث اسـم فخــذ مــن قبيلــة لخــم وهــم: **بنــو بــر بــن كعــب بــن غنــم بــن كليــب.** وفي النقــش المسجــل تحــت رقــم: (1206) ضمــن مدونــة النقــوش العربيــة القديمــة للباحــث نفســه؛ الــذي عثــر عليــه بمنطقــة الصفــا؛ جنــوب سوريــة؛ جــاء فيــه اســم قبيلــة أخــرى تــدعى: **أحــج بــن بــر.** كمــا أورد الباحــث ــ أيضــا ــ عينــات أخــرى تفيــد وقوعهــا بمعــنى **(ابــن)** وهــذا يرجــح الــرأي الــذي قصــده؛ وهــو احتمــال أن تكــون كلمــة **بربــر** هي: **(بــر ــ بــر)** أي: **(بــر ــ ابــن).** أنظــر مــا جــاء في كتــاب عروبــة البربــر؛ هــذا الكتــاب القيــم الــذي نشرتــه المنظمــة العربيــة للتربيــة والثقافــة والعلــوم.

والآن ما هي حقيقــة هــذا المجتمــع الأمازيــغي؛ الــذي تسبــب في هــذا الجــدل المزمــن..؟ فالمتأمــل في

---

[1] عروبــة البربــر، ص ص: 18 ـــ 19.

المصادر التاريخية التي تهتم بالمغرب الإسلامي؛ سيندهش ــ لا محالة ــ عندما يلاحظ ظاهرة؛ قد تكون فريدة من نوعها بين الشعوب؛ تلك الظاهرة هي سعي شعب ــ بمختلف قبائله ــ إلى إثبات انتمائِهِ، وانْتِسَابِهِ إلى شعب آخر؛ قدم إلى بلاده بقوة الاحتلال..! والأمر الذي يزيد المتأمل دهشة..! هو ما عرف عن هذا الشعب من ميل للتمرد، وعدم الخضوع؛ والانقياد للمحتلين.. وكراهيته للغزاة الأجانب، واستنكافه عن الانتماء إليهم.. فما هو السر هنا إذن..؟ فحينما نتتبع حركة الفتح الإسلامي في كامل الديار المفتوحة؛ شرقا، وغربا؛ سيتضح أن شعوبها لم تحاول الانتساب إلى قحطان، أو إلى مضر؛ فما هو السبب يا ترى..؟ قد تكون الإجابة ــ هنا ــ كامنة في النزعة، والغريزة الإنسانية التي لا تقبل بغير طبيعتها.. فلا يمكن لها أن تتنصل عن ذاتها.. كيفما تكون تلك الذات.. كما أنها لا تزج بنفسها في محيط غريب عنها؛ إلا في حالات تحالف، وتزاوج؛ على أن لا يتم خلالهما نفي لكيانها.. وبهذا يمكن تفسير ظاهرة التسابق نحو إثبات الذات؛ التي عرفتها قبائل المغرب الإسلامي؛ بعد أن مرت الصدمة الأولى؛ التي أحدثها الفتح المسلح.

وهكــذا وقفــوا جميعــا موقفــا واحــدا ــ تقريبــا ــ يتفقــون فيــه عــلى أنهــم مــن أصــول عربيــة، أو بالأحــرى مشرقيــة. وهــذا الادعــاء وافقهــم فيــه الفاتحــون أيضــا.. فلــم يرفضــوه؛ مــع أنهــم أشــد الخلــق تعصبــا لجنسهــم. كيــف سلَّمُــوا بذلــك.. وهــم الســادة الأقويــاء..؟ الذيــن احتلــوا تلــك البــلاد عسكريــا..؟ يبــدو أنهــم لــو لــم تكــن لديهــم قناعــة بذلــك الطــرح لمــا قبلــوا بــه.

ومــع هــذا لا بــد مــن التذكيــر بــأن الخــلاف ــ في وجهــات النظــر بينهــم ــ لــم ينحصــر إلا في تحديــد مصــدر الهجــرة لا غيــر.. هــل كانــت مــن اليمــن أم مــن الشــام..؟ ويبــدو أن أسبــاب هــذا الخــلاف تكمــن خلفــه التأثيــرات المنبعثــة عــن **العصبيــة القبليــة**؛ الــتي تجلــت في قطبيهــا: اليمــني والمضــري. وقــد استطــاع ابــن حــزم تلمسهــا؛ حيــن أشــار إلى مــا وصفــه بــ "**تكاذيــب أهــل اليمــن**". وبهــذا يمكــن أن يكــون للصــراع بيــن العصبيتيــن: المضريــة (القيسيــة)، واليمنيــة (الكلبيــة) في بــلاد المغــرب دور رئيســي؛ في انتشــار هــذه الأخبــار المتضاربــة في قحطانيــة الأمازيــغ، أو قيسيتهــم. كمــا أن الصراعــات الداميــة بيــن الأمازيــغ والعــرب؛ في بــلاد المغــرب والأندلــس ــ وهــم جميعــا إخــوة في الديــن ــ دفــع بأهــل الخيــر والإصــلاح؛ مــن

الطرفين — بغرض شريف طبعا — إلى تأكيد الأخوة الجنسية، والدينية. وهذا ما حدا بشاعر من أهل الأندلس؛ وهو عبيدة بن قيس العقيلي كي يقول:

أَلاَ أَيُّهَا السَّاعِي لِفُرقَةِ بَيْنَنَا
تَوَقَّفْ هَدَاكَ اللَّهُ سُبلَ الأطَايِبِ
فَأقْسِمُ أَنَّا وَالبَرَابِرُ إخْوَة
نَمَانَا وَهُمْ جَدٌّ كَرِيمُ المَنَاصِبِ
أَبُونَا أَبُوهُمْ قَيْسُ عَيْلاَنَ فِي الذرَى
لَهُمْ حُرْمَة تَشْفِي غَلِيلَ المُحَارِبِ
فَنَحْنُ وَهُمْ رُكْنٌ مَنِيعٌ وَإخْوَة
عَلَى رَغْمِ أعْدَاءِ لِئَامِ المَنَاقِبِ
فَإنَّا لِبَرٍّ مَا بَقِىَ النَّاسُ نَاصِرٌ
وَبَرٌّ لَنَا رُكْنٌ رَفِيعُ المَنَاكِبِ
نُعِدُّ لِمَنْ عَادَى سَوَابِقَ ضُمَّراً
وَبيضاً تَقُطُّ الهَامَ يَوْمَ التَّضَارُبِ
وَبَرُّ بْن قَيْس عُصْبَة مُضَرِيَّة
وَفِي الفَرْعِ مِنْ أَحْسَابِهَا وَالذّوَائِبِ

وَقَيْسُ قِوَامُ الدِّينِ فِيكلٍّ بَلْدَةٍ
وَخَيْرُ مَعَدٍّ عِنْدَ حِفْظِ المُنَاسِبِ
وَقَيْسٌ لَهَا المَجْدُ الَّذِي يُقْتَدَي بِهِ
وَقَيْسٌ لَهَا سَيْفٌ حَدِيدُ المَضَارِبِ

ويقول الطرماح بن ساعدة القيسي أيضا:
يَا آلَ بَرٍّ بْن قَيْسٍ مَرْحَباً بكُمُ
قَيْسٌ أبي وَأَبُوكُم حَيْثُ نَنْتَسِبُ
مَا قُلْتُ إلاَّ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أعْلَمُهُ
وَكُلُّ شَيْءٍ إلىَ وَقْتٍ لَهُ سَبَبُ
اللَّهُ يَعْلَمُ أنِّي مَا كَذَبْتُكُمُ
وَالقَوْلُ أقْبَحُهُ البُهْتَانُ وَالكَذِبُ
بَرُّ بْنُ قَيْسٍ وَعِيلاَنَ لَهُ شَرَفٌ
عَال إلَيْهِ انْتَهَى الافْضَالُ وَالحَسَبُ
نَفْسِي فِدَاءُ بَنِي بَرٍّ وَإنْ غَضِبَتْ
يَوْماً فَدَامَ لَهَا الإرْغَامُ وَالغَضَبُ

تلك هي وجهة نظر بعض العرب فيما يخص الأمازيغ؛ أولئك العرب الذين يجاهرون بالانتماء الواحد للأصل العربي. والآن فما هي وجهة نظر الطرف الآخر؟ فهذه قصيدة لشاعر أمازيغي؛ وهو يزيد بن خالد الزناتي الأندلسي يمدح فيها قومه:

أَيُّهَــا السَّائِــلُ عَــنْ أحْسَابِنَــــا
قَيْــسُ عِيــلاَنَ بَنُــو العِــزِّ الأوَلْ

وَبَنُــو بَــرِّ بْــنِ قَيْــسٍ مَنْ بِــهِ
تُضْــرَبُ الأمْثَــالُ فِي كُلِّ أهَــلْ

نَحْنُ مَا نَحْــنُ بَنُــو بَــرِّ النَّــدَى
عَــرَفَ المَجْدَ وَفِي المَجْــدِ دَخَــلْ

إنْ نُسِبْنَــا فَبَنُــو بَــرِّ النَّــدَى
طَــارِدُ الأزْمَــةِ نَحَــارُ الأبِــلْ

وَابْتَــنَى المَجْــدَ فَــأوْرَى زَنْــدَهُ
وَكَفَانَــا كُلَّ خَطْــبٍ ذِي جَلَــلْ

إنَّ قَيْســاً يَعْتَــزِي بَــرٌّ لَــهُ
وَلِبَــرٍّ يَعْتَــزِي كُــلُّ بَطَــلْ

حَسْبُــكَ البَرْبَــرِ قَــوْمِي إنَهُــمْ
مَلَكُوا الأرْضَ بِأطْــرَافِ الأسَــلْ

وَبِبِيــضٍ تُضْــرَبُ الهَــامُ بِهَــا
هَــامُ مَنْ كَانَ عَنِ الْحَــقِّ نَكَــلْ

أبْلِغُــوا البَرْبَــرَ عَــنِّي مَدَحــاً
حِيــكَ مِنْ جَوْهَرِ شِعْــرٍ مُنْتَحَــلْ

هــذه اعتقــادات بعــض الشعــراء مــن الطرفيــن: العــربي والأمازيــغي. أمــا مــا تــراه القبائــل، ويؤمــن بــه الملــوك والأمــراء؛ فقــد كــاد جلهــم يجمعــون عــلى انتسابهــم؛ إمــا لحميــر، وإمــا لمضــر، وإمــا

للعمالقة، أو لبني كنعان. وفي هذا يقول ابن خلدون: ((**وأما نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب؛ مثل: لواتة؛ يزعمون أنهم من حمير، ومثل هوارة؛ يزعمون أنهم من كندة؛ من السكاسك، ومثل زناتة؛ تزعم نسابتهم أنهم من العمالقة؛ فروا أمام بني إسرائيل؛ وربما يزعمون فيهم أنهم من بقايا التبابعة، ومثل غمارة أيضا، وزواوة، ومكلاتة؛ يزعم في هؤلاء كلهم نسابتهم أنهم من حمير... والحق الذي شهد به المواطن، والعجمة أنهم بمعزل عن العرب؛ إلا ما تزعمه نسابة العرب؛ في صنهاجة، وكتامة. وعندي أنهم من إخوانهم؛ والله أعلم**))[1].

وهكذا ترى الخلط، والتناقض الذي وقع فيهما ابن خلدون. ففي نص سابق؛ يجزم بأنهم من أبناء كنعان بن حام. بينما يسلم ـ في قوله هذا ـ ببعض الاستثناءات المتعلقة بكتامة وصنهاجة؛ مع أنه في مواضع أخرى من كتابه العبر يميل إلى اعتبار زواوة من كتامة؛ بينما يستثنيهم ـ هنا ـ من الانتماء العربي؛ معللا ذلك بالمواطن، والعجمة؛ مع أن

[1] العبر، مج: 6 ص: 192.

هذا التعليل ينطبق على صنهاجة، وكتامة. ومن جهة ثانية أيَّد رأي ابن حزم؛ حين قال: **((ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر؛ إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن))**؛ ولكنه غير موقفه هذه المرة؛ مع صنهاجة، وكتامة؛ علما بأن هاتين القبيلتين تشكلان كتلة ضخمة بين قبائل الأمازيغ؛ ربما قدرت بنصفهم. وعند العودة إلى ما قاله عنهم في المجلد السادس من كتاب العبر؛ سيظهر مدى تناقضه وتذبذبه.. والغريب أنه لا يصدق ــ هذه المرة ــ ما قاله نسابة الأمازيغ؛ بينما يتحيز لأقوال النسابين العرب؛ دون أن يقدم مبررا معقولا.. فما هو السبب يا ترى..؟ هل هي الثقة المطلقة فيما يقوله نسابة وإخباريون مثل: ابن الكلبي، وابن إسحاق..؟! ومن علامات تناقض ابن خلدون وبلبلته أنه ــ من جهة ــ يجزم بانتساب (البربر) إلى كنعان بن حام، أو إلى العمالقة؛ ومن جهة أخرى يصرح ــ في موضع آخر ــ بإنكاره لهذا الطرح؛ وذلك حسب ما جاء في قوله السابق الذكر: **((والبربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم؛ متحيزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام.**

فما الذي يحوجنا إلى التعلق بهذه الترهات في شأن أوليتهم)). وعليه فما هو السبب في اضطرابه إذن..؟ قد يكون ذلك بسبب حيرته وعدم قدرته على تكوين فكرة واضحة حول الموضوع؛ نظرا لتشعبه وكثرة الآراء فيه؛ وبالمقابل اصطدم بالفراغ المهول في المادة التاريخية المغربية؛ حيث لم ينجز من قبل ما يمكن أن يستند إليه؛ سوى تلك الفرضيات المتزاحمة، والمتناقضة؛ المقدمة من طرف النسابين والإخباريين الأمازيغ والعرب على السواء..

د ـ *حديث الحفريات:*

وبعد هذا.. ماذا يمكن أن نقول نحن عن الأصول الأولى للأمازيغ.؟ قبل الإجابة؛ علينا ـ أولا ـ التسليم بأن هذه البلاد لم تكن فارغة من الجنس البشري؛ طوال فترة زمنية تمتد إلى عشرات الآلاف من السنين. وحتى ابن خلدون نفسه يعترف بهذا عندما يصرح بأن (البربر) كانوا في ديارهم منذ حقب زمنية بعيدة.. وهذا القول لا يمنع ـ طبعا ـ من قدوم هجرات عديدة إلى بلاد المغرب من جهات مختلفة.. ولترسيخ الفكرة، والتعمق في عرض المعطيات الداعمة للرأي السابق؛ لا بد من

الحديث عن هذا الموضوع في جانبه العلمي المعزز بالمكتشفات الأثرية. ومن هذا المنطلق نبدأ بالحديث عما تم إنجازه في الحفريات المختلفة.

والجدير بالذكر ــ هنا ــ هو أن الأبحاث الأثرية التي تمت في أماكن عديدة من الأقطار المغربية؛ وصلت إلى اكتشاف أقدم أثر؛ لما أسموه **إنسان الأطلس** ATLANTHROPES ؛ الذي وصلت الفترة الزمنية التي عاش فيها ــ بهذه الربوع ــ إلى 400.000 سنة ق.م؛ ويعتقد المختصون أنه شبيه بالأثر المكتشف في الصين؛ الذي سموه Sinanthrope؛ ثم الذي عثر عليه في جاوة وتانزانيا؛ المسمى Pithecanthrope. وقد عثر على بعض الأدوات الحجرية البسيطة؛ التي كان يستعملها هذا المخلوق. وقدر العلماء الفترة التي عاش خلالها **بالعصر الحجري السفلي** Le Paléolithique inférieur. وتأتي بعد هذا ــ زمنيا ــ البقايا الهامة التي اكتشفت في مغارة جبل **أرحود** بالمغرب الأقصى، وبعض المواقع في كل من: الجزائر، وتونس. وهذا الصنف من المخلوقات سماه العلماء بإنسان **نياندرتال** Homme de Néanderthal نسبة إلى منطقة في ألمانيا؛ اكتشف فيها الآثار الأولى لهذا المخلوق. وقد حدد

العلماء زمن وجوده بفترة تنحصر بين 40.000 و 25.000 سنة ق.م. بمعنى أنه عاش خلال **العصر الحجري الأوسط** Le Paléolithique moyen؛ وقد تردد العلماء في الإقرار بإنسانية هذين المخلوقين؛ نظرا للصفات البهيمية التي يتميزان بها؛ غير أن استعمالهما لبعض الأدوات الحجرية؛ جعل بعضهم يعتقدون أنهما يمكن أن ينسبا للإنسان العاقل.

وما هو مؤكد – حتى الآن – أن البقايا الإنسانية التي لا شك فيها؛ يعود تاريخها إلى **العصر الحجري المتأخر** L'Epipaléothique؛ المحدد زمنه بفترة تمتد من 12.320 إلى 6.500 ق.م؛ وهذه البقايا الإنسانية تم اكتشاف العينات الأولى منها في **مشتى العربي** بالجزائر. ثم اكتشفت عينات أخرى في منطقة **قفصة بتونس**؛ سمي صاحبها **إنسان ما قبل المتوسطي** Protoméditerranéen؛ وهو يختلف في تقاطيع جمجمته عن إنسان مشتى العربي. ولا يعرف – حتى الآن – كيف ظهر هذا الإنسان في شمال إفريقيا.. وهكذا بقيت التساؤلات حوله قائمة إلى الآن.. هل قدم إلى هذه الديار مهاجرا..؟ أم انحدر عن الإنسان ذي الصفات البهيمية السابق الذكر..؟ فأما الاحتمال الأخير فقد استبعده العلماء؛ نظرا لكونه

يختلف كثيرا عن النياندرتالي. وعليه فقد رجحوا فرضية أن يكون قدم من الشرق؛ عبر الجنوب التونسي. ويبدو أن هذا ممكن ــ حينها ــ لأن إمكانية الاتصال متوفرة عبر الجنوب الشرقي؛ حيث تتواجد منطقة **التاسيلي** في الجنوب الجزائري؛ تلك المنطقة التي كانت تزخر بالحيويّة، وبالتجمعات البشرية. ومما يعزز هذا الاحتمال؛ هو اتضاح ما للإنسان القفصي من ميول فنية للتعبير عن مشاعره؛ وهذا بالطبع من السمات البارزة في التجمعات الإنسانية بالتاسيلي. بالإضافة إلى ذلك لاحظ المختصون تشابها واضحا بين **إنسان مشتى العربي**، والإنسان المسمى **أيبيرو مغربي** L'Ibéromaurusien؛ وعليه فقد رجحوا انتمائهما إلى فرع واحد؛ انتقل من شمال إفريقيا إلى أوروبا عبر جبل طارق. وهذه الأصناف وُجِدَ أشباهها في الساحل الشرقي من البحر المتوسط. لذا رجحوا فكرة أن يكون هذا الإنسان قدم مهاجرا من تلك الجهات المشرقية؛ وعليه تكون هجرة هذا الإنسان من الشرق إلى الغرب احتمالا وارداً..

أما العصر الحجري الحديث Le Néolithique؛ الذي حدد بحوالي 4.000 سنة ق.م؛ فقد ظل

سائدا ببلاد المغرب؛ حتى ظهور المراكز التجارية الفينيقية الأولى. وقد اكتشفت بقايا هذا العصر في شمال البلاد وجنوبها؛ حيث تميزت بقايا الإنسان المكتشفة بالجنوب (في الهقار، والتاسيلي) باختلاطها بأصول سودانية[1]. وفي هذا العصر بالذات بدأت الصحراء تكشف عن وجهها الشاحب؛ بعد الجفاف الذي أخذ يحل بالبلاد تدريجيا. وعليه يمكن ـ في هذه الحال ـ للهجرات أن تحدث؛ هروبا من الجفاف؛ من الجنوب نحو الشمال، ومن الشرق نحو الغرب؛ سعيا وراء المناطق الخصبة أين يسهل العثور على الغذاء. أما الافتراض القائل بحدوث هجرات من الشمال إلى الجنوب؛ في تلك الحقبة التاريخية القديمة؛ فقد استبعده العلماء؛ نظرا للظروف الطبيعية القاسية؛ التي كانت تكتنف قارة أوروبا؛ بعصورها الجليدية. وعليه فقد رجحوا حدوث هجرات بشرية من شمال إفريقية؛ نحو أوروبا بعد نزوح الجليد عنها.

---

[1] للاستزادة بمعلومات أوسع في هذا الموضوع يستحسن الإطلاع على ما جاء في: **L'Homme Avant L'Ecriture, sous la direction de André Varagnac. et L'Homme par Gustav Schenk. et Initiation a la Prehistoire de L'ALGERIE.** وتاريخ إفريقيا الشمالية. لشارل أندري جوليان.

هـ ـ القول الفصل:

والسؤال الذي يبقى يبحث عن جواب مقنع هو: لأي جنس أو سلالة ينتمي سكان المغرب الحاليين..؟ بالطبع فالجواب الشافي لا يمكن انتظاره حاليا؛ لكن من السهل تكوين صورة تتميز بشيء من الوضوح في هذا المجال؛ لو أن الدارسين اختاروا الموضوعية، وابتعدوا عن الأحكام المتأثرة بالأهواء والميول الخاطئة. من هنا لا بد من الاعتراف بوجود سكان قدماء جدا في هذه الديار؛ ولكنهم امتزجوا بأجناس عديدة؛ أتت إلى البلاد في موجات بشرية مختلفة منذ حقب موغلة في القدم. وبهذا لا يمكن تكذيب ـ بشكل قطعي ـ الأقوال التي مفادها أن هجرات بشرية أتت من الشام أو من اليمن؛ لأن الحروب والجفاف والكوارث الطبيعية كانت ـ عبر الأحقاب التاريخية ـ أهم العوامل المتسببة في انتقال الموجات البشرية من منطقة إلى أخرى. وهذا ما كان يحدث في المعمورة كلها؛ ولا سبيل إلى نكرانه.. ومع هذا لا يمكن قبول الأساطير كما جاءت؛ دون تمعن فيها أو نقدها. مع أنها وإن لم تكن هي الحقيقة كلها؛ فقد تكون نصفها أو جزءا منها على الأقل..

لـــذا؛ فالقـــول الفصـــل هـــو أن سكـــان البـــلاد المغربيـــة مشكليـــن مـــن مزيـــج بشـــري؛ تكـــون ــ عبـــر قـــرون وقـــرون ــ مـــن ســـلالات مختلفـــة، وأجنـــاس متباينـــة؛ انتقـــل أسلافهـــم إلى هـــذه الديـــار ضمـــن موجـــات بشريـــة عديـــدة، وهجـــرات إنسانيـــة كثيـــرة؛ في فتـــرات تاريخيـــة يتعـــذر حصرهـــا بالكامـــل. وكثيـــر مـــن الدلائـــل العلميـــة تثبـــت أن سكـــان هـــذه البـــلاد لا يجمعهـــم جنـــس واحـــد. وقـــد جمـــع شـــارل أندريـــه جوليـــان الأعمـــال المخبريـــة الـــتي قـــام بهـــا علمـــاء مثـــل: برتولـــون Bertholon وشانتـــر Chantre ولوبـــلان Leblanc. ثـــم خلـــص إلى القـــول: ((**وهـــذا البحـــث في الأصنـــاف الغالبـــة مـــا زال في بدايتـــه؛ وسيكـــون ثمـــرة المستقبـــل؛ إذ أن مقارنـــة هـــذه الأصنـــاف مـــن حيـــث الشكـــل الظاهـــري هي وحدهـــا الـــتي ستسمـــح بإقامـــة تصنيـــف علـــمي. وفي الوقـــت الحاضـــر يكـــون مـــن الصلـــف أن نقـــوم بعمـــل آخـــر غيـــر تضميـــن النتائـــج الحاصلـــة الـــتي تـــدل عـــلى تجـــزؤ بـــلاد البربـــر مـــن حيـــث أجناسهـــا. إلا أنـــه ــ مـــا إن يتيســـر لنـــا معرفـــة البربـــري الـــذي يمكـــن تسميتـــه بحـــق: المغـــربي ــ حـــتى يبـــدو صنفـــا اجتماعيـــا لـــه خصائصـــه الواضحـــة. وبقـــدر حرصنـــا عـــلى طرافـــة البربـــري؛**

نتمكـــن مـــن إبـــراز ضـــرب مـــن الوحـــدة لتاريـــخ بـــلاد البربـــر))[1].

ونظـــرا لكـــون شبـــه الجزيـــرة العربيـــة منطقـــة معروفـــة بتصديـــر الجماعـــات البشريـــة المهاجـــرة منـــذ قديـــم الزمـــان؛ فمـــن الجائـــز ــ إذن ــ حـــدوث بعـــض الهجـــرات؛ انطلاقـــا منهـــا نحـــو مصـــر أولا، ثـــم ينتقـــل أصحابها بعـــد ذلـــك؛ كمرحلـــة تاليـــة إلى بـــلاد المغـــرب؛ الـــتي كانـــت تعـــرف ــ آنئـــذ ــ باســـم **لوبيـــا** أو **ليبيـــا** La Libye**.** وكمـــا هـــو معـــروف لـــدى المهتميـــن عمـــا يمكـــن أن تحدثـــه الحـــروب مـــن**:** خلخلـــة واضطـــراب يشجعـــان عـــلى النـــزوح، ويتسببـــان في تشريـــد الجماعـــات المهزومـــة؛ هربـــا مـــن القتـــل والاضطهـــاد والعبوديـــة**.** لـــذا فاحتمـــال هـــروب فئـــات مـــن أنصـــار جالـــوت المقتـــول نحـــو مصـــر، ثـــم بـــلاد المغـــرب أمـــر وارد، ولا يستـــدعي الرفـــض والنكـــران**..** وعليـــه فـــلا غرابـــة مـــن حـــدوث تلـــك الهجـــرات؛ وإنمـــا الغرابـــة تكمـــن في عرضهـــا بتلـــك الصـــورة الأسطوريـــة الساذجـــة؛ المعتمـــدة مـــن قبـــل الإخبارييـــن؛ الذيـــن حصـــروا الهجـــرات في شخـــص واحـــد، أو بعـــض الأشخـــاص المحدوديـــن**..** وبذلـــك فـــلا حـــرج في الاعتـــراف باحتمـــال وجـــود فئـــات ــ

---

[1] **تاريـــخ إفريقيـــا الشماليـــة، ج: 1، ص: 70.**

بلاد المغرب ـ تنسب نفسها إلى كنعان أو العمالقة أو الأقباط أو حمير أو مضر.. فمزاعمهم تستحق التقدير ما لم يثبت عكسها..

وجملة القول؛ ففيما اتضح من معطيات تاريخية صحيحة؛ ثبت أن سكان البلاد المغاربية الحاليين هم نتاج مزيج بشري تشكل من: إنسان مشتى العربي، والإنسان القفصي، وعناصر سودانية نزحت من الجنوب؛ وكلما مرت السنوات ازدادت هذه التركيبة البشرية مزجا وتعقيدا؛ بفضل استيعابها واحتوائها لفئات بشرية جديدة؛ قدمت مهاجرة من الشرق، والجنوب والشمال. ومع مرور الزمن تفاعلت تلك الموجات البشرية المهاجرة واندمجت مع غيرها من الجماعات المستقرة من قبل، أو الآتية بعدها؛ فأضحى جميعهم يمثلون مجتمعا واحدا؛ انصهر في بوتقة التاريخ الواحدة؛ التي شكلت عبقرية هذا الشعب المتميزة، والمطعمة بالتجارب الإنسانية المختلفة. فعرف هذا المجتمع ـ عندئذ ـ لدى بعضهم باسم **البربر**، وعند الآخرين باسم **الأمازيغ**. ومن هنا يمكن قبول الأقوال التي تنص على مجيء الجماعات العربية، واليهودية، والحامية من بلاد العرب.. ولكن لا يعني هذا أن جميع من في بلاد المغرب قدموا

ضمـــن تلـــك الهجـــرات.. وهكـــذا ليـــس هنـــاك مـــا يدعـــو إلى الحـــرج أو الاستنكـــار؛ عندمـــا يعتقـــد بعضهـــم أنهـــم ينتسبـــون إلى قحطـــان أو كنعـــان أو غيـــره.. فكـــل ذلـــك محتمـــل وجائـــز مـــا لـــم يثبـــت عكســـه، أو يظهـــر مـــا ينفيـــه.. وهـــذه الظاهـــرة ــ كمـــا هـــو معلـــوم ــ لا تختـــص بهـــا بـــلاد المغـــرب فحســـب؛ بـــل عرفتهـــا جـــل شعـــوب المعمـــورة؛ في العالـــم القديـــم بقاراتـــه: الآسيويـــة، والأوروبيـــة، والإفريقيـــة. ومـــن خـــلال مـــا سبـــق؛ يبـــدو أن البحـــث عـــن حقيقـــة شعـــب الأمازيـــغ لا يكـــفي القيـــام بهـــا في بـــلاد المغـــرب فحســـب؛ بـــل يستحســـن الشـــروع في أبحـــاث معمقـــة في بـــلاد المشـــرق؛ كـــ: مصـــر وإثيوبيـــا واليمـــن ووســـط الجزيـــرة العربيـــة ومنطقـــة الهـــلال الخصيـــب. فالحقيقـــة كمـــا يظهـــر مدفونـــة في تلـــك المناطـــق..

2)ـ لغة الأمازيغ وآدابهم:

لا سبيل إلى نكران أنه كانت للأمازيغ لغة يكتبونها بأبجدية **تيفيناغ**، أو **تفنغ**؛ التي انحدرت عن أبجدية لوبية قديمة؛ وهي ما زالت مستعملة ـ في هذه الأيام ـ ضمن الأوساط **التارقية**؛ وتتميز بكونها لغة صامتة consonnantique؛ وكانت في البداية تكتب منفصلة في الاتجاهات كلها: من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين؛ ثم من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى. وحروفها ليست كاملة حتى الآن.. وكانت هذه الكتابة (المعروفة بالليبية أو اللوبية) منتشرة في كامل بلاد المغرب القديم. بل تعتبر من أقدم الكتابات في لغات القارة الإفريقية؛ إلى جانب الكتابة الإثيوبية المعروفة بالمَرَوِيَّة[1]. كما أنها مصنفة ضمن أقدم لغات العالم. وقد اختلف المختصون في أصولها الأولى: فمن قائل أنها تنتمي إلى العائلة السامية، إلي قائل بانتمائها إلى العائلة اللغوية الحامية؛ بينما اشتط آخرون في حكمهم بكونها يافثية الأصل..

والحقيقة التي أجمع عليها الثقاة والمحققون هي أنها حامية الأصول، ومتأثرة بالسامية تأثيرا

---

[1] عروبة البربر، الوثيقة رقم: 42، ص: 28. ثم ص ص: 158 ـ 160.

كبيــــرا..(هـــذا ــ بالطبــع ــ إذا صحـــت هـــذه التقسيمـــات التوراتيـــة التقليديـــة للتـــراث الإنســـاني عـــلى أنـــه لا يخـــرج من حـــدود ثـــلاث أســـر: ساميـــة وحاميـــة ويافثيـــة) ومـــا يعـــزز هـــذا الـــرأي هـــو قربهـــا الشديـــد مـــن اللغـــة المصريـــة القديمـــة. كمـــا أن أبجديتهـــا تلتـــقي في كثيـــر مـــن الأحيـــان مـــع الأبجديـــة العربيـــة القديمـــة المعروفـــة بالمسنـــد؛ بفروعهـــا: الثموديـــة، واللحيانيـــة، والصفائيـــة[1]. وتعتبـــر الفينيقيـــة أهـــم اللغـــات المؤثـــرة في اللغـــة الأمازيغيـــة؛ وهـــذا مـــا يمكـــن استشفافـــه من أبجديـــة **تيفينـــاغ** أو **تفنـــغ**؛ فاسمهـــا يـــدل عـــلى هـــذا.. ويبـــدو أن هـــذه الأبجديـــة كانـــت تجـــد عنايـــة مـــن طـــرف أبنائهـــا، أو مـــن قبـــل فئـــة منهـــم في العهـــد الفينيـــقي؛ وهـــذا مـــا يفســـره وجودهـــا بيـــن قبائـــل التـــوارق. ومـــع هـــذا لـــم يتـــم العثـــور عـــلى مؤلفـــات كتبـــت بهـــذه الأبجديـــة؛ مـــا عـــدى بعـــض مشاهـــد القبـــور.. وفي العهـــد الفينيـــقي أضحـــت كتابـــة **تفنـــغ** تكتـــب من اليميـــن إلى الشمـــال؛ مثلهـــا مثـــل الخـــط الفينيـــقي. ومـــن جهـــة أخـــرى يعتقـــد بعضهـــم أن شيئـــا مـــن الشبـــه يجمـــع بيـــن الأمازيغيـــة (الليبيـــة) ومـــا

---

[1] للمزيـــد مـــن المعلومـــات حـــول تقـــارب الأبجديتيـــن أرجـــع إلى كتـــاب عروبـــة البربـــر لمحمـــد عـــلي مـــادون؛ فهـــو يحتـــوي عـــلى مـــادة غزيـــرة ومستوفيـــة الشـــروط؛ يمكنهـــا تعزيـــز هـــذا الـــرأي.

اكتشف من كتابة في جنوب أسبانيا L' Ibérique؛ بالإضافة إلى التشابه بينها وبين خط الاتروسك L'Erusgue وخطوط يونانية فرعية أخرى.. وربما حدث هذا نتيجة الاحتكاكات التي حدثت عبر فترات تاريخية مختلفة. ولكن الراجح فيما ذكر هو الارتباط القوي بين اللغة الأمازيغية واللغات الحامية بالدرجة الأولى، ثم اللغات السامية في درجة ثانية Chamito-Sémitique[2]..

أ ــ البديل الأجنبي:

أما في العهد الروماني؛ فما يهم هو أن بعض الأمازيغ كتبوا مجلدات عديدة؛ مثل: **أبوليوس** الماضوري (آبولي) Apulée؛ ذلك الأديب والخطيب ابن بلدة (مداوروش)؛ الذي تربع ــ في وقته ــ على عرش الآداب والفلسفة؛ وكتب مجموعة من المؤلفات؛ في شتى العلوم، والفنون؛ ولكنها باللغة اللاتينية؛ منها: مجموعة أشعار ضمها كتاب الأزاهير، وقصة الحمار الذهبي التي شاع ذكرها؛ وكان يقول: **((أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط؛ أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة**

---

[2] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 21 - 22.، وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 288.

لروح الملحمة أو فيض الوجدان؛ لمرح الملهاة، أو جلال المأساة. وكذلك لا أقصر؛ لا في الهجاء، ولا في الأحاجي؛ ولا أعجز عن مختلف الروايات، والخطب يثني عليها البلغاء؛ والحوارات يتذوقها الفلاسفة؛ ثم ماذا بعد هذا كله؟ إني أنشئ في كل شيء؛ سواء باليونانية، أم باللاتينية؛ بنفس الأمل، ونفس الحماس، ونفس الأسلوب))[1]. ثم يوبا الثاني Juba 2؛ الملك الأمازيغي الذي اغترب وذاب في اللاتينية والإغريقية؛ فكتب مجموعة من الكتب في ميادين كثيرة؛ منها: التاريخية، والجغرافية، واللغوية، والطبيعية، والشعر، والفنون كـ: الموسيقى والتمثيل، والرسم؛ ولكنها ضاعت بكاملها. وربما يكون أحد كتبه المعنون بـ ليبيكا Libyca Les ـــ في أجزائه الثلاثة ـــ مفيدا في الجوانب التي تخص المجتمع الأمازيغي بعاداته، ولغته وتقاليده؛ ولكنه ـــ مع الأسف ـــ يبقى بين ما فقد من مؤلفاته[2]. كما أنه كتب كتابا آخر يبحث في تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية؛ سماه: آرابيكا Les Arabica؛ واعتناؤه ببلاد العرب يبعث

---

[1] تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 252.

[2] نفسه، ص ص: 172 ـــ 173.

على التساؤل.. ثم القديس **أوغسطينوس** (أوغسطين) Saint Augustin (ابن تاجسته أو سوق أهراس) الذي تجاوز صيته حدود بلاد المغرب؛ بل اعتبر من أبرز فلاسفة عصره.. كتب هو الآخر مؤلفاته باللاتينية؛ ومن كتبه: الاعترافات، ومدينة الله؛ وهو الذي قال: ((**إن الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب؛ لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها السياسية فحسب؛ بل لغتها أيضا**))[3]. هذا وكانت مدن إفريقية ونوميديا الرومانية تزخر نشاطا وحيوية بحلقات التعليم والخطابة والمحاورات؛ كل ذلك باللغة اللاتينية التي كان الأمازيغ الأثرياء يتعلمونها في مدارس الرومان الخاصة. أما سكان الأرياف فقد ظلوا يجهلون تلك اللغة؛ ويتعاملون فيما بينهم باللغة الأمازيغية غير المكتوبة..

وبالإضافة إلى الذين ذكرناهم من علماء الأمازيغ؛ ثمة ــ أيضا ــ أدباء ومحامون آخرون؛ كانوا يكتبون ويعبرون باللاتينية كذلك؛ منهم: القانوني الشهير **سالفيوس جوليانوس** Salvius Sulianus؛ والشاعر **منيلوس**، والخطيب الفيلسوف

[3] تاريخ إفريقية الشمالية، ج: 1، ص: 248.

الـرواقي **كرنيتـوس**، والخطيب **سبتيمـوس سواريـوس** الـذي أصبـح حفيـده إمبراطـورا عـلى رومـا نفسهـا، ثـم الشاعـر والخطيـب والمـؤرخ **فلـوروس**، ثـم **فرونتيـوس** وهـو مـن مدينـة سيرتـا؛ وكـان أستـاذا لأبنـاء الإمبراطـور، وخطيبـا، ثـم أصبـح قنصـلا[1]. غيـر أن شـارل أندريـه جوليـان يبـدي بملاحظـة خاصـة إذ يقـول: **((إن هـذا التكويـن تبـدو آثـاره في المؤلفيـن الأفارقـة: المسيحييـن منهـم، والمشركيـن. فـفي قرطـاج تعلمـوا كيـف يستسيغـون الأفلاطونيـة الحديثـة، والتصـوف الفلسـفي، وتأمـلات مدرسـة الإسكندريـة؛ وفيهـا تحمسـوا لسلسطيـوس، وفيهـا كذلـك هذبـوا ميلهـم الطبيـعي إلى الخطابـة العنيفـة اللاذعـة المتحديـة. إنهـم لـم يكونـوا بارعيـن في الكتابـة بقـدر مـا كانـوا بارعيـن في الجـدال المرتجـل. ولقـد نشـأ عـن طبعهـم الـذي كـان يحملهـم إلى الاهتمـام بمـادة فكريـة غيـر متنوعـة ضـرب طريـف مـن التفكيـر والتعبيـر يزخـران حيويـة))**[2].
إذن فحـتى أندريـه جوليـان يميـل إلى الاعتقـاد بـأن الأمازيـغي يبـدع في ميادين الخطابـة والارتجـال؛

---

[1] تاريـخ إفريقيـة الشماليـة، ج: 1، ص: 250.

[2] نفسـه، ص: 250.

أكثر منه في الأعمال الكتابية.. وما يمكن إضافته – هنا – إنه إذا لم يكن ما قاله جوليان صحيحا؛ فعلى الأقل فهم يتحملون – عبر التاريخ – مسئوليتهم في عدم العناية بلغتهم، والتراخي في العمل على تطوير أبجديتها الخاصة (التيفيناغ). وهكذا يصبح أصحاب هذه اللغة هم الذين تسببوا في ضياعها وتخلفها؛ وليس الدول التي حكمتهم..

ب – كتابة سكونية:

هذا عن العهود القديمة جدا؛ أما في العهد الإسلامي فقد كان أكثر وضوحا؛ نظرا لما سمحت به الحفريات الضئيلة؛ التي مكنت من رسم تلك الصورة الباهتة في موضوع اللغة الأمازيغية وأبجديتها قديما، وما قدمته المؤلفات باللغة الأمازيغية. وإذا ما راجع الباحثون – موضوع اللغة المستعملة ضمن الكتل الضخمة من القبائل الأمازيغية؛ ومن خلال ما تقدمه المصادر المتوفرة – يجد أن بعض المختصين قد حصروا اللهجات الأمازيغية الكبرى ضمن مجموعات ثلاث؛ تعتبر بمثابة لهجات أساسية؛ يتفرع عنها عدد كبير من اللهجات المحرفة والمعدلة؛ حسب المناطق الجغرافية.. وهذه

اللهجات الرئيسية هي: اللهجات الزناتية، واللهجات المصمودية، واللهجات الصنهاجية[1]. وتنتشر اللهجات الزناتية بشكل واسع في المغربين: الأوسط والأدنى؛ (ويشتملان الآن على: الجزائر وتونس وليبيا)؛ كما توجد بشكل أضعف في المغرب الأقصى. أما اللهجات المصمودية فتتمركز تقريبا في المغرب الأقصى؛ وهي التي كان يسميها أبو بكر بن علي الصنهاجي (البيذق) **باللسان الغربي**؛ ربما كان قوله هذا إشارة منه إلى اختلاف هذا اللسان عن لهجته الصنهاجية[2].. أما اللهجات الصنهاجية فهي منتشرة ـــ هنا وهناك ـــ في مناطق محددة من المغربين: الأوسط والأقصى، وفي المناطق الجنوبية التي تتاخم حدودهما الصحراوية..

وقد اكتفى ابن خلدون بالإشارة في اقتضاب إلى اللهجات الزناتية؛ التي قال أنها تختلف عن بقية اللهجات الأمازيغية. وفي هذا السياق يقول في تمييزه لزناتة: **((وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها؛ وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر))**[3]. ثم يدخل في

---

[1] Les Berbères, (Que sais-je ?) p p: 19- 21.

[2] أخبار المهدي بن تومرت، ص: 112.

[3] العبر، مج: 7، ص: 3.

بعض الجزئيات؛ حين يتطرق لمعنى كلمة زناتة؛ فيقول: ((**فاعلم أن أصل هذه اللفظة؛ التي هي زناتة؛ من صيغة جانا؛ التي هي اسم أبي الجيل كله... وهم إذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالاسم بالمفرد تاء؛ فقالوا: جانات. وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن. ونطقهم بهذه الجيم؛ ليس من مخرج الجيم عند العرب؛ بل ينطقون بها بين الجيم، والشين، وأميل إلى السين. ويقرب للسمع منها بعض الصفير؛ فأبدلوها زايا محضة؛ لاتصال مخرج الزاي بالسين؛ فصارت زانات؛ لفظا مفردا؛ دالا على الجنس. ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي؛ تخفيفا لكثرة دورانه على اللسان**))[1].

ومع أن ابن خلدون لم يتطرق إلى موضوع الخط الأمازيغي القديم؛ فإن سلفه الرقيق القيرواني افترض وجوب وجود خط لهذه اللغة؛ وإن كان ـــ في حقيقة الأمر لم يعرف عنه شيئا ـــ ولكنه رأى أنه من غير المعقول ألا تكون لهذه اللغة حروف كانت تكتب بها في

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 13 ـــ 14.

القديم[2]. وقد خصص الحسن الوزان (ليون الأفريقي) في كتابه وصف إفريقيا بعض الفقرات أشار فيها إلى كتابة الأفارقة [أي الأمازيغ] ولغتهم بلهجاتها.

فبخصوص اللغة يقول: ((**إن هذه الشعوب الخمسة** [قسم الأمازيغ إلى خمسة أقسام] **المنقسمة إلى مئات السلالات وآلاف المساكن** [الأسر] **تستعمل لغة واحدة تطلق عليها اسم ((أوال أمزيغ)) أي الكلام النبيل؛ بينما يسميها العرب البربرية. وهي اللغة الإفريقية الأصلية الممتازة والمختلفة عن غيرها من اللغات. ولما كانت مشتملة على عدد من المفردات العربية استدل البعض بذلك على أن الأفارقة ينتمون إلى السبئيين؛ وهم سكان اليمن كما أسلفنا. ولكن أنصار الرأي المخالف يؤكدون أن هذه المفردات إنما أدخلها العرب عندما جاؤوا إلى إفريقية وفتحوها. وكانت هذه الشعوب في حالة من البداوة والجهالة بحيث لم تترك أي كتاب يؤيد إحدى النظريتين؛ على أن هناك**

---

[2] وصف إفريقيا، ج: 1، ص: 71.

اختلافا في اللهجات؛ لا في النطق فحسب؛ ولكن أيضا في معنى كثير من الألفاظ))[3].

وهذا القول يفيد أن المؤرخين – في تلك العصور – لم يطلعوا على الكتابة التي كانت نساء التوارق تكتب بها.. والسر على ما يبدو يكمن هنا؛ إذ كان الرجال التوارق لا يهتمون كثيرا بتعلم خط التيفيناغ؛ بينما اعتنت به المرأة وحافظت عليه ضد الضياع طوال قرون كثيرة.. وما ذكره الحسن الوزان بخصوص الحالة المزرية التي كان عليها الأمازيغ؛ تلك الحالة التي منعتهم من تقديم أدلة مكتوبة عن أصولهم أو أصول لغتهم لا يمكن تعميمه بهذا الشكل؛ لأن الحقيقة التاريخية تنص على وجود عدد من الأمازيغ كانوا – قبل الفتح الإسلامي – في مستوى علمي يؤهلهم لإعطاء رأي مكتوب في ذلك؛ ولكنهم لم يفعلوا..!! أو ربما تكون أعمالهم تعرضت للضياع أو التلف.. وفي العهد الروماني أيضا كان كثير من الأمازيغ مولعين بالتأليف والمحاورات الفكرية؛ وإذا لم يصل إلينا حتى الآن ما يفيد أنهم كتبوا عن أوضاعهم وأوضاع

---

[3] وصف إفريقيا، ج: 1، ص: 39.

شعبهم فلا يعني ذلك أنهم لم يكتبوا تماما؛ خاصة إذا علمنا أن كثيرا من إنتاجهم يكون قد ضاع..

ومع هذا فما ذكرناه — من قبل — لا يجعل الأمازيغ بكاملهم — كما قال الوزان — تغلبت عليهم البداوة، واستحكم فيهم الجهل؛ فلم يكتبوا كتبا يشرحوا فيها حالهم وأصولهم.. فأما تعميم الجهالة عليهم؛ فغير صحيح، وأما كتابة الكتب فقد كتبوا عشرات المجلدات في العهد الروماني؛ وربما في العهد الفينيقي. ولكن ما عثر عليه حتى الآن — حقيقة — لا يفي بالحاجة المطلوبة.. كما تميز الأمازيغ في العهد الإسلامي بالثراء الفكري، وغزارة الإنتاج العلمي المكتوب في ميادين عديدة كـ: العلوم الدينية، والفلسفة واللغة والآداب، والتاريخ والجغرافية، والرياضيات، والفلك؛ وغيره من العلوم الدينية والدنيوية. ولم يصلوا — في أي عصر كان — إلى ما وصلوا إليه في العصر الإسلامي؛ من رقي وسمو في العطاء الأدبي والفلسفي والفني، وفي العلوم كافة؛ بحيث ملئوا الأندلس بإبداعاتهم، وأضاءوا المشرق بآدابهم، وفنونهم، ومبتكراتهم.. وسيأتي الكلام عن هذا بالتفصيل لاحقا..

أما رأي الحسن الوزان بخصوص الأبجدية المستعملة في كتابة اللغة الأمازيغية؛ فهو يقول أن المؤرخين العرب كانوا يعتقدون بعدم وجود كتابة خاصة بالأمازيغية؛ وهم يرون أنها كانت تكتب بالحروف الفينيقية واللاتينية؛ لأن العرب عندما فتحوا إفريقية لم يجدوا سوى اللاتينية. ثم يقول: **((هم** [أي العرب] **يعترفون بأن للأفارقة لغتهم الخاصة؛ ولكنهم يلاحظون أنهم يستعملون عادة في كتابتها الحروف اللاتينية... وفي الوقت الذي كان حكم إفريقية بيد المبتدعة** [يقصد الفاطميين] **الفارين من خلفاء بغداد؛ أمروا بإحراق جميع كتب الأفارقة المتعلقة بالتاريخ والعلوم... ويذهب فريق آخر من مؤرخينا إلى أنه كانت للأفارقة لغة مكتوبة خاصة بهم؛ لكنهم افتقدوا هذه الكتابة؛ من جراء احتلال الرومان لبلاد البربر... ذلك أن بلاد البربر كلها؛ سواء منها مدن الساحل أو مدن الداخل ــ أعني المدن المشيدة قديما ــ لا تحتوي على أية كتابة في الأضرحة أو في جدران أي بناء إلا وهي بالحروف اللاتينية دون استثناء. ولا أظن أن الأفارقة استعملوا هذه الحروف، واتخذوها**

لكتابة لغتهم الخاصة؛ إذ لا شك أن الرومان لما انتزعوا هذه الأماكن من أيدي أعدائهم؛ محوا ــ حسب عادة المنتصرين ــ جميع النقوش الحاملة لآثار المغلوبين بخطهم الأصلي قصد إذلالهم؛ وجعلوا عوضها كتابتهم الرومانية))[1].

جـ ــ *التسامح المطلق*:

أما موقف الفاتحين العرب فكان متسامحا في هذا الجانب؛ ولم تكن اللغة الأمازيغية في العصور التي سبقت العهد العثماني مضطهدة، أو مكبوحة؛ لأن الحكومات والدول التي تعاقبت في حكم ديار المغرب كلها؛ كانت جميعها أمازيغية الأصل.. فمنذ سقوط الدولة الأغلبية لم تقم في بلاد المغرب سوى دول من قبائل أمازيغية؛ وحتى قبل سقوط الأغالبة؛ فقد كانت في بلاد المغرب دول أمازيغية قائمة مثل: الدولة الرستمية بتيهارت، والدولة المدرارية بسجلماسة؛ وحتى الدولتين: الإدريسية بفاس، والفاطمية بإفريقية؛ فقد كانتا ــ في حقيقتهما ــ أمازيغية التكوين والمنبت.. وفي هذه الدول كانت الأمازيغية مستعملة في حدود قدراتها

---

[1] وصف إفريقيا، ج:، 1، ص ص: 69 ــ 70.

التعبيرية.. وخلال وجود الدولة الرستمية سجلت بها بعض الكتب الدينية؛ أضف إلى ذلك ما أنجزه ابن تومرت من رسائل في الدين؛ منها: ((التوحيد)) و ((المرشدة)) و((العقيدة))؛ إذ كان ابن تومرت يعمل على تسهيل وصول توجيهاته الدينية إلى عامة السكان؛ لذا فقد حرص على كتابة بعض كتبه الدينية باللغة الأمازيغية؛ التي كتبت بالحروف العربية. ولكنه تجنب ترجمة أصول الدين الإسلامي إلى الأمازيغية (القرآن والحديث).

ولم يحدث ــ في يوم ما قبل الغزو الفرنسي ــ أن قمعت الأمازيغية أو حصل اعترض عليها من طرف أي كان من الناس؛ وإنما كان قصورها، ومحدوديتها التعبيرية هي أساس مشكلتها، والسبب في اجتناب العمل بها في الميادين العلمية والإدارية.. وفي العصر الحديث عرفت اللغة الأمازيغية أيضا اهتماما كبيرا من طرف الدارسين الفرنسيين مثل: رينيه باسيت René Basset وستيفان قزيل Gsell (Steph.) وغوتييه Emile-Félix Gautier وويليم مارسي William Marçais؛ وآخرون.. وكانت دوافعهم في هذه الأبحاث مختلفة: منها ما هو في سبيل العلم والمعرفة، ومنها ما كان لأغراض مشبوهة.؛ تخدم

استعمارهم.. ومع هذا فلم تخرج أبحاثهم عن التعرف على هذه اللغة كعينة أنثروبولوجية؛ لذا فقد بقيت اللغة الأمازيغية محصورة ضمن مناطق معينة، ولم تحض بعناية جادة لترقيتها، ولا لتدريسها في المدارس أيام الاحتلال؛ مثلها في ذلك مثل اللغة العربية. ولما استقلت الجزائر أصبح الأمر مختلفا بالنسبة للفرنسيين؛ حيث سارعوا إلى تشجيع بعض الموجات المشبوهة؛ مما سمح لبعض المندسين والمغرضين من انتهاز الفرصة المواتية لهم؛ لكي يملئوا ذلك الميدان المهمل؛ بغرض ضرب استقرار البلاد؛ منطلقين من خلف البحار طبعا؛ موهمين الناس بأن ثمة مشكلة لغوية بالجزائر.. والغريب أنهم يصرون على معادات اللغة العربية؛ وتحميلها ما لحق باللغة الأمازيغية من تخلف؛ في الوقت الذي تقف فيه العربية في خندق دفاعي واحد مع الأمازيغية ضد هيمنة الفرنسية.. وبالمقابل يمجد هؤلاء المغرر بهم اللغة الفرنسية؛ ويدافعون عنها دفاعا مستميتا؛ يفوق دفاعهم عن الأمازيغية نفسها.. أو حتى دفاع الفرنسيين عن لغتهم.. وعليه يستبعد أن يخدم هذا السلوك مصلحة الجزائر..

3)ـ الفـــن الأمازيـــغي:

يمكـــن حصـــر أقـــدم النمـــاذج الفنيـــة للإنســـان المغـــربي القديـــم فيمـــا كـــان ينجـــزه مـــن نقـــوش ورسومـــات عـــلى الصخـــور، وفي بعـــض الأدوات الضروريـــة الـــتي يصنعهـــا كــ: الحـــلي والأواني. وقـــد يكـــون ذلـــك الإنســـان ينجـــز نقوشـــه ورسوماتـــه بغـــرض مصلـــحي؛ وليـــس لغـــرض المتعـــة، أو لدوافـــع فنيـــة بحتـــة. كمـــا أن اكتشـــاف مجموعـــة مـــن المقابـــر؛ ذات الشكـــل الهـــرمي، والمخـــروطي يفـــضي إلى تشكيـــل تصـــور متقـــدم؛ لمـــا وصـــل إليـــه ذلـــك الإنســـان القديـــم مـــن تطـــور في فـــن العمـــران. هـــذا بالإضافـــة إلى نشاطـــات فنيـــة أخـــرى كالموسيـــقى والغنـــاء والرقـــص والتمثيـــل..

أ ــ لغـــة النقـــوش والرســـوم:

تعتبـــر النقـــوش المنحوتـــة عـــلى الصخـــور في بـــلاد المغـــرب بمثابـــة السجـــل المفتـــوح؛ يسمـــح للمهتميـــن بقـــراءة تاريـــخ هـــذه البـــلاد ــ منـــذ حقـــب زمنيـــة قديمـــة جـــدا ــ لـــم يكـــن الإنســـان فيهـــا قـــد توصـــل إلى اكتشـــاف الكتابـــة بعـــد.. لـــذا فقـــد حـــاول الإنســـان المغـــربي أن يسجـــل تاريخـــه ومعتقداتـــه بوسيلـــة تعبيريـــة مبتكـــرة؛ وتتمثـــل في لغـــة الخطـــوط الهندسيـــة، وألـــوان الطبيعـــة المحيطـــة بـــه؛

فتفنن وأبدع أيما إبداع.. وظل ذلك السجل الثري بالمعلومات المتنوعة، والفنون الرائعة مطويا ومهملا؛ حتى سخر الله له أفواجا من العلماء والباحثين الأوروبيين؛ فنفضوا عنه غبار الزمن المتراكم عبر العصور الطويلة.. إذ انطلقت حملات البحث عن النقوش المنحوتة على الصخور ببلاد المغرب في الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ بمبادرة من جورج بارتليمي فلامون J. B. Flamand؛ الذي واصل أبحاثه طيلة أربعين سنة؛ عبر مناطق عديدة من شمال إفريقيا. ويبدو أن إنجازات هذا الجيولوجي العلمية اختلطت بالأعمال العسكرية الاستعمارية؛ إذ شارك في احتلال عين صالح ضمن الحملة الفرنسية عليها سنة 1899م.. وقد صدر كتابه ((الحجارة المكتوبة)) Les pierres écrites؛ بعد عامين من وفاته؛ أي في سنة 1921م؛ ومنذ هذا التاريخ أخذت أعداد الباحثين تتضاعف؛ جريا وراء ما تقوله النقوش، وما تخفيه من أسرار ضمن سطورها وأشكالها.. وقد تضاعفت قائمة الباحثين الأوروبيين في هذا الميدان؛ بحيث لا يتسع المجال لشرح إنجازاتهم كلها. فمن أولئك الباحثين من اعتنى بما في الصحراء، وتخومها الشمالية مثل: إميل فليكس غوتييه E. F. Gautier،

وهـ. بروي H. Breuil، وم. ريغاس M. Reygasse ، وت. مونورد. Th. Monod. ثم الذين ركزوا أعمالهم على ليبيا مثل: ب. قرازيوزي، P. Graziosi، ول. فروبنيوس L. Frobenius. ثم من المهتمين بالمناطق المعروفة ببلاد البربر الشرقية وتونس: م. سولينياك M. Solignac، وآرمبورغ Arambourg، والدكتور غوبير Dr. Gobert. أما النواحي الوهرانية، وشمالها وجنوبها فـ: ر. فوفري R. Vaufrey، وبالاري Pallary[1]. وأخيرا هنري لوت Henri Lhote في أعماله القيمة بـ: التاسيلي والهقار والجنوب الوهراني[2].

وقد لوحظ تقارب شديد بين ما عثر عليه في المناطق الصحراوية المختلفة وما تم اكتشافه في المناطق الجنوبية من وهران.. الأمر الذي يدل على سيادة حضارة واحدة في تلك الربوع كلها؛ وأغلب الباحثين يعودون بأقدم النقوش المنحوتة على الصخور ـــ في بلاد المغرب كلها ـــ إلى الحضارة التي ميزت العصر الحجري المتأخر Epipaléothique، والعصر الحجري الحديث Néolithique. وثمة من صنف وحدد النقوش

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 58. مدنية المغرب العربي في التاريخ، ص ص: 38 ـــ 41.

[2] أنظر كتابيه: A La découverte des fresques du Tassili, et Vers D’Autres Tassilis.

المنتشرة في هضبة التاسيلي ــ زمنيا بشكل نسبي ــ حسب النشاطات المعيشية التي كان يحياها أولئك السكان القدماء؛ مثل[1]:

ــ **عصر الصيادين** الذي ساد من 5000 ق.م. إلى 3500 ق.م.

ــ **وعصر الرعاة** الذي ساد من 3500 ق.م. إلى 1000 ق.م.

ــ **وعصر الحصان** الذي ساد في الألف الأخيرة قبل الميلاد.

ــ **وعصر الجمال** الذي ظهرت بوادره خلال المائة سنة التي سبقت التاريخ الميلادي؛ وبالتحديد في سنة 46 ق.م. خلال معركة تابسوس (رأس الديماس)؛ التي دارت بين يوليوس (قيصر روما) والملك الأمازيغي يوبا الأول؛ الذي تحالف مع خصم سيزار اللدود بومبي (بمبايوس). على أن باحثين آخرين صنفوا تلك الفترات الزمنية إلى أقسام أخرى؛ منها ما وصل إلى خمسة أصناف؛ ودلالتهم على ذلك ما كان يغلب على الصور والنقوش من حيوانات..

---

[1] الصحراء الكبرى، ص ص: 41 ــ 65.

ـ عصر الصيادين:

يسميه باحثون آخرون: فترة الرؤوس المستديرة؛ لأن صور رؤوس الإنسان فيها تظهر في شكل مستدير. وعصر الصيادين هذا تميزه رسوم ونقوش حيوانات مثل: الفيل، والزرافة، ووحيد القرن، والنعامة، والوعل، وجاموس النهر، والتمساح، والسمك؛ والأروية خاصة. ومما يميز هذه الفترة ويمنحها وضوحا أكثر؛ أن الحيوانات المذكورة كانت ترسم منفردة؛ وليست في شكل قطعان. كما كانت تلك الحيوانات في الغالب ترسم بحجمها الطبيعي. وأسلوب التصوير يميل إلى الطبعية. وفي حال النحت تكون الخطوط عميقة وتأخذ الشكل اللاتيني (V)؛ مع ميل إلى الدكنة والقتامة. وقد تخيل بعضهم التقنية التي كان يتبعها ذلك الفنان القديم في إنجاز نقوشه؛ وذلك أنه كان يبدأ برسم الموضوع المراد نقشه؛ أولا بواسطة مادة تظهر ما يريد رسمه؛ ثم يشرع في حفر نقاط متتالية فوق الخطوط المرسومة؛ بواسطة منقاش من عظام الحيوانات، أو من الصوان المدبب؛ وبعد ذلك يكمل عمله بوصل النقاط، حتى تصبح خطا متصل؛ ثم يجتهد في صقل تلك الخطوط وتعميقها بأداة حجرية صلبة

وحادة.. ومما يلفت النظر ــ في هذه الفترة ــ أن صور الإنسان كانت قليلة جدا؛ وما اكتشف منها حتى الآن تظهر ذلك الإنسان مُلَثَّماً بقناع من جلد الحيوانات؛ بينما تكون أسلحتهم عبارة عن هراوات، وعصي معقوفة. كما يبدو الكلب كرفيق دائم لأولئك الصيادين؛ وعليه فقد يكون هو الحيوان الأليف الوحيد الذي تظهره تلك الفترة.

ــ *عصر الرعاة*:

أما عصر الرعاة فيسميه آخرون: فترة الجاموس؛ بسبب انتشار صورها بشكل واسع. وعصر الرعاة هذا تضحى فيه الصور أصغر حجما؛ وتبرز النزعة الإطلاقية المظهرية. وهنا تغدو الرسوم متضمنة لعينات جماعية أكثر فساحة؛ وبذلك يتضح التطور الذي ساد؛ بتجاوز الصور الفردية. وفي هذه الفترة ظهرت الخطوط في شكل (U) اللاتينية؛ بعمق أقل حدة وأضعف سوادا. ومن الحيوانات المرسومة في هذه الفترة: وحيد القرن، والنعامة، والغنم البري، والغزال، والخنزير البري، والأسد، وحمار الوحش، وبقر الوحش، والسمك. وهنا بدأت صور جاموس النهر تميل نحو الاختفاء؛ بينما

تصبح صورة الثور هي الصورة السائدة والمنتشرة بين رسوم هذا العصر؛ حيث تظهر في شكل قطعان كاملة؛ وإلى جانبها الأغنام والمعز؛ في رعاية الرعاة وحراسة الكلاب. ورسمت جلود تلك الثيران وحوافرها وأذنابها بدقة متناهية تبعث على الإعجاب. ومن جهة أخرى تظهر الرسوم تلك الثيران بقرون منوعة؛ منها: المعقوفة نحو الأمام، أو الأسفل؛ بحيث تشبه أنياب الفيل؛ كما تتميز تلك الثيران بالنحافة؛ الأمر الذي يبعث على الاعتقاد بأنها كانت تستعمل لحمل المتاع والأشخاص؛ لما كان عليه رعاتها من ميل إلى الرحلة وانتجاع الكلأ. وكانت أثداء البقر ممتدة إلى الخلف؛ مما يفيد أنها كانت تحلب من خلفها؛ وليس من الجوانب. أما الرعاة فكانت صورهم تظهرهم عراة؛ وأحيانا يكونون مستورين بمآزر؛ وكانوا يظهرون في الرسوم منشغلين بحيواناتهم، أو منهمكين في الأعمال البيتية، أو منهمكين في أداء بعض الطقوس أو منشغلين بالاحتفالات، أو بعض الأعمال الزراعية. أما أسلحتهم فقد أصبحت هي السهام والأقواس. كما تظهرهم بعض الرسوم وهم في وضع القتال؛ وقد اكتشف هنري لوت صورا لبعض المحاربات من النساء؛

كن فيها يظهرن بثدي واحد؛ ولا يعرف إن كان ذلك سببه اختلاط الأمر على الرسام؛ بحيث لم يتمكن من التمييز بين الصورة الجانبية والصورة الكاملة؛ أو أنه كان صادقا في تصويره لنساء تعمدن بتر أحد ثدييهن؛ بهدف إزالة العائق الذي يمنعهن عن استعمال القوس بشكل جيد عند اللزوم. وثمة من يقسم هذا العصر إلى فترة مستقلة تأتي قبل عصر الحصان وتسمى عصر الماعز والغنم؛ لأنهما أخذا يظهران في منتصف هذا عصر الرعاة.

ـ عصر الحصان:

أما العصر الذي نسب إلى الحصان؛ فسمي بذلك نتيجة لكثرة صور هذا الحيوان في الرسوم المنحوتة على الصخور في تلك الفترة الزمنية. وسماه بعض الباحثين أيضا عصر الدبابة (العربة). وبالإضافة إلى الحصان تشتمل رسوم ذلك العصر على صور: الماعز، والغزلان، والنعام، والزرافات، والأسود الصغيرة، والريم؛ على أن صورة الحصان كانت تهيمن على تلك الرسوم. وكان الإنسان يظهر فيها بأسلحة جديدة مثل: الدروع، والرماح. كما

أخــذت صــور الرجــال والحيوانــات تبــدو في شكــل هنــدسي. وكــان الحصــان يبــرز مــن خــلال العربــات الــتي يجرهــا. فلتلــك العربــات عجلتــان أو أربــع؛ ويجرهــا جــوادان أو أربعــة جيــاد وكانــت تظهــر باستمــرار وهي في حــال طــراد. وتعلــو تلــك العربــات مظــلات تغــطي السائــق الواقــف عــلى منصتهــا وبيــده زمــام الخيــل.

ـ عصــر الجمــل:

أمــا عصــر الجمــل ـ الجمــل ذي السنــام الواحــد طبعــا ـ فيظهــر فيهــا هــذا الحيــوان مــن خــلال رســوم أقــل جــودة وإتقــان فــني؛ ممــا عــرف في الفتــرات السابقــة كــ: عصــر الصياديــن، وعصــر الرعــاة. ويســمى هــذا العصــر أيضــا بفتــرة التيفينــاغ؛ بسبــب وجــود هــذه الكتابــة منقوشــة عــلى الصخــور؛ إلى جانــب الصــور المنقوشــة والمرسومــة. ويبــدو أن هــذا العصــر استمــر طويــلا؛ بحيــث يمكــن دمــج الفتــرة الإسلاميــة ضمنــه؛ لأن بعــض النقــوش أخــذت تظهــر الحــروف العربيــة إلى جانــب حــروف التيفينــاغ.

ـ *متحف الشمس والهواء*:

وقد فتنت تلك النقوش والرسومات الفنية المنتشرة عبر هضبة تاسيلي كثيرا من العلماء والفانين؛ واعتبر موقعها المنبسط في الهواء الطلق؛ أضخم وأعظم متحف في العالم. وهذا ما جعل الباحث والرحالة السويسري جورج غيرستر يقول: ((**تذكرت معرض لوت** [هنري] **في باريس؛ فذكرت أن صور تاسيلي قد أغنت العالم بكنوز من الجمال الفني. وقد اكتشف ميدان جديد؛ يدهش عشاق الفن، ويدور برؤوسهم؛ وهو مع ذلك ليس بالميدان المجهول كلية. ووافقني موسو** [رينيه] **على رأيي وقال: "طالما أن عشاق الفن هؤلاء لا يهتمون إلا بالشكل واللون. أما الأخصائي فيستثيره هذا الاكتشاف بالطبع؛ ولكنه لا يشعر بالسعادة الفكرية. فهو يواجه عددا من المشاكل الجديدة التي لا يستطيع حلها والأسئلة التي لا يستطيع الإجابة عليها. فهو أشبه ما يكون بمحاسب يريد أن يصفي حساباته وأن يستخلص نتائجها؛ ولكنه يواجه كل لحظة بندا جديدا من الحساب؛ لم يكن لاحظه في البداية... فقد أضاف لوت**

[هنـري] نفسـه مـادة جديـدة؛ عندمـا قـام بـأول جـرد منظـم للصـور الصخريـة في وادي جـرات [جـراد] في عـام 1959م. وقـد نقـل فريقـه أربعـة آلاف صـورة مـن مجمـوع هـذه الصـور؛ مستخدميـن طريقـة جديـدة استعملـوا فيهـا المطـاط السائـل. وكـان بيـن هـذه الصـور؛ أعظـم النقـوش الـتي سبقـت التاريـخ، والـتي عرفـت حـتى الآن؛ تصـور زرافـات ارتفاعهـا أكثـر مـن عشريـن قدمـا، وحيوانـات وحيـد القـرن الـتي يبلـغ طولهـا 25 قدمـا، والفيلـة الـتي ترتفـع خمسـة عشـر قدمـا عـن الأرض. ولكـن بالإضافـة إلى اكتشافـات لـوت؛ فـلا يكـاد يمـضي شهـر واحـد عـلى الصحـراء؛ منـذ أن استيقظـت مـن نومهـا الطويـل؛ إلا وتظهـر اكتشافـات جديـدة يـزاح فيهـا الستـار عـن صـور صخريـة جديـدة. وقـد تـم اكتشـاف نحـو مـن عشريـن ألـف صـورة في السنـوات القليلـة عـلى الجـدران الصخريـة في الصحـراء. وأعتقـد أن هـذا الرقـم هـو ـ عـلى كـل حـال ـ أقـل مـن الحقيقـة"... ويسـرد متحـف صـور الصحـراء قصـة الحركـة، والحضـارات المتعاقبـة، والأجنـاس، والشعـوب، والقبائـل، والعشائـر الـتي أتـت معهـا إلى الصحـراء

بفنهـــا؛ أو ورثـــت عـــن أسلافهـــا تقاليـــد فنيـــة كانـــت قائمـــة ثـــم حملـــت رسالتهـــا. ولكـــن مـــاذا تمثـــل هـــذه الأساليـــب الفنيـــة المختلفـــة؟ وهـــل يكـــون كـــل أسلـــوب منهـــا تعبيـــرا عـــن فنـــان فـــرد، أو عـــن مدرســـة، أو عشيـــرة؟ وهـــل تطـــورت هـــذه الأساليـــب في وقـــت متزامـــن وبصـــورة مستقلـــة أو في تسلســـل تاريـــخي؟ وهـــل في الإمكـــان تتبـــع آثـــار أي نظـــام متسلســـل تاريخيـــا؛ ســـواء بصـــورة نسبيـــة أو مطلقـــة؟ وأيـــة حضـــارات أو أجنـــاس أو شعـــوب أو قبائـــل أو عشائـــر لهـــا علاقـــة بهـــذه الأساليـــب؟ وهـــل كـــان سكـــان الصحـــراء مـــن الســـود أو السمـــر أو الحمـــر أو البيـــض؟ كانـــت هـــذه الأسئلـــة الـــتي نوجههـــا إلى بعضنـــا البعـــض. أمـــا القائمـــة الحقيقيـــة فأطـــول مـــن هـــذه بكثيـــر))[1].

ب ــ الأثـــاث والحـــلي:

النمـــوذج الثـــاني ــ مـــن الإنجـــازات الفنيـــة ــ هـــي الحـــلي الـــتي كـــان يتحـــلى بهـــا ذلـــك الإنســـان المغـــربي القديـــم، ثـــم المتـــاع والأثـــاث الـــذي كـــان يستعملـــه في أداء أغراضـــه الحياتيـــة. والسبـــب في

[1] الصحـــراء الكبـــرى، ص ص: 42 ــــ 44.

تصنيف ما ذكر بين النماذج الفنية هو تلك العناية التي كان يخص بها حليه ومتاعه؛ بحيث يتفنن في تصميم أشكالها، ثم يحرص على تزيينها ببعض الزخارف؛ قصد إضفاء شيء من الجمالية عليها. هذا وقد كان ذلك الإنسان المغربي القديم ـــ في الحقيقة ـــ ينظر إلى ما ينجزه من فنون؛ على أنه عمل عادي تقتضيه الحياة؛ وليس ترفيها، ولا متعة تخص نخبة معينة. أما الحلي ـــ فكما هو معروف لدى المختصين ـــ فهي مستمدة من أصول قديمة؛ لها علاقة وطيدة بالسحر.

والأدوات التي يستعملها ذلك الإنسان المغربي في النحت والزخرفة هي: أظافره، أو بعض الآلات الحادة المصنوعة من الصوان، والعظام؛ بالإضافة إلى المَغَرَة التي يلون بها رسوماته، ويضفي عليها ـــ بواسطتها ـــ جمالا ورونقا. أما الإنجازات الفنية فينجزها على: بيض النعام المزخرف، والأقراط، والقلائد، والأساور المعدنية، والخلاخل، والأواني الفخارية، والجلود، بالإضافة إلى بعض المتاع المصنوع من الألواح الخشبية، وبعض التحف والأسلحة المصنوعة بالمعادن الحديدية والنحاسية، والفضية التي أخذ يتفنن فيها في العصور المتأخرة..

وكان المغربي القديم يستمد مواضيعه الفنية من الطبيعة المحيطة به؛ وتغلب على أعماله الأشكال الهندسية؛ تلك الأشكال المميزة للفن الأمازيغي حتى الآن. ويبدو أنه كان يتجنب رسم الخطوط المنحنية بقدر الإمكان؛ وإن اضطر إليها فقد لا يبدع فيها. وقد أظهرت الأبحاث بأن المرأة لها اهتمامات فنية أكثر مما هو عليه الرجل؛ إذ كانت ـــ في معظم الأحيان ـــ هي التي تقوم بزخرفة الأواني الخزفية، وما لديها من متاع كالأفرشة مثلا. وجملة القول فالفن الأمازيغي حافظت عليه المرأة؛ وظل هذا التقليد قائما إلى يومنا هذا.. وهو ما تظهره الشواهد بالأوراس، وبلاد القبائل، والهقار، والتاسيلي.. وغيره من المناطق الجزائرية، والمغربية المتعددة..

هذا؛ ولابد ـــ هنا ـــ من الإشارة إلى أن الفن الأمازيغي ـــ بنماذجه كلها ـــ قد تطورت أغراضه، ومواضيعه، وتقنياته؛ عبر العصور التي مر بها هذا الشعب العريق؛ إذ تأثرت فنونه بفنون شعوب أخرى؛ جلبها معهم المحتلون لبلاد المغرب؛ من إغريق، وفينيقيين، ورومان، فعرب، وأسبان، وإفرنج إلخ.. هذا بالإضافة إلى ما اكتسبه هذا الشعب من فنون نتيجة

لاختلاط أبنائه بشعوب أخرى كذلك عن طريق الهجرات، والمعاملات التجارية؛ مثل الشعوب السودانية في جنوب البلاد، ومصر في شرقها؛ وشعوب الضفة المقابلة عبر البحر الأبيض المتوسط. وهكذا أضحي الفن الأمازيغي مطعما بالتراث الإنساني؛ الذي أبدعته ثقافات متنوعة؛ كانت معروفة منذ حقب قديمة جدا..

جـ ـ *الفن المعماري*:

ربما يكون أقدم إنجاز معماري بدائي شيده الإنسان القديم؛ هي تلك المصاطب أو القبور الرابضة في بعض المناطق من بلاد المغرب؛ منها ـ على سبيل المثال ـ القبور التي عثر عليها في منطقة الهقار؛ وهي التي أدهشت الباحث والرحالة السويسري جورج غيرستر؛ حيث وصفها بقوله[1]: **((وينتشر فوق مناجم البلاتين عدد كبير من القبور الحجرية ذات أشكال غريبة؛ فبعضها لا يرتفع أكثر من شبر فوق سطح الأرض، وبعضها على شكل اسطوانة قطرها ثلاث ياردات، وبعضها على شكل "حز" برتقالة** [شقها]**، كما أن بعضها**

---

[1] الصحراء الكبرى، ص: 189.

على شكل زوج من "البوصلات" لكل منها قدمان؛ طول الواحدة منهما عشرون ياردة، ويمتد بينهما حجر مسطح على طول ثلاثين ياردة من الشمال إلى الجنوب، وفي وسطه "نقرة" غير مفتوحة مثل "خرم" الإبرة. ويعزو الطوارق هذه القبور وما شابهها من القبور المماثلة في الصحراء الوسطى إلى مردة [عتاة] **أسطوريين؛ يعتقدون أنهم عاشوا في الصحراء قبلهم. وعلى الرغم من الحفريات التي قام بها غوتييه ومولود؛ إلا أن الخبراء ما زالوا حائرين أمام هذه التماثيل؛ فالقبور تمثل أضرحة تعود إلى ما قبل الإسلام، وتشير إلى نظام متطور في اللحد والدفن. والأكثر من هذا أننا لا نعرف شيئا عن هؤلاء الناس. فقد حافظت القبور على سرها))**.

وحسبما يظهر فقد طرأ تطور تدريجي على تلك القبور البدائية؛ بحيث أضحت تشيد في أشكال هندسية ملفتة للنظر. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الهياكل الضخمة التي تجلت في شكل مخروطي، أو على صورة أهرام صغيرة. وقد تطور حجمها، وتصميمها من البساطة إلى أوضاع فنية متقنة. وربما كان قبر

كليوباتـــرة سيليـــنـــه (ومعناهـــا القمـــر) بولايـــة تيبـــازة هـــو الشكـــل الأكثـــر تطـــورا بيـــن مجموعـــة الأهـــرام المخروطيـــة المنتشـــرة في بـــلاد المغـــرب كلهـــا؛ هـــذا بالإضافـــة إلى مدراســـن القريـــب مـــن باتنـــة، وجـــدار الرابـــض غـــرب تيـــارت. وثمـــة مـــن يـــرى مـــن الباحثيـــن أن أهرامـــات مصـــر مستمـــدة في أصولهـــا مـــن بعـــض هـــذه النمـــاذج اللوبيـــة..

ولابـــد هنـــا مـــن إثبـــات مـــا قالـــه ــ أيضـــا ــ الباحـــث السويســـري جـــورج غيرستـــر عـــن هياكـــل أخـــرى شيـــدت قديمـــا في منطقـــة الهقـــار؛ حيـــث قـــال: ((**وتقـــف ثلاثـــة أبنيـــة كاكـــواخ الأسكيمـــو "أغلـــو" فـــوق التـــل في المنطقـــة. إنها مبنيـــة مـــن الحجـــارة المنحوتـــة، وقـــد وثقـــت بعضهـــا بالطيـــن؛ وتشبـــه إلى حـــد كبيـــر ــ عنـــد الفحـــص ــ خلايـــا النحـــل. وأحـــد هـــذه الأبنيـــة خـــال، أمـــا الآخـــران فمغلقـــان. إنها تبـــدو كمخـــازن الـــذرة؛ الـــتي بنتهـــا ــ في الظاهـــر ــ إحـــدى القوافـــل المسافـــرة مـــن الســـودان نحـــو الشمـــال**))[1].

أمـــا بخصـــوص الفنيـــات الـــتي تميـــزت بهـــا مساكـــن المغاربـــة القدمـــاء؛ فيمكـــن استنتـــاج ذلـــك مـــن خـــلال تتبـــع التطـــور الـــذي عرفتـــه تلـــك

---

[1] الصحـــراء الكبـــرى، ص: 189.

الدور؛ من العصور القديمة إلى العصر الإسلامي. فمن الكهوف والأكواخ (ماقاليا) أخذ ذلك الإنسان القديم يتطلع إلى التفنن في مسكنه. غير أن الرحل من أولئك السكان ظلوا متمسكين بمساكنهم المتنقلة؛ إذ كانت سهلة للتفكيك والنقل.. أما الذين اختاروا الاستقرار منهم فقد تفننوا في مساكنهم؛ التي كانت في البداية عبارة عن كهوف زينت ببعض النقوش؛ ثم أضحت أكوخا مبنية بالطين والحجر. وغالبا ما يتم اختيار الأماكن المرتفعة لبناء القلاع والأبراج؛ التي تخصص لحفظ الذخائر ضد السلب والنهب. ومع مرور الوقت أصبحت بيوتهم تظهر في شكل مربع؛ حيث كانت الغرف تشيد على الجوانب الأربعة؛ ويترك وسط الدار معرضا للهواء الطلق. وقد غدت دور الأمازيغ بعد مدة تميل إلى الجمال، وتوفير الراحة لسكانها؛ وذلك نتيجة لاحتكاكهم بعناصر طارئة من حضارات عديدة؛ جاورتهم واختلطت بهم؛ فكان التأثير واضحا جليا؛ وهو ما يمكن تتبعه في هذه الأيام؛ من إنجازات الكيانات، والدول الأمازيغية المختلفة..

وكما استفاد أبناء هذه البلاد من فنون أمم وحضارات عديدة؛ فقد استفادت أمم

أخـــرى ــ أيضـــا ــ مـــن الفـــن المغـــربي؛ منـــذ حقـــب ضاربـــة في أعمـــاق التاريـــخ. ويعـــزز هـــذا الـــرأي النـــص الـــذي ورد في المختصـــر الكبيـــر لموسوعـــة لاروس؛ وترجمتـــه هي: **((مهمـــا بلـــغ نمـــو الرجـــل النياندرتـــالي** [الموجـــود بأوروبـــا] **فهـــو لـــم يعـــد يظهـــر في آخـــر الطـــور الموستيـــري إلا في شكـــل إنســـان متأخـــر؛ وإن هجـــوم رجـــال جـــدد؛ قادميـــن مـــن إفريقيـــة؛ عـــن طريـــق إيطاليـــا وأسبانيـــا؛ هـــو الـــذي سيبـــث عقليـــة مغايـــرة؛ تنبـــني عليهـــا وتنجـــر عنهـــا نشـــأة الفنـــون))**[1].

د ــ *الموسيـــقى والغنـــاء والتمثيـــل:*

تملكتـــني حيـــرة؛ مبعثهـــا مـــا جـــاء في كتـــاب ورقـــات لحســـن حســـني عبـــد الوهـــاب؛ فيمـــا يتعلـــق بالفنـــون الجميلـــة والموسيـــقى ــ عـــلى الخصـــوص ــ لـــدى الأمازيـــغ؛ إذ ينـــفي هـــذا الباحـــث وجـــود فنـــون جميلـــة أو موسيـــقي لديهـــم.. وهـــذا هـــو قولـــه بالضبـــط: **((مهمـــا تتبـــع الباحـــث رســـوم الحضـــارة، والمجتمـــع البربـــري؛ الـــذي يقطـــن شمـــال إفريقيـــة ــ مـــن قديـــم الزمـــان ــ فإنـــه لا يجـــد للفنـــون**

---

[1] Grand Mémento Larousse - Tome 1 - p: 159، ومدنيـــة المغـــرب العـــربي، ص ص: 42 ـــ 43.

الجميلة ــ ومنها الموسيقى ــ أدنى أثر يذكر؛ وغاية ما يقال أن الأهالي الأصليين كانوا يتغنون ببعض ألحان ساذجة بسيطة؛ ربما قلدوا فيها أغاني الزنوج المحيطين بهم من ناحية الجنوب ــ الصحراء الكبرى والسودان ــ فالقبائل المحافظة على بربريتها الأولى مازالت تصوت بألحان أقرب ما تكون إلى إيقاع السودانيين... ويمكن الاستدلال على بساطة الموسيقى ــ لأي شعب كان ــ بآلات الطرب التي يستعملها لهذا الغرض. فالأمم البربرية ليس لها من الأدوات إلا مزمار؛ وهي (الشبابة) يتخذ في الغالب من القصب؛ ينفخ فيه، أو نوع من الرباب ذي وترين لا غير (القمبري)؛ وهو عين ما يوجد عند الزنوج البدائيين. وهذا من أكبر الشواهد على تأخر التلحين عندهم. وكذلك الشأن في الأصوات نفسها، التي تتغنى بها القبائل البربرية مثل: جبل (زواوة) ــ كتامة قديما ــ وبلاد (الريف) وأهل جبال المغرب من (السوس) الأدنى والأقصى؛ فإن الإيقاع فيها بسيط جدا؛ ولا يتجاوز بعض مقامات السلم؛ شبيه ما يشاهد عند السودانيين. وهذه هي الألحان الساذجة التي

وجدها العرب عند عشائر البربر لما فتحوا البلاد عليهم؛ وبقي استعمالها شائعا بين السكان الأصليين إلى أن امتد التعريب في البلاد، ورسخ في البلاد اللوبية؛ فتحولت أوضاعهم بالتدريج إلى أوضاع عربية؛ وانتشرت على مر الزمان من الحواضر العربية أو المتعربة حتى بلغت قرارات البربر))[1].

لقد اندهشت ـ حقا ـ من أقوال هذا الباحث المعروف بالتدقيق والتحقيق. ومما زاد اندهاشي؛ ذلك المزج والخلط بين حقب مختلفة؛ فهو يخلط بين فترة ما قبل التاريخ وبعده. وكان من الأفضل أن يخصص فقرة للحديث عن الموسيقى في ذلك الزمن ــ إن وجدت طبعا من خلال النقوش المكتشفة ــ ثم ينتقل إلى زمن القرطاجيين، ثم العصر الروماني؛ وبعد ذلك يدخل في موضوع الموسيقى في العهد العربي الإسلامي. ولكنه أشار بشكل خاطف لخلو النقوش من أي إشارة للموسيقى؛ ثم انتقل مباشرة إلى الحديث عن العهد العربي. مع أن العصر الروماني لا يخلو من عينات،

[1] ورقات، ق: 2، ص ص: 171 ــ 172.

ونماذج تؤكد اهتمام فئة من الأمازيغ بالموسيقى؛ في شكلها المتطور..

والجميع يعلم المجهودات الجبارة التي قام بها يوبا الثاني في نشر الفنون – بشتى أنواعها – في بلاده؛ مثل الموسيقى التي أنشأ – لتدريسها ونشرها – معهداً خاصا بشرشال؛ كما قام هو نفسه بتأليف موسوعة موسيقية ضخمة. أما التمثيل فقد أسس يوبا أيضا معهدا لتدريسه في شرشال كذلك. هذا بالإضافة إلى معهد النحت الذي أسسه في عاصمته شرشال. ولم يكن يوبا هو الوحيد المهتم بالفنون الجميلة ببلاد المغرب آنئذ؛ فثمة آخرون كانت لهم الاهتمامات نفسها؛ لأن التأثير الإغريقي والفينيقي والروماني لابد أن يولد اهتماما معينا بين السكان؛ وإذا لم يهتم بذلك السكان كلهم فقد يهتم بعضهم.. وهذا ما حدث في شعوب أخرى؛ فليس أفراد تلك الشعوب بكاملهم فنانين.. وعليه فمجرد وجود تيار فني معين – حتى وإن كان خفيفا – فذلك يعني حصول النشاط وتوفره. ولكي يتسنى دراسة هذا الميدان بشكل معمق ودقيق؛ يستحسن دراسة، وتمحص الفترتين: الفينيقية والرومانية؛ فلعلهما يمنحاننا معلومات أوسع

وأشمل.. وقد مرّ معنا ما قاله المحامي والأديب الفيلسوف الأمازيغي أبوليوس: **((أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة أو فيض الوجدان، لمرح الملهاة أو جلال المأساة))**[1]. إذن فالشبابة التي استهان بها حسن حسني عبد الوهاب كانت من الآلات المحببة لذلك الأديب الفيلسوف؛ الذي جال في مصر، وبلاد الإغريق، وبلاد الرومان؛ وسمع ما فيها من آلات متطورة، كما سمع وتعرف على نماذج عديدة من الفنون الموسيقية؛ ولكنه مع ذلك ظل محبا لآلة الشبابة؛ لأنها من تراثه، وقادرة على أداء ما تفيض به نفسه من أغراض..

أما القول بالتأثيرات الزنجية؛ فلا يعني ذلك خلو البلاد من الفنون الموسيقية بالتمام؛ خاصة إذا علمنا أن التأثيرات الزنجية قد تعود بداياتها إلى آلاف السنين.. وهذه التأثيرات هي إحدى سنن الكون؛ فالشعوب كلها تتأثر وتقتبس من غيرها؛ وبذلك تتبادل الإنسانية الخبرات والتجارب، وهكذا تمتزج الثقافات،

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 252.

وتلقح الحضارات بعضها بعضا؛ ومن هنا يأتي التنوع والثراء.. وقد مر أيضا ما جاء في موسوعة لاروس التي تنص على التأثيرات الفنية لبلاد المغرب على أوروبا في الحقب الحجرية: **((وإن هجوم رجال جدد؛ قادمين من إفريقية؛ عن طريق إيطاليا وأسبانيا؛ هو الذي سيبث عقلية مغايرة؛ تنبني عليها وتنجر عنها نشأة الفن)).** ((une invasion d'hommes nouveaux venant d'Afrique, par L'Italie et L'Espagne, répandra une mentalité différente, provoquant la naissance de l'art.))[1] . إذن فالتأثير متبادل، والتأثير قديم — أيضا — قدم الإنسانية نفسها.. فما العيب في ذلك..؟

4)ـ النظام القبلي:

تدرج المجتمع المغربي القديم — منذ عصور قديمة جدا — في تنظيم حياة أبنائه، وتطويرها بالانتقال من شكل الأسرة الأغنية (العائلة)؛ إلى صورة أوسع؛ وذلك عندما تكاثر أفراد النموذج المذكور من الأسرة. وبمرور الزمن أصبحت تلك الأسر تشكل ما صار يعرف الآن بالعشيرة، أو القبيلة.. وكغيرهم من المجتمعات

---

[1] Grand Mémento Larousse - Tome 1 - p: 159.، ومدنية المغرب العربي، ص ص: 42 — 43.

القديمة اضطرتهم الحياة القاسية للانسياق وراء هذا النهج الاجتماعي؛ الذي فرضته الطبيعة والمعروف بالقبلية أو القبيلية.. فالمشهور عن المجتمع الأمازيغي أنه كان مؤلفا من قبائل لا تحصى؛ مقسمة بدورها إلى أجزاء أصغر؛ يمكن أن تكون بمثابة بطون وأفخاذ وعشائر؛ كما كان عليه التقسيم القبلي عند العرب.. وقد تشكلت تلك القبائل من الأسر (العائلات) المتطورة، ومن مجموعات أخرى؛ تكون قد انضمت إليها بواسطة الحلف والجوار. ومن جهة أخرى يمكن أن تكون الحروب قد اضطرتهم إلى التكتل ضمن أحلاف أوسع من مستوى القبيلة؛ فتضحى في شكل جمهرات كبرى؛ ينتج عنها كيانات قد تقوم مقام الدول؛ مثل الأحلاف التي شكلت كيانات في المناطق الشمالية من بلاد المغرب؛ وهي: مورطانيا، ومازيسولة، وماسولة.. وللاستدلال على هذا ـ من خلال النصوص القديمة التي وردت عن الإغريقيين والرومانيين ـ يمكن تلخيص ما تمت معرفته عن القبائل المغربية قديما بسرد أسماء بعض منها مثل: **ماسايسيلي** Masaseli، **وباينوراي** Banivrae، **وأوتولولي** Autoles، **وكاناري** Canarii، **والجيتول** Gaetulia، **والقارمونت**

(كارمانـــتي) Garamantes، **وأيثيوبيـــا** Aethiopia، **وماسيـــلي** Massili، **وفـــزاني** Phazonii، **وماكـــاي** Macae، **وناسامـــوني** Nasamones، **ومارمايـــداي** Marmaridae، **وماريوتـــاي** Mareotae، **ولواتـــه** Louatah[1].

وطبعـــا ليســـت هـــذه كـــل مـــا في ديـــار المغـــرب مـــن قبائـــل.. فقـــد كتـــب هيرودوتـــس واصفـــا بـــلاد المغـــرب الجنوبيـــة بقولـــه: **((فهنـــاك في الداخـــل؛ صحـــراء ليبيـــا؛ وعـــلى أرض هـــذه القفـــار؛ تقـــوم مساحـــات واسعـــة مـــن الرمـــال تمتـــد مـــن طيبـــة في مصـــر إلى أعمـــدة هرقـــل... ويعيـــش العمونيـــون عـــلى بعـــد عشـــرة أيـــام مـــن طيبـــة؛ وعـــلى بعـــد عشـــرة أيـــام أخـــرى منهـــا إلى الغـــرب؛ تقـــع العقيلـــة؛ وهي واحـــة يـــزرع فيهـــا أهـــل نسامـــون أشجـــار النخيـــل... وعـــلى بعـــد عشـــرة أيـــام أخـــرى مـــن العقيلـــة؛ جبـــل رمـــلي آخـــر؛ فوقـــه ينبـــوع وواحـــة مـــن أشجـــار النخيـــل كغيرهـــا مـــن الواحـــات. وفي هـــذه المنطقـــة يعيـــش شعـــب قـــوي وعظيـــم يـــدعى القارمونـــت. وهـــذا الشعـــب يغـــطي الأرض بالملـــح ثـــم يـــزرع القمـــح..؟؟! وهنـــا تعيـــش أيضـــا الثيـــران الـــتي تـــرعى الكـــلأ وهي تسيـــر إلى الـــوراء للسبـــب التـــالي: فقرونهـــا ملويـــة إلى الأمـــام؛**

---

[1] عروبـــة البربـــر، ص ص: 178 ـــ 179.

ولـذا فـهي تضطـر إلى المسيـر إلى الخلـف عندمـا تـرعى الكـلأ... ويطـارد هـؤلاء القرامونـت الأحبـاش ــ الذيـن يعيشـون في الكهـوف ــ بعربـات تجرهـا جيـاد أربـع. ويعتبـر هـؤلاء الأحبـاش الذيـن يعيشـون في الكهـوف أسـرع النـاس عـدوا. لكـن ساكـني الكهـوف يأكلـون الأفـاعي والسحـالي وغيرهـا مـن الحيوانـات الزاحفـة. ولا تشبـه اللغـة الـتي يتحدثـون بهـا لغـة أي شعـب آخـر؛ فهـم يهـذرون مثـل الوطـواط))[2].

فـإذا مـا دقـق الباحـث فيمـا ورد ضمـن المصـادر الإغريقيـة والرومانيـة سيتضـح لـه أن أولئـك الأحبـاش أو الإثيوبييـن؛ كمـا تسميهـم تلـك المصـادر (ومعـنى الكلمـة بالإغريقيـة: الرجـال الذيـن أحرقتهـم الشمـس)؛ ليسـوا مـن الزنـوج؛ فهـم بلـون بـني؛ وتقاطيـع وجوههـم تختلـف عـن التقاطيـع الزنجيـة.. وربمـا كانـوا منتشريـن في كامـل الصحـراء؛ ومنهـم حسبمـا يبـدو الشعـوب الـتي عرفـت بـ: **البافـور، والتيبـوس**[1]. أمـا شعـب القارمونـت فهـو مـن الجنـس الأبيـض؛ وقـد كـان

[2] الصحـراء الكبـرى، ص ص: 49 ــ 50.

[1] نفسه، ص ص: 52 ــ 54.

محط اهتمام كثير من المؤرخين والباحثين؛ بدءا بهيرودوتس.. غير أن غموضا كثيفا بقي يكتنف أصوله؛ إذ لا يعرف المختصون ــ حتى الآن ــ من أين أتت الأفواج الأولى منه إلى هذه الديار. وإلى أي جهة نزحوا واختفوا فيما بعد.. وثمة من يرى أن لهم علاقة ما مع الشعوب البحرية القادمة من البحر الأسود؛ بينما يرى آخرون أن لهم علاقة ــ وإن مازالت غير واضحة المعالم ــ مع شعب الهكسوس؛ الذي احتل مصر في عام 1700 ق.م.

أما نزوحهم فيرى بعضهم أن الفتح الإسلامي أجبرهم على النزوح جنوبا؛ حيث تمركزوا في التاسيلي والهقار؛ وبذلك قد يكون أحفاد القارمونت هم الطوارق. وهذا الرأي ربما حظي بقدر من الصحة[2]. ويبدو أن هذا الشعب انضم إلى صف القرطاجيين في حروبهم ضد روما؛ إذ كانوا ضمن جيش حنبعل في تلك الحروب؛ وقد كانوا معه في حصاره لروما أيضا. ولما تغلبت روما على قرطاجة؛ بقي القارمونت مصدر إزعاج لها بمناوشاتهم، وغزواتهم المفاجئة.. وعندما تطاردهم جيوش

[2] الصحراء الكبرى، ص ص: 51 ــ 55.

روما؛ ينسحبون إلى أعماق الصحراء؛ ويغلقون آبار المياه خلفهم. وبمرور الوقت استطاعت روما ترويضهم وكسبهم إلى صفها؛ إذ غدوا — في القرن الأول الميلادي — ضمن جيشها المسلط على الصحراء. والراجح أن النواحي التي سيطرت عليها قبائل القارمونت هي مناطق: فزان والتاسيلي والهقار. ويقال أن نفوذهم امتد غربا حتى شواطئ المحيط الأطلنطي، وجنوبا إلى النيجر.

وكما نسبت الفترة الفنية — التي تصنف نقوش وصور الصخور — إلى الحصان والعربة؛ فإنها كانت تسمى أيضا بفترة القارمونت. مع أن لا شيء يثبت انهم هم الذين زخرفوا ونقشوا تلك الصخور بصور الجياد وعرباتها؛ ذلك أنه ثبت أن جماعات أخرى — غير القارمونت — كانت تجوب الصحراء المغربية؛ بواسطة عربات تجرها الخيول. ويحاول الباحث جورج غيرستر أن يضع معالم تكشف له الطريق الغامض فيقول[1]: **((ولكن الدليل قد قام على أن الليبيين الذين كانوا دائمي الإغارة على حدود مصر الغربية كانوا**

[1] الصحراء الكبرى، ص ص: 54 — 55.

يستخدمون الخيول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وتذكر أسطورة عن دولة الفراعنة الحديثة أن جنود الفرعون وضعوا أيديهم في معركة دارت عام 1229 ق.م. على أربع عشرة عربة فردية العجلات؛ غنموها من زعيم ليبي وأولاده. ويظهر هذا الدليل؛ أن الحصان والعربة قد وصلا إلى البلاد الواقعة إلى الغرب من مصر لا من وادي النيل؛ بل من الشمال. ففي القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد جاءت موجة من الشعوب التي تسمى بالبحرية مقتحمة حوض البحر الأبيض المتوسط؛ وقادمة من البحر الأسود. ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الأقوام قد هبطوا في برقة، وكانوا مسئولين عن دفع الليبيين شرقا ضد مصر. ومن المحتمل أن يكون القارمونت قد شكلوا جزءا من هذا الغزو. ويوضح هذا الافتراض الملامح البحر ـ متوسطية في الصخور الصحراوية القارمونتية كـ : ملابس الرجال والنساء، وأفخاذ سائقي العربات الضيقة وأكتافهم العريضة، وكذلك الجياد وهي في حالة غارة)).

وقبل الانتقال إلى فترة ما بعد الرومان؛ لابد من الإشارة — ولو بشيء من الإيجاز؛ بسبب ضحالة المعلومات — إلى بعض القبائل التي تردد ذكرها — دون أن تتعمق المصادر في الكلام عن أوضاعها الاجتماعية والسياسية — منها: **قبيلة جدالة، وقبيلة المزالمة.** فقبيلة جدالة كانت تحتل السهوب الجنوبية لنوميديا؛ وقد شغلت جيوش الرومان، وأقضت مضاجعهم في ديار المغرب زمنا طويلا. أما قبيلة المزالمة فكانت تجاور المقاطعة القرطاجية الرومانية؛ وبالتحديد بمحاذاة ضفاف وادي ملاق؛ وكانت قد انتفضت ثائرة ضد الحكم الروماني عدة مرات.. هذا بالإضافة إلى عدد من القبائل التي كانت محاطة بغموض كثيف؛ وكل ما يعرف عنها؛ أنها قامت بثورات ضد الرومان والوندال مثل القبائل التي ثارت في جبال البابور Bavares؛ بين سكيكدة وقسنطينة، ثم التكتل القبلي الذي عرف بالحلف الخماسي Les Quinquégentiens؛ وهو عبارة عن خمس قبائل تحالفت في المنطقة المحصورة بين دلس وبجاية؛ بالإضافة إلى قبيلة أخرى بزعامة **فاركسن**؛ انضمت إليهم؛ قادمة من مرتفعات بلعباس غربا. ثم القبائل الأوراسية التي ثارت في عهد

الوندال بزعامة **يوضاس**؛ الذي تمكن من الاستيلاء على منطقة واسعة غربي الأوراس بمحاذاة سهل الحضنة. هذا إلى جانب الممالك القبلية التي تشكلت في: بلاد النمامشة، والحضنة بإمرة **أرثياس**، وآلطاوة Altava؛ المعرفة الآن بحجر الروم؛ شرق تلمسان، وصافار جنوب وهران؛ بقيادة الإغليد **مازونة**، ثم المملكة التي نشأت جنوب شرشال بزعامة **ماستيناس**.

هذا ما أمكن ذكره فيما يخص العصور التي سبقت الفتح الإسلامي. أما الفترة الزمنية التي تدخل ضمنها الأحداث التي حصلت بعد الفتوحات الإسلامية؛ فهي أكثر وضوحا من الفترات الماضية؛ لأن المصادر العربية كانت أكثر عناية بالسكان الأصليين، وأوسع حديثا عن القبائل الأمازيغية. وكان الكتاب العرب يعتمدون في أخبارهم على روايات أمازيغية؛ مصدرها النسابة الأمازيغ أنفسهم.

وإذا اعتمدنا على ما ذكره النسابون عن الأمازيغ، وما نقله المؤرخون العرب عنهم؛ نجد أن القبائل الأمازيغية تنتشر عبر بلاد المغرب كلها؛ بما فيها جزر الكناري (الجزر الخالدات)؛ بالإضافة إلى مساحات واسعة من الأجزاء الشمالية للبلاد السودانية؛ المعروفة الآن:

بالسينيغال ومالي والنيجر والتشاد؛ ثم الجزء الغربي من الصحراء المصرية. وكانوا مهيكلين ضمن قبائل كثيرة؛ لا يمكن معرفة عددها بالتحديد. غير أن النسابة والمؤرخين حصروها ضمن فئتين عظيمتين. قد تصل في كثافتها، وتشعبها إلى مرتبة شعب، أو جذم؛ حسب البناء القبلي المتبع لدى النسابة العرب. وعند مراجعة ما كتبه ابن خلدون يتضح أنه صنف القبائل الأمازيغية إلى صنفين؛ وجعل كل فئة منهما في مرتبة **جذم**؛ وهما:

ـ **جذم البتر**؛ نسبة إلى **مادغيس الأبتر**.

ـ **جذم البرانس**؛ نسبة إلى **برنس**.

وقد اختلف النسابة في أمرهما. فمن قائل: بأنهما ينتميان إلى أب واحد، وقائل بخلاف ذلك. وكل الذي يستحق الذكر ـ هنا ـ هو أن علي بن حزم ـ الذي كان محل تقدير واحترام من طرف ابن خلدون ـ قد سرد آباء، وأجداد مادغيس الأبتر؛ وصمت عن ذكر **آباء برنس**. غير أنه أشار ـ في موضع آخر ـ إلى احتمال عودهما إلى أب واحد؛ هو بر؛ إذ قال: **((فولد بر: مادغس،**

وبرنــس...))[1]. أمــا ابــن خلــدون نفســه فينسبهمــا جميعــا إلى أب هــو **مازيــغ بــن كنعــان.**

وربمــا تســاءل بعضهــم؛ مــا هــو العائــق الــذي منــع المجتمــع الأمازيــغي مــن تطويــر نظمــه الاجتماعيــة؛ عــلى الرغــم مــن احتكاكــه بمجتمعــات أخــرى متطــورة؛ **كالفراعنــة، والإغريقيــن، والفينيقيــن، والرومانيــن.؟** ومبعــث هــذا التســاؤل ــ حسبمــا يبــدو ــ هــو أنــه لوحــظ عــلى الأمازيــغ تمسكهــم بالنظــم القبليــة؛ في الوقــت الــذي تربــض إلى جوارهــم **الإمبراطوريــة القرطاجيــة** الكبــرى؛ الــتي كانــت تتفاخــر بمؤسساتهــا المدنيــة، والعسكريــة، والعمرانيــة. وبعــد سقــوط الإمبراطوريــة القرطاجيــة؛ خلفتهــا إمبراطوريــة أخــرى؛ قامــت بــزرِع **مستعمــرات رومانيــة** عديــدة بيــن الأمازيــغ، وفي عمــق مَوَاطنهــم؛ تستنــد إلى نظــم مدنيــة متطــورة؛ ولا تعــرف القبليــة لهــا طريقــا. ومــع هــذا بــقي الأمازيــغ عــلى حالهــم؛ الــذي يهيمــن عليــه **النظــام القبــلي المتحجــر.**

وعــلى الرغــم مــن الاجتهــادات المحــدودة الــتي قــام بهــا **ماسينيســا**؛ العاهــل الأمازيــغي الشهيــر كتشجيع القبائــل عــلى الاستقــرار، والعمــل بالفلاحــة،

---

[1] جمهــرة أنســاب العــرب، ص: 495.

وتشييد دولة بمؤسسات جديدة؛ لا تعمل بمنطق القبلية؛ فإنه فشل في تغيير التركيبة الاجتماعية؛ أو حتى بعث حركة قوية تستطيع الاستمرار في النهج الذي شرع فيه[1]. والعلة في ذلك تتمثل ــ كما يبدو ــ في عاملين اثنين: أحدهما خارجي، والآخر داخلي. فأما الخارجي فهو الوجود **الفينيقي، والروماني**؛ ذلك الوجود الأناني، القمعي، المستبد؛ وإن اختلف وجهيهما، وتباينت مواقفهما.

فالوجود الفينيقي بدأ في شكل محطات تجارية شيدت على طول الساحل؛ بدءا بسنة 1101 ق.م؛ وهي السنة التي تم فيها تأسيس مركز **أوتيكة**؛ في خليج تونس. ثم تطور ــ فيما بعد ــ حتى أضحى كيانا قريبا من الدولة. ثم دولة لها اعتبارها؛ فإمبراطورية عظمى؛ سيطرت على البحر الأبيض المتوسط بكامله. مع العلم أنهم ظلوا يقدمون الضرائب السنوية للأمازيغ أو الليبيين؛ طيلة ثلاثة قرون ونصف. وعندما استفحل أمرهم؛ وجد الأمازيغ

---

[1] ش. جوليان؛ تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 134. والجيلالي؛ تاريخ الجزائر العام، ج: 1، ص: 62. M. Kaddache, L'Algerie dans L'Antiquite, pp: 68-72. F. Decret et Mhamed Fantar, L'Afrique du Nord dans L'Antiquité, p: 132-139.

أنفسهم تحت سلطان من كانوا تحت حمايتهم. ولّما كان الفينيقيون في **قرطاجة** يعيشون في ظل مؤسسات الدولة المنظمة؛ فقد تفوقوا على الأعداد الهائلة من الأمازيغ، واستخدموهم، وسخروهم لمصالحهم، ومصالح دولتهم؛ كمقاتلين؛ وكعمال، وكمستهلكين لبضائعهم. وعلى الرغم من الفترة الزمنية الطويلة التي استوطنوا خلالها بلاد الليبيين؛ فإنهم ظلوا متقوقعين على أنفسهم، وحريصين على ضمان عدم اختراق الأمازيغ لمجتمعهم المحصن بالنظم الأرستقراطية المنيعة.

أما الرومان فكانوا ينظرون ـــ منذ مجيئهم ـــ إلى الأمازيغ نظرة متعالية؛ وبالمقابل كانوا يرصدون بلادهم بعيون مشحونة بالأطماع في ثرواتها. وعندما سنحت الفرصة المواتية؛ انقضوا على فريستهم. ولم يشذ سلوك الرومان عما عرف في تاريخ الإنسانية؛ عن سلوكيات الغزاة المحتلين؛ إذ اهتموا بما تدره البلاد عليهم من خيرات؛ دون الالتفات إلى ما ينفع سكانها. ثم انهم توغلوا في عمق البلاد؛ أكثر مما ذهب إليه الفينيقيون. فبينما اكتفى هؤلاء بالشريط الساحلي، وبعض المناطق الداخلية؛ فيما يعرف ـــ الآن ـــ بتونس؛ نرى الرومان قد زرعوا

معسكراتهم في داخل البلاد؛ حتى وصلوا بها إلى مشارف الصحراء. وعلى الرغم من تواجدهم بين السكان الأصليين للبلاد؛ فإنهم حرصوا على عدم الاختلاط بهم، وتجاهلوا مساعدتهم على تطوير نظمهم، أو ترقيتهم: **ثقافيا**، **واقتصاديا**. وبذلك حالوا بين السكان، وبين ما يمكن أن ينفعهم حضاريا.

هذا عن العامل الخارجي؛ أما العامل الداخلي فيتمثل في **علل نفسية**، **وثقافية**؛ عجز أبناء هذه البلاد عن التخلص منها أو تهذيبها. ويمكن حصر هذه العلل فيما عرف **بالعصبية القبلية**. ونظرا لضيق المجال هنا؛ أحيل القارئ الكريم إلى كتابي الذي سيصدر ضمن هذه السلسلة؛ بعنوان: **العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية**؛ ففيه ما يفي بالحاجة عن نظرية العصبية. وما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال؛ هو ما تمت ملاحظته على المجتمع الأمازيغي؛ من عدم اكتراث بما كان يتحرك حوله من نظم، ومظاهر حضارية يتميز بها المحتلون، أو المجاورون لهم. والأغرب من ذلك كله أنهم احتكوا ــ قبل معرفتهم للفينيقيين، والرومان ــ بحضارة **مصر الفرعونية**؛ التي

توصل بعض الأمازيغ (الليبيين) إلى التربع على عرشها؛ لفترة معينة من التاريخ[1]. ومع هذا لم يجلبوا معهم إلى بلادهم شيئا هاما من حضارتها، أو نظمها؛ التي تجاوزت مرحلة العصبية القبلية. ما عدا بعض المظاهر الجنائزية، والدينية المحدودة.

ولما قدم العرب ـ خلال الفتح الإسلامي ـ إلى هذه الديار؛ وجدوا في المجتمع الأمازيغي تشابها كبيرا بالمجتمع العربي. من ذلك: التقسيمات القبلية، والإفرازات النفسية للعصبية، وأسلوب العيش، وحب الغزو.. وغير ذلك. وبالمقابل لم يجد الأمازيغ لدى العرب ـ ما يمكن أن يأخذوه منهم ـ سوى **الدين الإسلامي** الحنيف؛ لما وجدوا فيه من تعاليم سمحة، وعادلة، وصادقة؛ لذا فقد سارعوا إليه، وعضوا عليه بالنواجذ؛ حتى أضحوا أكثر تمسكا به من بعض العرب الوافدين إلى بلاد المغرب أنفسهم.

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 71 ـ 72. Mhamed Fantar, F. Decret et L'Afrique du Nord, p p: 42- 46

5)ـ *الهجـــــرات:*

قبـــل البـــدء بالحديـــث عـــن أنســـاب القبائـــل البتريـــة؛ أو البرنسيـــة يستحســـن التوقـــف عنـــد ظاهـــرة مهمـــة؛ وهـي ظاهـــرة هجـــرة بعـــض الأحيـــاء الأمازيغيـــة، وانتقالهـــا مـــن مكـــان إلى آخـــر؛ في داخـــل بـــلاد المغـــرب، أو خـــارج إطـــار مواطنهـــم الأصليـــة؛ وذلـــك بانتقالهـــم إلى الأندلـــس، أو بـــلاد المشـــرق مثـــلا. فباستقـــراء مصـــادر تاريخيـــة مختلفـــة يتضـــح أن الأمازيـــغ كانـــوا ـــ منـــذ فتـــرات تاريخيـــة قديمـــة ـــ عـــلى اتصـــال مـــع غيرهـــم؛ مـــن شعـــوب البـــلاد المحيطـــة بهـــم؛ في الشـــرق، والشمـــال، والجنـــوب.

أ ـــ الهجـــرة مـــن وإلى الشـــرق:

فـــفي الجانـــب الشـــرقي تبـــرز **مصـــر**؛ الـــتي تكـــون قـــد احتكـــت **بالأمازيـــغ** (الليبييـــن) حـــوالي 3300 سنـــة قبـــل الميـــلاد؛ حيـــث عرفـــوا ـــ آنئـــذ ـــ باســـم **التهينـــو** Tehenou. فمنـــذ هـــذا التاريـــخ بـــدأت تتكلـــم عنهـــم نقـــوش الفراعنـــة، ولوحاتهـــم الأثريـــة؛ **كلوحـــة نارميـــر، والأنشودتيـــن: الرابعـــة، والخامســـة** للآلهـــة الفرعونيـــة **نايـــت** Neit ، والآثـــار الأخـــرى الـــتي تشخـــص المقاتليـــن الليبييـــن؛ ممتشقيـــن أسلحتهـــم. كمـــا استعـــان **رمسيـــس الثـــاني** بمقاتليـــن

من **الأمازيغ**؛ في بداية القرن الثالث عشر؛ لصد هجمات **الحتيين.** واضطر **رمسيس الثالث** أيضا إلى مهادنتهم حوالي سنة 1189 ق.م؛ حيث أسكن ((**عشرات الآلاف**)) منهم بالدلتا.

وفي هذا الباب يقول شارل أندري جوليان: ((**واستغل أحد القواد الليبيين المرتزقة الفوضى التي تبعت ذلك؛ فبسط نفوذه على هرقلة Hierakléopolis في مصر الوسطى. وغزا خليفته السابع شيشنق الأول Sheshonq1 الدلتا، وقسم الأرض بين الليبيين، وأسس الأسرة الثانية والعشرين 950 ق ـ م. ويصور لنا الفن الشعبي لأول مرة؛ مجتمعا شغوفا بالمعارك؛ مخالفا تمام المخالفة للمجتمع المصري. وخلافا لما اعتقد المؤرخون طويلا؛ فإن أحفاد رسل الإله آمون القدامى ليسوا هم الذين أسسوا مملكة نباطة Napata التي اتسعت رقعتها في أواخر القرن الثامن من الشلال الأول إلى الحبشة. وأثبتت حفريات ريسنار Reisner أن الليبيين هم الذين بسطوا نفوذهم على أرض الكوش؛ كما فعل ليبيو الشمال بالنسبة للدلتا. لقد كانوا فرسانا متحمسين لجيادهم؛ لا سائقي عربات كالفراعنة. ولم يوجد أطوع**

لتعاليم آمون، وكهنته من هؤلاء الأجانب المستوطنين بمصر. ولا شك أن المدنية المصرية أشعت بواسطتهم على الليبيين الغربيين؛ وربما بلغت أنوارها المترامية أقصى غرب إفريقيا))[1].

هذا ما سمح به المجال؛ بخصوص هجرة بعض الفئات الأمازيغية إلى مصر؛ واستقرارها في تلك الديار في العصور الفرعونية. وبالطبع لم تكن تلك الهجرة هي الأخيرة؛ بل حدثت هجرات أخرى في عصور تلتها؛ منها: انتقال القبائل التي كانت تشكل **الجيوش الفاطمية** إلى مصر؛ في مراحل عديدة. ومن بين تلك القبائل: **كتامة، وصنهاجة، وزواوة.** كما انتقلت أحياء من قبائل أخرى؛ إلى مصر تلقائيا؛ بحكم الجوار طلبا للمنفعة، وتحسين العيش؛ ومن بينهم: جماعات من قبيلة **لواتة**، وجماعات من قبيلة **هوارة**[2]. هذا بالإضافة إلى بعض الأفراد الذين اختاروا الاستقرار في الديار المصرية؛ في فترات متفاوتة؛ بعد أداء فريضة الحج. وتغلب على هؤلاء الناس صفة العلم، والمعرفة؛ فهم في الغالب **علماء.** ولم تقتصر إقامتهم في الديار

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 72.

[2] للتوسع أنظر موسى لقبال؛ دور كتامة.

المصرية فحسب؛ بل استقروا ـ أيضا ـ في بلاد الشام، وفلسطين.

وكما حصلت هجرات من الغرب إلى الشرق؛ حدثت ـ أيضا ـ هجرات أخرى من الشرق إلى الغرب؛ حيث كانت مصر هي المعبر الرئيسي؛ نحو بلاد الأمازيغ. فوجود جالية من الأمازيغ ببلاد النيل؛ منذ عدة قرون قبل الميلاد؛ يدعم الافتراض القائل بوجود اتصالات بين المصريين القدماء، والأمازيغ. وهذا الاتصال لا بد أن يتأثر، ويؤثر. كما أنه لا يتوقف في حدود معينة. وعليه يمكن أن يمتد التأثير ـ بواسطة الاتصال بين هذين الشعبين ـ إلى شعوب أخرى؛ من الجهة الأخرى؛ التي يفترض أنها ليست على اتصال مباشر مع الطرف الأول. وبذلك أصبحت مصر مركز الوسط؛ وبواسطته اتصل الأمازيغ بشعوب أخرى في المشرق. مثل: **الكنعانيين**، **والعبرانيين**، **والعرب**. ومن هنا.. عرفت هذه البلاد هجرات في الاتجاه المعاكس؛ من الشرق إلى الغرب؛ حيث قدم **الفينيقيون** في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد؛ في وقت كان الفينيقيون متأثرين، ومتصلين بالحضارة المصرية؛ التي كانت تضم بين أحضانها فئات من بلاد الأمازيغ.

وكتجار نشطين؛ لابد للفينيقيين من الاستطلاع؛ بواسطة الاستفسارات الشفهية أولا؛ وهو ما يوفره الأمازيغ المتواجدون معهم في المشرق. وعليه يمكن أن تكون مصر واسطة — بدون قصد — في الهجرة الفينيقية.

أما الهجرات العبرانية، والكنعانية الأخرى؛ التي ربما تكون حدثت؛ انطلاقا من فلسطين، والشام؛ فلم يظهر لها سند تاريخي قوي حتى الآن؛ وإن كانت كتب المؤرخين العرب تتكلم عنها؛ نقلا عن **نسابة البربر**، أو **نسابة العرب**؛ ولكن دون تقديم أدلة فاصلة. ومع هذا تواجدت في بلاد المغرب فئات تنتحل الديانة اليهودية؛ ويزعم أعضاؤها بأهم من العبرانيين. مع أن وجود جماعات متدينة بالديانة اليهودية؛ لا يعني — بالضرورة — وجود جنس من اليهود العبرانيين. فكما دخلت المسيحية إلى هذه البلاد كدين؛ يمكن لليهودية أن تأتي كدين هي الأخرى. خاصة وأن المصادر التاريخية تتحدث عن قبائل من أصل أمازيغي دانت باليهودية؛ وهذا ابن خلدون يقول: **((وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية؛ أخذوه عن بني إسرائيل عند**

استفحال ملكهم؛ لقرب الشام وسلطانه منهم؛ كما كان جراوة؛ أهل جبل أوراس؛ قبيلة الكاهنة؛ مقتولة العرب لأول الفتح، وكما كانت نفوسة؛ من برابر إفريقية، وقندلاوة، ومديونة، وبهلولة، وغياثة، وبنو فازان؛ من برابرة المغرب الأقصى؛ حتى محا إدريس الأكبر الناجم بالمغرب؛ من بني حسن بن الحسن؛ جميع ما كان في نواحيه من بقايا الأديان والملل))[1]. ولكن هذه الأقوال لا تمنع حدوث هجرات ـ بالفعل ـ وإن غابت الأدلة القاطعة.

والهجرات العربية ـ بدورها ـ غزتها مجموعة من الأساطير؛ التي شوهت الحقيقة، ووضعتها في مسار يسوقنا إلى متاهات؛ لا تخدم التاريخ الصحيح لهذه البلاد. فإن كنا نشك في صحة كثير مما جاء في المصادر العربية؛ عن علاقة الأمازيغ بـ: **إفريقش بن صيفي، وتبع، ويقشان ابن إبراهيم الخليل، والغساسنة، ولخم، وجذام، وحمير بن سبأ، وجالوت، والعماليق، وقيس ابن عيلان**؛ فليس معنى هذا النفي القاطع لوجود آثار ما؛ تتعلق بهجرة بعض

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 214.

الجماعات من الشرق؛ إلى بلاد الأمازيغ، واختلاطهم بسكانها، واندماجهم بهم. فكما هاجر الفينيقيون؛ يمكن لغيرهم أن يهاجروا كذلك. وعليه.. ستبقى هذه النظريات قابلة للنقاش؛ حتى يظهر ما يعزز إحداها، أو ينفيها جميعا. والحقيقة الثابتة ــ حتى الآن ــ بخصوص الهجرات العربية؛ هي: **هجرة العرب الفاتحين** في العهد الإسلامي، **وهجرة الجيوش التي بعث بها الأمويون، والعباسيون** لإخماد ثورات الأمازيغ المتتالية، **وهجرة قبائل هلال وسليم** في العهد الفاطمي. وقد استقر كثير من هؤلاء الجند، والمهاجرين في بلاد المغرب، والأندلس. وكما سبق ذكره.. فهذه الهجرات كلها؛ جاءت عن طريق مصر؛ سواء القادمة من **جزيرة العرب**، أو من **الشام**، أو من **العراق**، **وفارس**.

ب ــ الهجرة من وإلى الجنوب:

هذا ما سمح به المجال بخصوص الهجرات الآتية من الشرق، والذاهبة إليه. أما الهجرات الجنوبية؛ فعرفت ــ هي الأخرى ــ أخذا، وعطاء؛ من الشمال إلى الجنوب، ثم العكس؛ وإن تم في

الحال الأخيرة بشكل أقل حدة، وأكثر غموضا. فالزاحفون من الأمازيغ نحو الجنوب؛ ربما وصلوا حتى **بلاد السنغال**؛ التي يقال أن اسمها اشتق من كلمة **صناكة** أي (صنهاجة). لأن الاسم المعروف ـ سابقا لتلك الديار ـ هو **غانة** أو (غانية). ثم إلى الشرق منها **صُوصُو**، **ومالي**، **وكَوْكَوْ** أو (كاغو)، ثم **التكرور**، **وزغاي** أو (زغاوة). وتقع هذه البلاد كلها جنوب مَوَاطن الأمازيغ. وتعرضت لزحفهم؛ في فترات متفاوتة من التاريخ. ويبدو أن القبائل الأمازيغية التي نزحت إلى الجنوب هي: **صنهاجة**، **ولمطة**، **ومسوفة**، **وهوارة**. ويقول ابن خلدون: **((ثم إن أهل غانية** [غانة] **ضعف ملكهم، وتلاشى أمرهم، واستفحل أمر الملثمين؛ المجاورين لهم من جانب الشمال؛ مما يلي البربر كما ذكرناه؛ وعبروا على السودان، واستباحوا حماهم، وبلادهم؛ واقتصوا منهم الإتاوات، والجزي، وحملوا كثيرا منهم على الإسلام؛ فدانوا به))**[1]. وبالمقابل يبدو أنه حدث الشيء نفسه؛ بانتقال فئات من السودان إلى شمال مواطنهم. وإخضاعهم للأمازيغ

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 413.

المتواجدين في عمق الصحراء. وهذا ما يشير إليه ابن خلدون؛ حين تكلم عن **منسا موسى** سلطان مالي: ((**لِمَا كان عليه منسا موسى؛ من استفحال ملكه بالصحراء الموالية لبلد واركلا؛ وقوة سلطانه**))[2]. ووجود عناصر سوداء البشرة بمواطن الأمازيغ؛ خير دليل على انتقالهم إلى هذه البلاد؛ منذ حقبة موغلة في القدم.

جـ ــ الهجرة من وإلى الشمال:

بقي علينا ــ الآن ــ التعرف على الهجرات التي تمت من المناطق الشمالية؛ نحو بلاد الأمازيغ. ويبدو أن كل ما توصل إليه الباحثون ــ في هذا الباب ــ هو أن البوادر الأولى لهذا الاتصال؛ ربما كانت بواسطة **الإغريقيين**؛ وإن كان هذا الافتراض يحتاج إلى بحث أوسع؛ لإزالة الغموض الذي خلفته الأساطير اليونانية القديمة. والثابت ــ حتى الآن ــ هو تمكن بعض الإغريقيين ــ خلال القرن السابع قبل الميلاد ــ من إقامة عدد من المستعمرات الساحلية في المنطقة المحصورة بين مصر، وطرابلس؛ تلك

---

[2] العبر، مج: 6، ص: 415.

المنطقة المعروفة في القديم باسم بلاد **القريني** Cyrénaique. وعن هذا يقول شارل .أ. جوليان: **((ولم يستقر الدوريطانيون على نجد بلاد القريني** Cyrénaique **إلا حوالي سنة 631 ق.م. وكانت لهم مع الليبيين معارك عنيفة متكررة. ولكنهم اختلطوا بهم اختلاطا وثيقا، وتبنوا تقاليدهم الجنائزية، وعقائدهم، وسعوا إلى التزوج بالجميلات من نسائهم. ولئن هم أسسوا مدينة برقة في أوائل القرن السادس؛ فقد اصطدموا بقرطاج عندما كرروا محاولاتهم التوسعية))**[1]. ونتيجة لأنانية التاجر؛ التي يتميز بها القرطاجيون؛ فإنهم حرصوا على منع الاتصالات المباشرة بين الأمازيغ، والإغريقيين. ولم يتم ذلك بوضوح إلا بعد سقوط قرطاجة.

هذا عن اتصالات الأمازيغ بالإغريق. أما احتكاكهم **بالرومان**؛ الذين قدموا ـ دون قصد ـ إلى إفريقية بواسطة القرطاجيين؛ الذين مكنوهم ـ بعد هزائمهم الحربية أمامهم ـ من احتلال قرطاجة، والتعرف ـ عن قرب ـ على ثروات بلاد الأمازيغ الطبيعية. ومن هنا بدأت

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 73ـــ74.

الفصول الأولى؛ للاحتلال الروماني، ثم الوندالي، ثم البيزنطي؛ ودام هذا من سنة 204 ق.م؛ السنة التي وطئت فيها أقدام القائد الروماني **شيبيون** أرض إفريقية؛ وحتى سنة 429 ميلادية؛ السنة التي نزلت فيها جيوش **الوندال** أرض الأمازيغ؛ حيث بقوا في هذه الديار حتى سنة 534م؛ سنة زحف **البيزنطيين**؛ الذين دام حكمهم لبلاد الأمازيغ؛ حتى قدوم الفاتحين **العرب**؛ بدءا بفتح برقة التي سقطت في أيديهم لأول مرة في سنة 642م. وخلال هذه الفترة الطويلة من الزمن؛ عرفت البلاد ــ التي أصبحت تسمى فيما بعد المغرب؛ نظرا لموقعها من بلاد العرب ــ تعرضت لملاحم، وأحداث في منتهى الأهمية؛ قامت القبائل الأمازيغية فيها بالأدوار الرئيسة. ولكن الحديث عنها بإسهاب يخرجنا عن مجال هذه الدراسة؛ لذا نتركها لمن شاء البحث فيها.

أما هجرات الأمازيغ؛ انطلاقا من بلادهم؛ في اتجاه الشمال؛ فيبدو أنهم عرفوا ــ منذ آلاف السنين؛ قبل الميلاد ــ شعوبا عديدة؛ تسكن شمال وطنهم. مثل: **الإغريق، والرومان، والوندال، والإفرنج، والجرمان، والقوط،**

والصقالبة.. وغيرهم. وهذا ما تشير إليه بعض النصوص التاريخية؛ التي تسجل وجود فئات أمازيغية ضمن الجيوش المشكلة من شعوب البحر؛ منذ بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ وفي هذا يقول ش .أ. جوليان أنهم كانوا: ((**ضمن اتحاد شعوب البحر العظيم. وهو رد فعل ضد التوسع الهندي الأوربي. وقد تحالف اللوبيون أو الليبيين مع قراصنة الشمال الليسيين، وسردان سارده أهل سغلوس** Sagalos، **وترسين أهل لمنوس، والآخيين؛ فكانوا أغلبية الجيش الذي هاجم الدلتا؛ بدون نتيجة 1227. وقد يكون أصل هؤلاء اللوبيين من الأطلس. فقد لوحظ أن أسماء قوادهم تذكر بالضبط أسماء النوميديين الوارد ذكرهم في التاريخ المألوف A. Moret . ومهما يكن من أمر فهم الذين أطلق اسمهم على ليبيا، ولعبوا في تاريخ مصر فيما بعد دورا رئيسيا؛ متزعمين كتلة غير منسجمة من التهانو Tehenou، والهندو الأوروبيين**))[1]. من هنا يحق لنا التساؤل: كيف وجدوا ضمن هذا الحلف؛ إن

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 71ــ 72.

لـــم تكـــن لهـــم اتصـــالات مسبقـــة مـــع أعضـــاء ذلـــك الحلـــف..؟

والهجـــرات الأمازيغيـــة المنطلقـــة نحـــو الشمـــال؛ والـــتي ثبتـــت ــ حـــتى الآن ــ هي الهجـــرات الـــتي حدثـــت خـــلال حـــروب قرطاجـــة ضـــد شعـــوب أوربـــا؛ إذ كـــان الفرســـان النوميديـــون يشكلـــون جـــزءا كبيـــرا مـــن جيشهـــا؛ منهـــم مـــن كـــان بقيـــادة ماسينيســـا قبـــل اعتلائـــه عـــرش نوميديـــا. وقـــد كـــان ــ أيضـــا ــ إلى جانـــب الرومـــان في تلـــك الديـــار الشماليـــة؛ لمـــا تغلبـــوا عـــلى قرطاجـــة. أمـــا في العصـــر الإســـلامي؛ فكانـــت شبـــه الجزيـــرة الأيبيريـــة مسرحـــا مفتوحـــا للقبائـــل الأمازيغيـــة؛ إذ كانـــوا أول مـــن دخلهـــا في العهـــد الإســـلامي. وتمـــت هـــذه الهجـــرات عـــلى مراحـــل عديـــدة؛ بـــدءا بالحملـــة العسكريـــة الأولى الـــتي قادهـــا القائـــد الأمازيـــغي **طـــارق بـــن زيـــاد**؛ في سنـــة 92هـ؛ حيـــث بـــقي أعضاؤهـــا في تلـــك الديـــار المفتوحـــة. وإذا علمنـــا أن تلـــك الحملـــة؛ كانـــت تتألـــف بالكامـــل ــ تقريبـــا ــ مـــن عناصـــر **أمازيغيـــة**؛ سيتضـــح عندئـــذ أن أول المقيميـــن ــ مـــن المسلميـــن ــ في ديـــار الأندلـــس؛ كانـــوا مـــن الأمازيـــغ. وقـــد أجمعـــت المصـــادر التاريخيـــة عـــلى هـــذا؛ وإن اختلفـــت في تحديـــد عددهـــم بالضبـــط. ولكـــن أكثـــر الأقـــوال تقـــدر

عددهم باثني عشر ألفا من الأمازيغ؛ ما عدا بعض الأفراد؛ الذين لا يتجاوز عددهم العشرين. وفي هذا يقول حسين مؤنس: **((إن الجيش الذي أرسله موسى كان بربريا صرفا؛ أو يكاد)). ((ففاض سيل البربر على الأندلس، وأخذوا يستقرون في النواحي المفتوحة)). ((لأن البربر انتشروا، واستقروا من أول الأمر في كل ناحية؛ وكانت غالبية هذه الأفواج الأولى؛ من البربر المهاجرين؛ من زناتة؛ لأن الزناتيين كانوا أول البربر إسلاما، وانضماما للعرب؛ وكان طارق بن زياد منهم)). ((من الواضح أن أعدادَ من اشترك من البربر في فتح الأندلس، وفي فتوح غالة كانت تزيد عن أعداد العرب أضعافا؛ وأن هذه الأعداد لم تقتصر على من اشترك في الجيوش الغازية؛ إذ أن تيارا من الهجرة البربرية اتصل، واستمر عقب الفتح مباشرة؛ وأن شبه الجزيرة لم يلبث أن امتلأ بهؤلاء المهاجرين))**[1]. ولم تتوقف هجرات الأمازيغ عند سنوات الفتح فحسب؛ بل استمر نزوحهم إلى ديار الأندلس حتى سقوطها نهائيا في أيدي النصارى عام 897هـ.

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: 68. 75. 128. 378.

بخلاف العرب؛ الذين توقفت هجراتهم الجماعية إلى الأندلس بانتهاء عصر الولاة؛ وبقيت تجرى بشكل فردي؛ لا غير.

وقد توفرت فرص عديدة للهجرة الأمازيغية؛ ضمن مجموعات كبيرة؛ بفضل زحف الجيوش الضخمة؛ التي انتقلت إلى تلك البلاد؛ للجهاد، أو لنجدة بعض الحكام، أو للاستيلاء عليها؛ مثل: القبائل الأمازيغية التي استنجد بها ابن أبي عامر؛ في أواخر العهد الأموي، **وجيوش المرابطين، وجيوش الموحدين**؛ التي خضعت بلاد الأندلس تحت سلطانهما، **وجيوش بني مرين** التي نهضت مرات عديدة لنجدة الأندلسيين. بالإضافة إلى الذين هاجروا هروبا من حكومات بلاد المغرب، أو من انتقام شيوخ بعض القبائل. والمصادر التاريخية تتكلم عن عدد كبير ممن هاجر بسبب ذلك. وقد ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب[1] بعض الأسر الأندلسية؛ التي تنتمي في أصولها إلى قبائل أمازيغية عديدة؛ مثل:

---

[1] ص ص: 498 ــ 502.

ـ **أوربة**: ومنها **أسرة صبرون**؛ التي أسندت إليهم **أليشة**؛ كصبرون بن شبيب، وابنه وكيل ابن صبرون.

ـ **زناتة**: ومنها **بنو الخروبيّ**؛ من **لقنت**؛ **وبنو الليث**؛ من **شنت فبلة**؛ كيحيى بن محمد ابن... الليث بن شبل. **وبنو عزون**؛ أمراء **شنت برية**؛ وهم أبناء سعيد؛ ((الذي ينسب إليه فحص سعيد بقرب شوذر)).

ـ **زواوة**: منهم **بنو مُشرِف الشقنديون**.

ـ **كتامة**: منهم **بنو مهلب**؛ أصحاب **قرْذَ يَرة**، **وأشْبَرَغِيَّرَة**؛ التابعتين **لإلبيرة**؛ ((ومنهم كان محمد بن مهلب؛ كاتب مفرج الوزير)). **وبنو قاسم**؛ أصحاب **البونت**.

ـ **صدينة**: منهم **بنو عبدوس**؛ أمراء **سُرتَة**.

ـ **صنهاجة**: منهم **بنو الغليظ**؛ وإليهم ينتسب الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الأعلى. **وبنو دراج**؛ وهم أهل الشاعر الفحل أبي عمرو أحمد بن محمد بن دراج القسطلي، ومحمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان؛ من بني ذر بن عيسى بن دراج. و يحيى بن ضريس؛ ببُلكونة؛ ((الذي صدم ابن حفصون؛ فأبطل يده بالضربة المشهورة؛ فلم يأكل ابن حفصون بيمينه

بعدهـــا، وعـــاش بعد ذلـــك نحـــو ثلاثيـــن سنـــة)).

وبنـــو عبـــد الوهـــاب؛ بأشبونـــة؛ وينتمـــون إلى ميمـــون ابـــن جميـــل؛ ابـــن أخـــت طـــارق بـــن زيـــاد؛ ((وكانـــت لهـــم ثـــروة، وعـــدد؛ وكـــان منهـــم قـــواد، وكتـــاب، وفقهـــاء))؛ بـــقي ممـــن يتحلـــون بالنشـــاط منهـــم ــ في وقـــت ابـــن حـــزم ــ عبـــد الوهـــاب ابـــن محمـــد بـــن عبـــد القـــدوس؛ خطيـــب جامـــع قرطبـــة؛ ولـــه كتـــاب سجـــل فيـــه رحلتـــه إلى الحجـــاز. **وبنـــو طاهـــر بـــن منـــاع**؛ مـــن **أشُونـــَة**.

ــ **مديونـــة:** قبـــل التطـــرق للأســـر المديونيـــة ــ هنـــا ــ يستحســـن الإشـــارة إلى أن ابـــن حـــزم قـــد أدرج ضمنهـــم بعـــض الأســـر الـــتي يـــرى آخـــرون بأنهـــم مـــن **نفـــزة**. منهـــم بنـــو الزجـــالي؛ الـــوزراء. ومنـــذر ابـــن سعيـــد السومـــاتي؛ القـــاضي. وبنـــو طرينـــة بـــن غزلـــون؛ أمـــراء تيـــروال؛ وهـــم مـــن ألهاصـــة بـــن يطوفـــت بـــن نفـــزاو. أمـــا البقيـــة فالراجـــح أنهـــم مـــن مديونـــة حقـــا؛ وهـــم: خـــال بـــني ذي النـــون؛ ثابـــت بـــن عامـــر المديـــوني. **وبنـــو هذيـــل**؛ أمـــراء **شنـــت بريـــة**. **وبنـــو الخليـــع**؛ **بتاكُرُنـــَّا**. وزغلـــل بـــن يعيـــش بـــن فرانـــك؛ صاحـــب أم جعفـــر بالجـــوف؛ وهـــو ((الـــذي ينســـب إليـــه مسجـــد فرانـــك بقرطبـــة)). **وبنـــو عميـــرة**؛ **بشاطبـــة**. **وبنـــو نعمـــان**؛

بشنت برية؛ وهم ((رهط عامر بن فرج بن نعمان)).

ـ **مصمودة**: منهم **بنو سفيان بن عبد ربه**؛ الحاجب. **وبنو يحيى ابن كثير**؛ ((صاحب مالك؛ وكانت لهم ثروة، وعدد)). **وبنو طريف**؛ من **أشونة**؛ ((ومنهم الذي تنبأ ببرغواطة؛ فاتبعوه على دينه)). ((ومحمود، وجميلة أخته؛ التي ذاع صيتها، واشتهرت بالشجاعة، والفروسية؛ وهما ابنا عبد الجبار بن زاقلة؛ القائم بماردة)). **وبنو دانس بن عوسجة**؛ أصحاب **قُلُنْبَيْرة**؛ **وقصر دانس بالجوف**؛ ينسب إلى جدهم. ونضيف إلى هذا ما جاء في كتاب فتح الأندلس؛ حيث ذكر أنه كان **بتاكُرُنا** (في جبال رندة) أمير بربري يدعى عبد الرحمن بن عوسجة؛ وهو جد **بني دانس، وبني عوسجة** المذكورين؛ وقد تكاثرت أعدادهم ـ بعد ذلك ـ في الجنوب من **شنت برية الغربية**؛ حتى أصبحت تسمى بلاد عوسجة. **وبنو** تاجيت؛ أصحاب ماردة؛ ومنهم مسعود بن تاجيت بن **محمد بن تاجيت**؛ ((هو وأبوه وجده؛ كانوا أصحاب **قورية، ولَجْدانية**؛ ففروا؛ إذ غلب النصارى

على تلك الجهة)). **وبنو مَضَى بن تِيهَلْت**؛ أمراء **قصر مَضَى**. **وبنو رسين**؛ من **قصر مضى** أيضا. **وبنو سالم**؛ وتنسب إليهم **مدينة سالم**؛ **وبنو الفرج**؛ **بوادي الحجارة**؛ وتنسب إليهم **مدينة الفرج**؛ نسبة إلى فرج بن سالم. **وبنو أران**. وقال ابن القوطية أن زعيم الأمازيغ بجهات **مرور** ــ لدى قدوم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ــ كان يسمى إبراهيم بن شجرة؛ وهو من **مصمودة**.

ــ **مغيلة**: منهم **بنو إلياس**؛ أمراء **شوذنة**؛ وهم أهل أحمد بن إلياس. **وبنو زروال**؛ أمراء **المُنتانية**.

ــ **مَكناسة**: منهم **بنو وانسوس**؛ أهل الوزير سليمان بن وانسوس.

ــ **ملزوزة**: منهم **عوسجة**؛ وإليه ينسب **بلاط عوسجة بشنت برية** ((ومنهم كان إبراهيم بن براح؛ قاتل أزهر ابن مهلب المولد؛ الفارس المشهور الذكر؛ من أهل **والبة**؛ من عمل **شنت برية**)). **وبنو تيه** أو (نبيه)؛ أمراء **شنت برية**. **وبنو أبي الأخطل**؛ أمراء **شنت برية** أيضا. **وآل عامر بن وهب**؛ صاحب **وَبْذة**، وما يتبعها.

ـ **نفـزة:** منهـم **بنـو عميـرة**؛ أمـراء **شاطبـة**، **وبـلال**؛ أمـراء **هوتوتـة**؛ وينتسبـون جميعـا إلى **بطـن ألهاصـة** أو (ولهاصـة).

ـ **هـوارة:** ومنهـم **بنـو القمَـرَاطيّ**؛ وهـم رهـط أبي معـدن طالـوت بـن بسطـام بـن العـاصي. **وبنـو ذي النـون**؛ أمـراء **أقْليـش، ووَبْـذة**. **وبنـو رَزيـن**؛ أمـراء **السَّهْلـة**. **وبنـو فَرْفَريـن**؛ ولاة **مَدَلّيـن، ومـاردة**؛ ((وكـان لهـم ثـروة، وعـدد. منهـم: خطـار بـن سعيـد بـن فرفريـن، وأبـو عمـرو بـن هاشـم بـن فرفريـن؛ كلهـم ولي مَدَلّيـن)). **وبنـو جَهْـوَر المَرْشانيـون**؛ ((وهـم مـن ولـد أبي مـوسى عبـد الرحمـن بـن مـوسى الفقيـه؛ المشبـه بالشعـبي في زمانـه؛ وكـان لهـم عـدد، وثـروة؛ وبقيـت منهـم الآن بقيـة صالحـة)). كمـا نزلـت بعـض الجماعـات مـن هـوارة؛ في عصـر الـولاة ـ حسـب ابـن القوطيـة ـ بالقـرب مـن جيـان.

ـ **وُزْداجـة:** ومنهـم **بنـو دُلَيْـم**؛ الفقهـاء.

وأورد حسيـن مؤنـس ـ نقـلا عـن كتـاب منـازل البربـر في الأندلـس ـ لسيـزار دوبلـر César E. Dubler بعـض الأماكـن؛ الـتي سميـت بأسماء للقبائـل

الأمازيغية؛ مما يوحي بأنها كانت منازل قديمة لتلك القبائل. من هذه المنازل[1]:

— Villa Nova de Oureni مكان موجود الآن في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ وهران**.

— Tunis مكان يوجد حاليا؛ في **البرتغال**؛ نسبة إلى **الأمازيغ من تونس**.

— Alquerubim يوجد الآن في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ القيروان**.

— Arzila يوجد في **البرتغال**؛ نسبة إلى **أمازيغ أصيلا**.

— Adzenata يوجد في الشرق بالقرب من **قسطليون** Castellon
نسبة إلى **زناتة**.

— Sanet أو Senet بالقرب من **لاردة**؛ نسبة إلى **زناتة**.

— Benisanet بالقرب من **طركونة**؛ نسبة إلى **زناتة**.

— Butsenit بالقرب من **لاردة**؛ نسبة إلى **زناتة**.

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: 381 ــ 382.

— Barasal بالقرب من **جواردا** في **البرتغال**؛ نسبة إلى **بني برزال من زناتة.**

— Mequinenza في **الثغر الأعلى**؛ عند **الابرة**؛ نسبة إلى **مكناسة.**

— Ceneja قرب **قسطليون**؛ نسبة إلى **صنهاجة.**

— Cenija إحدى ضواحي **سرقسطة**؛ نسبة إلى **صنهاجة.**

— Azinhaga في **البرتغال**؛ نسبة إلى **صنهاجة.**

— Cotanes بالقرب من **بلد الوليد**؛ نسبة إلى **كتامة.**

— Cotanillos أحد أحياء **شقوبية**؛ نسبة إلى **كتامة.**

— Cotimos و Alcoutim في **البرتغال**؛ نسبة إلى **كتامة.**

— Benigomar بناحية **أنكا**؛ نسبة إلى **غمارة.**

— Gomara بناحية **صورية** Soria؛ نسبة إلى **غمارة.**

— Gomeriz و Gomeris في **جليقية**؛ نسبة إلى **غمارة.**

— Albornos بناحية **أبله**؛ نسبة إلى **البرانس.**

وقد اشتملت هذه الدراسة القيمة على كثير من العينات الأخرى؛ التي تثبت الحجم الكبير الذي وصلت إليه هجرات الأمازيغ إلى بلاد الأندلس؛ واستقرارهم بها. وثمة مواضع كثيرة في بلاد الأندلس بقيت تحمل أسماء قبائل أمازيغية؛ من ذلك مثلا: **لماية** التي سمي باسمها **إقليم لماية**؛ التابع لكورة **ريه**. ويوجد في ذلك الإقليم وادي؛ يسمى ــ أيضا ــ **بوادي لماية**. ثم **صدينة** التي سميت بها المدينة المتواجدة في كور **شذونة**. ثم **مدينة أوربة** التابعة إلى **دانية**. ثم **لواتة** التابعة لأعمال **فِرِّيش**. ثم ناحية **جراوة** وهي من أعمال **فحص البلوط**. ثم **تاكرنا** التي كان يسمى بها **إقليم رندة**. ثم **أندارة** في شرق الأندلس؛ قبل أن تخرب أثناء الفتنة. وثمة أماكن بأسماء قبائل أمازيغية كثيرة في الأندلس ــ يضيق هذا المجال عن تعدادها ــ وبالطبع.. سميت هذه الأماكن بهذه الأسماء؛ نسبة إلى القبائل الأمازيغية التي تغلبت عليها، واستوطنتها.

ويبدو أن جل المناطق الشمالية التي تسمى بالثغر؛ كانت منازل للأمازيغ؛ نظرا لكون معظم أمراء تلك النواحي كانوا منهم؛ بل

تحدثنا المصادر التاريخية؛ أن المدعو **مانوسة البربري** كان يتولى إمارة الثغر الشمالي الغربي بكامله؛ **((من حدود البرت إلى المحيط))**[1]. وعن منازل الأمازيغ في الأندلس يضيف حسين مؤنس: **((وقد ذكرنا هذه المواضع على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر؛ لنستنتج أن البربر انتشروا ــ منذ العصر الأول ــ في نواحي شبه الجزيرة كلها. وقد اكتفينا بذكر المواضع المتطرفة؛ في أقصى الشمال الشرقي، والشمال الغربي؛ وتركنا غير ذلك؛ من مواضع الوسط، والجنوب، والجنوب الشرقي، والجنوب الغربي؛ إذ لا تكاد تخلو ناحية من هذه النواحي، أو مدينة من مدنها من منازل بربرية... بيد أننا نستطيع القول: بأن المواضع التي قامت فيها إمارات بربرية فيما بعد؛ أو التي ولي عليها أمراء بني أمية، وخلفاؤهم ولاة من البربر؛ كانت منازل بربرية من قديم الزمان؛ لأن الأمراء لا يولون أميرا بربريا على ناحية معظم سكانها عرب، أومن أهل البلاد. ومن غير الممكن كذلك أن تقوم إمارة بربرية في ناحية لا يغلب على سكانها العنصر**

---

[1] فجر الأندلس، ص: 384.

البربـــري؛ لأن حكـــم هـــذه النـــواحي كـــان لا يقـــوم إلا عـــلى عـــــزْوَة، وعصـــب متأصليـــن))[1].

ثـــم يكمَـــل حسيـــن مؤنـــس قولـــه؛ معلقـــا عـــلى مـــا كتبـــه ابـــن حـــزم عـــن أمـــراء الثغـــر مـــن الأمازيـــغ: ((أضـــف إلى ذلـــك؛ أن مجموعـــة منـــازل البربـــر الـــتي ذكرهـــا ابـــن حـــزم تكَـــوِّنُ خطـــًّا واحـــدا؛ يبـــدأ مـــن نـــواحي جبـــال ألبـــرت؛ عنـــد لاردة، ووشقـــة؛ ثـــم ينحـــدر إلى ناحيـــة مدينـــة سالـــم (قاعـــدة الثغـــر الأوســـط فيمـــا بعـــد)؛ فقـــد نزلهـــا بنـــو سالـــم مـــن البرانـــس، وأعطوهـــا اسمهـــم؛ وسكـــن إلى جوارهـــم بنـــو الفـــرج، وبنـــو عوسجـــة. وفي الدائـــرة الواسعـــة الـــتي تحيـــط بمدينـــة سالـــم؛ والـــتي تضـــم شنتبريـــة، والسهلـــة، ووادي الحجـــارة؛ نجـــد كتلـــة بربريـــة ضخمـــة تعمـــر هـــذه النـــواحي كلهـــا إلى أحـــواز طليطلـــة؛ وهـــذه الكتلـــة تتكـــون مـــن بـــني الفـــرج، وبـــني سالـــم، وبـــني عوسجـــة، وبـــني صبـــرون بـــن شبيـــب، وآل وهـــب بـــن عامـــر الهوارييـــن؛ وكـــل هؤلاء مـــن البرانـــس؛ ثـــم بـــني عـــزون، وبـــني بـــلال، وبـــني نعمـــان؛ وكلهـــم مـــن البتـــر. وتمتـــد هـــذه الكتلـــة البربريـــة شرقـــا؛ فتشمـــل تيـــروان؛ حيـــث نـــزل بنـــو غزلـــون،

---

[1] فجـــر الأندلـــس، ص ص: 382 ـــ 383.

وناحية البونت؛ حيث نزل بنو قاسم؛ ثم تتصل هذه السلسلة البربرية ــ بناء على البيانات التي يقدمها صاحب الأخبار المجموعة ــ فتشمل مناطق طلبيرة (جنوب طليطلة)، وماردة، وقورية؛ بين التاجه، والدويرة؛ ثم تصل إلى ساحل المحيط؛ عند قلنبيرة؛ حيث نجد فرعا من بني عوسجة، وبني دانس؛ عند قصر أبي دانس. ويذكر ابن حزم فرعا من بني الفرج استقروا في طرسونة؛ أي فيما يلي جبال ألبرت؛ من نواحي غالة؛ وهذه الجماعة إن هي إلا بقية من البربر الذين كانوا يعمرون النواحي القصية من الأندلس؛ والذين كانوا يمتدون بحذاء خليج بسكاية؛ ويعمرون حوض نهر المنيو، ويتوغلون في جليقية))[1].

ومع مرور الزمن اندمج أمازيغ الأندلس بأهل تلك الديار؛ واختلطوا بهم، وبالعرب المقيمين هناك؛ وتزاوجوا فيما بينهم، وارتووا جميعهم بثقافة واحدة؛ تعذر بعدها الفرز بين من هو مولد من الأندلسيين، ومن هو عربي من الفاتحين، أو هو من الأمازيغ المهاجرين؛ فأضحوا يطلقون على أنفسهم اسم **البلديين**؛

---

[1] فجر الأندلس، ص ص: 384 ــ 385.

تفريقا بينهم وبين **المهاجرين** الجدد. وكان الأمازيغ أسرع للاندماج مع أهل البلاد الأصليين من العرب. ويعود السبب في ذلك – كما يقول حسين مؤنس – إلى **العصبية** المهيمنة على سلوك العرب.

هذا ما سمح به المجال في هذا الباب. وبقي علينا الانتقال إلى الحديث عن القبائل الأمازيغية؛ **بتقسيماتها**، **وأنسابها**، **ومواطنها**، **وأعيانها**، **والأدوار الهامة** التي قامت بها؛ عبر التاريخ. ونظرا لما سبق ذكره عن سلسلة نسب مادغيس الأبتر، وبرنس؛ وما توصلنا إليه من عدم ثبوت سلسلة الآباء؛ لما بعد **مادغيس الأبتر**، **وبرنس**؛ وتضارب الأقوال في هذا الأمر؛ فإنني سأكتفي بذكر أهم القبائل التي تفرعت عن هذين الجذمين: **البتر**، **والبرانس**. علما بأن التقسيمات الاصطناعية، والمراتب المتداولة بين النسابين العرب؛ لا يمكن إتباعها بدقة؛ في هذا المجال؛ بسبب عدم وضوحها في المجتمع القبلي الأمازيغي. وكل ما يمكن تقريره هنا.. هو اعتبار المراتب المتفرعة عن البتر، والبرانس بمثابة **أحلاف** أو **جمهرات**؛ تتفرع بدورها إلى قبائل، ثم بطون، وأفخاذ.

وهـــذه المتسميـــات ـــ بالطبـــع ـــ مجازيـــة؛ وليســـت اصطلاحـــات ثابتـــة. والغـــرض مـــن استعمالهـــا ـــ هنـــا ـــ هـــو الرغبـــة في التوضيـــح، وتسهيـــل الفهـــم.

....

القبائل البترية

فإذا كان النسابة الأمازيغ، والعرب قد أسندوا عبارة **أبتر** إلى **مادغيس**؛ فإن بعض الباحثين المحدثين لا يخفون شكهم في صحة ذلك؛ إذ منهم من يعتقد أن هذه التسمية؛ من مبتكرات العرب؛ الذين أطلقوها على القبائل الأمازيغية التي كانت ترتدي لباسا قصيرا، وأبترا. وبذلك أضحت هذه التسمية علما يختصون به. وهذا التفسير – وإن كان منطقيا – فهو يفتقر إلى السند التاريخي. وقال آخرون أن **براً** أنجب ولدين: علوان، ومادغيس؛ فمات علوان في صغره، وبقي مادغيس فريدا؛ فلقب بالأبتر؛ أي أصبح مبتورا، ومقطوعا. وهذه الحكاية تدخل في سياق ما أشرنا إليه من أساطير. ومنهم من يصر – أيضا – على اعتبار القبائل البترية قبائل وبرية؛ تجري وراء النجعة. ويعتقد هؤلاء بأن هذه القبائل تشكلت؛ من خلال اتحادات قبلية؛ تعتمد في عيشها على الجمال، والرحلة من مكان إلى آخر؛ بتشجيع، ومباركة الأباطرة الرومان. وعليه تكون القبائل البترية – في نظرهم – هي **قبائل**

وبرية؛ بينما يضعون القبائل البرنسية في عداد **القبائل المدرية**؛ التي تركن إلى الاستقرار. ويبدو أن مرجعهم في هذا التعليل يستند إلى الكلمتين اليونانيتين: Botros **بوتروس**؛ التي تعني البدو، والرعاة. ثم Baranos **برانوس** التي يقصد بها أولئك الذين اختاروا حياة الاستقرار. ومع أن هذا التفسير فيه كثير من الصحة في شكله العام؛ إلا أنه لا ينطبق على القبائل البترية كافة؛ حيث ثبت أن بعض البطون البترية اختارت حياة الاستقرار، وسكنى المدر؛ منها بطون من: **نفزاوة، ومطغرة، ولواته، وكومية، ومغلية، ومديونة**...الخ. ويبدو أن مبعث هذا الاعتقاد؛ هي النظرة الأولية لتلك القبائل؛ التي تميزت في العصور الأولى بظاهرتي: البداوة، والترحال. غير أن بعض البطون اختارت ــ فيما بعد ــ الحياة المستقرة.

ونظرا لغياب الدليل القاطع؛ يستحسن التسليم بالرأي القائل بوجود أب للقبائل البترية؛ يدعى **مادغيس الأبتر**؛ لأن النسابة الأمازيغ أنفسهم أجمعوا على هذا. على أنه يمكن اعتبار كلمة أبتر؛ صفة لأسلوب عيش مادغيس، وأبنائه؛ ذلك الأسلوب الذي يتميز

بالبـــداوة. والأخـــذ بهـــذا الـــرأي لا يعـــني التسليـــم بالتعليـــل اللغـــوي؛ الـــذي يفســـر الكلمـــة باللبـــاس الأبتـــر؛ أو أسطـــورة تلقيـــب مادغيـــس بالأبتـــر؛ بعـــد مـــوت أخيـــه علـــوان. كمـــا أميـــل ــ أيضـــا ــ إلى روايـــة النسابيـــن الأمازيـــغ؛ الـــتي تفيـــد بأنـــه كـــان لمادغيـــس الأبتـــر ولـــد يـــدعى **زحيـــك** أو (زجيـــك)؛ وعنـــه تفرعـــت قبائـــل أربـــع؛ هي مـــن الكبـــر؛ والضخامـــة؛ إلى حـــد يمكـــن وضـــع كـــل حي منهـــا في مرتبـــة أعـــلى مـــن مستـــوى قبيلـــة. قـــد يكـــون في مستـــوى **شعـــب**، أو **جمهـــرة**. وذلـــك في حـــال إتبـــاع الترتيـــب الاصطنـــاعي المعـــروف لـــدى النسابيـــن. وهكـــذا.. فالأحيـــاء الـــتي تفرعـــت عـــن زحيـــك تنتســـب إلى أبنائـــه الأربعـــة؛ وهـــم: **أداس**، **وضـــرا** أو (ضـــري)، **ولـــوا**، **ونفـــوس**. وهـــذه الأحيـــاء هي: **أداســـة**، **وضريســـة**، **ونفوســـة**، ثـــم أبنـــاء **لـــوا الأكبـــر** (لواتـــة، ونفـــزاوة).

....

1 ـ أداسة:

وهم أبناء **أداس بن زحيك بن مادغيس الأبتر.** وقد التحقت قبائل أداسة، وبطونها بأحياء هوارة البرنسية؛ لأن أم أداس تزوجت ـ بعد زحيك ـ بوالد هوار (أوريغ بن برنس)؛ حسب الرواية المنسوبة إلى نسابة الأمازيغ. وقد تفرعت عن أداسة بطون، وأفخاذ عديدة؛ لا يعرف عنها الكثير؛ بسبب التحامها بقبائل هوارة؛ فتداخلت أخبارهم جميعا. وعليه.. سنكتفي بذكر أسمائها؛ وهي: أندارة، **وأوطيطة، وترهونة، وصنبرة، وهداغة، وهترولة، وشتاتة.**

***

ـ *مواطنهم:* ذكر ابن خلدون ـ نقلا عن المسعودي والبكري ـ أن مواطن **بني أداس** تدخل في **موطن هوارة؛** بحكم الجوار، والحلف. وكانت مواطن هوارة عند الفتح الإسلامي في جهات **طرابلس،** وما يليها إلى **برقة.** وكان بعضهم مستقرا في أوساط مَدَرِّيَّة، وبعضهم الآخر أهل وبر وظواعن؛ طلبا للنجعة. وعليه.. فقد توغلت أحياء منهم في القفار؛

قاطعة المفازة الكبرى؛ متجاورة، ومتشاركة ـــ في تلك الربوع ـــ مع أحياء **لمطة**؛ بمحاذاة **السودان**[1]. وما يقال عن هوارة يصح قوله عن قبائل **أداسة**.

....

2 ـــ ضريسة:

تنسب قبيلة ضريسة إلى **ضري بن زحيك ابن مادغيس الأبتر**. وعن ضري تفرعت: القبائل المعروفة **ببني فاتن بن تمصيت بن ضري**، والقبائل المنسوبة إلى **يحيى بن ضري**. فقبائل **فاتن** هي: **درنة، وصدينة، وصطفورة** (التي عرفت فيما بعد باسم كومية)، **وكشاتة، ولماية، ومديونة، ومطغرة، ومطماطة، ومغيلة، وملزوزة**. أما قبائل **يحيى بن ضري** فهي: **زناتة، وزوارة، وزواغة، ومكناسة**. وسيقتصر كلامنا على القبائل التي لها ذكر في تاريخ المغرب؛ أما القبائل الأخرى فنتركها؛ لعدم الفائدة منها[2]. ومن أعيان ضريسة المذكورين؛

---

[1] ابن خلدون؛ العبر، مج: 6، ص ص: 170 . 229 ـــ 230.

[2] نفسه، ص ص: 180 ـــ 181.

والذين احتفظوا باسم القبيلة الأم؛ النسابة الشهير **هاني بن بكور الضريسي.**

....

أ ـ بنو فاتن:

تكاد القبائل البترية بكاملها تجتمع ضمن جمهرتين عظيمتين: تنتمي الأولى إلى **فاتن بن تمصيت بن ضري**، وتنتسب الأخرى إلى **يحيى ابن ضري.** وقد انتشرت هاتان الجمهرتان ـ بقبائلهما ـ عبر بلاد المغرب كلها. وكان لهما أثر كبير في تاريخ المغرب الإسلامي. واختصت قبائل بني فاتن ـ قديما ـ بمواطنها الأولى في المغرب الأقصى؛ ثم تفرقت جموعهم ـ فيما بعد ـ عبر المغربين: الأوسط، والأدنى. كما توغلوا في القفار الداخلية. وأهم قبائلهم هي:

....

(1) ـ كوميـــــة:

هـــم مـــن أبنـــاء **فاتـــن**. وكانـــت هـــذه القبيلـــة تعـــرف ـــ في القديـــم ـــ باســـم **صطفـــورة**. وتفرعـــت عنهـــا ثـــلاث عمائـــر؛ هـــم: **بنـــو يلـــول، وصغـــارة، وندرومـــة**. وكوميـــة ـــ كمـــا هـــو معلـــوم ـــ هي قبيلـــة عبـــد المؤمـــن بـــن عـــلي (ت: سنـــة 558هـ/1162م)؛ مؤســـس الدولـــة الموحديـــة. وهـــو مـــن بيـــت **بـــني عابـــد**؛ المتوطنيـــن **بحصـــن تاجـــرا**؛ بالجبـــل المشـــرف عـــلى مدينـــة **هنيـــن**؛ في ناحيتـــه الشرقيـــة. هـــذا وقـــد تميـــزت هـــذه القبيلـــة ـــ في العهـــد الموحـــدي ـــ بكثـــرة العـــدد، ومضـــاء الشوكـــة؛ حيـــث كانـــت تشكـــل القـــوة الضاربـــة، والرادعـــة في عهـــد عبـــد المؤمـــن. فـــهي درعـــه، وعصبتـــه. ولمـــا كانـــت الدولـــة تعتمـــد عـــلى هـــذه القبيلـــة في صـــد المخاطـــر كافـــة، وقمـــع أهـــم الفتـــن، والثـــورات؛ فقـــد أهلكـــت أبناءهـــا الحـــروب، وأكلتهـــم الأقطـــار الواسعـــة؛ فانقرضـــوا مـــع مـــرور الوقـــت. وبقيـــت منهـــم ـــ في عهـــد ابـــن خلـــدون ـــ فئـــات صغيـــرة؛ بمواطنهـــم الأولى؛ **كبـــني عابـــد، وبـــني سنـــوس**؛ وهـــم جميعـــا ـــ في تلـــك الآونـــة ـــ مـــن القبائـــل الغارمـــة؛ بعـــد أن أذلتهـــم قبائـــل زناتـــة، وإماراتهـــا[1].

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 257 ـــ 261.

وذكر عبد الواحد المراكشي؛ في كتابه المعجب؛ هذه القبيلة؛ فقال بأنها كانت قبل ظهور الموحدين قبيلة كثيرة العدد؛ ولكنها لم تصل إلى مرتبة الرئاسة من قبل؛ حيث كان أبناؤها يعملون في الفلاحة، والرعي، والتجارة البسيطة بالأسواق[2]. بذلك يمكن تصنيفهم من بين أهل المدر؛ من سكان الأرياف.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** سجلّ هذه القبيلة يزخر بالأعيان، وعظماء الرجال؛ منهم الملوك، والقادة، والرؤساء. كما نبغ من بينهم رجال علم، وأدب؛ نبدأ بهم:

ـ هاني بن مصدور بن مَريس بن نقوط.
وهو النسابة الذائع الصيت في أقطار المغرب كلها.

ـ ثم **أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان الكومي** (توفي برباط سلا سنة 558هـ)؛ بينما كان متجها إلى الأندلس للجهاد. وهو المؤسس الفعلي للدولة

---

[2] المعجب، ص: 339.

الموحدية ببلاد المغرب. ولد ببلدة تاجرت (تاجرا) بالقرب من تلمسان؛ من والدين بسيطين؛ إذ كان والده صانع فخار. خرج من بلدته سعيا وراء العلم؛ فالتقى بابن تومرت في طريقه؛ قرب بجاية؛ فلازمه؛ وتحالفا على الإطاحة بالدولة اللمتونية. ثم عاد أدراجه مع ابن تومرت نحو المغرب؛ أين أشعلا الثورة على المرابطين. وبموت ابن تومرت أسند إليه الموحون مهام الخلافة؛ فأورثها بنيه؛ بعد تشييده الدولة الموحدية الكبرى؛ التي امتدت من الأندلس شمالا إلى المفازة الصحراوية جنوبا، ومن المحيط الأطلسي غربا إلى برقة شرقا. ولم تقتصر مناقبه على براعته في الحكم وإدارة الدولة، وقيادة الجيوش فحسب؛ بل يعتبر من العلماء؛ في الشريعة، كما كان ضليعا في فنون الأدب. وقد أورد المراكشي قصيدة له قالها مستنفرا عرب هلال؛ حاثا إياهم على الغزو ببلاد الأندلس: غير أن عبد الملك بن صاحب الصلاة ينسبها لكاتب عبد المؤمن عبد الملك ابن عياش؛ وإن كانت شاعرية عبد المؤمن حقيقة لا تنكر[1].

---

[1] المعجب، ص: 225. تاريخ المن بالإمامة، ص: 415.

أقِيمُوا إلى العَلْيَاءِ هُــــوجَ الرَّوَاحِــــلِ
وَقودُوا إلى الهَيْجَاءِ جُرْدَ الصَّوَاهِــــلِ
وَقُومُوا لِنَصْــرِ الدِّين قَوْمَــةَ ثَائِــرِ
وَشُدُّوا عَلىَ الأعْدَاءِ شَــدَّة صَائِــــلِ
فَمَا العِــزُّ إلاَّ ظَهْرُ أجْــرَدَ سَابــحٍ
يَفُوتُ الصَّبَــا فِي شَدَّةِ المُتَوَاصِـــلِ
وَأبْيَــضَ مَأثــور كَــأنَّ فِرِنْــدَهُ
عَلَىَ المَــاءِ مَنْسُوجٌ وَلَيْسَ بسَائِــلِ
بَنِي العَمِّ مِنْ عُلْيَــا هِلاَل بْنِ عَامِــرِ
وَمَا جَمَعَتْ مِنْ بَاسِلٍ وَابْنِ بَاسِــلِ
تعَالَوْا فَقَدْ شُدَّتْ إلىَ الغَــزْوِ نِيَّــةَ
عَوَاقِبُهَــا مَنْصُــورَة بالأوَائِــــلِ
هِيَ الغَزْوَة الغَرَّاءُ وَالمَوْعِــدُ الَّــذِي
تَنَجَّــزَ مِنْ بَعْدِ المَــدَى المُتَطَــاوِلِ
بِهَا تُفْتَح الدنْيَــا، بِهَــا تُبْلَغُ المُــنَى
بِهَا يُنْصَفُ التَّحْقِيقُ مِنْ كُلِّ بَاطِــلِ
أهَبْنَا بكُمْ لِلْخَيْــرِ وَاللَّــهُ حَسْبُنَــا
وَحَسْبُكُمُو وَاللَّــهُ أعْــدَلُ عَــادِلِ
فَمَــا هَمُّنَــا إلاَّ صَلاَحُ جَمِيعِكُــمْ
وَتَسْرِيحِكُمْ فِي ظِلِّ أخْضَرَ هَاطِــلِ
وَتَسْوِيغُكُمْ نُعْمَى تَــرِفُّ ظِلاَلُهَــا
عَلَيْكُمْ بخَيْرٍ عَاجِــلٍ غَيْــرَ آجِــلِ

فَــلاَ تَتَوَانَــوا فَالبِــدَارُ غَنِيمَــــة
وَلِلْمُدْلِجِ السَّارِي صَفَــاءُ المَنَاهِــلِ

ومــع حــب عبــد المؤمــن للعلــم والعلمــاء، ومشاركاتــه الشعريــة، والأدبيــة؛ إلاَّ أنَّ عشقــه للحــرب، وفنونهــا مَلَــكَ عليــه مشاعــره. وفي هــذا أورد المراكــشي خبــرا عــن أبي جعفــر أحمــد بــن عطيــة؛ وزيــر عبــد المؤمــن؛ قــال: ((**دخلــت عــلى عبــد المؤمــن؛ وهــو في بستــان لــه قــد أينعــت ثمــاره، وتفتحــت أزهــاره، وتجاوبــت عــلى أغصانهــا أطيــاره، وتكامــل في كــل جهــة حسنــه؛ وهــو قاعــد في قبــة مشرفــة عــلى البستــان؛ فسلمــت، وجلســت، وجعلــت أنظــر يمنــة، وشمــأة؛ متعجبــا ممــا أرى مــن حســن ذلــك البستــان؛ فقــال لي: يــا أبــا جعفــر؛ أراك كثيــر النظــر إلى هــذا البستــان؛ قلــت: يطيــل اللــه بقــاء أميــر المؤمنيــن؛ واللــه إن هــذا لمنظــر حســن... فسكــت عــني؛ فلمــا كــان بعــد يوميــن أو ثلاثــة؛ أمــر بعــرض العسكــر؛ آخــذي أسلحتهــم؛ وجلــس في مكــان مطــل؛ وجعلــت العسكــر تمــر عليــه؛ قبيلــة بعــد قبيلــة، وكتيبــة إثــر كتيبــة... فلمــا رأى ذلــك التفــت إلي وقــال: يــا أبــا جعفــر؛ هــذا هــو المنظــر الحســن؛**

لا ثمارك، وأشجارك))[1]. ويقال أنهم وجدوا على ظهر كتاب الحماسة؛ الذي كان يطالعه؛ أبياتا بخط يده جاء فيها:

وَحَكِّمِ السَّيْفَ لاَ تَعْبَأ بعَاقِبَةٍ
وَخَلِّهَا سِيرَةً تَبْقىَ عَلىَ الحِقَبِ
فَمَا تُنَالُ بِغَيْرِ السَّيْفِ مَنْزِلَة
وَلاَ تُرَدُّ صُدُورُ الخَيْلِ بِالكُتُبِ

ومن شعره قصيدة بعث بها ـ ضمن رسالة ـ مبشرا ابنه بانتصاره على النصارى، وفتحه للمهدية؛ قال فيها:

وَلَمَّا قَضَيْنَا بالَمشَارق أمْرَنَا
وَتَمَّ مُرَادُ اللَّهِ فِي كلِّ مَطْلَبِ
وَأشْرَقَتِ الشَّمْسُ الُمنِيرَة فَوْقَنَا
وَأصْبَحَ وَجْهُ الحَقِّ غَيْرَ مُحَجَّبِ
وَطُهِّر هَذَا الصُّقْع مِنْ كُلِّ كَافِر
وَعَادَ بهَا الإسْلاَمُ بَعْدَ تَغَيُّبِ
وَكُسِّرَتِ الصُّلْبَانُ فِي كلِّ بَيْعَةٍ
وَنَادَى مُنَادِي الحَقِّ فِي كُلِّ مَرْقَبِ
أشَرْنَا بأعْنَاق المَطِيِّ إلَيْكمُ
فَطَارَ بِهَا شَأوُ السُّرُورِ بِمَغْرِبِ

---

[1] المعجب، ص ص: 201 ـ 202.

فَابْشِــرْ أبَا حَفْصٍ بنَصْــرِ مُــؤَزَّرِ
كَفِيلٍ بمَا تَبْغِيــهِ فِي كُلِّ مَذْهَــبِ
وَلاَ بُــدَّ فِي يَوْمٍ أغَــرَّ مُحَجَّــلِ
يُسيلُ دِمَاءَ الكُفْرِ فِي كُلِّ مَذْهَــبِ
وَتُشْــفَى صُدُورُ المُؤْمِنيــنَ بغَــزْوَةٍ
تَكُونُ عَلىَ حُكْمِ الحُسَامِ المُــدَرَّبِ
وَيَغْزُو بِلاَدَ الرُّومِ جَيْــشٌ عَرَمْــرَمٌ
تُخُيِّــرَ مِنْ قَيْسٍ وَأبْنَــاءُ يَعْــرُبِ
تَصُولُ بِهِ مِنْ عُصْبَة الحَــقِّ مَعْشَــرٌ
بجُمْلَــةِ مَا يَلْقَاهُ خَيْــرُ مُجَــرَّبِ
فَيُدْمَــغُ بِالصَّمْصَــامِ كُلُّ مُجَاهِــرِ
وَيُقْطَــعُ بالبُرْهَــانِ كُلُّ مُشَغِّــبِ
فَطُوبَى لأهْلِ الغَــرْبِ مَاذَا يَرَوْنَــهُ
مِنَ النَّصْــرِ وَالفَتْحِ المُبِينِ المُقَــرَّبِ

وهكــذا تــرى؛ كيــف كــان عبــد المؤمــن يعتقــد في انتمائــه ــ هــو، ومــن معــه ــ إلى العــرب؛ الممثليــن بقيــس عيــلان، ويعــرب بــن قحطــان. ومــع هــذا.. لــم يقتصــر في معاناتــه الشعريــة عــلى أغــراض الحماســة فحســب؛ بــل يقــال أنــه خــرج يومــا؛ مــع وزيــره أبي جعفــر ابــن عطيــة في نزهــة؛ وشاهــد أثنــاء عودهتمــا جاريــة في منتــهى الجمــال؛

خلف شباك من الخشب تنظر إليه؛ فقال مرتجلا:

قَدَّتْ فُؤَادِي مِنَ الشُّبَّاكِ إذْ نَظَرَتْ

فأجاز أبو جعفر بقوله:

حَوْرَاءُ تَرْنُو إلىَ العُشَّاقِ بِالُمقَلِ

فقال عبد المؤمن:

كَأنَّ لَحْظَهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا

فقال أبو جعفر:

سَيْفُ الُمؤَيَّدِ عَبْدُ الُمْؤمِنِ بْنِ عَلِي

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الكومي** (ت: سنة 580هـ/1184م)؛ أحد سلاطين الدولة الموحدية العظماء. كان ـ إلى جانب منصبه السياسي ـ عالما بالعلوم الشرعية، والأدبية؛ وكان ملما بالحكمة، والفلسفة؛ ومحبا للعلماء، وأهل الفكر؛ إذ جلب إلى بلاطه نخبة من علماء عصره آنذاك؛ مثل: ابن الطفيل، وابن رشد، وابن زهر وغيرهم. ووصفه المراكشي بقوله: **((كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض**

مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية... مع إيثار للعلم شديد، وتعطش إليه مفرط. صح عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين ــ الشك مني: إما البخاري، أو مسلم؛ وأغلب ظني أنه البخاري ــ حفظه في حياة أبيه بعد تعلم القرآن؛ هذا مع ذكر جمل من الفقه؛ وكان له مشاركة في علم الأدب، واتساع في حفظ اللغة، وتبحر في علم النحو حسبما تقدم؛ ثم طمح به شرف نفسه، وعلوّ همته إلى تعلم الفلسفة؛ فجمع كثيرا من أجزائها؛ وبدأ من ذلك بعلم الطب؛ فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكي أكثره؛ مما يتعلق بالعلم خاصة؛ دون العمل؛ ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة؛ وأمر بجمع كتبها؛ فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المنتصر بالله الأموي.))[1]. وكانت علامته ((الحمد لله وحده))؛ وسك الدنانير اليوسفية.

---

[1] المعجب، ص ص: 237 ــ 238.

ـ ثم أبو يوسف المنصور يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن الكومي (ت: سنة 595هـ/1198م)؛ كان من أعظم سلاطين الدولة الموحدية؛ ترك بصماته بارزة في نظام الدولة، ومؤسساتها الإدارية، والعسكرية، والثقافية، والدينية. فهو إلى جانب حزمه، ودهائه، وحنكته السياسية، والعسكرية؛ يتمتع بمزايا علمية، وثقافية لا بأس بها؛ ولكنه يتميز بالتعصب إلى مذهبه، وبقمع الأفكار المتجددة النيرة، وبكبحه لكل مبادرة أو اجتهاد. وفي عهده شهدت الدولة الموحدية تحولات مذهبية خطيرة؛ منها: إحراق كتب الفروع، والتضييق على الفقهاء من المالكية؛ حيث ألزمهم حدودا سطرها بنفسه في الإفتاء؛ حاصرا ذلك فيما نص به القرآن الكريم، وما ثبت في الصحاح من كتب الحديث. وقد تطرق المراكشي في كتابه المعجب لتلك الأحداث بقوله[2]: **((وفي أيامه انقطع علم الفروع، وأمر بإحراق كتب المذهب؛ بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرآن؛ ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد؛ كمدونة**

---

[2] المعجب، ص ص: 278 ـــ 279.

سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد، ومختصره، وكتاب التهذيب لبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وماجانس هذه الكتب، ونحا نحوها. لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس؛ يؤتى منها بالأحمال؛ فتوضع ويطلق فيها النار؛ وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي، والخوض في شئ منه؛ وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة؛ وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة: (الصحيحين، والترميذي، والموطأ، وسنن أبي دود، وسنن النسائي، وسنن البرار، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي) في الصلاة، وما يتعلق بها؛ على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة؛ فأجابوه إلى ذلك؛ وجمعوا ما أمرهم بجمعه؛ فكان يمليه بنفسه على الناس، ويأخذهم بحفظه؛ وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب، وحفظه الناس من العوام، والخاصة؛ فكان يجعل لمن حفظه الجعل السني؛ من الكسا، والأموال؛ وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك، وإزالته من المغرب مرة واحدة؛ وحمل

الناس على الظاهر من القرآن، والحديث؛ وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه، وجده)).

ومن منجزات المنصور التنظيمية، والعمرانية: أنه أول من خط العلامة بيده من سلاطين الموحدين؛ وهي: **((الحمد لله وحده))**، وسك الدنانير اليعقوبية، وشيد الجامع الأعظم بمراكش، وبنى عددا كبيرا من المدارس، والمساجد، والصوامع، والقناطر، والمستشفيات بالأندلس، والأقطار المغربية كلها؛ كما حفر آبار المياه، وخصص للعلماء، وطلبة العلم مرتبات ثابتة، وهو الذي بنى مدينة رباط الفتح.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن أحمد سعيد بن عبد الله الشنت مري الكومي** المعروف بقنون أو (جنون) (ت: سنة 599هـ/1202م)؛ كان من المحدثين والحفاظ؛ الذين يظهرون عناية بعلمهم؛ من مؤلفاته: البستان في علم القرآن، وفتح المنغلق وجمع المفترق، والزلفة والإرشاد إلى ما قرب وعلا من الإسناد، وغيره.

ـ ثم الأمير الشاعر **أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي** (ت: سنة 604 هـ/1207م)؛ كان واليا على بجاية؛ أين انهمك في محاربة ابن غانية، ومطاردته بسهوب إفريقية؛ ولما ولي سجلماسة سهر على مطاردة قطاع الطرق التجارية، ولصوص الصحراء، واعتنى بتمهيد السبل نحو إفريقية السوداء. ونقل المقري عن كتاب رحلة ابن حمويه السرخسي؛ خَبَرَ لِقَائِهِ بأبي الربيع؛ جاء فيه[1]: **((فرأيته شيخا بهيَّ المنظر، حسن المخبر، فصيح العبارة باللغتين: العربية، والبربرية؛ ومن كلامه في جواب رسالة إلى ملك السودان بغانة؛ ينكر عليه تعويق التجار؛ قوله : نحن نتجاور بالإحسان؛ وإن تخالفنا في الأديان، ونتفق على السيرة المرضية، ونتألف على الرفق بالرعية؛ ومعلوم أن العدل من لوازم الملك في حكم السياسة الفاضلة؛ والجور لا تعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة؛ وقد بلغنا احتباس مساكين التجار، ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده؛ وتردد الجلاَّبة إلى بلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها؛**

---

[1] نفح الطيب، ج: 3، ص: 105.

ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية؛ لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهَى عن خلق ونأتي مثله؛ والسلام)). ولأبي الربيع كتاب مختصر الأغاني، وديوان شعر. ويزعم المراكشي؛ في معجبه؛ أن بعض شعره قد يكون منحولا. ومن شعره؛ مقطع أرسله لابن عمه؛ الخليفة يعقوب المنصور؛ بعد جفوة حدثت بينهما؛ فانتهز مناسبة قدوم وفد من العرب، والغز؛ من بلاد الشام؛ فاستأذنوا المثول بين يدي الخليفة؛ فكتب إليه أبي الربيع هذه الأبيات:

يَا كَعْبَةَ الجُودِ التِي حَجَّتْ لَهَا
عَرَبُ الشَّآمِ وَغُزُّهَا وَالدَّيْلَمُ
طُوبَى لِمَنْ أمْسَى يَطُوفُ بِهَا غَداً
وَيَحِلُّ بالبَيْتِ الحَرَامِ وَيَحْرِمُ
وَمِنَ العَجَائِبِ أنْ يَفُوزَ بنَظْرَةٍ
مَنْ بالشَّآمِ وَمَنْ بمَكَةَ يُحْرمُ

فاستحسن المنصور قوله، وعفا عنه. وفي مناسبة أخرى قال يخاطب المنصور:

فَلأمْلأنَّ الخَافِقَيْنِ بذِكْرِكُمْ
مَا دُمْتُ حَيًّا نَاظِماً وَمُرَسِّلاَ

وَلأ بْذلَنْ نُصْحِيلَكُمْ جَهْدِي وَذا
جَهْدَ الُمقلِّ وَمَا عَسَى أنْ أفْعَـــلاَ
وَلأخْلِصَنَّ لَكَ الدُّعَاءَ، وَمَا أنَـــا
أهْـــلٌ لَـــهُ، وَلَعَلَّـــهُ أنْ يُقْبَـــلاَ

ولمـــا فتحـــت قفصـــة؛ قـــال هـــذه القصيـــدة؛ مهنئـــا بهـــا الخليفـــة المنصـــور:

هَبَّـــــتْ بِنَصْرِكُـــمُ الرِّيَـــاحُ الأرْبَـــعُ
وَجَـــرَتْ بِسَعْدِكُـــمُ النُّجُـــومُ الطُّلَّـــعُ
وَاسْتَبْشَـــرَ الفُلَـــْـكُ الأثِيـــرُ تَيَقُنـــاً
إنَّ الأمُـــورَ إلَى مُـــرَادِكَ تَرْجِـــــعُ
وَأمَـــدَّكَ الرَّحْمَـــنُ بالفَتْـــحِ الَّـــذي
مَـــلأ البَسِيطَـــة نُـــورُهُ الُمتَشَعْـــشِـــعُ
لَـــم لاَ وَأنْـــتَ بَذلْـــتَ فِي مَرْضَاتِـــهِ
نَفْســـاً تُفَدِّيهَـــا الخَلائِـــــقُ أجْمَـــعُ
وَمَضَيْتَ فِي نَصْـــرِ الإلـــَهِ مُصَمِّمـــاً
بِعَزِيمَـــةٍ كَالسَّيْـــفِ بَـــلْ هِيَ أقْطَـــعُ
لِلـــَهِ جَيْشُكَ وَالصَّـــوَارِمُ تُنْتَـــضَى
وَالخَيْـــلُ تَجْـــرِي وَالأسِنَّـــة تَلْمَـــعُ

إلى أن يقـــول في وصـــف انهـــزام الأعـــداء:

إنْ ظَـــنَّ أنَّ فِـــرَارَهُ مُنْـــجٍ لَـــهُ
فَبِجَهْلِـــهِ قَدْ ظَـــنَّ مَا لاَ يَنْفَـــعُ

أيْنَ المَفَــرُّ وَلاَ فِــرَارَ لِهَــارِب

وَالأرْضُ تُنْشَرُ فِي يَدَيْكَ وَتُجْمَعُ

أخَلِيفَــةَ اللَّــهِ الــرِّضَى هُنِّيتَــهُ

فَتْــحٌ يُمَدُّ بمَا سِــوَاهُ وَيَشْفَــعُ

فَلَقَدْ كَسَوْتَ الدِّينَ عِزاً شَامِخــاً

وَلَبسْتَ مِنْهُ أنْــتَ مَا لاَ يُخْلَــعُ

هَيْهَاتَ سِرُّ اللَّــهِ أودِعَ فِيكُــمُ

وَاللَّــهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَــعُ

لَكُمُ الهُدَى لاَ يَدَّعِيــهِ سِوَاكُــمُ

وَمَن ادَّعَــاهُ يَقُولُ مَا لاَ يُسْمَــعُ

إنْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ الخَلائِــقِ كُلِّهَــا

فَإلَيْكَ يَا يَعْقُوبُ تُومِي الإصْبَــعُ

إنْ كُنْتَ تَتْلُو السَّابقِيــنَ فَإنَّمَــا

أنْتَ المُقَــدَّمُ وَالخَلائِــقُ تُبَّــــعُ

خُذْهَا أمِيــرَ المُؤْمِنيــنَ مَدِيحَــة

مِنْ قَلْب صِدْق لَمْ يَشِنْهُ تَصَنُّــعُ

فَالْمَدْحُ مِنِّ فِي عُــلاَكَ طَبيعَــة

وَالمَدْحُ مِنْ غَيْرِي إلَيــْكَ تَطَبُّــعُ

ولــه أيضــا هــذه الأبيــات المشهــورة:

أقُولُ لِرَكْبٍ أدْلَجُــوا بسُحَيْــرَةٍ

قِفُوا سَاعَــةً حَتَّ أزُورَ رِكَابَهَــا

وَأَمْلأُ عَيْنِي مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهِهَـا
وَأَشْكُو إِلَيْهَا أنْ أطَالَتْ عِتَابَهَـا
فَإِنْ هِيَ جَادَتْ بِالْوِصَالِ وَأَنْعَمَتْ
وَإِلاَّ فَحَسْبِي أنْ رَأَيْـتُ قِبَابَهَـا

وكتـب أبـو الربيـع توقيعـا إلى عامـلٍ لديـه؛ كثـرت شكـاوى النـاس منـه: **((قـد كثـرت فيـك الأقـوال، وإغضـائي عنـك رجـاء أن تتيقـض؛ فتنصلـح الحـال؛ وفي مبـادرتي إلى ظهـور الإنكـار عليـك؛ نسبـة إلى شـر الاختيـار، وعـدم الاختبـار؛ فاحـذر فإنـك عـلى شفـا جـرف هـار))**[1].

ـــ ثـم الأميـر الشاعـر **أبـو الحسـن عـلي بـن عمـر بـن عبـد المؤمـن الكـومي** (كـان معاصـرا لأبي الربيـع)؛ ولي هـو الآخـر تلمسـان، وبجايـة؛ ولكنـه عـزل عنهـا؛ بسبـب مـا اتهـم بـه مـن إهمـال، وغفلـة، وميلـه إلى شهواتـه، ومجالـس الطـرب. وكـان أديبـا، وشاعـرا؛ كتـب يومـا إلى السلطـان يعقـوب المنصـور يمدحـه، ويطلـب عونـه؛ لتسديـد ديونـه؛ فقـال:

---

[1] نفـح الطيـب، ج: 3، ص: 105.

وُجُـــوهُ الأمَـــانِي بكُـــمْ مُسْفِـــرَهْ
وَضَاحِكَـــة لِـــيَ مُسْتَبْشِـــــــرَهْ
وَلِي أمَـــلٌ فِيكُـــمُ صَـــــادِقٌ
قريـــبٌ عَـــسَى اللَّـــهُ قَدْ يَسَّـــرَهْ
عَـــــلَيَّ دُيُـــــونٌ وَتَصْحِيفُهَـــــا
وَعِنْدَكُـــمُ الجُــــودُ وَالمَغْفِـــــرَهْ

ونقـــل صاحـــب نفـــح الطيـــب[2] عـــن السرخـــسي: **((كـــان هـــذا السيـــد أبـــو الحســـن قـــد ولي مملكـــة تلمســـان، وبجايـــة؛ ولـــه حكايـــات في الجـــود برمكيـــة، ونفـــس عاليـــة زكيـــة؛ كتـــب إليـــه السيـــد أبـــو الربيـــع يومـــا:**

اليَوْمُ يَوْمُ الجُمُعَـــهْ يَوْمُ سُـــرُورٌ وَدَعَـــهْ
وَشَمْلُنا مُفْتـــرَقٌ فَهَلْ تَرَى أنْ نَجْمَعَـــهْ

فأجابـــه بقولـــه:

اليَوْمُ يَوْمُ الجُمُعَـــهْ وَرَبُّنَا قَدْ رَفَعَـــهْ
وَالشُّرْبُ فِيهِ بدْعَة فَهَلْ تَرَى أنْ نَدَعَهْ)).

---

[2] نفـــح الطيـــب، ج: 3، ص: 109.

ـ ثم الفقيه المحقق القاضي **أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني الكومي** (في بغية الرواد: البطوي) (ت: سنة 625هـ/1227م)؛ فقيه مالكي؛ قال عنه ابن الأبار: ((**سمع من أبيه، وتفقه به... وولي قضاء بلده. وكان حميد السيرة؛ مشاركا في الفقه، وعلم الكلام، معتنيا بالحديث، وروايته؛ معظما عند الخاصة، والعامة؛ وجمع من الدواوين شيئا عظيما. وله كتاب في غريب الموطأ، وكتاب المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار؛ في عشرين سفراً؛ في نحو ثلاثة آلاف ورقة، وغير. ذلك. وحدث، ودرس**))[1].

من مؤلفاته التي لم يذكرها ابن الأبار: التسلي عن الرزية والتحلي برضى باري البرية، ونظم العقود ورقم الحلل والبرود، والإقناع في كيفية الأسماع، والفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم، وفرقان الفرقان وميزان القرآن. وكعينة من نظمه؛ وإن دخلت في سياق النظم لا الشعر؛ بيتان أجمل فيهم أحاديث البخاري:

جَمِيعُ أحَادِيثِ الصَّحِيحِ الذِي رَوَى
البُخَارِي خَمْسَة وَسَبْعُونَ فِي العَدَدِ

[1] التكملة لكتاب الصلة، ج: 2، ص: 623.

وَسَبْعَــةَ آلاَفٍ تُضَــافُ وَمَــا بَــقِي
إلاَّ مَائَتَيْــنِ عَــدَّ ذَاكَ أولُــوا الجَــدِّ

ــ **ثــم أبــو العــلاء المأمــون إدريــس بــن يعقــوب ابــن يوســف بــن عبــد المؤمــن الكــومي** (ت: سنــة 630هــ/1232م)؛ فعــلى الرغــم مــن سعــة معارفــه، وفصاحتــه، وشاعريتــه، وتمكنــه مــن العلــوم الشرعيــة، والأدبيــة، ومعرفتــه بالقــراءات، وضبطــه للروايــات، وحســن تلاوتــه، وقدرتــه عــلى الحفــظ، واستيعابــه لكتــب الحديــث ــ إذ كــان يُقــْرِئ كتبهــا أيــام حكمــه؛ مثــل: الموطــأ، وصحيــح البخــاري، وسنــن أبي داود ــ وعــلى الرغــم مــن بلاغتــه، وجــودة إنشائــه، وتضلعــه في علــوم اللغــة العربيــة وآدابهــا؛ ومــا كــان عليــه مــن شجاعــة، وإقــدام؛ إلا انــه اتصــف أيضــا بالطغيــان، والجبــروت، والتعطــش إلى سفــك الدمــاء. وكــان أول مــن أدخــل الفرنجــة إلى بــلاد المغــرب؛ بغــرض قمــع المناوئيــن لــه؛ مقابــل شــروط ثقيلــة؛ منهــا: تنازلــه عــن عــدد مــن الحصــون والقــلاع بالأندلــس، والسمــاح ببنــاء كنيســة للنصــارى بمراكــش. ولمــا افتــك الحكــم بمساعــدة جنــد الإفرنــج؛ قبــض عــلى خصومــه مــن شيــوخ الموحديــن؛ وقتلهــم عــن آخرهــم. ثــم غيــر رمــوز الدولــة المُنوِّهَــة بالإمــام المهــدي؛ مــن:

سكة، وخطبة...الخ وفي عهده بدأت الدولة الموحدية تتفكك. وهذا نص كتبه صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس؛ يعطينا صورة عن هذه الشخصية المتناقضة؛ لهذا السلطان الدموي[1]: **((فصعد المنبر، بجامع المنصور، وخطب الناس، ولعن المهدي وقال: أيها الناس لا تدعوه بالمعصوم وادعوه بالغوي المذموم؛ أنه لا مهدي إلا عيسى؛ وأنا قد نبذنا أمره النحيس... وأمر بإسقاط اسم المهدي من الخطبة، وإزالته عن الدنانير والدراهم، ودور الدراهم المركنة التي كان ضربها المهدي... فأمر بقتل جميع أشياخ الموحدين، وأشرافهم؛ فقتلوا عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد، ولم يراع والدا ولا ولد؛ حتى أنه أوتي بولد أخته وهو صبي صغير ابن ثلاث عشرة سنة، وكان قد حفظ القرءان؛ فلما قدم ليقتل قال له يا أمير المؤمنين أعف عني لثلاث؛ قال ما هي؟ فقال: صغر سني، وقرب رحمي منك، وحفظي لكتاب الله العزيز؛ فنظر إلى القاضي المكيدي كالمستشير له؛ ثم قال له: كيف رأيت قوة جأش**

---

[1] ص ص: 167 ـــ 168.

هـــذا الغـــلام، وإقدامـــه عـــلى الكـــلام في هـــذا المقـــام؟ فقـــال لـــه القـــاضي: يـــا أميـــر المؤمنيـــن إنـــك إن تذرهـــم يضلـــوا عبـــادك، ولا يلـــدوا إلا فاجـــرا كفـــارا؛ فأمـــر بـــه فقتـــل. ثـــم أمـــر بتعليـــق الـــرؤس عـــلى أســـوار المدينـــة؛ فعلقـــت بدائرهـــا؛ فكانـــت حسبتهـــا أربعـــة فاجـــرا كفـــارا؛ فأمـــر بـــه فقتـــل. ثـــم أمـــر بتعليـــق الـــرؤس عـــلى أســـوار المدينـــة؛ فعلقـــت بدائرهـــا؛ فكانـــت حسبتهـــا أربعـــة آلاف رأس وســـت مائـــة رأس؛ كـــان زمـــان الصيـــف؛ فنتنـــت منهـــا المدينـــة؛ وتـــأذى النـــاس مـــن روائحهـــا؛ فرفـــع إليـــه ذلـــك؛ فكـــان مـــن جوابـــه أن قـــال: هنـــا مجانيـــن، وتلـــك رؤس لهـــم أحـــراز؛ لا يصلـــح حالهـــم إلا بهـــا؛ وإنهـــا لعطـــرة عنـــد المحبيـــن، ونتنـــة عنـــد المبغضيـــن؛ ثـــم أنشـــد إرتجـــالا:

أهْلُ الحَرَابَةِ وَالفَسَادِ مِنَ الـــوَرَى
يُعْـــزَوْنَ فِي التَّشْبِيـــهِ لِلذُّكَـــارِ
ففَسَـــادُهُ فِيهِ الصَّـــلاَحُ لِغَيْـــرِهِ
بالقَطْـــعِ وَالتَّعْلِيـــقِ بِالأشْجَـــار
مَرْآهُـــمُ ذِكْرى إذَا مَا أبْصَـــرُوا
فَوْقَ الجُذُوعِ وَفِي ذُرَى الأسْـــوَارِ

وَكَذَا القِصَاصُ حَيَاة أرْبَاب النُّهَى
وَالعَدْلُ مَألـوفٌ بِكـلِّ جِـوَارِ
لَوْ عَـمَّ حِلْم اللـَّهِ كَافَّة خَلْقِـهِ
مَا كَانَ أكْثرُهُـمْ مِنْ أهْلِ النـارِ)).

ـ ثم **شمس الدين محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني الكومي** الشهير بابن العفيف التلمساني (توفي بدمشق في حياة والده سنة 688هـ/1289م)؛ وكان شاعرا رقيق الطبع، لطيف المعنى، حسن السبك. جاء في كتاب فوات الوفيات؛ نقلا عن القاضي شهاب الدين بن الفضل قوله فيه: **((لم يأت إلا ما خف على القلوب، وبريء من العيوب؛ رق شعره فكاد أن يشرب، ودق فلا غرو للقضب أن ترقص والحمام أن يَطْرَب، ولزم طريقة دخل فيها بلا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع باب الآذان؛ وكان لأهل عصره ومن جاء على آثارهم افتتان بشعره؛ وخاصة أهل دمشق؛ فإنه بين غمائم حياضهم رُبِيَ؛ وفي كمائم رياضهم حُبِيَ؛ حتى تدفق نَهره، وأينع زهره؛ وقد أدركت جماعة من خلطائه لا**

يـــرون عليـــه تفضيـــل شاعـــر، ولا يـــرون لـــه شعـــرا إلا وهـــم يعظمونـــه كالمشاعـــر... وأكثـــر شعـــره ــ لا بـــل كلـــه ــ رشيـــق الألفـــاظ؛ لا يخلـــو مـــن الألفـــاظ العاميـــة، ومـــا تحلـــو بـــه المذاهـــب الكلاميـــة؛ فلهـــذا عَلَـــق بكـــل خاطـــر، وولـــع بـــه كـــل ذاكـــر))[1]. هـــذا.. ولـــه ديـــوان شعـــره تـــم نشـــره مـــرات عديـــدة، كمـــا أخـــرج لـــه حـــجي خليفـــة مقامـــات العشـــاق في ورقتيـــن. وهـــذه بعـــض المقاطـــع مـــن شعـــره:

بِلاَ غَيْبَـــةٍ لِلْبَدْرِ، وَجْهُـــكَ أجْمَـــلُ
وَمَـــا أنـــا فِيمَـــا قَلْتـــهُ مُتَجَمِّـــلُ

وَلاَ عَيْـــبَ عِنْـــدِي لَـــوْلاَ صِيَانَـــة
لَدَيْـــك بهَا كُـــلُّ امْـــرِيءٍ يَتَبَـــذلُ

لِحَاضُك أسْيَـــافٌ ذكُورٌ فَمَا لَهَـــا
كَمَا زَعَمُـــوا مِثْلِ الأرَامِيـــلِ تغْـــزلُ

وَمَا بَالُ بُرْهَـــانِ العـــذار مُسَلِّمـــاً
وَيَلْزَمُـــــهُ دُورٌ وَفِيـــهِ تَسَلْسُـــــلُ

وَعَهْدِيَ أنَّ الشَّمْسَ بالصَّحْوِ آذنَـــتْ
فَمَا بَالُ سُكْرَى مِنْ مُحَيَـــاك يُقْبِـــلُ

كَأَنَّـــك لَمْ تُخْلَـــقْ لِغَيْـــرِ نَوَاظِـــرِ
تُسَهِّدُهَـــا وَجْـــداً وَقَلبـــاً تُعَلِّـــلُ

---

[1] فـــوات الوفيـــات ج: 3، ص: 373.

حَبيبي لِيَهْـــنِ الحُسْـــنَ أَنَّكَ حُزتَـــهُ

وَيَهْـــنِ فُـــؤَادِي أنَّـــهُ لـَـكَ مَنْـــزِلُ

إذا كُنتَ ذَا ودٍّ صَحِيـــحٍ فَلَمْ يَكُـــنْ

يَضُـــرُّنيَ العُـــذالُ حَيْـــثُ تقَوَّلُـــوا

رَأوْا مِنْكَ حَظِّي فِي المَحَبَّـــة آخــراً

لِـــذَا حَرَّفُوا عَنِّي الحَدِيـــثَ وَأوَّلُـــوا

ولـــه أيضـــا:

بعَيْنَيْـــك هَذِي الفَاتِرَاتُ التِّي تسْـــبي

يَهُـــونُ عَلَيَّ اليَوم قَتْـــلِيَ يَا حُـــبِّي

إذَا مَا رَأتْ عَيْـــني جَمَالَكَ مُقْبِـــلاً

وَحَقِّكَ يَا رَوحِي سَكِرْتُ بِلاَ شُرْبِ

وَإنْ هَـــزَّ عَطْفَيْكَ الصّبَـــا مُتَمَايِـــلاً

أضَاعَ الهَوَى نُسكِي وَغُيِّبْتُ مِنْ لـُــبِّي

فَدَعْني وَهَذَا الخَـــدَّ أعْصِـــرُ فِي فَمِي

عَنَاقِيـــدَ صُدْغَيْهِ وَحَسْبِي بِهِ حَسْـــبِي

لَوَ أنَّ تُجَارَ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ شَاهَـــدُوا

ثَنَايَاك مَا عَنُوا عَلَى اللُّؤ لؤِ الرَّطْـــبِ

أيَا سَـــاقِيَ الكَأسِ الّذِي زَادَ خَـــدُّه

عَلَيْهَا احْمِرَاراً عد بالكَأسِ عَنْ صحْبِي

وَمَـــا ذَاكَ بُخْـــلاً بالمُـــدَام وَإنَّمَـــا

إذَا لُحْت لَمْ آمَنْ عَلَيْهمْ مِنَ السَّلْـــبِ

وَباللَّهِ قُلْ لِي أَيُّهَا الظَّبْيُ كَيْفَ قَــدْ
تَعَلَّمْتَ صَيْدَ الأسْدِ فِي شَرَكِ الهــدْبِ
وَمَا الَّذِي قَدْ بعْتَ فَاسْتَرْهَنْــتَ بِــهِ
لَدَيْكَ الربى رَهْنــاً كَثِيباً مِنَ الكثْــبِ
فَخُذْ قِصَّة الشَّكْوَى مِنَ الأعْيُنِ الَّــتِي
نَفَيْــتَ لَذِيذَ النَّــوْم عَنْهَا بِلاَ ذنْــبِ
وَلاَ تَعْتَبَــنْ صَبًّــا تَهَتَــكَ سِتْــرُهُ
عَلَيْكَ فَهتْكُ السِّتْرِ أَلْيَــقُ بِالصَّــبِّ

وقـــال أيضـــا:

أعَــزَّ اللَّــهُ أنْصَــارَ العُيُــونِ
وَخَلَّــدَ ملْكَ هَاتِيــكَ الجُفُــونِ
وَضَاعَفَ بالفُتُــور لَهَا اقْتِــدَاراً
وَإنْ تَكُ أضْعَفَتْ عَقْلِي وَدِيــنِي
وأبْــقَى دَوْلَة الأعْطَــافِ فِينَــا
وَإنْ جَارَت عَلىَ القَلْبِ الطَّعِيــنِ
وَأَسْبَــغَ ظلَّ ذَاكَ الشّعْــر يَوْمــاً
عَلَى قَدّ بِــهِ هَيَــفُ الغُصُــونِ
وَصَــانَ حِجَاب هَاتِيكَ الثَّنَايَــا
وَإنْ ثَنَتِ الفُــؤَادَ إلَى شُجُــونِ

وقـــال أيضـــا:

أسِيـــرُ أَلْحَـــاظٍ لِخَـــدٍّ أسِيـــلْ
كَلِيمُ أحْشَـــاءِ لِطَـــرْفٍ كَلِيـــلْ

فِي حُـــبٍّ مَنْ حَظِّيكَشعْـــر لَـــهُ
لَكِنْ قَصِيـــرٌ ذَا وَهَـــذَا طَوِيـــلْ

لَيْـــسَ خَلِيـــلاً لِـــي وَلَكِنَّـــهُ
أضْرَمَ فِي الأحْشَاءِ نَـــارَ الخَلِيـــلْ

يَا رِدْفَـــهُ جُـــرْتَ عَلَى خَصْـــرِهِ
رِفْقـــاً بِهِ مَـــا أنْـــتَ إلاَّ ثَقِيـــلْ

وقـــال أيضـــا:

لَمْ أنْـــسَ لَمَّـــا زَارَنـــي مُقْبِـــلاً
أوْلاَنِيَ الوَصْـــلَ وَمَـــا ألْـــوَى

وَقعْـــتُ بالرَّشْـــفِ عَلَى ثَغْـــرِهِ
وَقـــع المَسَاطِيـــلِ عَلَى الحلْـــوَى

وقـــال أيضـــا:

يَا مَنْ أطَالَ التَّجَنِّي وَقَدْ أسَا فِي التَّـــوَخِّي
أسْرَفْتَ تِيهاً وَعُجْباً وَكُثْرَة الشَّدِّ يُـــرْخِي

ـ ثـــم أبـــو الربيـــع عفيـــف الديـــن سليمـــان بـــن علـــي بـــن عبد اللـــه بـــن علـــي التلمســـاني الكـــومي؛ (تـــوفي بدمشـــق سنـــة 690هــ/1291م)؛وهـــو

كاتب، وأديب؛ وكان من الكتاب، والأدباء البارزين؛ إذ كان يجيد النظم، والنثر؛ وله اتجاه صوفي؛ يتبع فيه طريقة ابن عربي (محمد بن علي)؛ غير أن بعضهم يتهمه بالزندقة؛ وله مؤلفات عديدة؛ منها: شرح مواقف النفزي، وشرح الفصوص لابن عربي، وكتاب في العروض، وديوان شعر. ومن شعره:

إنْ كَانَ قتْلِي في الهَوَى يَتعيَّنُ
يا قاتلي فَبسَيْفِ طرْفِكَ أهْوَنُ
حَسْبي وَحَسْبُكَ أنْ تكونَ مَدامِعي
غُسْلي وفي ثَوْبِ السَّقامِ أُكفَّنُ
عَجَباً لِخَدِّكَ وَرْدَة في بانةٍ
وَالوَرْدُ فَوْقَ البَانِ مَا لا يُمْكِنُ
أدْنَتْهُ لي سِنَةُ الكَرَى فلثمْتُهُ
حَتىَّ تَبَدَّلَ بالشَّقيقِ السَّوْسَنُ
وَوَرِدْتُ كَوثَرَ ثغْرِهِ فَحَسَبْتُني
في جَنَةٍ مِنْ وجْنَتَيهِ أسْكُنُ
مَا رَاعَنِي إلاَّ بلالُ الخَال فَوْ
ق الخَدِّ في صُبْح الجَبينِ يُؤَذنُ
فَنَشَرْتُ مِنْ خَوْفِ الصَّبَاحِ ذؤابة
هِيَ كَالدُّجَى وَظَلَلْتُ فِيهَا أكَمُنُ

وقال في مدح بعض بني الزبير الوزراء:

وَبَنُو الزُّبَيْرِ كَمَا عَلِمْت حَدِيثُهُمْ
وَقَدِيمُهُمْ سَادَ الأَنَامَ وَطَالُوا

أَوْلادُ عَمَّاتِ النَّبيِّ أَمَا تَرَى
أَخْلاقَهُمْ لا يَعْتَرِيهَا الحَالُ

أَقْعَدَهُمْ شُغِلُوا بنيرَانَ القِرَى
وَلَهُمْ بِنِيرَان الوَغَى أشْغَالُ

ومن شعره الصوفي:

مُحَيَّاكَ يَهْوَاهُ الُمحَيَّا أمَا تَرَى
حَشَا الكَأس فِيهِ جَمْرَة تَتَوَقّدُ

وَلَوْلاَ بُكَاهَا مَا بَدَا فَوْقَ خَدِّهَا
دُمُوعٌ حَكَاهَا اللُّؤْلُؤُ الُمتَفَرِّدُ

وَمَا كُنْتُ أدْرِي فِتْنَة الفِسْق فِعْلهَا
إلَى أنْ رَأتْ عَيْنَايَ حُسْنُك يَبْعُدُ

إنَّمَا ارْتَشَفْتُ الرَّاحَ مِنْ ثغْرِ كَأسِهَا
أَلَسْتَ تَرَاهَا نَحْوَ وَجْهِكَ تَسْجُدُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاكَ فِي الكَوْنِ مُطْلَقاً
لَدَلَّ عَلَيْهِ مِنْكَ حُسْنٌ مُقَيَّدُ

لَمَّا أبْصَرَتْ عَيْنِي جَمَالَكَ جَهْرَة
وَمَنْ لَمْ تُشَاهِدْ عَيْنُهُ كَيْفَ يَشْهَدُ

عَجِبْتُ لِكَأسٍ قَدْ صَحَوْتُ بشُرْبِهَا
أبْرَأ صَحْواً عَلي يُعَرْبِدُ

وقـــال في رثـــاء ولـــده شمـــس الديـــن؛ الـــذي تـــوفي قبلـــه. وأثـــاء ذلـــك أشـــار إلى أخيـــه الميـــت أيضـــا:

مَـــالِي بِفَقْـــدِ المُحَمَّدَيْـــنِ يَـــدُ
مَـــضَى أخِي ثُمَّ بَعْدَهُ الوَلَـــدُ
يَا نَـــار قَلـــْبِي وَأيْنَ قَلْـــبِيَ أوْ
يَا كَبدِي لوْ يَكُونُ لِي كَبَـــدُ
يَا بَائِـــعَ المَوْتِ مُشْتَرِيـــهِ أنـــَا
فَالصَّبْرُ مَا لاَ يُصَابُ وَالجَلَـــدُ
أيْـــنَ البَنَـــانُ الَّتِي إذَا كَتَبَـــتْ
وَعَايَـــنَ النَّاسُ خَطَّهَا سَجَـــدُوا
أيْـــنَ الثنَايَـــا التِي إذَا ابْـــتَسَمَتْ
أوْ نَطقَـــتْ لاَحَ لُؤلُـــؤ نَضَـــدُ
مَا فَقَدَتْكَ الإخْـــوَانُ يَا وَلَـــدِي
وَإنَّمَا شَمْـــسَ أنْسِهِمْ فَقَـــدُوا
مُحَمَّـــدٌ يَـــا مُحَمَّـــدٌ عَـــدَداً
وَما لَمَـــا لَيْـــسَ يَنْتَـــهِي عَـــدَدُ

إلى أن يقـــول:

مَاذَا عَلَى الغَاسِلِينَ إذَ قـــَرُبَ الأمـــْ
ـــلاَكُ مِنْـــهُ لـــَوْ أنَّهُـــمْ بَعـــدُوا
قَدْ حَمَلَتْ نَفْسُـــهُ العُلُـــومَ إلَى الـــ
فِرْدَوْسِ وَالنَّعْـــشُ فَوْقَـــهُ الجَسَـــدُ

أَبْكَيْتَ خَالاَتكَ الضَّوَاحِكِ مِنْ
قَبْلُ وَمَا مِنْ صِفَاتكَ النَّكَدُ
بِي كِبَرٌ مَسَّنِي وَأُمُّكَ قَدْ
شَاخَتْ فَمِنْ أيْنَ لِي يُرَى وَلَدُ
وَهَبْهُ قَدْ كَانَ لِي فَمِثْلُكَ لاَ
يُرْجَى وَأيْنَ الزَّمَان وَالأمَدُ

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى الكومي الندرومي** (ت: حوالي 775هـ/1373م)؛ أحد علماء المالكية؛ له ثبت تكلم فيه عن شيوخه، وإجازاتهم له.

ـ ثم الفقيه **أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن عمر بن شعيب السنوسي** (ت: سنة 895هـ/1489م)؛ وهو من كبار علماء تلمسان في عهده؛ عالج في مؤلفاته علوما شتى؛ دينية، ودنيوية؛ وله باع طويلة في علوم: التفسير، والتوحيد، والحديث؛ ومن مؤلفاته: كتاب عقيدة أهل التوحيد؛ ويسمى العقيدة الصغرى، ثم كتاب العقيدة الوسطى، ثم شرح صغرى الصغرى، وشرح صحيح البخاري؛ لم يكتمل، وشرح الأسماء الحسنى، وشرح جمل الخونجي؛ في المنطق، وشرح مقدمات الجبر والمقابلة؛ لابن الياسمين، والعقد الفريد في حل مشكلات

التوحيد، وشرح للامية الجزائري، ومختصر في علم المنطق، وشرح كلمتي الشهادة، ومكمل إكمال الإكمال، والمقدمات في التوحيد، وتفسير سورة ص وما بعدها من السور، ونصرة الفقير في الرد على أبي حسن الصغير، وشرح التسبيح وبر الصلوات، وشرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب، ومختصر بغية السالك في أشرف المسالك؛ للساحلي، وشرح جواهر العلوم؛ في علم الكلام، وشرح مشكلات البخاري، ومختصر الزركشي على البخاري، ومختصر حاشية التفتازاني على الكشاف، ومختصر ابن عرفة، وشرح رجز ابن سينا في الطب؛ لم يكتمل، ومختصر في القراءات السبع، وشرح الشاطبية الكبرى؛ لم يكتمل، وشرح الوغليسية؛ في الفقه؛ لم يكتمل، ومختصر الروض الآنف؛ للسهيلي؛ لم يكتمل، وشرح المرشدة والدر المنظوم؛ في شرح الأجرومية، ونظم في الفرائض، واختصار الرعاية؛ للمحاسبي، وتفسير القرآن؛ إلى قوله: أولئك هم المفلحون، وتعليق على فرعي ابن الحاجب، وشرح إيساغوجي؛ في المنطق، ومختصر لمسلم؛ في سفرين، وشرح أبيات الإمام الأليري؛ في التصوف، والمقرب المستوفي؛ شرح على الحوفية، وأم البراهين في العقائد، والحقائق في

تعريفات مصطلحات علماء الكلام، والمنهج السديد في شرح كفاية المريد؛ للجزائري.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الغماري الكومي** (ولد بعد عام 940هـ/1533م)؛ فقيه، وخطيب بمكناسة؛ وإلى جانب الفقه فهو نحوي، ويستظهر مختصر خليل؛ وله أيضا مشاركة في علمي: الحساب، والفرائض؛ إذ كان أستاذا فيهما.

OOO

أما الذين عرفوا بالأدوار السياسية، والعسكرية، ومهام الحكم فمنهم:

ـ الوزير **عبد السلام بن محمد الكومي** المعروف بالمقرب (توفي مقتولا بسجنه سنة 557هـ/1161م)؛ عرف بالمقرب بسبب تقريب عبد المؤمن إياه؛ أو للقرابة التي بينهما؛ ومع هذا لم يستنكف هذا السلطان الدموي عن قتله؛ حيث أرسل من قتله بسجنه خنقا، أو بواسطة مسهل قضى عليه تدريجيا كما يقال.

- ثم الوزير **عمر بن عبد السلام بن محمد الكومي**؛ الذي خلف والده في منصب الوزارة بعد مقتله؛ وبقي في منصبه حتى وفاة عبد المؤمن.
- ثم **الحسن بن حيون المعابدي الكومي** (توفي مقتولا بتلمسان سنة 624هـ/1226م)؛ كان من عمال الدولة الموحدية؛ فتآمر على قبيل بني عبد الواد؛ الأمر الذي أوصله إلى القتل؛ وفتح الباب أمام رؤساء القبيل إلى الاستبداد بتلمسان؛ وتعتبر هذه الخطوة ممهدة لقيام الدولة العبد الوادية.
- ثم **أبو العلاء الواثق بالله إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن الكومي** المعروف بأبي دبوس (توفي بمراكش سنة 667هـ/1268م)؛ وهو من ملوك بني عبد المؤمن؛ وبعد قتله ـ من طرف بني مرين ـ بظاهر مراكش أشرفت الدولة الموحدية على نهايتها.
- ثم **إسحاق بن إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي** (توفي بفاس مقتولا سنة 674هـ/1275م)؛ وهو آخر الملوك من بني عبد المؤمن؛ بويع في تنملل؛ بعد سقوط مراكش، ومقتل أبي دبوس.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عثمان بن إدريس بن محمد الكومي** المعروف بابن أبي دبوس؛ والده السابق الذكر (توفي بفاس سنة 762هـ/1360م)؛ ولد بالقاهرة؛ ولما كبر انتقل إلى بلاد إفريقية والمغرب طمعا في استرجاع ملك آبائه؛ فأعلنها ثورة في تلك الديار؛ ولكنه فشل.

ـ ومنهم أيضا الداعية الثائر بالزاب؛ المسمى **أبا عبد الله بن خديجة الكومي** (كان حيا سنة 724هـ/1323م)؛ وهو من ولد عبد المؤمن ابن علي؛ وكان يدعوا للفاطمي المنتظر.

***

ـ ***مواطنهم:*** كانت مواطن **كومية** الأولى في المغرب الأوسط؛ وبالتحديد ضمن منطقة **أرشكول، وتلمسان**؛ وذلك.. على امتداد شاطئ البحر، **وجبال ترارة** التي تربض شمال غرب تلمسان. ولما استولى الموحدون على **مراكش**، واتخذوها حاضرة لسلطانهم؛ استدعى عبد المؤمن بن علي قبيلته كومية؛ إلى تلك الربوع؛ ليكونوا درعا له، وعصابة يشد بها أزره.

....

(2) ـ **لماية:**

وهم من **بني فاتن** أيضا. وتعتبر **لماية** من أكبر قبائل **ضريسة**، وأوسعها بطونا. وقد لعبت هذه القبيلة دورا بارزا في تاريخ المغربين: الأوسط، والأدنى؛ حيث اعتنق أبناؤها المذهب الإباضي، وشاركوا في حركة أبي الخطاب عبد الأعلى ابن السمح؛ عند تملكه طرابلس، وعند استيلائه على القيروان؛ بغرض إخراج ورفجومة منها. ولما قتل أبو الخطاب؛ لجأ عامله على القيروان (عبد الرحمن بن رستم) إلى **قبيلة لماية**؛ بالقرب من **جبل كزول**؛ في المغرب الأوسط؛ نظرا لكون هذه القبيلة من حلفائه وحلفاء أميره أبي الخطاب. وبالفعل أجارته لماية، وحمته من كل مكروه. كما قامت لماية ببناء مدينة **تيهرت** الثانية؛ في سفح **جبل كزول**؛ جاعلة منها دار ملك للإباضيين؛ بإمرة عبد الرحمن بن رستم؛ بعد أن بايعته بالإمامة. وظلت هذه القبيلة سندا قويا للدولة الرستمية حتى سقطت. فتشتت ــ إثر ذلك ــ أبناء لماية في الأقطار، وانقرض معظمهم؛ بسبب الحروب. ولم يبق سوى بعض الفئات المتفرقة، والموزعة بين قبائل أخرى. ومن بين بقايا

لماية **جربة**؛ التي سميت بها الجزيرة المعروفة الآن؛ في **ساحل تونس**. وسكانها حتى عهد ابن خلدون كانوا من لماية. كما توجد في جربة ـــ حتى الآن ـــ قبيلة تسمى **آلْمَايْ**[1]؛ يعتقد محمد علي دبوز أنهم من بقايا لماية؛ ولكن اسمها أصابه التحريف؛ وقد يكون إسمها هذا هو الصحيح. كما أن قرية **لماية** التي تتوسط الطريق بين **طرابلس**، **وزوارة**؛ تنسب هي الأخرى إلى هذه القبيلة. وقد نقل الشيخ مبارك الميلي عن ((أبوراس)) ما مفاده.. أن أهل **فرندة**، **والحوارث** من **لماية**؛ ولكنهم تركوا المذهب الخارجي[2]. كما تنسب إليهم مقاطعة لماية؛ المتواجدة ببلاد الأندلس؛ وتعتبر مدينتها إحدى حصون مالقة[3]. وهي كغيرها من مقاطعات الأندلس التي سميت باسم القبائل الأمازيغية التي استقرت بها. وينسب إليها عدد من العلماء، والأدباء.

! ! !

---

[1] تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 259.

[2] تاريخ الجزائر، ص: 596.

[3] الحميري؛ الروض المعطار، ص: 511.

ـ ***أعيانهم:*** من المنتسبين إلى لماية ببلاد الأندلس:
ـ الشاعر الفحل والكاتب النِّحْرير الوزير **أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي**؛ (توفي بمالقة سنة 654هـ/1256م). وهو من فحول الشعراء بالأندلس. كان وزيرا لعلي بن حمود؛ أمير مالقة؛ أيام ملوك الطوائف. ولما دفن؛ كتبت على قبره أبيات من نظمه هي:

بَنَيْتُ و لم أسْكُن وحَصَّنْت جَاهِداً
فَلمَّا أتى المَقْدُورُ صَيَّرَهُ قَبْري
و لم يَكُ حظِّي غَيْر ما أنْتَ مُبْصِرٌ
بعَيْنَيْكَ مَا بَيْنَ الذرَاعِ إلى الشِّبْرِ
فَيَا زائِراً قَبْري أوصِيكَ جَاهِداً
عَلَيْكَ بتقْوَى اللهِ في السر والجَهْرِ
فَلا تُحْسِنَنَّ بالدَّهْرِ ظَنًّا فإنَّمَا
مِنَ الحَزْم ألاَّ يُسْتَنام إلى الدَّهْرِ

وحاول بعض أصحابه الترويح عليه؛ أثناء مرضه؛ فأجابهم مرتجلا:

رَوَّحَني عائِدِي فَقُلْتُ لَهُ
لاَ لاَ تَزِدْني عَلىَ الَّذِي أجِدُ
أمَا تَرَى النَّارَ وَهِيَ خامِدَة
عِنْدَ هُبُوبِ الرِّياحِ تَتَّقِدُ

ومن شعره أيضا:

قَدْ قُلْتُ إذْ سَارَ السَّفِينُ بِهِ
والبَيْنُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهْبَا
لَوْ أنَّ لِي مُلْكاً أصُولُ بِهِ
لأخَذْتُ كُلَّ سَفينَةٍ غَصْبَا

ويقول كذلك:

غَنِيٌّ وَلِلإيقَاعِ فَوْ ... قَ بَيَانِ مَنْطِقِهِ بَيَانُ
وَكَأَنَّمَا يَدُهُ فَمٌ ... وقَضِيبُهُ فِيهَا لِسَانُ

ـ ثم الفقيه **أبو الحسن علي بن عبد الله ابن داود اللمائي**؛ المعروف بالمالطي (ت. سنة 538هـ/1143م)؛ وهو من أهل المرية؛ وله تأليف جمع فيه بين كتابي: المنتقى للباجي، والاستذكار لابن عبد البر. ولا ندري حتى الآن مدى انتماء هذين العالمين إلى لماية؛ بحيث بقي التساؤل قائما: هل ينتميان إلى القبيلة أصلا؛ أم ينتميان إلى المقاطعة الأندلسية لا غير. ونظرا لما عرفناه؛ عن استيطان القبائل الأمازيغية جماعات، جماعات؛ كل منها في منطقة خاصة بها؛ فإننا لا نستبعد انحدار هذين العالمين من القبائل المستوطنة فيها. ومن جهة أخرى فقد تعذر الحصول على معلومات كافية تخص أعيان

هـذه القبيلـة، وعلمائهـا ببـلاد المغـرب؛ وهـذا عائـد إلى الطابـع البـدوي المتفـشي بيـن أبنائهـا، وإلى السلـوك السلـبي الـذي اتبعـه المؤرخـون السنيـون آنئـذ؛ إذ كانـوا يتجاهلـون أخبـار العلمـاء مـن الإباضييـن؛ وغيرهـم ممـن يخالفونهـم مذهبيـا؛ وهـذا بالطبـع يدخـل في بـاب **العصبيـة المذهبيـة**. ومـع هـذا فقـد تضمـن كتـاب الدرجيـني؛ طبقـات المشائـخ بالمغـرب؛ أخبـارا عـن بعـض علمـاء لمايـة؛ عـلى قلتهـم؛ وهـم:

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد اللـه بـن مانـوج اللمـائي** (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الخامـس للهجـرة)؛ ويقـال أنـه لـم يكـن يحفـل بدينـه في شبابـه؛ ولـم يتـب إلا في كبـره؛ حيـث توجـه إلى جزيـرة جربـة؛ أيـن تلـقى العلـم؛ حـتى أصبـح مـن علمـاء المذهـب الإبـاضي البارزيـن؛ وهـو أحـد العلمـاء السبعـة الذيـن اعتكفـوا في **غـار أمجـاج**، أيـن صنفـوا فيـه تصنيفـا يتنـاول موضـوع الفقـه الإبـاضي؛ وهـو في اثـني عشـر جـزءا.

ــ ثم **أبو محمد عبد الله بن الأمير اللمائي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي أيضا.

***

ــ ***مواطنهم:*** يضع ابن خلدون **لماية** في عداد **القبائل الرحل**؛ التي تتنقل عبر بلاد إفريقية، والمغرب؛ طلبا للنجعة. على أن جمهورهم كان يرتع في مراتع المغرب الأوسط؛ في السهوب المتاخمة للصحراء. ثم يحدد تلك المواطن؛ **بأرض السرسو؛ جنوب منداس، وإلى الغرب أرض زواغة.** وفي **الشمال، والشرق تتواجد مطماطة، ومكناسة، وزناتة**[1].

....

(3) ــ *مديونة:*

وهم من **بني فاتن** أيضا. وتذكر المصادر التاريخية؛ بأن فئات من هذه القبيلة تكون قد لعبت أدوارا هامة في تاريخ الأندلس؛

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 246 ــ 250.

بعد أن أجازوا إليها أيام الفتح. ويبدو أن هجرتهم إلى الأندلس قد قلصت سطوتهم بديار المغرب؛ لذا نجدهم أضحوا في موقف ضعيف؛ عندما تغلبت قبائل: **بني راشد، وبني توجين** (من زناتة) على ربوع المغرب الأوسط؛ حيث مدوا سلطانهم على مواطن مديونة الضعيفة؛ بسبب افتراق أتباعها، وتضاؤل عددهم؛ نتيجة للحروب، والهجرة. وعليه.. فقد ألزمت زناتة قبيلة مديونة بدفع الضرائب، وإعطاء المغارم. كما زاحمتها في مواطنها؛ مما أدى بهم إلى الإنحياز إلى **حصون جبل تسالة، وجبل وجدة**؛ المعروف بهم. ومع الأيام.. بقي منهم من يتعاطى حرفة الفلاحة؛ بينما ظل آخرون موزعين بين القبائل. وبقي حي منهم — أيام ابن خلدون — بين **فاس، وصفروي**؛ إذ كانوا مجاورين **لمغيلة**[2].

! ! !

---

[2] المصدر السابق، مج: 6، ص ص: 256 — 257.

ـ ***أعيانهم:*** أنجبت مديونة عددا كبيرا من العلماء، والصالحين؛ منهم:

ـ **أبو عبد الله محمد بن أسود بن شعيب المديوني**؛ فقيه؛ ولي القضاء بإفريقية. ربما كانت له علاقة ما مع محمد بن أسود؛ قاضي المرية؛ الذي انتدب لمحاورة المهدي أمام السلطان المرابطي علي بن يوسف؛ في مراكش.

ـ ثم **أبو عمر أحمد بن خلف بن محمد ابن فُرْتُون المديوني** (ت: سنة 377هـ/948م)؛وهو من الرواة، والزهاد؛ كان يسكن في مدينة الفرج؛ قال عنه ابن بشكوال[1]: **((سمع الناس منه؛ وكان خيرا، فاضلا، زاهدا، ثقة فيما رواه. ومن روايته عن وهب بن مسرة؛ قال: دخلت على محمد بن وضاح بين المغرب والعشاء مودعا؛ فقلت له: أوصني رحمك الله؛ فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل، وبر الوالدين، وحزبك من القرآن فلا تنسه، وفرّ من الناس؛ فإن الحسد بين اثنين، والنميمة بين اثنين؛ والواحد من هذا سليم))**.

---

[1] الصلة، ج: 1، ص: 6.

ـ ثم **أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني** (ت: سنة 768هـ/1366م)؛ فقيه، وقاضي. وهو والد عائشة المديونية؛ أم ابن مرزوق الحفيد؛ استعمله أبو الحسن في خطة تنظر في سماع الشكايات، وفي جمع الزكاة؛ ثم ولاه أبو عنان خطة القضاء بتلمسان.

ـ ثم **عبد الرحمن بن محمد بن عطية المديوني**؛ المعروف بالجادري (تضاربت الآراء حول تاريخ وفاته بين: 818 و 839 و 840 هـ/1415 و 1435 و 1436م)؛ وهو فقيه، ومحدث، وميقاتي؛ وصاحب منظومة روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار، كما قام بتأليف فهرسة ضمت معلومات عن شيوخه، وكتاب في شرح البردة، وكتاب اقتطاف الأنوار، ومختصر الاقتطاف، وكتاب اشتمل على طريقة العمل بالإسطرلاب مع الصفيحة الشاكرية وربع الدائرة، والعمل بالحساب والجدول؛ اشتمل على 42 بابا، وكتاب تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام، وأرجوزة بعنوان النافع في أصل حرف نافع، وكتاب المذكر والمؤنث.. وغيره.

ـ ثم **يحيى بن محمد المديوني** المعروف بأبي السادات الأكبر (من أعلام النصف الأول من القرن العاشر للهجرة)؛ فقيه، وصوفي.

ـ ثم **محمد بن يحيى المديوني المعرف** بأبي السادات الأوسط توفي بعد سنة 950هـ/1543م). فقيه، ومدرس؛ تصدر للإفتاء بتلمسان.

ـ ثم **أحمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن يحيى المديوني** المعروف بابن جيدة الجهبرزي الوهراني (ت سنة 951هـ/1544م)؛ وهو من الصوفيين الصالحين.

ـ ثم **محمد بن محمد بن يحيى بن محمد المديوني** العروف بأبي السادات الحفيد (ت: سنة 981هـ/1573م)؛ فقيه، ومحقق؛ تصدر للتدريس.

ـ ثم **محمد بن عبد الله المديوني** (توفي بعد عام 960هـ/1552م)؛ فقيه، وخطيب؛ له اهتمام بالعلوم العقلية، والنقلية. وهو من مدينة الفرج بالأندلس.

ـ ثم **أحمد بن موسى المديوني.** فقيه.

ـ ثم **محمد بن أحمد بن محمد المليتي المديوني**؛ (توفي سنة 985هـ/1577م)؛ مدرس؛ وهو والد ابن مريم.

ــ ثـم **عائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة)؛ وهي أم الإمام ابن مرزوق الحفيد؛ الذي قال في شرحه على البردة: أنها ألفت مجموعا من الأدعية؛ وكانت من النساء الصالحات؛ واشتهرت بتعبير الرؤيا؛ إذ تمكنت من هذا الفن؛ بفضل إطلاعها الواسع.

ــ ثـم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني**؛ المعروف بابن مريم (كان حيا سنة 1025هـ/1616م)؛ وهو فقيه مالكي، ومؤرخ؛ ألف 12 كتابا في علوم الدين، والتراجم؛ أشهرها كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، كتاب كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد، وتعليق على رسالة خليل.

ــ ثـم **محمد بن بلال المديوني**. فقيه، وصوفي؛ ملم بالإقراء.

ــ ثـم **أحمد بن رقية المديوني**؛ الضليع في العلوم العقلية، والنقلية.

ooo

ومن أمراء مديونة الذين كان لهم ذكر في التاريخ:

ـ **جرير بن مسعود** (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ المنضم إلى أبي قرة، وأبي حاتم؛ في ثورتيهما ضد ولاة القيروان.

ـ ثم **هلال بن أبزيا** (من أعلام القرن الثاني للهجرة)؛ وهو الذي خرج على عبد الرحمن الداخل بشنت برية بالأندلس؛ متحالفا بذلك مع الثائر البربري شقيا المكناسي.

ـ ثم **نابتة بن عامر**(من أعلام القرن الثاني للهجرة)؛ هو الذي خلف هلال بن ابزيا على قيادة قومه من مديونة بشنتبرية.

***

ـ ***مواطنهم:*** يحدد ابن خلدون مواطن جمهور مديونة **بأطراف تلمسان**. وبالتحديد.. ما بين **جبل بني راشد** (جبل العمور حاليا) وبين **جبل مديونة**؛ جنوب وجدة. ويقول أنهم كانوا ظواعن؛ يرتحلون عبر هذه الضواحي، والجهات. ومواطنهم مجاورة لبني يلومي، وبني

يفـــرن؛ مـــن جهـــــة الشـــرق، وإلى الغـــرب منهـــم مكناســـة؛ أمـــا جهـــة الساحـــل فكوميـــة، ووهاصـــة.

....

(4) ـ مطغــــــرة:

ينتسبـــون إلى **بـــني فاتـــن**. ويتميـــز هـــذا الـــحي بوفـــرة أعـــداده. وتعتبـــر **مطغـــرة** مـــن بيـــن القبائـــل المدريـــة؛ الـــتي اختـــارت حيـــاة الاستقـــرار؛ في الأريـــاف، وفي بعـــض الواحـــات، والقصـــور الجنوبيـــة. ولعبـــت هـــذه القبيلـــة أدوارا خطيـــرة؛ في تاريـــخ المغـــرب الإســـلامي؛ حيـــث تزعمـــت الحلـــف القبـــلي الأمازيـــغي؛ ضـــد ولاة بـــني أميـــة؛ بعـــد أن اعتنقـــت ـــ مـــع حلفائهـــا ـــ المذهـــب الخـــارجي؛ الصفْـــري. وشبـــت ثورهتـــم جميعـــا؛ بقيـــادة **ميســـرة المطغـــري**؛ مـــا بعـــد العقـــد الثـــاني مـــن القـــرن الثـــاني للهجـــرة؛ حيـــث أشعلـــت ثـــورة تلـــك القبائـــل المتحالفـــة المغـــرب الإســـلامي كلـــه بنيـــران الحـــرب، والعصيـــان؛ الأمـــر الـــذي كـــاد أن يزيـــل الوجـــود العـــربي تمامـــا مـــن هـــذه الربـــوع. وقـــد انتـــهى الحـــال بقبيلـــة مطغـــرة ـــ أخيـــرا ـــ إلى الفرقـــة، والضعـــف؛ فاندرجـــت ضمـــن **قبيلـــة كوميـــة** ـــ في العهـــد الموحـــدي ـــ بحكـــم الجـــوار، والحلـــف؛ ثـــم أضحـــت

ــ بعد ذلك ــ في عداد القبائل الخاضعة لأحكام الدولة، والدافعة للضرائب[1].

! ! !

ــ ***أعيانهم:*** أنجبت مطغرة كغيرها من القبائل عددا من العلماء والأدباء؛ منهم:

ــ **عبد الله بن عمر المطغري** (توفي بدرعة سنة 927هـ/1520م)؛ فقيه، وفرضي؛ له إلمام بالحساب. كان من الحفاظ، والناثرين، والناظمين؛ وهذه عينة من منظوماته؛ ذات الطابع التعليمي:

عَلْقَمَة وَامْرُؤُ القَيْسِ وَالنَّابِغَة
عَنْتَرَةَ طَرَفَة وَزهَيْرٌ أوفا
هَؤُلاَءِ السِّتَّة شَهدُوا عِنْدَنَا
لِفَصَاحَةِ شِعْرِهِمُ الْمُقْتَفىَ

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن فارس المطغري** (ت: حوالي 950هـ/1543م)؛ كان أديبا، وشاعرا، وأستاذا. وكما هو معروف؛

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 239 ــ 245.

ففي بلاد الغرب يلقب بالأستاذ كل المتمكنين من فنون الأدب، وعلوم اللغة، والنحو.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن موسى بن علي ابن هارون المطغري** (ت: سنة 951هـ/1544م)؛ وهو من كبار فقهاء المالكية؛ له إلمام بالتفسير، وعلوم: اللغة، والفرائض، والحسبان.

ـ ثم **عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر المطغري** (كان حيا سنة 960هـ/1552م). كان ينظم الشعر؛ من نظمه:

صَحَوْتُ وَعُدْتُ قَبْلَ يَفضَحَنِي السُّكْرُ
وَنِلْتُ الهَوَى جَهْلاً فَأَدَّبَنِي الدَّهْرُ

وَبَيْتِي لَزِمْتُ وَانْفِرَادي أَلِفْتُهُ
وَسَيَّانِ عِنْدي وَصْلُ مَيَّة والهجْرُ

فَدِينِي التعَامِي والتَّجَاهُلُ سيرَتِي
وَلَسْتُ أبَالِي جَاءَ زَيدٌ وَلاَ عَمْرُ

وقال في المواضع التي تكون فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مكروهة:

عَجِبْتُ لِمَنْ صَلىَّ بعَثْرَةِ بَائِعٍ
وَحَاجَةِ عَطَّاسٍ وَذَبْحِ مُجَامِعِ

لِذَا سَبْعُهَا دَعِ الصَّلاَة عَلىَ النبِيِّ
وَصَلِّ عَلَيْهِ فِي سِوَاهَا وَتَابِعِ

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المطغري**؛ المعروف بابن رحمة (ت: سنة 1001هـ/1592م). كان فقيها، ومن الصوفية.

OOO

ومن أعيان مطغرة، وقادتهم الذين اشتهروا بالسياسة، وشئون الحكم فيهم:

ـ أميرهم **ميسرة المطغري** (قتله أصحابه سنة 122هـ/739م)؛ ويقال أنه كان يعمل في السقاية؛ لذا عرف أيضا بالسقاء. تولى قيادة الصفرية في ثورتهم على ولاة بني أمية بالمغرب؛ وتطلع بعد انتصاراته الأولى إلى رتبة الخلافة؛ فأعلن نفسه خليفة، وبايعه أنصاره بتلك الرتبة؛ ولكنهم خلعوه، وقتلوه بتهمة سوء السيرة.

ـ ثم **يحيى بن حارث المطغري** (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ وهو الذي خلف ميسرة في رئاسة قبيلة مطغرة بعد مقتله؛ وتحالف بعد انفضاض الصفرية؛ مع أمير مغراوة محمد بن خزر.

ـ ثم **بهلول بن عبد الواحد المطغري** (كان حيا سنة 197هـ/812م)؛ وهو زعيم مطغرة في عهد الأدارسة؛ كان في البداية من المقربين إلى إدريس الثاني؛ بل تولى رعاية شئونه، وشئون دولته؛ بعد موت راشد الوصي على إدريس؛ ومع هذا تغير موقفه حين أغراه ابن الأغلب؛ وتمت بينهما مراسلات عديدة انتهت إلى انحراف بهلون عن إدريس؛ ومما وصلته من وعود ما جاء في هذا البيت الشعري لابن الأغلب شعرا:

وَبَائِعْ لِهَارُون الإمَامِ بطَاعَةٍ
تَجِدْهُ عَلَىَ الإسْلاَمِ خَيْرَ مُكَافِي

وكان جواب بهلول شعرا كذلك:

فَعَجّلْ عَليَّ رَدّ رَأيي فَإنّني
أرُدُّ الهَوَى لِلْحَقِّ حِينَ يُوَافِي

وبالفعل تم الاتفاق بينهما. وقد أشار صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس إلى هذا الموضوع بقوله[1]: **((وكان بهلول بن عبد الواحد معظما في قومه؛ وكان من خاصة**

---

[1] ص ص: 11 ـــ 12.

إدريس؛ فكاتبه ابن الأغلب؛ عامل الرشيد على إفريقية، واستهواه بالمال؛ فمال إليه، وبايع الرشيد؛ فكتب إليه إدريس بن إدريس:

أَبَهْلُول قَدْ شَمَّمَتْ نَفْسُكَ خُطَّةً
تَبَدَّلْتَ مِنْهَا صَوْلَةً بِرَشَادِ
أضَلَّكَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بُعْدِ دَارِهِ
فَأَصْبَحْتَ مُنْقَاداً بِغَيْرِ قِيَادِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَع بِمَكْرِ ابنِ الأغْلَب
وَقَدْ تَرَامَى بالْكَيْدِ كُلَّ بِلاَدِ
وَمِنْ دُونِ مَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ خَالِياً
وَمَنَّكَ إِبْرَاهِيمُ شَوْكَ قَتَادِ)).

ـ **ثم هارون بن موسى بن خليفة المطغري** (توفي في الأندلس بعد سنة 672هـ/1272م)؛ كان رئيسا على قبيل مطغرة في وقت قيام دولة بني عبد الواد؛ إذ تولى **يغمراسن بن زيان** بمطاردته؛ بعد أن حاول الاستقلال بندرومة؛ فلجأ إلى بني مرين، ثم هاجر إلى الأندلس؛ بغرض الجهاد؛ فاستشهد بتلك الديار. فخلفه على رئاسة مطغرة أخوه **تاشفين.**

ـ ثم **تاشفين بن موسى بن خليفة المطغري** (ت: سنة 703هـ/1303م)؛ هو الذي توارث أبناؤه زعامة القبيلة؛ فيما بعد.

***

ـ ***مواطنهم:*** لقد تعددت مواطن هذه القبيلة، وتنوعت؛ إذ منها ما هو **بالتلول، والجبال**، ومنها ما هو في الواحات، **والقصور الصحراوية**. ففي البداية.. استوطن جمهورهم المغربين: الأوسط، والأقصى؛ ثم انتقل جمع منهم إلى الأندلس؛ أثناء الفتح؛ فاستقروا هناك. وبقي الآخرون في تلول المغرب، وصحرائه. ومواطنهم التلية محاذية للبحر؛ **بجوار كومية**؛ حيث شيدوا حصنهم المعروف **بتاونت**. كما أن محاولتهم إقامة إمارة في ندرومة؛ تدل على وقوعها ضمن مواطنهم؛ خاصة في العهد الذي تحالفوا فيه مع جيرانهم من كومية.

ويرى ابن خلدون أن بعض الأحياء من مطغرة تسكن بجبل يسمى باسمهم؛ **جنوب مدينة فاس**. كما يوجد **بأطراف سجلماسة** جمع كبير منهم. ثم يقول في سياق حديثه:

((وربما حدثت بها عصبية من جراهم)).

ويذكر ــ أيضا ــ أن أعدادا كبيرة منهم تنتشر في الصحراء؛ يحترفون فلاحة النخيل؛ على الطريقة العربية. كما يتواجدون في شريط عريض من القصور المتتالية؛ في الصحراء؛ من سجلماسة إلى توات، إلى قليعة، فيقول: **((ومنهم في قبلة تلمسان؛ وعلى ست مراحل منها؛ وهي قصور متقاربة بعضها من بعض؛ ائتلف منها مصر كبير، مستبحر بالعمران البدوي؛ معدود في آحاد الأمصار بالصحراء؛ ضاح من ظل الملك، والدول؛ لبعده في القفر. ورئاسته في بني سيد الملوك منهم. وفي شرقيها، وعلى مراحل منها؛ قرى أخرى متتابعة على سمتها؛ متصاعدة قليلا إلى الجوف؛ آخرها على مرحلة من قبلة جبل راشد...وفي جهة الشرق عن هذه القصور؛ وعلى خمس مراحل منها؛ دامعة، متوغلة في القفر تعرف بقليعة. والآن يعتمرها رهط من مطغرة هؤلاء...))**[1].

....

[1] العبر، مج: 6، ص: 245.

(5) ــ مطماطــة:

وهــم مــن **بــني فاتــن** كذلــك. ومطمــاط لقــب لأبيهــم؛ أمــا اسمــه فهــو **مصكــاب.** ولهــذا الــحي بطــون كثيــرة جــدا؛ منتشــرة في ربــوع المغــرب، وإفريقيــة. هــذا.. وقــد كــان لمطماطــة دور هــام بالمغــرب؛ في عهــد الدولــة الزيريــة؛ حيــث استفحــل أمرهــم في أواخــر الدولــة. وظهــر أثرهــم جليــا؛ خــلال فتنــة حمــاد بــن بلكيــن، مــع باديــس ابــن المنصــور. ورئيــس مطماطــة ــ آنئــذ ــ هــو **عُزانــَة**؛ الــذي قــاد قومــه في الحــروب، والفتــن الــتي دارت بينهــم وبيــن جيرانهــم؛ مــن **لواتــة**، وغيرهــم. وبعــد موتــه خلفــه ابنــه **زيــري**؛ الــذي أجــاز ــ فيمــا بعــد ــ إلى الأندلــس؛ عندمــا تغلبــت لمتونــة عــلى بــلاد المغــرب؛ فاستضافــه ابــن أبي عامــر، ثــم اصطنعــه مــع مــن انضــم إليــه مــن أمــراء الأمازيــغ[1].

! ! !

---

[1] العبــر، مج: 6، ص ص: 250 ـــ 254.

ـ ***أعيانهم:*** من أشهر أعيان مطماطة، وعلمائها:

ـ **عبد الله بن إدريس المطماطي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ ولي كتابة خراج الدولة الفاطمية؛ في عهد عبيد الله المهدي.

ـ ثم النسابة الشهير **كهلان بن أبي لوا بن يصلاصن** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء مطماطة، ومن النسابين المشهورين؛ أجاز إلى الأندلس؛ ونزل على الناصر لدين الله الأموي.

ـ ثم النسابة الذائع الصيت **سابق بن سليمان ابن حراث بن صولات بن دوفاس**؛ الذي وصفه ابن خلدون بـ((**كبير نسابة البربر؛ ممن علمناه**)).

ـ ثم **أبو عمران المطماطي**. فقيه؛ من أهل الصلاح.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي** (توفي بتلمسان حوالي سنة 680هـ/1281م)؛ فقيه؛ قال عنه ابن مريم: ((**انتهت إليه رئاسة التدريس، والفتوى**

في أقطار المغرب كلها...وله شرح على التلقين؛ لعبد الوهاب في عشر أسفار))[2].

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد المطماطي** المعروف بالبزاز؛ له رواية عن مالك؛ غير أن المحققين أنكروها.

ـ ثم **أبو علي بن أحمد بن إبراهيم السلاوي المطماطي** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه، وأستاذ.

ـ ثم **علي بن موسى بن إسماعيل السلاوي المطماطي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة). فقيه.

OOO

ومن الرؤساء، والشيوخ الذين ذكروا في أحداث المغرب:

ـ **إرهاص بن عصفراصن**؛ وهو الذي أخرج منداس من موطنهم، وأسكن مطماطة فيه.

ـ ثم **عزانة المطماطي** السابق الذكر (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة).

---

[2] البستان، ص ص: 66 ـ 67.

ـ ثم ولده **زيري بن عزانة المطماطي** أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو الذي خلف والده في زعامة مطماطة

***

ـ ***مواطنهم:*** تنتشر مواطن **مطماطة** في ربوع المغرب الإسلامي كله. فبعض الأحياء منهم ـ كما يقول ابن خلدون ـ كانوا مستقرين بـ: **((هذه شعوب مطماطة ـ كما ذكر نسابة البربر؛ سابق وأصحابه ـ وهم مفرقون في المواطن؛ فمنهم من نواحي فاس؛ من قبلتها؛ في جبل هنالك معروف بهم؛ ما بين فاس وصفروي. ومنهم بجهات قابس؛ والبلد المختط على العين الحامية؛ من جهة غربها؛ منسوب إليهم. ولهذا العهد يقال حمة مطماطة... وبقياهم أوزاع من القبائل. وكانت مواطن جمهورهم بتلول منداس؛ عند جبل وانشريس، وجبل كزول؛ من نواحي تاهرت.وكان لهم بتلك المواطن أخريات دولة صنهاجة استفحال، وصولة...وبقية هؤلاء القوم لهذا**

العهد بجبل وادَشنيش.[ربما وانشريس]))[1]. ثم ذكر أن قبيلة مطماطة نزحت عن **منداس**؛ بعد إخراجها منها بواسطة بني توجين؛ حيث لجأت إلى **جبل وانشريس**؛ أين أصبحت في عداد القبائل الغارمة.

....

(6) ـ *مغيلة*:

هم ـ بدورهم ـ من **بني فاتن.** وقد لعبت هذه القبيلة أدوارا خطيرة في القرون الأولى من الفتح؛ حيث كانت في مقدمة القبائل الثائرة على ولاة القيروان. وثمة قول يجعل أبا قرة؛ زعيم الثوار من مغيلة؛ وإن كانت أقوال أخرى أصدق؛ تنكر ذلك. وبعد انحسار الفتنة الصفرية؛ وقامت مغيلة ـ أيضا ـ بنشر دعوة **إدريس الأكبر** إلى جانب أوربة، وصدينة، والقبائل المنضوية تحت سلطانه؛ حيث أخضعوا جزءا من المغرب الأقصى لدولته. وتندرج ضمن قبيلة مغيلة أخواتها؛ التي التحقت بها مثل: **درنة، وكشاتة، وملزوزة.** وربما اندمجت بهم ـ

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 251 ـ 254.

أيضا ـ قبيلة **صدينة**؛ حليفتهم في عهد الأدارسة. وبذلك أضحت هذه القبائل في عداد مغيلة، ومنسوبة إليها[1].

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** أنجبت مغيلة نخبة متميزة من العلماء؛ منهم:

ـ **عمر بن حمدون الأموي المغيلي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو من سكان رية بالأندلس؛ وكان عالما، حافظا للمسائل؛ عاش في عهد عبد الرحمن بن معاوية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد المغيلي القرطبي** (ت: سنة 334هـ/945م)؛ وهو أحد علماء الحساب، والزراعة.

ـ ثم **أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد المغيلي القرطبي** (توفي سنة 362هـ/972م)؛ وهو أديب، وكاتب بليغ؛ متمكن من علوم العربية، وفن الشعر، ومحدث بارع؛ كانت له ردود شعرية مع أبي الحسن جعفر بن عثمان

---

[1] المصدر السابق، ج: 6، ص ص: 254 ـ 256.

المصحفي. ومن شعره الوعظي مقطوعة وجهها إلى أحد معارفه (هو أبو بكر اللؤلئي)؛ إثر علة ألمت به:

تَبَيَّنْ فَقَدْ وَضَحَ المَعْلَمُ
وَبَانَ لَكَ الأمْرُ لَوْ تَفْهَمُ
هُوَ الدَّهْرُ لَسْتَ لَهُ آمِناً
ولاَ أنْتَ مِنْ صَرْفِهِ تَسْلَمُ
وَإنْ أخْطَأتْكَ لَهُ أسْهُمٌ
أصَابَتْك بَعْدُ لَهُ أسهُمُ
لَيَالِيهِ تُدْنِي إلَيْكَ الرَّدَى
دَوَائِب فِي ذَاكَ مَا تَسْأمُ
أتَفْرَحُ بِالبُرْءِ بَعْدَ الضَّنَا
وَفِي البُرْءِ دَاؤُكَ لَوْ تَعْلَمُ
فَأيْنَ المُلُوكُ وَأتْبَاعُهُمْ
وَدُنْيَاهُمُ أدْبَرَتْ عَنْهُمُ
فَهَذِي القُبُورُ بِهِمْ عُمِّرَتْ
وَتِلْكَ القُصُورُ خَلَتْ مِنْهُمُ
لَقَدْ صَرَّحَ الحَقُّ عَنْ غَيْبِهِ
وَبَانَ لَكَ الحَزْمُ لَوْ تَعْزِمُ
فَحَتَّ مَتَى أنْتَ طَوْعَ الرَّدَى
وَتَعْصَى الإلَهَ وَلاَ تَنْدَمُ
إلَى اللَّهِ نَشْكُو قُلوُباً قَسَتْ
وَنَشْكُو مَدَامِعَ مَا تَسْجُمُ

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن حارث القسَّام المغيلي القرطبي** (ت: سنة 377هـ/987م)؛ فقيه؛ عمل لدى القضاة كعدل؛ وكان ظريفا، خفيف الظل، كثير الدعابة، مقرب من السلطان.

ـ ثم **أبو بكر خلف بن يوسف بن نصر المغيلي** (توفي بطلبيرة سنة 396هـ/1005م)؛ فقيه؛ مستوعب لعلوم الفقه، والحديث.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن خلف الشاطبي المغيلي**؛ قال عنه الأوسي المراكشي: **((رَوَى عن أبي عبد الله بن بركة، وحكى عنه أبو عمر بن عياد؛ وهو في عداد أصحابه؛ وكان ثقة خيرا))**[1].

ـ ثم **أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيلي** (من أعلام النصف الأول من القرن السابع للهجرة). فقيه.

ـ ثم **أبو الفضل محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي** (توفي بتلمسان سنة 720هـ/1320م)؛ وهو من الأدباء، والكتاب، وأعلام الفقه؛ تصدر للتدريس في تلمسان؛ وقد يكون هو الذي أشار إليه ابن الخطيب في الإحاطة؛ حين

---

[1] الذيل والتكملة، سفر: 5، قسم: 1، ص: 304.

ترجم الى عبد الله بن علي بن سَلْمون الكناني؛ ولكنه كناه أبا غالب.

— ثم **عيسى بن مخلوف بن عيسى المغيلي** (توفي بمصر سنة 746هـ/1345م)؛ وولي قضاء المالكية بالديار المصرية؛ فكان حميد السيرة.

— ثم الشيخ الفقيه **أحمد بن علي بن أحمد المغيلي السلاوي** (ت: بعد 810هـ/1407م).

— ثم **عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن صالح المغيلي** (كان حيا سنة 816هـ/1416م)؛ وهو من علماء الفقه المالكي؛ أعد شرحا على التلمسانية.

— ثم **أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي** (ت: سنة 833هـ/1429م). فقيه؛ وولي القضاء.

— ثم **محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي**؛ الشهير بالجلاب التلمساني (ت: سنة 875هـ/1470م)؛ فقيه؛ قال عنه الشيخ السنوسي: ((**إنه حافظ لمسائل الفقه**)) وكان من المختصين بالإفتاء.

— ثم **أبو زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي** (ت: سنة 883هـ/1478م)؛ فقيه. ولي قضاء مازونة.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغيلي** (ت: بعد 884هـ/1479م)؛ فقيه؛ ولي القضاء بأزمور؛ وكان يقرض الشعر؛ ومن شعره هذه الأبيات التي يصف فيها فاس؛ إذ كان متشوقا إليها؛ بعد أن انتقل إلى أزمور:

يَا فَاسُ حَبَا اللَّهُ أَرْضَكِ مِنْ ثَرَى
وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الغَمَامِ المُسْبِلِ

يَا جَنَّةَ الخُلْدِ الَّتِي أَرْبَتْ عَلَى
عَدْنٍ بِمَنْظَرِهَا البَهِيِّ الأَجْمَلِ

غُرَفٌ عَلَى غُرَفٍ وَيَجْرِي تَحْتَهَا
مَاءٌ أَلَذ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

وَبَسَاتِينُ مِنْ سُنْدُسٍ قَدْ زُخْرِفَتْ
بِجَدَاولٍ كَالأَيْمِ أَوْ كَالفَيْصَلِ

وَبِجَامِعِ القَرَوِيِّينَ شَرَّفَ ذِكْرُهُ
أُنْسٌ تَذَكُّرُهُ يُهِيجُ تَمَلْمُلِ

وَبِصِحْنِهِ زَمَنَ المَصِيفِ مَحَابِسٌ
فَمَعَ العَشِيِّ القُرْبَ فِيهِ اسْتَقْبِلِ

وَاجْلِسْ إِزَاءَ الخُصَّةِ الحَسْنَا بِهِ
وَارْكَعْ بِهَا عَنِّيَ فَدَيْتُكَ وَانْهَلِ

ـ ثم **أبو غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي**. فقيه.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أبي غالب بن حسان المغيلي** (ت: سنة 898هـ/1492م)؛ خطيب، ونائب في الأحكام الشرعية.

ـ ثم **أبو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني** (ت: سنة 909هـ/1503م)؛ وهو من كبار فقهاء المالكية، ومن المتكلمين، وأصحاب التفسير. له مؤلفات كثيرة في الفقه، والتوحيد، والتفسير، والحديث، والمنطق، والعربية، والآداب السلطانية، والشعر؛ تصل إلى 18 تأليفا تقريبا؛ أهمها: البدر المنير في علوم التفسير، وشرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب، ومختصر تلخيص المفتاح، وشرحه في البلاغة، وشرح الجمل للخونجي، ومقدمة في المنطق، ومنظومة فيها ـ أيضا ـ بعنوان منهج الوهاب؛ خصها بثلاثة شروح، وتنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين؛ وهو نقد للمتصوفين؛ حسبما يبدو، ومقدمة في العربية، وكتاب الفتح المبين، وشرح خطبة المختصر، ورسالة مصباح الأرواح في أصول الفلاح؛ التي بعث بها إلى علماء أقطار المغرب؛ لحثهم على

مناهضة اليهود، والتصدي لهيمنتهم. وحدث بينه وبين جلال الدين السيوطي خلاف؛ حول شرعية تعاطي علم المنطق؛ فأرسل إليه هذه المنظومة؛ مدافعا فيها عن هذا العلم، ومعارضا لموقف السيوطي؛ الذي ينهى عنه. ومن هنا يتبين تفوق المنهج العلمي عند المغيلي؛ الذي يستند إلى المنطق؛ الفاصل بين ما هو حق وما هو باطل؛ بالاستناد إلى أسس عقلية. وهذه أبيات من منظومة المغيلي:

سَمِعْتُ بأمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ
وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أصْلِه

أيَمْكِنُ أنَّ المَرْءَ في العِلْمِ حُجَّة
وَيَنْهَى عَنِ الفُرْقَانِ في بَعْضِ قَوْلِه

هَلِ المَنْطِقُ المَعْنِيُّ إلاَّ عِبَارَة
عَنِ الحَقِّ أوْ حَقِيقَة حِينَ جَهْلِه؟

مَعانيه في كلِّ الكَلامِ فَهَلْ تَرَى
دَلِيلاً صَحِيحاً لا يردُّ لشكلِه؟

أريني هَداك اللَّهُ مِنْهُ قَضيَّة
عَلى غَيْرِ هذا تنْفِها عَنْ مَحلِّه

ودَعْ عَنْكَ ما أبْدَى كَفُورٌ وذمِّه
رجال وإن أثْبَت صِحَة نقْلِه

خُذ الحقَّ حتَّ منْ كفور ولا تقِمْ

دَليـــلاً على شَخْص بمذْهَــب مِثلـــه

عَرَفْناهُمُ بالحَقِ لا العَكْسَ فاسْتبنْ

بـــهِ لا بهـــم إذْ هُـــمْ هُـــداة لأجلِـــه

لئِنْ صحَّ عَنْهُمْ ما ذَكَرْت فَكَمْ هُمُ

وكْم عالِـــمٍ بالشَّـــرْع باحَ بِفَضْلِـــه؟

فأجابـــه السيـــوطي بمنظومـــة أيضـــا:

حَمدتُ إلَهَ العَرْشِ شُكْـــراً لِفَضْلِـــهِ

وأهْـــدي صـــلاةً للنَّـــبيِّ وأهْلِـــه

عجبْـــتُ لِنَظْـــم ما سَمعْتُ بمِثلِـــهِ

أَتَـــانيَ عـــن حَبْـــرٍ أقِـــرُّ بِنُبْلـــه

تَعَجَّـــبَ مِنِّي حينَ ألفـــتُ مُبْدعـــاً

كتابـــا جموعـــا فيه جـــمٌ بنقلـــه

أقـــررُ فيه النـــَّهْيُ عن علْمِ مَنْطِـــقٍ

وما قالَـــهُ من قال من ذمِّ شكْلِـــه

وسمَّـــاهُ بالفرقان ياليْـــتَ لم يَكُـــنْ

فـــذا وصْفُ قُـــرْآنٍ كَريمٍ لِفَضْلِـــه

وقـــدْ قـــال مُحْتجا بغيـــر روايَـــةٍ

مَقـــالاً عجيباً نائيـــاً عَـــنْ مَحَلـــِّه

ودَعْ عنك ما أبْدَى كفور وبَعْـــدَ ذا

خُـــذِ الحَقَّ حَتَّ مِنْ كفور بِخَتلِـــه

وقدْ جاءَتِ الآثارُ في ذَمِّ مَنْ حَــوَى
عُلــومَ يَهُــودٍ أوْ نَصارَى لأجْلِــه
يَحــوزُ بِــهِ عِلمــاً لدَيْــهِ وإنَّــهُ
يُعَــذبُ تَعْذيبــاً يَليــقُ بِفِعْلِــه
وقَدْ مَنَــعَ الُمخْتار فاروق صَحْبــه
وقَدْ خَطَّ لَوْحاً بَعْدَ تَــوْراةِ أهْلــه
وكَمْ جَاءَ مِنْ نَهْيٍ اتِّبَــاعٍ لِكافِــرٍ
وإنْ كانَ ذاكَ الأمْرُ حَقــاً بأصْلــه
أقَمْت دَليلاً بالَحديــثِ ولَــمْ أقِــمْ
دَليلاً عَلى شَخصٍ بِمَذْهَــبِ مِثلِــه
سَــلامٌ عَلى هذا الإمام فَكَــمْ لَــهُ
لَــدَيَّ ثنــاءٌ واعْتــِرافٌ بِفَضْلِــه

هــذا وكانــت لمحمــد بــن عبــد الكريــم المغيــلي مواقــف مثيــرة للجــدل؛ تجــاه يهــود تــوات؛ هاجــر بعدهــا إلى بــلاد الســودان **(تكــدة، وكشــن، وكانــو، والتكــرور، وكاغــو)**؛ وكــان لــه تأثيــر عجيــب عــلى سلاطيــن تلــك البــلاد؛ حيــث ألــف لبعضهــم بعــض الكتــب في الديــن، وفي الأحكــام السلطانيــة. ومــن مأثــور نظمــه:

كُلُّ العَـــدَاوَةِ قَدْ تُـــرْجَى مَوَدَّتِهَـــا
إلاَّ عَـــدَاوَة مَنْ عَـــادَاكَ فِي الدِّيـــنِ

OOO

ومـــن زعمـــاء **مغيلـــة** ورؤسائهـــا المتمرسيـــن في شئـــون السياســـة، والحكـــم:

ـــ **إليـــاس الغيـــلي** (مـــن أعـــلام النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن الأول للهجـــرة)؛ وهـــو أحـــد أعـــلام الأمازيـــغ الداخليـــن إلى الأندلـــس؛ مـــع الفاتـــح طـــارق بـــن زيـــاد.

ـــ وقـــد ســـرد ابـــن خلـــدون اسمـــاء بعـــض رؤسائهـــم بقولـــه:((**مـــن رؤسائهـــم مـــوسى بـــن خُلَيْـــد، ومليـــح بـــن عُلـــوان، وحســـان بـــن زروال الداخـــل مـــع عبـــد الرحمـــن. وكـــان منهـــم أيضـــا دلـــول ابـــن حمـــاد؛ أميـــرا عليهـــم في سلطـــان يعـــلى بـــن محمـــد اليفـــرني؛ وهـــو الـــذي اختـــط بلـــد إيكـــري عـــلى اثـــني عشـــر ميـــلا مـــن البحـــر؛ وهي لهـــذا العهـــد خـــراب**))[1].

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 255

ـ ثم **أحمد بن محمد بن إلياس المغيلي** (من أعلام النصف الأول

من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو الوزير القائد؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

وبما أن **صدينة، وملزوزة** ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ اندمجتا في **مغيلة**؛ فكل أعيان هاتين القبيلتين يتبعان مغيلة أيضا. وعليه يصبح منهم:

ـ **أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي** (ت: سنة 155هـ/771م)؛ هو ذلك الثائر الإباضي المتحالف مع أبي قرة اليفرني؛ ضد ولاة بني العباس بالقيروان؛ فزحف إليها، وافتكها لبعض الوقت؛ ولكنه خسر معركته أمام يزيد بن حاتم؛ الذي قتله.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن يحيى الصديني الفاسي** (توفي بفاس سنة 388هـ/998م). فقيه.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن حسن الصديني الفاسي** (ت: بعد سنة 600هـ/1203م)؛ كان من أصحاب الدراية، والبراعة في علوم النحو العربية والفقه؛ فأهلته معارفه وسيرته الحميدة لتولي قضاء غرناطة والتدريس بها.

ـ ثم **أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزي** المعروف بعزوز (قتل خنقا بسجن فاس سنة 697هـ/1297م)؛ شاعر الأمراء المرينيين. قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: ((**كان شاعرا مكثرا سيال القريحة؛ منحط الطبقة، متجندا، عظيم الكفاية والجرأة، جسورا على الأمرا، عَلِق بخدمة الملوك من آل عبد الحق وأبنايهم، ووقف أشعاره عليهم، وأكثر النظم في وقايعهم وحروبهم، وخلط المُعَرَّب باللسان الزناتي في مخاطبتهم، فعرف بهم، ونال عريضا من دنياهم، وجما من تقريبهم**))[1]. ولي في دولة بني مرين خطة الحسبة؛ من شعره قصيدة طويلة قالها في بيعة أبي يعقوب يوسف المريني بمدينة سلا؛ نسجل بعضها هنا:

يَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ قدْ بَرِحَ الخَفَا
إنِّي صَبَرْتُ عَلىَ فِرَاقِكِ مَا كَفىَ

كمْ قدْ عَصَيْتُ عَلى هَوَاكِ عَوَاذِلي
وَأَنَابُ بالتَّبْعِيدِ مِنْكِ وَبِالجَفَا

حَمَّلْتِنِي مَا لا أطِيقُ مِنَ الهَوَى
وَسَقَيْتِنِي مِنْ غُنْجِ لَحْظِكِ فرقفا

---

[1] الإحاطة: ج: 1، ص: 21.

وَكَسَوْتِنِي ثَوْبَ النُّحُول فَمَنْظَــرِي
لِلنَّاظِرِيــنَ عَــنِ البَيَــانِ قَدِ اخْتَــفىَ
هَــذَا قَتِيلــكِ فَارْحَمِيــهِ فَإِنَّــهُ
قَدْ صَارَ مِنْ فُرُطِ النــُّحُولِ عَلىَ شَفــَا
لَهْــفِي عَلى زَمَــنٍ تَقَضَّى بالحِمَــا
وَعَــلَىَ مَحَــلٍّ بالأُجَيْــرِعِ قَدْ عَفَــا
أتُــرَى يَعُودُ الشَّمْلُ كَيْفَ عَهِدْتُــهُ
وَيَصِيــرُ بَعْــدَ فِرَاقِــهِ مُتألِّقَــا
لِلَّــهِ دَرَّكِ يَا سَــلاَ مِــنْ بَلْــدَةٍ
مَنْ لَمْ يُعَايِــنْ مِثلَ حُسْــنِكِ مَا اشْتَفَــا
قَدْ حُزْتِ بَــرًّا ثُمَّ بَحْــراً طَامِيًــا
وَبِــذَاكَ زِدْتِ مَلاَحَــــةً وَتَزَخْرُفَــا
فَإذَا رَأيْــتَ بِهَا القَطَائِــعَ خِلْتَهَــا
طَيْــراً يَحُــومُ عَلىَ الوُرُودِ مُرَفْرِفَــا
وَالجَاذِفِيــنَ عَلىَ الرَّكِيــمِ كَأنَّهُــمْ
قَوْمٌ قَــدِ اتَّخَــذُوا إمَامــاً مُسْرِفَــا
جَعَلَ الصَّــلاَةَ لَهُمْ رُكُوعاً كُلَّهَــا
وَأتىَ لِيَشْــرَعَ فِي السُّجُــودِ مُخَفِّفَــا
وَالمَــوْجُ يَــأتِي كَالجِبَــالِ عُبَابُــه
فَتَظُنُّــهُ فَــوْقَ المَنَــــازِلِ مُشْرِفَــــا
حَتَّ إذَا مَا المَــوْجُ أبْصَــرَ حَــدَّه
غَضَّ العِنَــانَ عَنِ السُّــرَى وَتَوَقَّفَــا

فَكَأَنَّهُ جَيْشٌ تَعَاظَمَ كَثْرَةً
قَدْ جَاءَ مُزْدَحِماً يُبَايِعُ يُوسُفَا
مَلِكٌ بِهِ تَرْضَى الخِلاَفَةُ وَالعُلاَ
وَبِهِ تُجَدِّدُ فِي الرِّيَاسَةِ مَا عَفَا

وله أيضا أرجوزة طويلة جدا؛ نظمها في عام 684هـ/1285م؛ وموضوعها هو الأحداث التاريخية التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي؛ مع التركيز على دولة بني مرين؛ سماها بنظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك؛ فقيمها ابن الخطيب بقوله: **((لم يقصر فيها عن إجادة))**.

ومن هذه الأرجوزة ما قاله عن المرابطين:

مُرَابِطُونَ أَصْلُهُمْ مِنْ حِمْيَر
قَدْ بَعُدَتْ أَنْسَابُهُم عَنْ مُضَر
وَإِنَّ صَنْهَاجَ سَلِيلُ حِمْيَر
وَهوَ ابْنُهُ لِصُلْبِه لاَ العُنْصُر
أَكْرِمْ بِهِ مِنْ نَسَب صَرِيح
فَقُلْهُ لاَ تُخْفِهِ بِالتَّصْرِيح
وَعَدْلُهُمْ وَفَضْلُهُمْ مَشْهُور
وَمَجْدُهُمْ وَسَعْدُهُمْ مَذْكُور

ومـــا قالـــه عـــن زناتـــة، وبـــني مريـــن:

فَجَـــاوَرَتْ زِنَاتَـــة البَرْبَـــرَا
فَصَيَّـــرُوا كَلاَمَهُمْ كَمَـــا تَـــرَى
مَا بَدَّلَ الدَّهْـــرُ سِوَى أقْوَالَهُـــمْ
وَلَمْ يُبَـــدِّلْ مُنْتَـــهَى أحْوَالهـــمْ
بل فعلهم أربى على فعل العرب
فِي الحال وَالإيثارِ ثـــمَّ فِي الأدَبْ
فَانْظُرْ كَـــلاَمَ العُرْب قد تَبَـــدَّلاَ
وَحَالُهُـــمْ عَـــنْ حَالِـــهِ تحَـــوَّلاَ
لاَ يَعْرِفُونَ اليَـــوْمَ مَـــا الكَـــلاَمُ
وَمَـــا لَهُـــم نُطْـــقٌ وَلاَ إفْهَـــامُ
وَإنْ تَمَـــادَتْ بِهِـــمُ الأحْـــوَالُ
لَمْ تَبْقَ فِي الدَّهْـــرِ لَهُمْ أقـــوَالُ
كَذَاكَ كَانَـــتْ قَبْلَهُـــمْ مَرِيـــنُ
كَلاَمُهُـــمْ كَالـــدُّرِ إذْ يَبِيـــنُ
فَاتَّخَـــذُوا سِوَاهُـــمُ خَلِيـــلاَ
فَبَدَّلُـــوا كَلاَمَهُـــمْ تَبْديـــــلاَ

إلى أن قـــال:

فِي عَـــامِ عَشَـــرَةٍ وَسِتُمِيَّـــــة
أتَـــوْا إلىَ الغَـــرْبِ مِـــنَ البَرِيَّـــة
جَاءُوا مِنَ الصَّحْرَاءِ والسَّبَاسِـــبْ
عَلىَ ظُهُورِ الخَيْـــلِ وَالنَّجَائِـــبْ

كَمِثْـــلِ مَا قَدْ دَخَـــلَ الْمُلَثِّمُـــونْ
مِنْ قَبْلِ ذَا وَهُـــمْ لَـــهُ مَيْمُـــونْ

ثـــم تطـــرق إلى تـــولي محمـــد بـــن عبـــد الحـــق إمـــارة بـــني مريـــن:

ثُـــمَّ وُلِيَ مِـــنْ بَعْـــدِهِ مُحَمَّـــدُ
وَكَـــانَ فِي أمُـــورِهِ يَسْتَنِـــــد
فَكَـــان لاَ يفْتِـــرُ عَـــنْ قتَـــالِ
مُوَاظِبـــاً لِلْحَـــرْبِ وَالنِّـــــزَالِ
كَمْ عَسْكَـــرٍ لاَقَى وَكَمْ جُنُـــودِ
وَمِنْ جُمُـــوعٍ جَمَّـــةِ الحُشُـــودِ
وَكَمْ مِنْ جَيشٍ جَاءَ مِنْ مَرَاكِش
أفْنَـــاهُ بالحُـــرُوبِ وَالتَّنَـــــاوُش
نَهَـــارُهُ وَلَيْلُـــــهُ طِعَـــانْ
لَكِنَّـــــه مُؤَيَّـــــدٌ مُعَـــانْ

وهكـــذا يتبيـــن مسعـــاه للتنويـــه بنســـب زناتـــة، وبـــني مريـــن العـــربي؛ مـــع أنـــه ملـــزوزي النســـب، وحكـــام بـــني مريـــن ينتسبـــون ـــ أيضـــا ـــ لقبيلتهـــم الأمازيغيـــة.

***

ـ ***مواطنهم:*** يمكن حصر مواطن **مغيلة** في منطقتين: الأولى بالمغرب الأوسط؛ حول مصب **نهر شلف**؛ بضواحي **مازونة**. ومن هذه المنطقة أجاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس. أما المنطقة الثانية فهي بالمغرب الأقصى؛ وتمتد من **مدينة فاس إلى صفروي، فمكناس، وتازة.** وقد إختلطت بهم ـ طبعا ـ أحياء صدينة، وملزوزة.

....

ب ـ بنو يحيى:

هذا ما أمكن ذكره عن أبناء فاتن بن تمصيت بن ضري. أما **أبناء يحيى بن ضري** فيتفرعون إلى ثلاثة فروع هم: **بنو زانا** (أو شانا أو جانا). وهم: زناتة، وبنو سمكان، وبنو ورصطف. وجميعهم أولاد يحيي بن ضري. أما **أبناء زانا** فسيأتي ذكرهم في مكان لاحق؛ بعد الكلام عن بعض قبائل **ورصطف**، وأخيه **سمكان**. وثمة قبائل أخرى نتركها؛ لعدم أهميتها.

....

(1) ــ ورصطف:

هو **ورصطف بن يحيى بن ضري.** ويتفرع أبناؤه إلى ثلاثة أحياء هي: **أوكتة، ومكناسة، وورتناج.** وسيقتصر الحديث هنا على مكناسة؛ بسبب دورها الهام؛ في تاريخ المغرب الإسلامي. أما أوكتة، وورتناج؛ فقد اندمجتا في مكناسة، وأضحتا جزءا منها. وعليه.. فالكلام عنهما لا يفيد شيئا.

....

ــ مكناسة:

وهم **أبناء مكناس بن ورصطف بن يحيى.** ونظرا لكبر مكناسة، وتشعب أحيائها؛ يمكن وضعها في **مرتبة شعب،** أو **جمهرة.** وبطونها كثيرة جدا؛ وعليه.. نكتفي منهم بذكر أسماء: **بني حوّات، وقنصارة، وبني ورفلاس، وورنيفة، وبني وريدوس، وورِيفلتة.** أما الباقون فمندمجون ضمن البطون المذكورة. هذا.. وقد لعبت هذه القبيلة أدوارا هامة، وعديدة في تاريخ المغرب الإسلامي، والأندلس. وقد كانت لأبنائها عصبة معتبرة في الأندلس، كما كانت لهم أيام، وثورات؛ استهدفت

إنشاء دولة مكناسية في تلك الديار؛ مثل **ثورة شقيا بن عبد الواحد المكناسي**؛ الذي تلقب بالفاطمي. ويبدو أن **عصبية مكناسة** في بلاد المغرب أخذت تقوى، وتشتد؛ بدءا بمنتصف القرن الثاني للهجرة؛ إذ أصبحت تهيمن على أرياف المغرب الأقصى، وصحرائه. ونتج عن نمو، وعنفوان هذه العصبية؛ أنها تمكنت من إخضاع قبائل عديدة لسلطانها، وإرادتها. وهكذا تدرج قبيل مكناسة ــ بفضل عصبيته المتماسكة ــ نحو إقامة دول متتالية؛ في المغربين: الأقصى، والأوسط. ففي المغرب الأقصى تمكنت بعض أحياء مكناسة من إقامة دول، وإمارات؛ منها: **إمارة بني واسول الصفرية؛ بسجلماسة، وإمارة موسى بن أبي العافية بن أبي باسل؛ بتازا، وتسول، وكرسيف. وإمارة مصالة بتيهرت.**

فدولة بني واسول، أو (بني مدرار) نشأت بعد تجمع فئة من صفرية مكناسة؛ في منطقة نائية؛ جنوب بلاد المغرب الأقصى؛ أين شرعوا في بناء مدينة **سجلماسة**؛ التي أصبحت حاضرة لدولتهم[1]. أما **دولة بني أبي العافية** فقد نشأت بعد استفحال عصبية مكناسة؛ في المغرب

---

[1] المغرب، ص ص: 148 ــ 152. العبر، مج: 6، ص ص: 267 ــ 273.

الأقصى؛ بنواحي **تازا، وتسول، وكرسيف.** وكانت الرئاسة في مكناسة ـ آنئذ ـ بيد أبي **باسل بن أبي الضحاك بن أبي يزول.** وكان هذا الحي ظواعن؛ بين ملوية، وكرسيف، ومليلة، وما يتصل بها من التلول المنبسطة؛ في جهات تازا، وتسول. ومع مرور الزمن؛ أصبحت هذه القبيلة تتطلع إلى إقامة دولة؛ بحكم عصبيتها المتغلبة على تلك المناطق؛ فأخذت تزاحم نفوذ الدولة **الإدريسية؛ بفاس،** وإمارة **بني سليمان بن عبد الله؛ بتلمسان.** وبالفعل.. فقد تمكنت هذه القبيلة من زعزعة صرح دولة فاس؛ منتهزة فرصة؛ أخذت فيها بوادر الهرم تتسرب إلى الدولة الإدريسية. وعليه.. فقد شرع شيخ قبيلة مكناسة **(موسى ابن أبي العافية)** في التآمر على الأدارسة؛ بفاس، وبني سليمان؛ في تلمسان؛ حيث شن عليهم حروبا، ووقائع لا هوادة فيها؛ انتهت بسقوط الدولتين، وبروز دولة جديدة هي **دولة بني أبي العافية.** تم ذلك بفضل عون، ودعم الفاطميين الذين بعثوا جيوشهم إلى المغرب الأقصى؛ بقيادة **مصالة بن حبوس بن منازل المكناسي.** وبالطبع.. فقد اقتضت **العصبية** أن يتحالف أبناء

العم؛ ضد سلطان بني إدريس. وعليه فقد عمل مصالة على تعزيز قوة قومه مكناسة؛ بتوسيع نفوذهم، وبسط سلطانهم على مقاطعات جديدة؛ لم تكن لهم من قبل[2]. وكان بنو أبي العافية — في بداية أمرهم — أتباعا **للفاطميين**، ثم نقضوا عهدهم — بعد ذلك — وحولوه إلى **الأمويين** بالأندلس؛ مما أدى بالفاطميين إلى إرسال حملة تأديبية ضدهم. فتذبذب حال المكناسيين؛ في الولاء للفاطميين حينا، وللأمويين حينا آخر. غير أنهم ثبتوا أخيرا على الدعوة للأمويين؛ بفضل تحالفهم مع قبيلة **مغراوة**؛ المتغلبة على المغرب الأوسط. ولكن أضحت مغراوة — فيما بعد — قوة نافذة؛ بحيث تغلبت على مكناسة نفسها، وأزاحتها عن حكم المغرب الأقصى. وعندما ظهر بلكين بن زيري في مسرح الأحداث بالمغرب الأوسط؛ انقلبت الكفة؛ وعادت مكناسة إلى البروز؛ بفضل تحالفها مع حكام **الدولة الحمادية**. وبقي الحال هكذا؛ حتى ظهرت عصبية أخرى؛ أكثر قوة، وعنفوانا؛ وهي **العصبية اللمتونية**؛ المعززة **بالتعاليم الدينية**؛ فقضت على حكم **مكناسة، ومغراوة**؛

---

[2] الأنيس المطرب، ص ص: 50 — 53.العبر، مج: 6، ص ص: 273 — 280.

معـــا، وأزالـــت نفوذهمـــا مـــن ربـــوع المغربيـــن: الأقـــصى، والأوســـط؛ وذلـــك سنـــة 463هـــ.

أمـــا الإمـــارة الثالثـــة لمكناســـة؛ فـــهي **إمـــارة مصالـــة بـــن حبـــوس بـــن منـــازل؛ بتيهـــرت،** والمغـــرب الأوســـط. وهـــذه الإمـــارة ــ في الحقيقـــة ــ عبـــارة عـــن ولايـــة؛ تابعـــة للدولـــة الفاطميـــة؛ وهي منحـــة، وهبـــة للمكناسييـــن؛ ممثليـــن في شخـــص مصالـــة؛ الـــذي كـــان أحـــد قـــادة الدولـــة الفاطميـــة الأفـــذاذ؛ فكـــوفئ عـــلى خدماتـــه؛ بتنصيبـــه واليـــا عـــلى تيهـــرت، والمغـــرب الأوســـط. ثـــم خلفـــه ــ بعـــد مماتـــه ــ أخـــوه **يصلتـــن بـــن حبـــوس**، ثـــم تـــلاه ولـــده **حميـــد بـــن يصلتـــن**؛ الـــذي تنكـــر **للفاطمييـــن**، وأعلـــن دعوتـــه **لبـــني أميـــة**، وتحالـــف ــ في ذلـــك الأمـــر ــ مـــع بـــني خـــزر المغراوييـــن. ولمـــا تـــوفي؛ خلفـــه ابنـــه **يصـــل**، ثـــم **فياطـــن بـــن يصلتـــن**، ثـــم **عـــلي بـــن مصالـــة**. وكانـــوا جميعهـــم مواليـــن **لبـــني أميـــة؛ بالأندلـــس**[1].

! ! !

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 266.

ـ ***أعيانهم:*** ومن علماء مكناسة وأعيانها المذكورين:

ـ **أبو القاسم سمغون** (أو سمكو) **بن واسول** (ت: سنة 167هـ/783م)؛ وهو يصلي؛ وكان عالما، وفقيها في الدين، وهو شيخ الصفرية في بلاد المغرب، وكبير مكناسة؛ يقال أنه ذهب إلى **المدينة المنورة**؛ أين تلقى العلم من عند **عكرمة**؛ مولى ابن عباس رضي الله عنه.

OOO

وممن دخل التاريخ من مكناسة أيضا:

ـ **أبو قرة وانسوس** (كان حيا سنة 138هـ/755م)؛ وهو ذلك الشيخ الأمازيغي؛ الذي اختفى عنده **عبد الرحمن بن معاوية**؛ قبل دخوله الأندلس؛ غير أن أحمد المقري نسبه إلى **مغيلة**؛ حيث قال: **((وحكى غير واحد؛ أنه لما هرب من الشام إلى إفريقية قاصدا الأندلس؛** [أي عبد الرحمن] **نزل بمغيلة؛ فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس، ويكنى أبا قرة؛ فاستتر عنده وقتا... فلما دخل الأندلس، واستتب أمره به؛ سار إليه أبو قرة وانسوس البربري؛**

فأحسن إليه، وحظي عنده، وأكرم زوجته تكفات البربرية التي خبأته تحت ثيابها؛ عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه. فقال لها عبد الرحمن مداعبا؛ حين استظلت بظله في الأندلس: لقد عذبتني بريح إبطيك يا تكفات على ما كان بي من الخوف، أعطتني بأنتن من ريح الجيف؛ فكان جوابها له مسرعة: بل ذلك كان والله يا سيدي منك خرج، ولم تشعر به؛ من فرط فزعك؛ فاستظرف جوابها؛ وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك))[1].

OOO

ومن المكناسيين الذين أقاموا ببلاد الأندلس؛ أو ولدوا بها:

ــ أصْبَغ بن عبد الله بن وانسوس (توفي بقرطبة سنة 192هـ/807م)؛ كان أحد قادة الجيش الأموي في عهد الأمير الحكم بن هشام الربضي؛ وكان يترأس على نواحي ماردة؛

---

[1] نفح الطيب، ج: 1، ص ص: 333 ــ 334.

وأسند إليه الحكم مهمة مطاردة عمه سليمان ابن عبد الرحمن؛ فأنجز المهمة، وقبض عليه.

ـ ثم أبو الربيع سليمان بن محمد بن أصْبَغ بن وانسوس (ت: سنة 292هـ/904م)؛ وزير، وأديب. وهو حفيد القائد **أصبغ بن وانسوس**؛ الذي كان أميرا على الثغر **بوادي الحجارة**؛ وكانت لأسلافه ـ كما سبق ـ رئاسة في مدينة **ماردة**. وجدهم الأول هو **أبو قرة وانسوس**؛ الذي اختبأ عنده عبد الرحمن الداخل؛ بإفريقية؛ خوفا من عبد الرحمن بن حبيب؛ ومع هذا.. هناك من ينسب وانسوس هذا إلى مغيلة؛ غير أن أهل الثقة منهم ـ كابن حزم ـ ينسبونه إلى مكناسة. وقد أورد الحميدي حكاية طريفة عن **وانسوس الوزير**؛ جاء فيها: ((**كان الوزير سليمان بن وانسوس رجلا جليلا، أديبا؛ من رؤساء البربر؛ كان أثيراً عند الأمير عبد الله بن محمد؛ فدخل عليه يوما؛ وكان عظيم اللحية؛ فلما رآه مقبلا جعل الأمير ينشد:**

مَعْلُوفَة كأنَّهَا جَوَالِقُ

نَكْداءُ لاَ بَارَكَ فِيهَا الخَالِقُ

لِلْقَمْــل فِي حَافَتِهَــا نَقَانِــقُ
فِيهَــا لِبُلُــوغي المُتَّكَــا مَرَافِــقُ
وَفِي احْتِدَامِ الصَّيْفِ ظِلٌ رَائِقُ
إنَّ الَّــذِي يَحْمِلُهَــا لَمَائِــقُ

ثم قال له: اجلس يا بُرَيْبَري؛ فجلس وقد غضب؛ فقال: "أيها الأمير إنما كان الناس يرغبون في هذه المترلة ليدفعوا عن أنفسهم الضّيْم؛ وأما إذا صارت جالبة للذل؛ فلنا دُورٌ تسعنا، وتغنينا عنكم؛ فإن حلتم بيننا وبينها؛ فلنا قبُور تسعنا، ولا تقدرون على أن تحولوا بيننا وبينها"؛ ثم وضع يديه في الأرض، وقام؛ من غير أن يسلم، ونهض إلى مترله...فغضب الأمير، وأمر بعزله، ورفع دسته الذي يجلس عليه؛ وبقي كذلك مدة. ثم إن الأمير عبد الله وجد فقدَه؛ لغَنائه، وأمانته، ونصيحته؛ وفضل رأيه؛ فقال للوزراء: "لقد وجدت لفقد سليمان تأثيراً؛ وإن أردتُ استرجاعه ابتداء منا كان ذلك غضاضة علينا؛ ولودِدت أن يبتدئنا بالرغبة". فقال له الوزير محمد بن الوليد بن غانم: "إن أذنت لي في المسير إليه؛ استنهضته إلى هذا"؛ فأذن له،

فنهض ابن غانم إلى دار ابن وانسوس، فاستأذن. وكانت رتبة الوزارة بالأندلس ــ أيام بني أمية ــ ألا يقوم الوزير إلاّ لوزير مثله؛ فإنه كان يتلقاه، ويُنزلُه معه إلى مرتبته، ولا يَحجُبه أولاً لحظة؛ فأبطأ الإذن على ابن غانم حيناً؛ ثم أذِن له، فدخل عليه، فوجده قاعداً؛ فلم يتزحزح له، ولا قام إليه. فقال له ابن غانم: "ما هذا الكِبْر؟ عهدي بك ــ وأنت وزيرُ السلطان، وفي أبَّهة رضاه ــ تتلقّاني على قدم، وتتزحزحُ لي عن صدر مجلسك؛ وأنت الآن في مَوْجدَته؛ بضد ذلك". فقال له: "نعم! لأني كَنت حينئذ عبداً مثلك، وأنا اليوم حُرٌّ"...فيئس ابن غانم؛ وخرج، ولم يكلمه، ورجع إلى الأمير فأخبره. وابتدأ الأمير بالإرسال إليه، وردّه إلى أفضل ما كان عليه))[1]. وقد وردت بعض العينات من شعر وانسوس هذا في مصادر عديدة متفرقة؛ منها: المقتبس؛ لابن حيان، وكتاب المُغْرب في حُلَي المَغْرب؛ لابن سعيد؛ منها:

الحبُّ عَلَّمَ مُقْلَتي أنْ تَسْهَرَا

وقَضَى عَلَيَّ بأنْ أذِلَّ وأصْبِرَا

---

[1] جذوة المقتبس، ص ص: 226 ــ 227.

يَا مُشْبِــهَ القمَرَينِ مَالكَ مُعْرضا
عَــنِّ وإنــِّي لا أزَالُ مُحَيَّــــرَا

ويقـــول أيضـــا:

كَيْفَ لِي أنْ أعِيشَ دُونَك يَا بَدْ
رَ الدَّيَــاجي وأنْــتَ مِــنِّي بَعِيــدُ
إنَّ يَوْمــًا أرَاكَ فِيــهِ لَيَــوْمٌ
فِي حِسَابِي مَــدَى الزَّمَــانِ سَعِيــدُ
ومُــرَادِي ألاَّ أرَاكَ تُــدَانِي
غَيْــرَ وَصْــلِيَ وذَاكَ مَــالاَ تُريــدُ

ووصفـــه ابـــن حيـــان في تاريخـــه؛ مـــع إيـــراد حكايـــة عنـــه؛ إذ قـــال: **((أصلـــه مـــن البرابـــر؛ ولـــه فيهـــم بيـــت شـــرف بالأندلـــس؛ وكـــان جـــده رئيســـا بمـــاردة مطاعـــا؛ وكـــان قـــد ثـــار بهـــا عـــلى الأميـــر الحكـــم بـــن هشـــام؛ وجـــرت لـــه خطـــوب كبـــار؛ في حـــالي: المعصيـــة، والطاعـــة. وتمهـــد ابـــن ابنـــه سليمـــان هـــذا مهـــاد الطاعـــة؛ مـــن بعـــد نـــزوات سلفـــه؛ وعلـــق بحبـــال الخدمـــة؛ فتصـــرف للسلطـــان في أعمـــال كثيـــرة؛ إلى أن ارتـــقى الـــذروة؛ وولي خطـــة الـــوزارة للأميـــر عبـــد اللـــه ابـــن محمـــد؛ وصـــارت لـــه حظـــوة؛ وكـــان أديبـــا متفننـــا،**

وشاعــرا مطبوعــا، حســن البيــان، بليغــا، حصيفــا، داهيــة... وذكــروا أن الأميــر عبــد اللــه بــن محمــد؛ عندمــا عــزل جهــور بــن عبد الملــك البخــتي مــن عمــل كــورة إلبيــرة؛ لتظلــم الرعيــة منــه؛ قــدم عنهــا بمــال كثيــر ممــا غلــه؛ وتاحــف منــه جماعــة مــن الــوزراء؛ وأغفــل سليمــان بــن وانســوس؛ وهــو منهــم؛ فأحقــده عــلى نفســه. وخــلا الأميــر عبــد اللــه بالــوزراء، وشاورهــم في إغــرام جهــور؛ فكلهــم دافــع عنــه، وثــنى الأميــر عــن همومــه بــه؛ إلاَّ سليمــان؛ فإنــه زمَّ (أي سجــل) بــه كتابــا؛ فقــال لــه الأميــر: "مــا لــك لا تقــول يــا سليمــان"؟ فقــال: "إن قلــت خالفتهــم؛ لكــني ســوف أكتــب بمــا عنــدي دونهــم؛ وفضــل الــرأي للأميــر". فلمــا أن خــرج إلى بيــت الــوزارة؛ أكــب عــلى رقعــة كتــب فيهــا إلى الأميــر بهــذه الأبيــات:

جَاءَ الحِمَارُ حِمَارُ الوَحْشِ مُحْتَشِيــاً
مِمَّا أَفَــادَ مِنَ الأَمْــوَالِ وَالطــّرَفِ
خَليَّ لَبِيــرَةَ قَدْ أَوْدَى بِسَاكِنِهَــا
بِقُبْحِ سِيرَتِــهِ وَالعُنْــفِ وَالسَّــرَفِ
فَاحْمِلْ عَلىَ العَيْرِ حِمْلاَ يَسْتَقِلُّ بِــهِ
وَاتــْرُكْ لَهُ سَبَبــاً لِلتِّبْــنِ وَالعَلَــفِ

فلما قرأ الأمير عبد الله أبياته؛ أمر بإدخاله إليه؛ فضحك منه، وقال له: "يا سليمان؛ لو زدتنا في الأبيات لزدنا الحمار في الغرم؛ وأمر بإغرامه ثلاثة آلاف دينار))[1].

ويبدو أن أبيات ابن وانسوس علقت في الذاكرة الأدبية ـ آنئذ ـ إذ التصق بأبناء عبد الملك البختي اسم الحمار؛ فنبزوا به بين العامة، والخاصة؛ من ذلك أبيات قالها أحمد بن شهيد؛ في عبد الملك بن بختي بن عبد الملك؛ يهجوه فيها:

أَتَيْناكَ لاَ عَنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا
إِلَيْكَ وَلاَ قَلْبٍ إِلَيْكَ مُشَوَّقِ
وَلَكِنَّنَا زُرْنَا بِفَضْلِ حُلُومِنَا
حِمَاراً تَوَلَّى بِرَّنَا بِعُقُوقِ

ـ **ثم أبو محمد عبد الله بن حماد المكناسي** المعروف بابن زَغْيُوج (كان حيا سنة 567هـ/1171م)؛ قال عنه ابن الأبار: **((كان من أهل المعرفة والنباهة))**[1].

---

[1] المقتبس، ص ص: 189 ـ 193.

[1] التكملة، ج: ص ص: 918 ـ 919.

ـ ثم **أبو محمد عبد الرحمن بن محمد السلمي الأندلسي المكناسي** (توفي بمراكش سنة 571هـ/1175م)؛ وهو أديب، وشاعر؛ متفنن في كتاباته؛ له ديوان رسائل تناقله الناس، وتهافتوا عليه، وله ـ أيضا ـ مقامات في عدة أغراض؛ وقالوا فيه: **((ختمت البلاغة به في الأندلس))**[2].

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمود المكناسي** (ت: سنة 573هـ/1177م)؛ إمام الحرم الشريف؛ وكان ورعا وزاهدا في الدنيا؛ دمث الأخلاق، حسن السيرة.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن أبي جَلاَّ المكناسي** (ت: سنة 746هـ/1345م)؛ قال عنه ابن الخطيب: **((كان شيخا ذكيا، طيب النفس، مليح الحديث، حافظا للمسائل الفقهية، عارفا لها، قائما على كتاب المدونة... حسن المذاكرة، مليح المجلس أنيسه، كثير الحكايات؛ إلا أنه كان يحكي غرائب شاهدها تملحا، وأنسا؛ فينمقها عليه الطلبة؛ وربما تعدو ا ذلك إلى الافتعال على وجه المزاح، والمداعبة؛ حتى لجمعوا من ذلك كثيرا في جزء سموه بـ"السلك المحلاَّ في أخبار ابن جلاَّ"؛ فمن**

[2] الزركلي؛ الأعلام، ج: 4، ص: 104.

ذلك ما زعموا أنه حدث بأنه كانت له هرة؛ فدخل البيت يوما؛ فوجدها قد بلت أحد كفيها، وجعلته في الدقيق حتى علق به؛ ونصبته بإزاء كوة فأر في الجدار، ورفعت اليد الأخرى لصيده؛ فناداها باسمها؛ فردت رأسها، وجعلت إصبعها في فمها على هيئة المشير بالصمت؛ وأشباه ذلك كثير))[3]. ألا ترى معي..؟ أنه قد ابتكر ما يعرف الآن بقصص الأطفال، والحكايات التي يمكن أن تصلح أفلاما كرتونية؛ لو كانت السينما قد اكتشفت آنذاك..

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الفاسي المكناسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السابع للهجرة)؛ فقيه، ومحدث من أهل الحفظ.

ـ ثم الفقيه القاضي **علي بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** (ت: بعد سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه ولي قضاء مكناسة.

---

[3] الإحاطة، ج: 4، ص ص: 184 ـــ 185.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن سعيد القَيْجَمِيسي الورزيغي المكناسي** (توفي بفاس سنة 870هـ/1465م)؛ فقيه، وأديب؛ له مؤلفات منها: كتاب نظم مسائل ابن جماعة؛ وهو في البيوع.

ـ ثم الفقيه القاضي **أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (توفي بفاس سنة 955هـ/1548م)؛ ولي خطة القضاء بمكناسة.

ـ ثم **محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 962هـ/1554م)؛ كان أستاذا في النحو وعلوم العربية، وحافظا لمختصر ابن الحاجب، الرسالة.

ـ ثم **محمد بن محمد بن أحمد بن علي ابن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 981هـ/1573م)؛ وهو والد مؤلف درة الحجال. كان فقيها، نوازليا، متمكنا من علمي: الحساب، والفرائض.

ـ ثم **عبد بن أحمد بن محمد بن عبود علي بن أبي العافية المكناسي** (ت: سنة 987هـ/1579م)؛ كان من الحفاظ، فقيه؛ كان يستظهر مختصر خليل، والرسالة.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** المعروف بالأحول (كان حيا سنة 824هـ/1421م)؛ فقيه. عرضت عليه خطة الخطبة بمكناسة؛ فزهد عنها؛ فأسندت إلى أخيه أبي العز.

ـ ثم **أبو العز بن أحمد بن أبي العافية المكناسي** (كان حيا سنة 824هـ/1421م)؛ فقيه. ولي الخطابة والقضاء في مكناسة.

ـ ثم **أبو القاسم محمد بن محمد بن قاسم ابن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي** (ولد سنة 960هـ/1552م)؛ فقيه؛ ومن المشتغلين بعلم النحو؛ أعد تعليقا على المرادي، وكتب شرحا على ألفية ابن مالك في مجلدين كبيرين، كما أعد شرحا آخر على مقدمة ابن آجروم في مجلد ضخم؛ وهو أيضا ملم بالقراءات، والفقه، والحساب، والفرائض.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي** الشهير بابن القاضي (ت: سنة 1025هـ/1616م)؛ له إلمام بعلوم شتى؛ منها: التفسير، والفقه، والحديث، والتاريخ، واللغة، والأدب، والمنطق، والهندسة، والحساب، والفرائض، ونظم الشعر؛ له مؤلفات كثيرة؛ منها: درة

الحجال في غرة أسماء الرجال، والمنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور، وغنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض، المدخل في الهندسة، ونيل الأمل فيما به جرى بين المالكية العمل، ونظم تلخيص بن البناء، ونظم منطق السعد، وتقاييد على جداول الحوفي، والفتح النبيل لما تضمنه من أسماء العدد التنزيل، وفهرسة، ولقط الفرائد في تحقيق الفوائد، ودرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك، وجذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس؛ وهو تاريخ سياسي، وعمراني، وثقافي لمدينة فاس. ومن شعره قصيدة بعث بها إلى سلطان المغرب؛ أبي العباس المنصور يستصرخه لافتدائه من أسر الأسبان؛ نذكر منها:

تَجَلَّتْ عَنِ العَانِي الأسِيرِ المُكَبَّلِ
هُمُومٌ سَرَتْ في الجِسْمِ في كُلِّ مفصلِ
بذِكْرِ الإمَامِ الهَاشِمِيِّ الذي سَمَا
بِسيمَةِ خَيْرِ الخَلْقِ في كُلِّ مَحْفَلِ

إلى أن يقول:

بِحَقِّ الّذي أوْلاكَ مُلْكاً فَنَجِّنِي
مِنَ الهُلْكِ يا قَصْدَ السبيل المُكبَّلِ

وَكُنْ يا إمامَ العَـدْلِ في عَـوْنِ خائِـرٍ
أسيرٍ كَسيـرٍ ذي جَنَـاحٍ مُذلَـلِ

OOO

أمـا رجـال السياسـة، والسيـف؛ مـن مكناسـة فهـم:

ـ **أبـو المنصـور اليسـع بـن سمغـون المكنـاسي** (ت: سنـة 208هـ/823م)؛ وهـو الأميـر الثالـث في دولـة بـني واسـول؛ قـام بإنجـازات هامـة خـلال حكمـه لسجلماسـة؛ إذ أكمـل بنـاء سجلماسـة، واختـط بهـا المصانـع، والقصـور؛ وفي عهـده استفحـل ملـك بـني سمغـون.

ـ ثـم **مـدرار بـن اليسـع بـن سمغـون المكنـاسي** (ت: سنـة 253هـ/867م)؛ هـو أشهـر حكـام سجلماسـة؛ إذ باسمـه سميـت الدولـة.

ـ ثـم **اليسـع بـن مدرار بـن اليسـع بـن سمغـون المكنـاسي** (قتلـه الشيـعي سنـة 296هـ/908م)؛ إذ دخـل في عهـده عبيـد اللـه المهـدي إلى بـلاد المغـرب؛ حيـث لجـأ إلى سجلماسـة؛ هاربـا مـن عيـون بـني الأغلـب؛ فقبـض عليـه اليسـع، وسجنـه عنـده؛ بإيعـاز مـن الخليفـة ببغـداد. لـذا فقـد بـذل عبـد اللـه الشيـعي (داعيـة الشيعـة) جهـده في

سبيل غزو سجلماسة، وتخليص المهدي؛ وبالفعل تم له ذلك؛ بمعونة جيوش كتامة، حيث استولى عليها، وطارد اليسع حتى قبض عليه، وقتله؛ وأقام على المدينة واليا كتاميا من قبله.

ــ ثم **الفتح بن ميمون بن مدرار المكناسي** (ت: سنة 300هـ/912م)؛ ثار على والي مدينة سجلماسة؛ الذي نصبه أبو عبد الله الشيعي؛ واستعاد ملك أجداده المكناسيين لفترة؛ ثم جاءت ــ من جديد ــ جيوش الشيعة؛ فاستردها من أخيه الذي خلفه بعد وفاته؛ ولكن أسندت إمارة المدينة هذه المرة ؛إلى أمراء من بني مدرار؛ تحت طاعة الفاطميين.

ــ ثم **محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المكناسي** (توفي بسجن المهدية بعد 347هـ/958م)؛ افتك إمارة سجلماسة من ابن عمه الوالي؛ التابع للفاطميين سنة 322هـ/933م؛ وأعلن الدعوة إلى العباسيين؛ آخذا بمذهب السنة؛ نابذا بذلك مذهب آبائه الصفريين، ومذهب حكام المغرب من الشيعة. وفي سنة 342هـ/953م تسمى بأمير المؤمنين، وتلقب بالشاكر لله؛ ثم سك السكة التي عرفت بالشاكرية؛ وقد وصفه ابن حزم بقوله: ((**وكان في غاية العدل**)). ولكن تغلبت

عليه جيوش كتامة، وصنهاجة الشيعية هو الآخر؛ حيث اقتادوه إلى سجن المهدية؛ أين مات.

ـ ثم **مصالة بن حبوس المكناسي** (ت: سنة 312هـ/924م)؛ من أكبر القادة العسكريين في الدولة الفاطمية؛ كان ـ في بداية أمره ـ رئيسا على بعض أحياء مكناسة؛ ثم انضم إلى الأحلاف القبلية المنحازة للفاطميين؛ حيث أسندت إليه قيادة جيش الدولة؛ المكلف بالزحف نحو غرب البلاد؛ وكان له دور أساسي في الإطاحة بالدولة الإدريسية، وتقزيم دورها؛ بعد دعمه لبني عمه بني أبي العافية المكناسيين؛ ضد نفوذ الأدارسة.

ـ ثم **موسى بن أبي العافية بن أبي باسل بن أبي الضحاك بن يزول المكناسي** (ت: سنة 341هـ/952م)؛ هو الذي أسس إمارة مكناسة بجهات مراكش. وكانت ضمن مملكته: مكناسة، وتسول، وتازا، وكرسيف؛ ولما زحف مصالة ابن حبوس المكناسي إلى غرب البلاد؛ لإخضاع الأدارسة؛ منح ابن عمه موسى بن أبي العافية ضواحي المغرب بكاملها؛ مقتطعا إياها من سلطان الأدارسة. وظل ابن أبي العافية يناجز الأدارسة؛ حتى استولى على ملكهم بالكامل

تقريبا. وعندما أحس بقوته، و بعد غياب تأثير ابن عمه مصالة؛ الذي مات؛ حول ابن أبي العافية ولاءه إلى بني أمية بالأندلس؛ الأمر الذي أغضب سلطان الدولة الفاطمية؛ فبعث إليه عدة حملات تأديبية؛ انتهت بقتله في الصحراء.

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن إبراهيم المكناسي** (ت: سنة 363هـ/973م)؛ هو رابع أمراء بني أبي العافية المكناسيين، وآخرها؛ إذ انقرضت دولتهم بوفاته.

ـ ثم **القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن موسى ابن أبي العافية المكناسي** (ت: بعدسنة 462هـ/1069م)؛ هو أحد رؤساء مكناسة؛ تولى قيادة زناتة في محاربة المرابطين سنة 460هـ/1067م؛ فهزمهم، وافتك منهم مدينة فاس؛ بعد أن تمكنوا من فتحها؛ ولكنهم أعادوا الكرة في سنة 462هـ، واحتلوها من جديد.

***

ــ ***مواطنهم:*** أما مواطن مكناسة؛ فتمتد على طول **وادي ملوية؛ من أعلاه؛ عند سجلماسة؛ وحتى مصبه في البحر الأبيض المتوسط**؛ مشتملة على **نواحي تازا، وتسول.** وكان جمهور مكناسة ظواعن؛ عبر تلك المواطن؛ يرتحلون فيها طولا، وعرضا. وقد سميت بهم مدينة مكناسة المغربية. ويقول عبد الوهاب بن منصور أن بعض البقايا من مكناسة مازالت حتى الآن بالقرب من **تازا**؛ وتدعى بهذا الاسم. كما أن قبيلة أخرى تدعى مكناسة؛ مازالت حتى الآن ــ كذلك ــ بالقرب من مدينة **عمي موسى؛ بولاية وهران**[1]. بالإضافة إلى بعض الأوزاع منهم هنا وهناك؛ في بلاد المغرب كله. أما ابن خلدون فيختم الحديث عن مكناسة بخلاصة؛ ذكر فيها ما وصل إليه حالهم. فذكر أنهم ــ في عهده ــ كانوا متواجدين في **جبال تازا**؛ بعد أن استكانوا لسلطان الدولة؛ فأعطوا الجباية بوفرة، ومدوا الدولة بالمقاتلين، وبالخيل. كما توزع بعضهم ضمن قبائل أخرى؛ **بإفريقية، والمغرب الأوسط.**

....

[1] قبائل المغرب، ج: 1، ص: 312.

(2) ــ *زناتــــة*:

وبعــد **أبنــاء ورصطــف بــن يحـيى بــن ضــري**؛ يــأتي دور أبنــاء **زانــا** (أو جانــا أو شانــا) **بــن يــحي ابــن ضــرى**. ويعرفــون باســم **زناتــة**؛ وهــم حســب قــول ابــن حــزم ثلاثــة أحيــاء: **الدّيديــت**، **وورسيــج**، **وفريــني**[2]. وعنــد ابــن خلــدون: **الديــرت**، **وورسيــك**، **وفــرني**. وقــد تناسلــوا، وتكاثفــت أحياؤهــم؛ إلى حــدٍ أصبحــوا بــه في مرتبــة قبائــل، أو شعــوب؛ طبقــا لــرأي ابــن خلــدون؛ الــذي يصفهــم بصفــات تتعــدى صفــات البطــون. وبهــذا يحتلــون مراتــب أعــلى مــن مرتبــة بطــن؛ وذلــك حينمــا نعتمــد عــلى الترتيــب المتبــع لــدى النسابيــن العــرب. فابــن خلــدون عندمــا يتكلــم عــن زناتــة؛ يجعلهــا في مرتبــة **جيــل**. كمــا يكثــر مــن قــول: ((**شعــوب زناتــة**)). وهــذا كلــه يــدل عــلى ضخامــة زناتــة، وكثافــة أحيائهــا، وتشعبهــا. أضــف إلى ذلــك أنــه خَصَــص لزناتــة حيــزا كبيــرا مــن كتابــه العبــر؛ إذ يشملــه المجلــد السابــع بكاملــه تقريبــا. بينمــا خصــص المجلــد الســادس لبقيــة الأمازيــغ، مــع بــني هــلال، وسليــم. وبالموازنــة؛ تظهــر أهميــة **زناتــة**. غيــر أن قوتييــه E. F. GAUTIER

---

[2] الجمهــرة، ص ص: 495 ــــ 496.

ينسب ذلك إلى كون الزمن الذي كتب فيه ابن خلدون كتابه؛ كانت زناتة مهيمنة على الحكم في بلاد المغرب؛ مثل بني عبد الواد، وبني مرين، وغيرهم[1].

ـ مدلول زناتة ونسبها: يستعمل ابن خلدون كلمة زناتة بأسلوب يوحي أنها تقابل كلمة أمازيغ، وتتكافأ معها. ففي المقدمة يقول: **((وهؤلاء هم العرب؛ وفي معناهم ظعون البربر، وزناتة بالمغرب، والأكراد، والتركمان، والترك بالمشرق))**[2]. ويقول أيضا في كتاب العبر: **((فأما أولية هذا الجيل** [زناتة] **بإفريقية، والمغرب؛ فهي مساوقة لأولية البربر؛ منذ أحقاب متطاولة؛ لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى... وملك الإفرنجة بها يومئذ جرجير؛ فظاهره زناتة، والبربر على شأنه))**[3]. وثمة أمثلة أخرى من هذا النوع؛ لدى ابن خلدون، وغيره من المؤرخين المسلمين.

ويبدو أن ابن خلدون ساير التعبير المتبع لدى نسابة زناتة؛ الذين كانوا يقابلون زناتة بالبربر؛ نظرا لاعتقادهم في نسبهم العربي. وذلك

---

[1] Le Passé de L'Afrique du Nord, pp: 217- 218.

[2] ج: 2، ص: 583.

[3] العبر: مج: 7، ص ص: 14 ـــ 15.

من خلال المزاعم السائدة بين قبائل زناتة؛ ومفادها أنهم ينتمون إلى العرب؛ لذا فهم عندما يتكلمون عن سكان المغرب؛ يقولون: **زناتة، والبربر.** فزناتة ــ كما سبق ــ تنسب إلى **زانا** أو (جانا) **بن يحي بن ضري بن مادغيس الأبتر.** وثمة من يعود بسلسلة الأسماء إلى المدعو **بر.** ومنه تنطلق السلسلة التي يزعمون أنها تربطهم بالنسب العربي؛ أي بقيس عيلان، أو بحمير. ولكن ابن حزم، وابن خلدون ينكران ــ كما سبق ــ تلك الأقوال؛ ويرجحان القول بانتسابهم إلى كنعان بن حام؛ مثل ما هو الحال بالنسبة لكثير من الأمازيغ. أما الظاهرتان المميزتان لزناتة عن غيرها من الأمازيغ؛ فيحددهما ابن خلدون؛ في **أسلوب العيش، وفي اللهجات.**

***

ــ ***أسلوب العيش:*** تعتمد زناتة في عيشها على النجعة، والظعن؛ عبر السهوب، والفيافي. فهم كالأعراب؛ يتخذون الخيام مساكن لهم، ويتلهفون على اكتساب الإبل، والخيل. وفي ذلك يقول ابن خلدون: ((**وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب: في سكنى الخيام،**

واتخاذ الإبل، وركوب الخيل، والتغلب في الأرض، وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران، والإباية عن الانقياد للنصفة. وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها؛ وهي مشتهرة بنوعها؛ عن سائر رطانة البربر))[1].

إذن.. فثمة تشابه كبير في أسلوب العيش؛ بين زناتة والأعراب. وحتى الترعة المتطرفة؛ التي تميل إلى تجاهل حق الآخرين، والانسياق وراء الغزو، والإغارة على العمران، والاعتداء على ممتلكات الناس؛ هي من خصائصهم أيضا؛ مثل ما هو حال الأعراب.

***

ــ ***اللهجات:*** إن اللهجات التي تتكلم بها زناتة تختلف عن لهجات الأمازيغ الأخرى. وهذا ما ذكره ابن خلدون في النص السابق الذكر. وثمة أبحاث تقول بأن لهجاتهم تنتمي إلى أصول لسانية حامية ــ سامية، وتلتقي مع اللغة العربية في بعض الخصائص المشتركة. وبالطبع.. فإن هاتين الظاهرتين: **(أسلوب العيش، واللهجات)** تبعثان على الاعتقاد في احتمال نزوح زناتة من المشرق إلى بلاد المغرب؛ في

---

[1] العبر: مج: 7، مج: 7، ص: 3.

عهود ليست بعيدة جدا. وربما تزامنت مع ظهور الإبل في هذه الربوع؛ وقد يكون ذلك في أواخر القرن الثالث، وبداية القرن الربع للميلاد[2]. ولكن ابن خلدون يرى غير هذا؛ حين يقول: **((أما أولية هذا الجيل** (أي زناتة) **بإفرقية فهي مساوقة لأولية البربر منذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى))**.

ومعنى كلمة زناتة عالجه ابن خلدون في بعض الفقرات من كتاب العبر؛ حيث قال: **((ونطقهم بهذه الجيم؛ ليس من مخرج الجيم عند العرب؛ بل ينطقون بها بين الجيم، والشين، وأميل إلى السين. ويقرب للسمع منها بعض الصفير؛ فأبدلوها زايا محضة؛ لاتصال مخرج الزاي بالسين؛ فصارت زانات؛ لفظا مفردا؛ دالا على الجنس. ثم ألحقوا به هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي؛ تخفيفا...))**[1].

---

[2] Gautier, Le Passé de L'Afrique du Nord, p: 227. وللتوسع يمكن الرجوع إلى كتاب بن عميرة؛ دورة زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي.

[1] العبر، مج: 7، ص: 14.

وإذا كان اسم زناتة معروفا لدى مؤرخي العهد الإسلامي؛ فإنها بالمقابل غُلفت بغموض كثيف؛ خلال الأحقاب التاريخية السابقة للفتح الإسلامي. ومع هذا.. فلا يستبعد وجود هذه التسمية في العهد البيزنطي. لأنه حين تم العثور على بعض التسجيلات التاريخية؛ في **شلف، وشرشال**؛ اتضح أن أحد الأسماء المسجلة يدل على شخص منسوب إلى **زناتة**؛ هو **(كلوديوس زناتوس)** CLAUDIUS ZENATUS. ولا نعرف إن كان هذا الاسم يكفي للدلالة على تداول اسم زناتة في الحقبة التاريخية البيزنطية[2]. فشاهد واحد ــ كهذا ــ لا يجلي الحقيقة كلها. غير أن ابن خلدون يرى بأن أولية زناتة تعود إلى حقبة موغلة في التاريخ. وهي متماشية ــ في القدم ــ مع أزلية الأمازيغ كافة. وذكر أن زناتة كانت تؤدي ــ بصورة من الصور ــ للبيزنطيين (الإفرنج كما يسميهم) فروض الطاعة؛ على شكل خراج مؤقت، ومقاتلين؛ يحاربون إلى جانبهم، **((ويمتنعون عليهم فيما سوى ذلك))**[3].

---

[2] **Gautier, Le Passé de L'Afrique du Nord, p: 228.** وبن عميرة؛ دور زناتة، ص: 15

[3] العبر، مج: 7، ص: 15.

إذن.. فقد تكون زناتة معروفة في العهد البيزنطي؟ وربما كانت في عداد القبائل الجمالة؛ ذات النجعة الموغلة في الصحراء؛ والتي ظهرت في أواخر العهد الوندالي. تلك القبائل التي استعملت الجمال في حربها ضد الوندال، والبيزنطيين. وجملة القول.. أن اسم زناتة — في المغرب — لم يبدأ في الظهور بوضوح إلا بعد الفتح الإسلامي؛ حيث أصبح هذا الاسم يتردد في كتابات المؤرخين. فابن خلدون مثلا يبرز دور زناتة؛ أثناء حديثه عن الفتح الإسلامي **لسبيطلة**؛ حاضرة القائد البيزنطي GREGOIRE **(جرجير)**. ثم ينتقل إلى المقاومة التي قامت بها الكاهنة؛ التي تنتسب إلى زناتة[1]. ودور **زناتة** في المغرب الإسلامي؛ يمكن إجماله ضمن الأدوار التي قامت بها بعض فروعها؛ مثل: **جراوة، وبني يفرن، ومغراوة، وبني عبد الواد، وبني مرين، وبني توجين.**

***

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 16 — 18.

ــ ***مواطنهم:*** حدد ابن خلدون مواطن زناتة ــ بصورة عامة ــ ضمن ما يعرف **بالمغرب الأوسط**؛ لأنه منسوب إليها، ومعروف بها. ومع هذا فقبائل زناتة متواجدة في أقطار المغرب كلها. على أن جمهورهم يتواجد في المناطق التي تنبت فيها **النخيل**؛ ما **بين غدامس، والسوس الأقصى**. كما يتواجد ــ أيضا ــ بتلول **إفريقية، وطرابلس، وجبل أوراس**. **((ومواطنهم في سائر مواطن البربر؛ بإفريقية، والمغرب... والأكثر منهم بالمغرب الأوسط؛ حتى أنه ينسب إليهم، ويعرف بهم؛ فيقال: وطن زناتة. ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى. وهم ــ لهذا العهد ــ أهل دول، وملك؛ بالمغربين. وكانت لهم فيه دول أخرى في القديم))**[2].

....

---

[2] العبر، مج: 7، ص ص: 3 ــ 4.

ـ جـــــراوة:

وهــم أبنــاء **جــراو بــن الديــرت بــن جانــا (زانــا)**. وقــد بــرز دور جــراوة منــذ بدايــة الفتــح الإســلامي؛ وذلــك مــن خــلال المقاومــة الــتي تزعمتهــا هــذه القبيلــة؛ بقيــادة **الكاهنــة** (**دُهيــا بنــت تابتــة**). وربمــا كــان مقتــل عقبــة بــن نافــع بإيعــاز منهــا؛ كمــا قــال ابــن خلــدون؛ نقــلا عــن النسابــة هــاني بــن بكــور الضريــسي؛ إذ تكــون قــد حرَّضَــتْ سكــان تهــودة عــلى قتــال المسلميــن. ولمــا كــان المسلمــون يعرفــون ذلــك؛ فإنهــم سارعــوا ــ بعــد مقتــل كَسيلــَة ــ إلى غزوهــا؛ في عقــر دارهــا؛ بجبــل أوراس. فتمكنــت جــراوة مــع حلفائهــا؛ مــن القبائــل البتريــة ــ في بدايــة الأمــر ــ مــن صــد المسلميــن؛ ولكنهــا خســرت الحــرب؛ في نهايــة الأمــر؛ حيــث قتــل المسلمــون منهــم عــددا كبيــرا؛ يزعــم ابــن خلــدون أنــه وصــل إلى مائــة ألــف[1]. وبعــد هــذه الهزيمــة؛ تفــرق شمــل جــرواة، واندثــر أمــرهم؛ إذ توزعــوا بيــن القبائــل الأمازيغيــة الأخــرى؛ ومنهــم الفئــة الــتي حلــت **بسواحــل مليلــة؛ بالمغــرب الأقــصى**؛ حيــث أقامــوا في المدينــة المنسوبــة إليهــم. ومنهــم البطــن المشهــور بعلمائــه،

---

[1] العبــر، مج: 7، ص ص: 16 ــ 18.

وأدبائه؛ وهم **بنو غفجوم**، بجهات **تادلا.** وفي ديارهم الجديدة بالمغرب الأقصى؛ برز مرة أخرى؛ دور جراوة في مسرح الأحداث؛ خاصة عندما استجار بهم الحسن بن أبي العيش؛ أمير تلمسان؛ بعد هزيمته أمام أمير مكناسة؛ ابن أبي العافية.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** ومن رجالات جراوة المشهورين بعلمهم، وآدابهم:

ـ **أبو سعيد خلف بن مسعود المالقي الجراوي؛** المعروف بابن أمينة (توفي مذبوحا بقرطبة سنة 400هـ/1009م)؛ فقيه؛ ولد بمليلة؛ قال عنه ابن بشكوال: **((قدم قرطبة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة؛ فحمل عنه بها علم كثير. وكان له من القاضي ابن ذَكْوان خاصة. وأغْرِي به العامة؛ فأضجعوه، وذبحوه؛ حين ثورة الأندلس بالبرابرة؛ عند قيام المهدي؛ وقتل العامة البرابرة سنة أربعمائة. وقيل بل شَدَخُوا رأسه بالحجارة؛ وأنه سألهم**

أن يمهلـوه حـتى يصـلي ركعتيـن؛ ففعلـوا رحمـه اللـه. وكـان ذلـك بمالقـة))[2].

ـ ثـم أبـو عمـر أحمـد بـن محمـد القيـسي الإشبيلي الجـراوي (تـوفي بمصـر سنـة 407هـ/1016م)؛ وهـو مـن شيـوخ الإقـراء؛ إذ تصـدر للإقـراء بإشبيليـا، ومصـر.

ـ ثـم عبـد اللـه بـن محمـد الجـراوي (تـوفي بالقيـروان سنـة 415هـ/1024م)؛ قـال عنـه ابـن رشيـق القيـرواني: ((تـأدب بجـراوة داخـل المغـرب، قـدم إلى الحضـرة سنـة سبـع وأربعمائـة متعلقـا بالخدمـة. وكـان شاعـرا فحـلا، قويـا، وصَّافـاً، دَربـاً بالخبـر والنسـب، جيـد الفكـر والخاطـر، تحسـب بديهتـه رَوِيَّتَـهُ، عميـدي الترسيـل، يتحَـدَّرُ كلامُـهُ كالسيـل. وكـان حسـن الخلـق، جميـل العشـرة، مدمنـا علـى الشـراب، متغارقـا فيـه، مزَّاحـاً. سألـه أيـوب [ربمـا يكـون أيـوب بـن يطوفـت الصنهـاجي] مـرة: أي بـروج السمـاء لـك؟ فقـال: واعجبـاً منـك؛ مـا لي في الأرض بيـتٌ؛ يكـون لي بـرجٌ في السمـاء. فضحـك، وأمـر لـه بـدار جـواره))[1].

---

[2] الصلـة، ج: 1، ص: 178.

[1] أنمـوذج الزمـان، ص ص: 216 ـــ 217.

وأرجع ابن رشيق سبب قتله إلى وشاية من خصومه؛ توجهوا بها إلى القائد حماد بن بلكين؛ فبعث من قتله ليلا. وبلغ عمره يوم وفاته نيفا وأربعين سنة؛ ويقال أن أحد الجراويين زعم أنه شاهده في المنام يقول له شعرا:

قَتَلُوهُ لاَ لِخِيَانَةٍ عُرِفَتْ لَهُ
إلاَّ لِفَضْلِ بَرَاعَةِ الشُّعَرَاءِ
أمَرُوا بِهِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَاجِبٍ
أكَذَا تَكُونُ صَنَائِعُ الأمَرَاءِ

ولما وصل البيتان إلى حماد أسف على الجراوي. ومن شعره في وصف شرفة المنزل؛ (أو المنظرة، أو الفسقية):

قَدْ كُلِّلَتْ دُرًّا أفَارِيزٌ لَهَا
فَتَبَرَّجَتْ فِيهَا بِكُلِّ طَرِيقِ
وَكَأنَّمَا القَصْرُ المُعَظَّمُ عَاشِقٌ
قَدْ حَارَ وَهْيَ لَدَيْهِ كَالمَعْشُوقِ
يَرْنُو إلَيْهَا بَاهِتاً شُرُفَاتُهُ
نَظَرَ الحَمَام لِلَقْوةٍ فِي نِيقِ
وَكَأنَّمَا النَّهْر الَذِي قُدَّامَهَا
جريا تَسِيلُ عَلَىَ رِقَابِ النُّوقِ

وقال ابن رشيق في هذه الأبيات: **((قد ناب هذا الخبر عن العيان؛ فأدى الصفة على تحقيقها، وملّكها أوفى حقوقها))**[1].

وأورد له ابن رشيق أيضا هذه المقطوعة التي يصف فيها الديك:

وكَائِنٍ نَفىَ النَّوْمَ عَنْ عُتْرُفَانِ
بَدِيعُ المَلاَحَةِ حُلْوُ المَعَانِي

بأجْفَانِ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَتَانِ
كَأنَّ وَمِيضَهُمَا جَمْرَتَانِ

عَلىَ رَأسِهِ التَّاجُ مُسْتَشْرِفاً
كَتَاجِ ابْنِ هُرْمُزَ فِي المَهْرَجَانِ

وَقِرْطَانِ مِنْ جَوْهَرٍ أحْمَرٍ
يَزِينَانِهِ زَيْنَ قِرْطٍ الحِصَانِ

لَهُ عُنُقٌ حَوْلَهَا رَوْنَقٌ
كَمَا حَوَتِ الخَمْرَ إحْدَى القنَانِي

وَدَارَ بُرَائِلُهُ حَوْلَهَا
كَمَا نَوَّرَتْ شَعْرَةَ الزَّعْفَرَانِ

وَدَارَتْ بِجُؤْجُئِهِ حُلَّةٌ
تَرُوقُ كَمَا رَاقَكَ الخُسْرُوَانِي

فَقَامَ لَهُ ذَنَبٌ مُعْجِبٌ
كَبَاقَةِ زَهْرٍ بَدَتْ مِنْ بَنَانِ

---

[1] أنموذج الزمان، ص ص: 216 ـــ 220.

وَقَــاسَ جَنَاحــاً عَــلىَ سَاقِــةِ
كَمَــا قِيــسَ سِتْــرٌ عَلىَ خَيْــزُرَانِ
وَصَفَــقَ تَصْفِيــقَ مُسْتَهْتِــــر
بمُحْمَــرَّةٍ مِــنٌّ بَنَــاتِ الدِّنـَـانِ
وَغَــرَّدَ تَغْرِيــدَ ذِي لَوْعَــةٍ
يَبُــوحُ بِأشْوَاقِــــهِ لِلْغَــــوَانِي

ومــن شعــره أيضــا:

وَالأعْوَجِيَّــاتُ الجِيَــــا
دُ تُثِيرُهَــا الأسْــدُ الغِضَــابُ
وَالسَّابِــرِيُّ كَأنَّـــــهُ
وَدَكَّــاءُ مُذْكِيَــة سَـــرَابُ
مُتَرَقْــرِقٌ كَالْمَــاءِ إذْ
يَعْلُــوهُ فِي النَّهْــرِ الحُبَــابُ
وَالنِّيــلُ يَحْــكِي ألْسُــنُ الْــ
ـــحَيَّاتِ أعْوَزَهَــا الشَّــرَابُ

ـ ثــم **أبــو عمــران مــوسى بــن عيــسى بــن أبي حجــاج الغــفَــجُــومي الجــراوي** (تــوفي بالقيــروان سنــة 430هــ/1038م)؛ فقيــه؛ مــن كبــار أهــل العلــم بالقيــروان؛ وكــان مــن أحفــظ النــاس، وأدركهــم للفقــه، والحديــث، والقراءات السبــع؛ ولــه بعــض

المؤلفات منها: كتاب علق فيه على المدونة، كما سجل من أحاديثه حوالي مائة ورقة.

ـ ثم **أبو القاسم خلف بن أحمد بن جعفر الجراوي** (توفي بالمرية سنة 475هـ/1082م)؛ فقيه؛ كانت له عناية بالعلوم؛ فهو راوية، وخطيب بجامع المرية.

ـ ثم **أبو بكر محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي الوادي آشي** (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ كان من كبار كتاب المرابطين بغرناطة. وهو فقيه، وأديب، وشاعر مطبوع؛ له اهتمامات بالطب، وبفنون عديدة؛ مدح الأمير علي ابن يوسف اللمتوني بقصيدة طويلة جاء فيها:

رَحلُوا الرَّكايبَ موهِنا
فَأذاع عُرْفُهُمُ السَّنَا

والحَلْي قَدْ أغرَى بِهِمْ
لَّما تَرَنَّمَ مُعْلِنَا

كَمْ حَفَّ حَوْل حِماهُمُ
مِنْ كُلِّ خطَّارِ القَنَا

و مـــن قولـــه في الرثـــاء:

حَنانَيكَ قَدْ أبْكَيْتَ حَتى الغَمائِمــَا
وشققْــتَ عــَنْ أزْهارِهِـــنَّ الكَمائِمَـــا

وَأدْمَيْـــتَ خَدًّا للبُرُوق بلَطْمِهَـــا
وَخلفــتَ مِنْ نَـــوْحِ الرُّعــُودِ مَآتِمَـــا

وَلَمْ يَبْـــقَ قَلْبٌ لا يُقَلِّبُـــهُ الأسَى
وَأشْجَيْـــتَ في أغْصَانِهِـــنَّ الحَمَائِمـَــــا

ــ ثـــم **أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن داود بـــن عطيـــة ابـــن سعيـــد العـــكي الجـــراوي** (تـــوفي بفـــاس سنـــة 525هـــ/1130م)؛ فقيـــه، ومحـــدث؛ كـــان أبـــوه قـــد استوطـــن القلعـــة؛ تـــولى قضـــاء تلمســـان، وإشبيليـــة، وفـــاس.

ــ ثـــم **أبـــو العبـــاس أحمـــد بـــن حســـن بـــن سيـــد المالـــقي الجـــراوي** (ت: سنـــة 560هـــ/1164م)؛ كـــان نحويـــا بارعـــا، وأديبـــا متفننـــا، وشاعـــرا مطبوعـــا. مـــن شعـــره الـــذي أورده ابـــن الأبـــار:

وبَيْـــنَ ضُلوعِي للصَّبَابَـــةِ لوْعَـــة
بُحُكـــم الهَـــوَى تقْضي عَليَّ ولا أقـــْضِي

جَنىَ نَاظِر مِنْها عَلى القلب ما جَنَى
فَيـــا مَنْ رأى بعضاً يُعِيـــن عَلى بــــعض

ـ ثم أبو **محمد يسكر بن موسى الغَفَجومي الجراوي** (توفي بفاس سنة 598هـ/1201م)؛ فقيه صوفي؛ أعد بعض الحواشي على المدونة؛ ولد في تاجنيت بتادلا.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغَفَجومي الجراوي** (توفي بإشبيلية سنة 609هـ/1212م)؛ وأصله من تادلا؛ ثم سكن مراكش؛ كان من علماء اللغة، والأدب، وكان شاعرا فحلا، وله ديوان شعر؛ وألف كتابا سماه: صفوة الأدب ونخبة كلام العرب؛ في موضوع الحماسة؛ وقد أثنى على هذا الكتاب عدد من العلماء. وهذه أبيات من قصيدة مدح بها عبد المؤمن:

أَعْلَيْتَ دِينَ الوَاحِدِ القَهَّارِ
بالمَشْرَفِيَّةِ وَالقَنَا الخَطَّارِ

وَرَأى بِهِ الإسْلاَمُ قُرَّةَ عَيْنِهِ
وَغَدَتْ بِكَ الغَرَّاءُ دَارَ قَرَارِ

وَمَلَكْتَ مِنْ طُرُق الهِدَايَةِ لاَحِقاً
طُوبَى لِمَنْ يَمْشِي عَلىَ الآثَارِ

وَجَرَتْ مَعَالِمُكُمْ إلىَ الأمَدِ الَّذي
بَعُدَت مَسَافَتُهُ عَلىَ الأسْفَارِ

لاَ غَــرْوَ أنْ كُنْتَ الأخِيرَ زَمَانــهِ
فَالفَضْــلُ لِلآصَــالِ وَالأسْحَـــارِ
وَافَيْـــتَ أنْدَلُســاً فَآمَـــنَ خَائِـــفٌ
وَسَمَـــا لأخْـــذِ الثَّـــارِ رَبُّ الثَّـــارِ

إلى أن يقـــول:
أخَلِيفَـــةَ المَهْدِيِّ دُمْـــتَ مُؤَيَّـــداً
باللَّـــهِ مُنْتَقِمـــاً مِـــنَ الكُفَّـــارِ
تَــرْمِي شَيَاطِينَ الأعَادِي فِي الوَغَى
برجُـــوم خَيْـــلٍ مِنْ سَمَـــاءِ غُبَـــارِ
رَوَّعْتَ كُلَّ مُرَوِّعٍ وَحَفِظْتَ كُـ
ـــلَّ مُضَيَّـــعٍ وَحَمَيْـــتَ كُلَّ ذِمَـــارِ

ومـــدح يوســف بــن عبــد المؤمــن بقولــه المبالــغ فيــه؛ ومــع ذلــك قبلــه يوســف:
عَنْ أمْرِكُـــمْ يَتَصَـــرَّفُ الثَّقَـــلاَنِ
وَبنَصْرِكُـــمْ يَتَعَاقَـــبُ المَلَـــوَانِ
وَبِمَا يَسُـــوءُ عَدُوَّكُمْ وَيَسُرُّكُـــمْ
تَتَحَـــرَّكُ الأفْـــلاَكُ فِي الـــدَّوَرَانِ
جَاهَدْتُمـُ فِي اللَّـــهِ حَقَّ جِهَـــادِهِ
وَنَهَضْتُـــمُ بحِمَايَـــةِ الإيمَـــانِ
وَتَرَكْتُـــمُ أرْضَ العِـــدَا وَقُلُوبَهُـــمْ
فِي غَايَـــةِ الرَّجَفَـــانِ وَالخَفَقَـــانِ

إلى أن يقـــول:

هَذَا مَقـَـامُ المُصْطَفى يَا فَوْزَ مَـــنَ
حَـــازَ النِّيَابـَـةَ فِيـــهِ عَنْ حَسَّـــانِ

مَنْ يَعْرَفِ الرَّحْمَنُ حَقًّا يَعْتَـــرِفْ
بِحُقُوقِـــهِ لِخَلِيفَـــةِ الرَّحْمَـــــنِ

فـــإذا كـــان السلطـــان يوســـف قـــد صمـــت عـــن هـــذه المبالغـــات، ولـــم يعتـــرض عـــلى مـــا جـــاء في هـــذه القصيـــدة؛ فـــإن ابنـــه يعقـــوب ــ المحافـــظ ــ قـــد استنكـــر أقـــوال الجـــراوي؛ الـــتي كانـــت تحمـــل معـــانٍ شيعيـــة؛ تضـــفي بعـــض الصفـــات الإلهيـــة عـــلى الإمـــام؛ مثـــل: **التصـــرف في الجـــن، والإنـــس، والتحكـــم في الليـــل، والنهـــار، والتأثيـــر في الأفـــلاك العليـــا**. كمـــا أنـــه وضـــع يوســـف في **مرتبـــة المصطـــفى**؛ بينمـــا تمـــنى لنفســـه **مترلـــة حســـان مـــن المصطـــفى**. ويقـــال أن يعقـــوب بـــن يوســـف غضـــب عليـــه بسبـــب ذلـــك. وممـــا قالـــه في مـــدح يعقـــوب؛ بعـــد الانتصار الـــذي حققـــه في موقعـــة الأرك:

هَذَا الفَتحُ أعْيَا وَصْفهُ النَّظْمَ وَالنَّثْـــرَا
وَعَمَّـــتْ جَمِيـــعَ المُسْلِمِينَ بِهِ البُشْـــرَى

وَأنْجَدَ فِي الدُّنْيَـــا وَغَـــار حَدِيثِـــهِ
فَرَاقـــَتْ بِهِ حُسْنـــاً وَطَابَـــتْ بِهِ نَشْـــرَا

تَمَيَّـــزَ بِالآحْجَـــالِ وَالغُـــرَرِ الَّـــتِي
أَقَلُّ سَنَاهَـــا يُبْهِـــرُ الشَّمْـــسَ وَالبَـــدْرَا
لَقَدْ أَوْرَدَ الأذْفُونْشُ شِيعَتُهُ الـــرَّدَى
وَسَاقَهُمْ جَهْـــلاً إِلَى البَطْشَـــةِ الكُبْـــرَى

ومـــن شعـــره؛ الـــذي ورد في نفـــح الطيـــب؛ هـــذه القصيـــدة الـــتي يهجـــو فيهـــا قومـــه بـــني غفجـــوم؛ ناقـــلا هجـــاءه إلى بـــني الملجـــوم بفـــاس:

يابْنَ السَّبِيـــلِ إذا مَـــرَرْتَ بِتَـــادَلا
لا تَنْزِلَـــنَّ عَلَـــى بَـــنِي غَفَجُـــومِ
أرْضٌ أغَارَ بِهَا العَـــدُوُّ فَلنْ تـــرَى
إلاَّ مُجَاوَبَـــةَ الصَّـــدَى لِلْبُـــومِ
قَوْمٌ طَـــوَوْا ذِكْرَ السَّماحَةِ بَيْنَهُـــمْ
لكِنَّهُـــمْ نَشَـــروا لِـــواءَ اللُّـــومِ
لاَ حَـــظَّ في أمْوالِهـــمْ ونَوالِهـــمْ
لِلسَّائِـــلِ العَـــافِي ولاَ المَحْـــرومِ
لاَ يَمْلِكونَ إذا اسْتُبِيـــحَ حَرِيمِهـــمْ
إلاَّ الصُّـــراخَ بدَعْـــوَةِ المَظْلُـــومِ
يَا لَيْتَـــنِي مِنْ غَيْرِهِـــمْ وَلَوْ أَنَّـــنِي
مِنْ أرْضِ فَـــاس مِنْ بَنِي المَلجُـــومِ

ومــن شعــره في هجــاء أهــل فــاس:

مَشى اللؤْمُ في الدنْيَا طَرِيداً مُشَــرَّدَا
يَجُــوبُ بِــلادَ اللــهِ شَرْقــاً وَمَغْرِبَــا
فَلمَّــا أتى فَاســاً تَلَقَّــاهُ أهْلهَــا
وقالُــوا لَهُ: أهْــلاً وسَهْــلاً ومَرْحَبَــا

وقــال عنــه ابــن خلكــان: ((**وكــان هــذا الأديــب نهايــة في حفــظ الأشعــار القديمــة، والمحدثــة. وتقــدم في هــذا الشــأن، وجالــس بــه عبــد المؤمــن، ثــم ولــده يوســف، ثــم ولــده يعقــوب... كانــت لــه نــوادر نــادرة، وملــح مستظرفــة عنــد أهــل الأدب؛ فمــن ذلــك أنــه حضــر يومــا إلى بــاب دار الأميــر يوســف المذكــور؛ وهنــاك الطبيــب سعيــد الغمــاري... فقــال الأميــر يوســف لبعــض خدمــه: "أنظــر مــن بالبــاب مــن الأصحــاب"؛ فخــرج الخــادم إلى البــاب ، ثــم عــاد إليــه فقــال: "أحمــد الجــراوي، وسعيــد الغمــاري"؛ فقــال الأميــر يوســف: "مــن عجائــب الدنيــا؛ شاعــر مــن جــراوة، وطبيــب مــن** غمــارة**"؛ فبلــغ ذلــك الجــراوي فقــال: "وضــرب لنــا مثــلا ونــسي نفســه" "يــس: 87"؛ "أعجــب منهمــا واللــه خليفــة مــن كوميــة". فيقــال إن الأميــر يوســف**

لما بلغه ذلك قال: "أعاقبه بالحلم عنه، والعفو؛ ففيه تكذيبه"))[1]. وكان يوسف بن عبد المؤمن حليما ومتسامحا؛ على خلاف ابنه يعقوب؛ الذي يميل إلى التشدد؛ خاصة فيما يتعلق بالخلق الديني؛ لذا فإنه أبعد الجراوي عن ديوانه؛ بسبب أفكاره التي تميل إلى التصريح بعصمة الإمام؛ وهذه الفكرة بالذات لا يستسيغها يعقوب. وذكر المقري حكاية؛ تكشف عما يكنه السلطان يعقوب من كراهية للجراوي؛ وخلاصتها أن الجراوي تصدى للشاعر يحيى بن مجبر الفهري؛ عندما أنشد قصيدة؛ مدح فيها السلطان يوسف؛ جاء فيها:

إنَّ خَيْرَ الفُتُوحِ مَا جَاءَ عَفْواً
مِثْلُ مَا يَخْطُبُ الخَطِيبُ ارْتِجَالا

فقاطعه الجراوي ــ من فرط حسده ــ وقال: **(("يا سيدنا اهتدم بيت وضاح:**

خَيْرُ شَرَابِ مَا كَانَ عَفْواً
كَأَنَّهُ خُطْبَةُ ارْتِجَالِ

---

[1] وفيات الأعيان، ج: 7، ص ص: 136 ــ 137.

فَبَدَرَ المنصور ــ وهو حينئذ وزير أبيه، وسنه قريب من العشرين ــ وقال: " إن كان اهتدمه؛ فقد استحقه؛ لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف؛ فسر أبوه بجوابه، وعجب الحاضرون))[2]. ولما توفي السلطان يعقوب؛ وخلفه ابنه الناصر؛ استعاد الجراوي بعض مكانته؛ ففي قصيدة يمدحه فيها المح إلى معاناته، والتمس منه إعادته لسابق عهده:

لَبِسَتْ بِهِ الدُّنْيَا جَمَالاً كُنْهَهُ
أَعْيَا عَلَىَ الأَفْكَارِ وَالأَوْهَامِ
فَكَأَنَّهَا دَارُ السَّلاَمِ نَعِيمُهَا
مُتَأَبِدٌ، وَدُخُولُهَا بِسَلامِ

إلى أن يقول:

فَارَقْتُ مَا قَدْ كُنْتُ فِيهِ كَأَنَّهُ
طَيْفٌ رَأَتْهُ العَيْنُ فِي الأَحْلاَمِ
فَعَسَى أرَي وَجْهَ الرِّضَا فَلَطَالَمَا
أمِّلْتُ رُؤْيَتَهُ مَعَ الأَعْوَامِ

---

[2] نفح الطيب، ج: 3، ص: 238.

ـ ثم أبو **يحيى عتبة بن محمد بن عتبة الوادي آشي الجراوي** (ت: سنة 635هـ/1237م)؛ فقيه، وعالم بالنحو، والأدب؛ ولاه محمد بن هود خطة قاضي الجماعة بالأندلس.

***

ـ ***مواطنهم:*** مواطن جراوة الأولى كانت **بإفريقية**، **والمغرب الأوسط**؛ ثم نزحوا إلى **المغرب الأقصى**؛ وهم ـ حتى عهد ابن خلدون ـ يقيمون بتلك الديار، ويندرجون ضمن قبيلة **يطوفت**، وغيرها من أحياء **غمارة**.

....

ـ بنو يفرن:

وهم أبناء **يفرن بن يصلتين**. وجدهم الأكبر هو **زانا بن يحيى**. وإخوانهم هم: مغراوة، وبنو يرنيان، وبنو واسين. وأهم الأحياء المتفرعة عنهم: **بنو واركوا، ومرنجيصة**. وكان بنو يفرن ـ في بداية الفتح الإسلامي ـ ضمن القبائل الأمازيغية المتحالفة مع جرواة؛

بهدف مقاومة المسلمين. وبعد هزيمة ذلك الحلف، ومقتل الكاهنة، وافتراق شمل القبائل في أقطار المغرب، تعرض بنو يفرن للمصير نفسه. ولكنهم سرعان ما ظهروا للمرة الثانية؛ ضمن أحلاف أمازيغية جديدة؛ قامت بالثورة ضد ولاة بني أمية، وبني العباس؛ بقيادة ميسرة المطغري، وخالد بن حميد الزناتي، **وأبي قرة اليفرني**. كما ظهروا أيضا ضمن أحلاف قبلية أخرى؛ ثارت على الدولة الفاطمية؛ **بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني**؛ وهو من **بني واركو**. وقد بلغ تأثير هذه الثورة في الدولة الفاطمية؛ درجة كادت بسببها أن تسقطها نهائيا؛ لولا بعض التصرفات السلبية؛ التي تسببت في تفرق جل القبائل عن أبي يزيد.

ومع هذا فقد استطاعت قبيلة بني يفرن أن تصل برؤسائها إلى **مرتبة الملك**؛ حيث أقامت دولا عديدة؛ في المغربين: الأوسط، والأقصى؛ وفي الأندلس؛ زمن الطوائف؛ وهذه الإمارات هي: **إمارة أبي قرة اليفرني**؛ وهي في الحقيقة إمارة بدوية؛ قامت في شكل حلف قبلي. ثم إمارة **يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بافكان**. ثم **إمارة بني يعلى بن محمد اليفرني بسلا**؛

من المغرب الأقصى. ثم **إمارة أبي نور بن أبي قرة اليفرني برندة**؛ من إقليم **تاكرُنّا بالأندلس**. أضف إلى ذلك.. الكتلة القبلية التي **ترأسها أبو يزيد**؛ والتي يمكن اعتبارها إمارة حرب؛ تجمع بعض الأحلاف القبلية الزناتية؛ وهي ــ في الحقيقة ــ تتشابه مع التجمع القبلي الذي قاده أبو قرة اليفرني. وما يستحق الملاحظة ــ هنا ــ هو تمكن تلك الإمارات من الصمود ــ لبعض الوقت ــ أمام تكالب الدول القوية؛ في المنطقة؛ إذ كانت تستميت؛ طمعا في البقاء، والاستقلال؛ ولكن تعذر عليها الاستمرار في صمودها طويلا؛ نظرا لتضارب المصالح بين القبائل، والبطون الزناتية؛ إذ لم تتمكن أية عصبية؛ من احتواء العصبيات الصغرى الأخرى. ومع مرور الزمن؛ مال حال بني يفرن إلى الضعف، والتفكك؛ بعد العز، والسلطان؛ فتفرقت أحياؤهم عبر بلاد المغرب، والأندلس[1].

---

[1] أنظر ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 22 ــ 50.

وقد عرف ابن خلدون حياً من أحيائهم بإفريقية؛ ما بين القيروان، وتونس؛ من بقايا قبيلة **مرنجيصة**؛ بعد أن **وهنت عصبيتهم**، وضاع عزهم؛ فأضحوا في عداد القبائل الغارمة. ويقول عنهم أنهم كانوا ظواعن في تلك الجهات؛ ينتجعون الكلأ، ويرعون الشاء، والبقر؛ كما يتعاطون الفلاحة؛ في بعض الحالات. وكانت الدولة الموحدية قد ألزمتهم بدفع المغارم، وتقديم حصة من المقاتلين للدولة؛ عند الحاجة. وفي زمن ابن خلدون؛ تسلط عليهم حي من بني سليم؛ يسمى الكعوب؛ كانت الدولة الحفصية قد استنجدت بهم؛ لصد قبيلة الدواودة؛ من أحياء رياح؛ فأقطعتهم المنطقة ما بين قابس، وباجة. فأضحت مرنجيصة ــ بذلك ــ ضمن إقطاعاتهم؛ فألزموها بدفع الخراج، والمغارم إليهم؛ دون الدولة؛ بل فرضوا على هذا الحي تقديم حصة من المقاتلين؛ عند الحاجة؛ لتكون معهم في حروبهم.

! ! !

ــ **أعيانهم:** من علماء بني يفرن المعدودين:

ــ **أبو عبد الله محمد بن المَعِزِ اليفرني المايورقي** (ت: سنة 607هـ/1210م)؛ مقرئ، ومحدث؛ ولي خطة الشورى، والقضاء بميورقة.

ــ ثم **أبو زكرياء يحيى اليفرني** (ت: سنة 701هـ/1301م)؛ وهو من الفقهاء.

ــ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني** الشهير بالمكناسي وبالطنجي (ت: سنة 734هـ)؛ فقيه؛ من الأعلام اليفرنيين الذين ارتبط اسمهم بمدينة مكناسة؛ كان إماما في علمي: الفرائض، والحساب في زمنه.

ــ ثم **أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني** (توفي بفاس سنة 753هـ/1352م)؛ فقيه. وهو أخو أبي الحسن الطنجي؛ واشتهر بالمكناسي؛ بسبب إقامته بتلك المدينة لبعض الوقت.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليفرني** الشهير بالمكناسي (ت: سنة 818هـ/1415م)؛ وهو من الضالعين في العلوم الفقهية، وعلم الفرائض.

ــ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد اليفرني** الشهير بالمكناسي (توفي بفاس سنة 856هـ/1452م)؛ فقيه؛ ومن علماء: الحساب، والفرائض.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله اليفرني**؛ الشهير بالمكناسي أيضا (توفي بفاس سنة 917هـ/1511م)؛ فقيه؛ ولي القضاء بفاس لمدة تعدت الثلاثين سنة؛ وهو من ذرية أبي الحسن الطنجي؛ له مؤلفات منها: مجالس القضاة والحكام، والتنبيه والإعلام فيما أفتاه به المفتون وحكم به القضاة من الأحكام.

ooo

أما أعيان بني يفرن وأمرائهم، ورجال السياسة فيهم؛ فهم:

ـ **أبو قرة اليفرني** (كان حيا سنة 148هـ/765م)؛ وهو من قادة الصفرية الثائرين على ولاة القيروان.

ـ ثم **أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني** (ت: سنة 335هـ/946م)؛ الإباضي، النكاري، الثائر على الفاطميين؛ فإلى جانب اشتغاله بأمور السياسة، والحكم؛ فهو ـ أيضا ـ من علماء المذهب الإباضي؛ ولكنه نكاري الإتجاه.

ـ ثم **محمد بن صالح اليفرني** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو أبو السلاطين من بني يفرن؛ وإن كان شأنه قبلهم لا يتعدى حدود رئيس القبيلة.

ـ ثم **يعلى بن محمد بن صالح** (ت: سنة 347هـ/958م).

ـ ثم **يدوي بن يعلى بن محمد** (توفي بعد 383هـ/993م).

ـ ثم **حمامة بن زيري بن يعلى اليفرني** (توفي بعد 406هـ/1015م).

ـ ثم **أبو الكمال تميم بن زيري اليفرني** (ت: سنة 446هـ/1054م).

ـ ثم **أبو نور هلال بن أبي قرة بن دوناس اليفرني** (ت: سنة 450هـ/1058م). وهو الذي استبد بمنطقة تاكرُنَّا؛ بالأندلس؛ حيث شيد فيها إمارة استقل بها ـ أيام حكم الطوائف ـ واتخذ من رندة حاضرة لإمارته.

ـ ثم ولده **أبو نصر فتوح بن هلال** (ت: سنة 457هـ/1064م)؛ وبموته انتهت دولتهم برندة؛ وسقطت في أيدي ابن عباد.

***

ـ ***مواطنهم:*** كانت مواطن **بني يفرن** ـ في البداية ـ **بإفريقية، وجبال أوراس، وجهات تلمسان، وتيهرت.** ثم انتقل جمهورهم إلى **المغرب الأقصى**؛ حيث أقاموا **دولة في فاس، وسلا.**

....

ـ ***مغرواة:***

وهم أبناء **مغراو بن يصلتين.** وجدهم الأكبر هو **زانا بن يحيى.** وهم اخوة بني يفرن، وبني يرنيان، وبني واسين. ومن أهم بطون مغراوة: **لقواط** أو (لغواط)، **وريغة، وبنو سنجاس، وبنو ورا.** ويقال أن أميرهم ـ أثناء الفتح ـ كان يسمى **صولات بن وزمار**؛ ذهب إلى المدينة المنورة؛ إما موفدا، وإما أسيرا؛ فقابل عثمان رضي الله عنه؛ فأكرمه؛ بعد إسلامه، وعقد له على قومه. فأصبح صولات؛ هو وقومه مغراوة ـ منذئذ ـ من موالي عثمان، وبني أمية. وبعد قيام الدولة الإدريسية انحازت إليها مغراوة، وسلمت إليها قيادة الأمور في تلمسان. واكتفى أمراؤها بمرتبة الرئاسة على قومهم عبر الأرياف، والبوادي.

ولما تطلع حكام الأندلس؛ من بني أمية؛ إلى بلاد المغرب؛ نقل المغراويون ولاءهم إليهم. نظرا لظهور الدولة الفاطمية؛ التي تهددهم جميعا، وتبعا لهرم الدولة الإدريسية؛ العاجزة عن حماية كيانها، وردع أعدائها. هذا.. وقد عرفت مغراوة فتنا عديدة، وصراعات شديدة؛ بينها وبين الدول المتواجدة ــ آنئذ ــ بالمغرب الإسلامي مثل: الدولة الفاطمية، والدولة الصنهاجية؛ بشقيها: (الزيرية، والحمادية). هذا.. بالإضافة إلى الحروب الطاحنة؛ بينهم وبين اخوتهم من بنى يفرن؛ وذلك بسبب أنهم ــ جميعا ــ يسعون إلى إقامة دولة؛ تخضع إليها **العصبيات الزناتية** كلها. ولما كانت العصبيتان متكافئتين؛ فقد تعذر حسم الصراع لصالح أحدهما. ومع هذا فقد تمكن كل طرف من إنشاء بعض الإمارات، والدول في المغربين: الأقصى، والأوسط، ثم طرابلس؛ مثل: **إمارة محمد بن خزر** بتلمسان، **وإمارة آل زيري ابن عطية** بفاس، **وإمارة بني خزرون** بسجلماسة، **وإمارة بني خزرون** بطرابلس، **وإمارة بني يعلى** أولاد خزر بتلمسان، **وإمارة لقوط بن**

يوسف بن علي المغراوي بأغمات، **ثم إمارة بني منديل** بشلف ومازونة[1].

وبنو سنجاس منهم؛ وهم منتشرون في إفريقية، والمغربين: الأوسط، والأقصى؛ أين تركوا أثرا كبيرا؛ نتيجة لحروبهم المضنية ـــ إلى جانب أبناء عمومتهم من زناتة ـــ ضد صنهاجة؛ حيث اشتد عيثهم، وتضاعف فسادهم في المدن، والمسالك. وبقدوم بني هلال؛ ضعف أثرهم؛ وانسحب جمعهم إلى الحصون، والمعاقل؛ حيث أعطوا ـــ صاغرين ـــ المغارم إلى شيوخ القبائل الهلالية المتغلبة على تلك الجهات أحيانا، وإلى الدولة أحيانا أخرى.

أما **بنو ريغة** فيتفرعون إلى أحياء عديدة؛ توزعوا في الأقطار؛ بعد افتراق الأحلاف الزناتية: فمنهم من اختار سكنى القياطن؛ عند **جبل عياض**، وفي السهوب الممتدة إلى **نقاوس**؛ منصاعين، وخاضعين لإعطاء المغارم للدولة، أو للقبائل المتغلبة. ومنهم من اطمأن إلى بيوت الطين، والحجر؛ في **قصور الزاب، ووادي ريغ، ووركلا**؛ مستسلمين للدولة، وضرائبها. **أما لقواط** فهم كذلك فخذ من مغراوة. اشتهروا

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 50 ـــ 101، 131 ـــ 146.

بالإبـــاء، والنجـــدة، والامتناع عـــن الدولـــة، والأعـــراب؛ في المناطـــق النائيـــة. **وأمـــا بنـــو ورا** فمتفرقـــون بيـــن: **مراكـــش، والســـوس، وقسنطينـــة، وشلـــف.** قابليـــن بإعطـــاء المغـــارم، والمقاتليـــن للدولـــة. وبعـــد أفـــول الدولـــة الموحديـــة؛ نهـــض حي مـــن مغـــراوة في **جهـــات شلـــف**؛ وهـــم **بنـــو منديـــل**؛ أمـــراء تلـــك الجهـــات[1].

! ! !

— ***أعيانهـــم:*** بـــرز مـــن مغـــراوة علمـــاء، وأمـــراء، وقـــادة؛ كـــان لهـــم ذكـــر، وشهـــرة؛ منهـــم:

— **أبـــو عـــلي منصـــور بـــن الخيـــر بـــن يعقـــوب ابـــن يمـــلا المالـــقي المغـــراوي** المعـــروف بالأحـــدب (تـــوفي بمالقـــة سنـــة 526هـــ/1131م)؛ وهـــو عالـــم بالقـــراءات؛ فاعتـــنى بهـــا، وبروايتهـــا، وطرقهـــا؛ وجمـــع فيهـــا كتبـــا؛ لقنهـــا لغيـــره.

— ثـــم **أبـــو زكريـــاء يحيـــى بـــن محمـــد التونـــسي المغـــراوي** (مـــن أعـــلام القـــرن الثامـــن للهجـــرة)؛ وهـــو ممـــن سمـــع منهـــم ابـــن الخطيـــب بالمدينـــة المنـــورة.

---

[1] أنظـــر العبـــر، مج: 7، ص ص: 131 ـــ 146.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المغراوي** (ت: سنة 820هـ/1427م)؛ من أعلام الفقه المالكي، والأصول، والنحو. ويقال أنه كان يعارض عبد الرحمن ابن خلدون، ويفتي عليه؛ كما حدث بينه وبين البساطي جدال علمي تحول إلى مشاجرة، ومشاتمة.

ـ ثم **أحمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني** الشهير بابن زاغو (ت: سنة 845هـ/1441م)؛ فقيه، وصوفي؛ له مؤلفات عديدة منها: تفسير الفاتحة، وشرح التلمسانية في الفرائض؛ وله أيضا فتاوى عديدة في مختلف العلوم والأغراض؛ سجل معظمها في معيار المازوني.

ـ ثم **واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فركون المغراوي** (ت: سنة 856هـ/1452م)؛ فقيه وقاضي، ومن أعلام الفقه، والبيان.

ـ ثم **أحمد بن القاضي البجائي المغراوي** (توفي قبل سنة 920هـ/1514م)؛ من الفقهاء العاملين بجبل زواوة.

ـ ثم **أبو عبد الله شقرون محمد بن أحمد ابن أبي جمعة** (ت: سنة 930هـ/1523م)؛ مقرئ،

وأستاذ، ومتكلم؛ وله بعض المؤلفات؛ منها: الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين.

– ثم **محمد بن يحيى بن موسى المغراوي التلمساني الراشدي** دارا؛ فقيه. وصوفي؛ من أهل التفسير، والتوحيد؛ له شرح على أرجوزة أبي زيد عبد الرحمن السنوسي.

ооо

ومن أهم رؤساء مغراوة وأمرائها العاملين في شئون الحكم، والسياسة:

– **صولات بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة)؛ وهو كبير مغراوة وأميرها خلال الفتح الإسلامي؛ كما سبق ذكره.

– ثم ابنه **حفص بن صولات بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة).

– ثم **خزر بن حفص بن وزمار** (من أعلام القرن الأول للهجرة). أمير مغراوة؛ في عهده.

– ثم **محمد بن خزر بن حفص**. أمير مغراوة في وقته.

ـ ثم **خزرون بن فلفول بن خزر**(توفي بعد 366هـ/976م)؛ وهو مؤسس إمارة مغراوة بسجلماسة.

ـ ثم **سعيد بن خزرون بن فلفول** (ت: سنة 381هـ/991م)؛ وهو أمير طبنة؛ تحت طاعة السلطان المنصور ابن بلكين الصنهاجي.

ـ ثم **زيري بن عطية بن عبد الله بن خرز بن حفص المغراوي** (ت: سنة 391هـ/1000م)؛ عرف عهده اضطرابات عديدة، ووقائع بينه وبين مختلف القوى المتواجدة آنذاك ببلاد المغرب؛ كبني أمية، وبني حماد، وبني يفرن.

ـ ثم ولده **فلفول بن سعيد بن خزرون** (ت: سنة 400هـ/1009م)؛ كان أميرا على طبنة؛ ثم نشبت بينه وبين بني زيري الصنهاجيين فتن، وخلافات؛ انجر عنها احتلاله لطرابلس؛ أين أقام فيها إمارة للمغراويين.

ـ ثم **المعز بن زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المغراوي** (ت: سنة 417هـ/1026م)؛ كان في البداية منضويا إلى بني أمية؛ ولما اضطرب حالهم؛ مال إلى الاستبداد، وعدم الرجوع إليهم.

ـ ثم **أبو العطاف حمامة بن المعز بن زيري ابن عطية** (ت: سنة 433هـ/1041م)؛ يعتبر من أجَلِّ أمراء مغراوة؛ علما، وسلطانا؛ كان محبا للأدب، ومشجعا للشعراء؛ الذين يتسابقون إلى بلاطه ببلاد المغرب؛ وافدين إليه من الأندلس.

ـ ثم **دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي** (ت: سنة 452هـ/1060م)؛ تولى إمارة فاس بعد وفاة أبيه؛ وعرف عهده هدوءا، ورخاء؛ نمت، وعظمت فاس بسببهما؛ وأضحت قبلة للتجار، وأصحاب الصنائع؛ كما تضاعف عمرانها؛ ببناء أسوار المدينة، وتشييد المساجد، والفنادق، والحمامات، ومختلف المنشآت، والمرافق.

ـ ثم **الفتوح بن دوناس بن حمامة بن المعز ابن عطية المغراوي** (ت: سنة 457هـ/1064م)؛ في عهده سقطت دولة مغراوة بفاس؛ بواسطة جيوش المرابطين؛ وإليه ينتسب باب الفتوح الموجود الآن بفاس.

ـ ثم **منديل بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الصمد الخزري المغراوي** (ت: سنة 623هـ/1226م). صاحب إمارة مغراوة بشلف.

***

ــ ***مواطنهم:*** تمتد مواطن مغراوة ضمن بلاد المغرب الأوسط؛ **من تلمسان إلى شلف، وحتى جبال مديونة.** ثم هيمنوا ــ بعد ذلك ــ على المغرب الأوسط كله تقريبا، **وبعض الأقطار من المغرب الأقصى.** وبعد أن أخرجهم الصنهاجيون من المغرب الأوسط. عادوا إلى الظهور فيه؛ أواخر الدولة الموحدية؛ عبر مناطق **شلف، ومتيجة**، وبعض المناطق الداخلية. وحدد ابن خلدون بعض مواطن بطونهم المعروفة بقوله: **((فأما بنو سنجاس فلهم مواطن في كل عمل من إفريقية، والمغربين؛ فمنهم قبلة المغرب الأوسط؛ بجبل راشد، وجبل كريكرة؛ بعمل الزاب، وبعمل شلف...[و] بعمل قسنطينة... ومن بني سنجاس من نزل بالزاب...[و] بأرض المشنتل؛ ما بين الزاب، وجبل راشد؛ أوطنوا جباله... أما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة. ولما افترق أمر زناتة؛ تحيز منهم إلى جبل عياض، وما إليه من البسيط إلى نقاوس؛ وأقاموا في قياطينهم... ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووركلا؛ فاختطوا قرى كثيرة؛ في عدوة وادٍ ينحدر من الغرب إلى الشرق،**

ويشتمل على المصر الكبير، والقرية المتوسطة، والأطم؛ قد رف عليها الشجر، ونضدت حفافيفها النخيل، وانساحت خلالها المياه، وزهت بنابعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران؛ من ريغة هؤلاء. وبهم تعرف لهذا العهد...وأكبر هذه الأمصار تسمى تقرت... ثم بعد مدينة تقرت بلد تماسين...وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا؛ فهم في نواحي الصحراء؛ ما بين الزاب وجبل راشد[1]. ولهم هناك قصر مشهور بهم؛ فيه فريق من أعقابهم؛ على سغب من العيش؛ لتوغله في القفر... وبينهم وبين الدوسن؛ أقصى عمل الزاب مرحلتان؛ وتختلف قصودهم إليه؛ لتحصيل المرافق منه...وأما بنو ورا فهم فخذ من مغراوة أيضا...وهم متشعبون، ومفترقون بنواحي المغرب: فمنهم بناحية مراكش والسوس، ومنهم ببلاد شلف، ومنهم بناحية قسنطينة...))[1].

....

[1] جبل عمور حالياً.

[1] المصدر السابق، ص ص: 96 ــ 100.

ـ *بنو يرنيان*:

وهم **بنو يرنيان بن يصلتين**. جدهم الأكبر هو **زانا بن يحيى**. ومن اخوتهم: بنو يفرن، ومغراوة. عرفنا من بطونهم ـ حتى الآن ـ **بني وطاط**. وكان بنو يرنيان من أشد القبائل شكيمة، وأخلصهم جهادا؛ حيث أمدوا الدولة الأموية بالأندلس بأقوى الجنود، وأفحل المجاهدين. ولما حدثت الفتنة التي أجهزت على الدولة الأموية؛ **ثار بنو خزرون**؛ الذين ينسبهم بعض المؤرخين إلى بني يرنيان؛ **بقلشانة** سنة 402هـ/1011م؛ فتمكنوا بعدها من التغلب على **أركش**؛ وأعلنوا دولتهم بها. غير أنني أشك في انتماء بني خزرون هؤلاء إلى بني يرنيان؛ وأعتقد أنهم من مغراوة، وينحدرون عن الجد المدعو **عبدون بن الخير بن محمد بن خزر المغراوي**؛ القادم إلى الأندلس مع جعفر بن على؛ في جملة زعماء الأمازيغ[1].

---

[1] ابن حيان؛ المقتبس، القطعة المحققة من طرف حجي، ص ص: 39 ـ 40. العبر، مج: 4، ص ص: 324. 339.

ويبدو أن الالتباس حدث بسبب كونهم من حلفاء مغراوة؛ ــ كما ذكر ابن خلدون ــ ولما كانت أعداد بني يرنيان متغلبة؛ على غيرهم من حماة إمارة بني خزرون؛ فأن بعض الناس ظنوا أن أمرائهم هم بدورهم من بني يرنيان؛ مع أنهم ــ كما يبدو لي ــ من مغراوة؛ حلفاء بني يرنيان آنذاك. وقبولهم بحكمهم؛ يرجع إلى أنهم كانوا يصنفون ضمن **أهل النصاب الملكي**؛ لما كانوا عليه أيام بني أمية. ومما يعزز هذا الرأي أن ابن خلدون لم يشر كما هي عادته ــ عند حديثه عن بني يرنيان إلى إمارتهم بالأندلس؛ بينما نراه يشير إلى إمارات أخرى لبني يفرن، وبني دمر، وبني برزال..ألخ وعلى الرغم من شكي؛ فسأضعهم مع بني يرنيان حتى يأتي اليقين بخلاف هذا.

أما في بلاد المغرب؛ فكان **بنو يرنيان** أتباعا، وأعوانا لإخوانهم مغراوة أيام الملك. وفي العهود الأخيرة تحالفوا مع بني مرين، وجاوروهم بالقفر؛ خلال عهدي: المرابطين، والموحدين؛ وكانوا سندا قويا لهم عند إسقاط الدولة الموحدية. وعليه.. فقد أشركهم بنو مرين في مناصب الدولة؛ حيث أسندوا إلى بعض

بيوتهـم مرتبـة الـوزارة، كمـا عُيـن آخـرون علـى رأس المقاطعـات، والعمـالات[2].

! ! !

ـ *أعيانهـم*: نبـدأ بمـن نسـب إليهـم في الأندلـس؛ علمـا بـأني سأبـقى متحفظـا ـ كمـا سبـق أن أشـرت ـ وعليـه.. يمكـن أن يكـون منهـم:

ـ **أبـو عبـد اللـه محمـد بـن خـزرون بـن عبـدون الخـزري** (تـوفي حـوالي عـام 420هـ/1029م)؛ قـال عنـه ابـن عـذاري: **((ثـم غلـب علـى أركـش؛ وهي أعظـم معاقـل الأندلـس؛ فملكهـا، وأقـام ملكهـا، ضابطـا لهـا، مثمـرا لأموالهـا؛ وكـان فتاكـا، هتاكـا، قتـالا، سفاكـا))**[1].

ـ ثـم **عبـدون بـن محمـد بـن خـزرون** (تـوفي حـوالي عـام 445هـ/1053م)؛ خلـف والـده علـى إمـارة أركـش؛ وضـم إليهـا مـا جاورهـا مـن البـلاد؛ كقلشانـة، وشريـش؛ وفي عـام 445هـ غـدر بـه ابـن عبـاد؛ حيـن دعـاه مـع محمـد بـن نـوح

---

[2] العبـر، مج: 7، ص ص: 101 ـــ 103.

[1] البيـان المغـرب، ج: 3، ص: 294.

إلى زيارته بإشبيلية؛ ولما قدما إليه؛ قبض عليهما، وقتلهما في سجنهما.

ـ ثم **محمد بن محمد بن خزرون (**ت: سنة 461هـ/1068م**)**؛ تولى حكم أركش بعد موت أخيه عبدون؛ حيث سارع إلى تحصين بلاده؛ تحسبا لصد هجمات ابن عباد؛ ولكن هذا الأخير طاوله، واستنزف قواه؛ حتى سقطت أركش في يده. وقتل محمد بن خزرون في المعركة؛ بعد أن أمر بقتل زوجته؛ ذات الجمال الرائع، وأخته؛ لكي لا تقعا في أسر أعدائه.

ooo

وأهم رؤساء، وزعماء بني يرنيان في ظل الدولة المرينية:

ـ **إبراهيم بن عيسى بن ماخوخ اليرنياني (**من أعلام القرن الثامن للهجرة**)**؛ ولي خطة الوزارة لعدد من سلاطين بني مرين؛ بدءا بعامر بن عبد الله بن يوسف، فسليمان بن عبد الله، فعثمان بن يعقوب.

ـ ثم ابنه **مسعود بن إبراهيم بن عيسى (**من أعلام القرن الثامن للهجرة**)**؛ ولاه السلطان أبو الحسن على أعمال السوس سنة

730هـ/1329م، واستخلفه ـ بعدها ـ بأخيه حسون؛ أما مسعود فولاه على بلاد الجريد؛ لما فتحها سنة 748هـ/1347م .

ـ ثم **حسون بن إبراهيم** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ ولي أعمال السوس هو الآخر بعد أخيه مسعود.

ـ ثم **موسى بن إبراهيم بن عيسى** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ تقلد خطة الوزارة؛ لدى أبي الحسن علي بن عثمان؛ كما أسند إليه أبو عنان مهام جليلة؛ منها ولاية أعمال سدويكش الكتاميين بجهات قسنطينة.

ـ ثم **محمد السبيع بن موسى بن إبراهيم** (من أعلام القرن الثامن للهجرة)؛ وهو الذي رشحه أبو عنان للوزارة، كما أسندها ـ أيضا ـ إليه السلطان عبد الحليم بن أبي علي (المعروف بحلي).

***

ـ **مواطنهم:** ومواطن **بني يرنيان** الأصلية تمتد بين **سجلماسة، وكرسيف**، على ضفاف ملوية؛ حيث كانوا مجاورين لمكانسة. وفي عهد المرابطين، والموحدين من بعدهم؛ نزح الظواعن من بني يرنيان إلى القفر؛ وبقي العاجزون عن

الظعن منهم: كبني وطاط، وغيرهم؛ حيث خضعوا للدولة، وانصاعوا لفروض الطاعة، والتزموا بدفع المغارم، والجبايات. ولما استولى المرينيون على سدة الحكم في المغرب الأقصى اقطعوا بني يرنيان **البلد الطيب، في أطراف سلا، والمعمورة**؛ بالإضافة إلى مواطنهم الأصلية؛ على ضفاف ملوية. ويقول عبد الرحمن بن خلدون عن بني يرنيان؛ بأنهم كانوا ــ في زمنه ــ متواجدين بالجبال المشرفة على وادي ملوية؛ من ناحية الجنوب؛ إذ كانوا منتشرين في القصور الممتدة عبر تلك الجهات؛ **من ملوية إلى تازة، وفاس.**

....

ــ وجديجن:

وهم من **أولاد ورتنيص**. وجدهم هو **زانا ابن يحيى**. واخوتهم هم بنو واغمرت. كانت أعدادهم زاخرة، وقوتهم وافرة. ومن أشهر رؤسائهم الشيخ عنان. (عاش في عهد يعلى ابن محمد اليفرني؛ أمير بني يفرن؛ الذي توفي سنة 347هـ/958م). وحدثت لهذا الشيخ قصة طريفة؛ يمكن تصنيفها من بين النوادر التي

تفرزها **العصبية القبلية**. خلاصة القصة أن امرأة من وجديجن متزوجة في قبيلة لواتة؛ المجاورة لقبيلتها؛ فتخاصمت مع نساء من بيت زوجها؛ فعايرنها بالفقر؛ فكتبت لعنان؛ شيخ وجديجن تشكوه، وتحرضه. فغضب الشيخ[1] **((واستجاش بأهل عصبيته؛ من زناتة، وجيرانه. فزحف معه يعلى؛ في بني يفرن، وكلمام بن حياتي؛ في مغيلة، وعزانة في مطماطة. ودارت الحرب بينهم وبين لواتة مليا. ثم غلبوا لواتة في بلاد السرسو؛ وانهوا بهم إلى كدية العابد؛ من آخرها. وهلك عنان؛ شيخ وجديجن في بعض تلك الوقائع؛ بملاكو؛ من جهات السرسو. ثم لجأت لواتة إلى جبل كريكرة؛ قبلة السرسو))**. وهذه عينة من سخافات العصبية، وشطحاتها.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** فمن أهم علماء وجديجن، وأصحاب الفكر فيهم:

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 104.

ـ **محمد بن موسى الوجديجي التجيني** (كان حيا حوالي 930هـ/1523م)؛ وهو فقيه تلمسان ومفتيها؛ آنئذ.

ـ ثم **إبراهيم الوجديجي التلمساني** (من أعلام النصف الأول من القرن العاشر للهجرة). وهو فقيه؛ من أهل التصوف.

ـ ثم **محمد بن أحمد الوجديجي** (توفي حوالي 950هـ/1543م)؛ وهو أحد الشيوخ الصوفيين؛ وكان يعلم الصبيان.

ـ ثم **محمد بن محمد بن موسى الوجديجي** المعروف بالصغير (توفي بالوباء سنة 981هـ/1573م)؛ وهو فقيه، ومن العلماء المتفننين، والمحققين؛ وقد اختص بالإفتاء في تلمسان.

ـ ثم **محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التجيني التلمساني** (توفي بفاس سنة 983هـ/1575م)؛ وهو فقيه؛ كان يكنى بمالك الصغير؛ لضلوعه في الفقه، والفروع؛ كما كانت له اهتمامات بالتفسير، والحساب، والفرائض، والبيان، والمنطق؛ اختص بالإفتاء في تلمسان؛ وبعدها تولى الإفتاء بمراكش.

ـ ثـم **محمـد بـن مـوسى الوجديـجي التجيـني.** فقيـه.

***

ـ ***مواطنهـم:*** كانـت مواطنهـم **بمنـداس**؛ إذ كانـوا مجاوريـن لبـني يفـرن مـن جهـة الغـرب، ولواتـة مـن جهـة الجنـوب في السرسـو، ومطماطـة من جهـة الشـرق بالوانشريـس. ولمـا تغلبـوا عـلى لواتـة استولـوا عـلى أراضيهـم، وظلـوا هنـاك حـتى تغلبـت عليهـم أحيـاء بـني يلـومي، وبـني ومانـوا.

....

ـ ***واغمـرت:***

ويسمـون ـ أيضـا ـ **غمـرت**. وهـم **أبنـاء ورتنيـص**؛ مـن **أحفـاد زانـا**. وكـان هـذا الـحي مـن أوفـر الأحيـاء عـداد. وقـد انضمـوا إلى أبي يزيـد في ثورتـه؛ ضـد الفاطميـن. وبعـد فشلهـم جميعـا؛ تعرضـوا للتصفيـة؛ بالقتـل، والتشريـد مـن طـرف عاهـل الدولـة الفاطميـة إسماعيـل المنصـور، ثـم أكمـل مهمـة الإثخـان فيهـم؛ بلكيـن بـن زيـري أمـير صنهاجـة؛ فسـاءت أحوالهـم نتيجـة لذلـك؛ خاصـة عندمـا اكتملـت مصيبتهـم؛ باجتيـاح

ديارهم من طرف بني هلال؛ الذين أجبروهم على الاعتصام في الجبال الجنوبية من المسيلة؛ التي استوطنوها بعد أن تركوا الظعن، واستقروا في القرى، والمدن المتواجدة بتلك الجهات. فضعفت بذلك عصبيتهم، وانقادوا لغيرهم من القبائل الهلالية؛ مثل الدواودة؛ الذين أقطعتهم الدولة الجبال التي تسكنها واغمرت؛ فأضحوا بذلك من القبائل الغارمة؛ التي تدفع مغارمها إلى قبيلة الدواودة[1].

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** من أهم علماء وأعيان واغمرت أو غمرت:

ـ **أبو العباس الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد الغمْري السرقسطي** (ت: سنة 392هـ/1001م)؛ فقيه مالكي؛ كان قد تنقل في أقطار المغرب، والمشرق؛ دارسا، ومدرسا؛ وله كتاب بعنوان كتاب الوجازة في صحة القول بالإجازة؛ أشار فيه إلى من لقيهم من العلماء في رحلته.

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 105 ـ 106.

ومـــن مشاهيرهـــم؛ كاهـــن زناتـــة **مـــوسى بـــن صالـــح**؛ قـــال عنـــه ابـــن خلـــدون: **((مشهـــور عندهـــم حـــتى الآن، ويتناقلـــون بينهـــم كلماتـــه برطانتهـــم عـــلى طريقـــة الرجـــز؛ فيهـــا أخبـــار بالحدثـــان؛ فيمـــا يكـــون لهـــذا الجيـــل الزنـــاتي مـــن الملـــك، والدولـــة...وأفـــرط الخـــلاف بيـــن هـــذا الجيـــل الزنـــاتي؛ في التشيـــع لـــه، والحمـــل عليـــه: فمنهـــم مـــن يزعـــم أنـــه ولي، أو نـــبي؛ وآخـــرون يقولـــون كاهـــن))**[1].

***

ـــ ***مواطنهـــم:*** كانـــت مواطنهـــم في بدايـــة الأمـــر جنـــوب بـــلاد صنهاجـــة؛ **مـــن المشنتـــل إلى الدوســـن.** غيـــر أن الأحـــداث الـــتي مـــروا بهـــا أجبرتهـــم عـــلى تـــرك تلـــك الديـــار لغيرهـــم، والاكتفـــاء **بالجبـــال الجنوبيـــة لمدينـــة المسيلـــة.**

....

1ـــ العبـــر، مج: 7، ص: 105.

ـ ***بنو واركلا:***

وهم من **أبناء تمالة بن فريني بن زانا ابن يحيى.** ومن إخوانهم: منجصة، ويزمرتن. عددهم ليس كبيرا. يعيش معهم في ديارهم النائية؛ جماعة من بني زنداك المغراويين؛ الذين التجأ إليهم أبو يزيد؛ قبل ثورته. ورئيس بني واركلا أيام ابن خلدون من بيت منهم؛ وهو **أبو بكر بن موسى بن سليمان من بني أبي غبول.** وكان يلقب بالسلطان.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** من علماء بني وركلا أو (ورجلا):

ـ **أبو زكريا يحيى بن علي الوركلاني** (الورجلاني) (ت: سنة 471هـ/1078م)؛ وهو من الفقهاء، والمؤرخين؛ ألف كتاب سير الأئمة وأخبارهم؛ ويعتبر هذا الكتاب أقدم أثر تاريخي ـ معروف حتى الآن ـ للإباضيين في المغرب الإسلامي؛ وقد ترجم ملخص له بالفرنسية.

ـ ثـم **أبـو صالـح جنـون بـن يمريـان الورجـلاني** (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الثالـث للهجـرة)؛ وهـو أحـد علمـاء الإباضيـة بورجـلان.

***

ـ ***مواطنهـم:*** تربـض مواطنهـم **جنـوب الـزاب.** ولهـم مصـر مستبحـر بعمرانـه؛ ويبعـد عـن بسكـرة بثمـاني مراحـل (400كلم تقريبـاً)؛ إلى الجنـوب الغـربي. كانـوا قـد بنـوه قصـورا متجـاورة، وقريبـة مـن بعضهـا؛ فالتصقـت؛ وأضحـت مصـرا واحـدا؛ عـرف باسمهـم. ويقـول عنـه ابـن خلـدون: **((وهـذا البلـد لهـذا العهـد بـاب ولـوج السفـر؛ مـن الـزاب إلى المفـازة الصحراويـة المفضيـة إلى بـلاد السـودان؛ يسلكهـا التجـار الداخلـون إليهـا بالبضائـع. وسكانهـا لهـذا العهـد مـن أعقـاب بـني واركـلا، وأعقـاب إخوانهـم مـن بـني يفـرن، ومغـراوة، ويعـرف رئيسهـم باسـم السلطـان؛ شهـرة غيـر نكيـرة بينهـم.))**[1].

....

---

[1] العبـر، مج: 7، ص: 107.

ـ بنــو دمــر:

وهــم أبنــاء **الغانــا بــن وريســك** أو (ورسيــج)؛ لأن اســم دمــر لقبــه، وليــس اسمــه. وجدهــم هــو **زانــا بــن يحــيى.** وبطــون دمــر كثيــرة، وعديــدة؛ منهــا: **بنــو ورغمــة** أو (ورجمــة)، **وبنــو ورنيــد**؛ الذيــن تشعبــت أفخاذهــم أيضــا؛ فعــرف منهــم: **بنــو بــرزال، وبنــو تفــورت** أو (تقــورت)، **وبنــو ورتاتيــن، وبنــو غــرزول.** وقــد أجــاز منهــم إلى بــلاد الأندلــس؛ بعــض أعيانهــم، وأبطالهــم؛ فكــان لهــم ذكــر، وصولــة. وقــد تمكــن بنــو دمــر، واخوتهــم بنــو بــرزال مــن تشييــد إمارتيــن صغيرتيــن بالأندلــس؛ همــا: **إمــارة بــني بــرزال بقرمونــة.** ثــم **إمــارة بــني نــوح الدمَّــري بمــرور**Moron. وظــل بنــو دمــر متمسكيــن بمذهبهــم الخــارجي؛ خلافــا لإخوانهــم بــني بــرزال. وسقطــت ــ في النهايــة ــ هاتــان الإمارتــان بواسطــة ابــن عبــاد؛ صاحــب اشبيليــا؛ بعــد أحــداث، وخطــوب.

وكانــت **لبــني بــرزال بــن ورنيــد** ــ في بــلاد المغــرب ــ أحــداث مذكــورة، وأعــداد موفــورة. كمــا كانــت لهــم مواقــف معلنــة، وانحيــاز ظاهــر إلى صــف أبي يزيــد؛ إذ انتقــل إليهــم؛ فأجــاروه، وناصــروه، وحمــوه. ولمــا مــات عــادوا إلى طاعــة

الدولة الفاطمية؛ في موالاة أمير المسيلة، والزاب؛ جعفر بن علي بن حمدون. فكانوا له أتباعا، وأنصارا. ولما انشق عن دولة الفاطميين؛ ناصروه، ثم أجازوا معه إلى بلاد الأندلس؛ أين استقروا جميعا. وهناك ازداد نفوذهم، ونمت ثرواهم، وتعددت مناصبهم في الدولة الأموية. وبعد سقوطها؛ سارعوا إلى الاستبداد بإمارهم في **قرمونة**. ويبدو أن الأمر قد اختلط على محمد عنان؛ حين نسب بني برزال إلى بني يفرن؛ بينما هم ـ في الحقيقة ـ من بني ورنيد بن دمر بن ورسيك[2].

! ! !

ـ ***أعياهم:*** من أشهر أعيان، وعلماء بني دمر؛ على اختلاف بطوهم:

ـ **يحيى بن موسى بن عبد الله البِرْزالي الغرناطي** (ت: سنة 541هـ/1146م)؛ وهو فقيه، وإمام بقرطبة.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يُدَّاس البرزاليُّ الإشبيلي** (توفي

---

[2] ابن عذاري؛ البيان المغرب، ج: 3، ص ص: 270 ـ 273. 275. ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 108 ـ 111.

بدمشق سنة 636هـ/1238م)؛ عالم، بالحديث؛ ثقة؛ قال فيه ابن الأبار: **((في شيوخه كثرة، وفي روايته سعة، وكان حسن الخط، جيد الضبط، صحيح العقيدة، معروفا بالحفظ؛ جمع من الحديث شيئا كثيرا...))**[1].

ـ ثم **علَمُ الدين أبو محمد القاسم بن محمد ابن يوسف البرزالي الإشبيلي** (ت: سنة 739هـ/1338م)؛ وهو فقيه، ومحدث، وراوية، ومؤرخ؛ من مؤلفاته: كتاب التاريخ؛ وهو صلة لتاريخ أبي شامة؛ وصل به إلى أحداث 738هـ/1337م، وكتابان ـ أحدهما مطول، والآخر مختصر ـ جمع فيهما أسماء، وتراجم الذين أجازوه من العلماء؛ وقد وصل عددهم حوالي ثلاثة آلاف، ثم كتاب الوفيات، وكتاب الشروط، وكتاب ثلاثيات من مسند أحمد، وكتاب مختصر المائة السابعة، وكتاب العوالي المسندة، ومجاميع وتعاليق عديدة؛.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي** (ت: سنة 803هـ/1400م)؛ وهو من أكبر علماء تونس في عصره؛ ولي إمامة الجامع الأعظم، ثم أسندت إليه فيه خطة الخطابة،

---

[1] التكملة، ج: 2، ص: 643.

ثم الإفتاء بعدهما؛ من مؤلفاته: المختصر الكبير؛ في الفقه المالكي، والمختصر الشامل؛ في التوحيد، ومختصر الفرائض، والمبسوط؛ في الفقه؛ جزأه إلى سبعة مجلدات، والطرق الواضحة في عمل المناصحة، والحدود؛ في التعاريف الفقهية.

ـ ثم **أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن العتل البرزالي القيرواني** (ت: سنة 844هـ/1440م)؛ فقيه تونس ومفتيها؛ كان ينعت بشيخ الإسلام؛ وهو صاحب الديوان الكبير في الفقه والفتاوى، وكتاب جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام؛ وهو في مجلدين اثنين .

ـ ثم **أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان ابن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوي الورنيدي** المعروف بابن الحاج (توفي حوالي 930هـ/1523م)؛ كان متمكنا من علوم، وفنون شتى ك: الأصول، والمنطق، والعربية، والبلاغة، والحساب، والعروض؛ كما كان ينظم الشعر الصوفي. وكان يتراسل مع ابن غازي بالألغاز المنظومة؛ من ذلك ما بعثه إليه ابن غازي؛ طالبا حله:

وَمَيِّت قبْــر طَعْمِــه عِنْـــد رَأسِـــه

إذَا ذَاقَ مِـــنْ ذَاكَ الطَّعَـــامِ تَكَلمَـــا

يَقُـــومُ فَيَمْـــشي صَامِتـــاً مُتكَلِّمَـــا

وَيَأوي إلى القَبْــرِ الذي مِنـــْهُ قُوِّمَـــا

فَـــلا هُـــوَ حَيٌّ يَسْتَحِـــقُّ زيَـــارَة

وَلا هُـــوَ مَيْـــت يَسْتَحِـــقُّ تَرَحُّمَـــا

فأجابــه أحمــد الورنيــدي (ابــن الحــاج):

بِحَمْدِ اللَّـــهِ ابْتَـــدِي ثُمَّ بَعْـــدَهُ

أصَـــليِّ عَلىَ خَيْـــرِ الأنَـــامِ مُسَلِّمـــاً

هُوَ القَلَمُ القَبْـــرُ الدَّوَاة وَطَعْمُـــهُ

مِـــدَادُ كَلامُـــهُ الكِتَابَـــة فَافْهَمَـــا

وَكَاتِبُ هَذا أحْمَدُ بْنَ مُحَمَّـــدٍ

عَفَـــا اللـــَّهُ عَنْهُ كلَّ مَا كَانَ أجْرَمَـــا

ولـــه قصيـــدة في مـــدح الرســـول صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم؛ يقـــول فيهـــا:

سَـــلامٌ عَلى سُكَانِ طَيْبَة وَالحِـــمَى

فَهُمْ أسْلَمُـــوا قَلْـــبِي سَلِيماً مُسَلّمَـــا

نَـــأتْ دَارُهُمْ عَنِّي فَظَلْتُ لبَيْنهـــمْ

كَئِيبـــاً قَرِيحَ القَلْـــبِ صَبـــاًّ مُتَيَّمَـــا

إلى آخرها؛ حيث يقول:

فَلمَّا عَدِمْتُ القَبْرَ يَمَّمْتُ مَدْحَهُ
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً طَهُوراً تَيَمَّمَا

وله أيضاً بعض المصنفات مثل: شرح السينية لابن باديس، وشرح البردة للبصيري؛ لم يكتمل.

ـ ثم **محمد بن سعيد الورنيدي** المدعو الحاج المناوي (توفي حوالي سنة 955هـ/1548م)؛ فقيه، ومفتي، وأستاذ؛ وملم بالقراءات.

ـ ثم **محمد بن عبو المناوي الورنيدي** (توفي بعد سنة 970هـ/1562م)؛ فقيه، ومدرس، ومحدث، وخطيب، ونحوي؛ متمكن من القراءات.

ـ ثم **حَدُّو بن الحاج بن سعيد المناوي الورنيدي** (ت: سنة 998هـ/1589م)؛ فقيه، وأستاذ، وناظم.

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن الحاج بن سعيد المناوي الورنيدي** المعروف بأمقران (ت: سنة 1009هـ/1600م)؛ فقيه، وإمام، وخطيب.

OOO

ومن أمراء، وأعيان بني برزال المشتغلين في شئون الحكم، والسياسة، والجيش:

ـ الحاجب **أبو عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي الزناتي** (ت: سنة 434هـ/1042م). كان حاكما على قرمونة بالأندلس؛ قبل سقوط الدولة الأموية. ولما انحل شأن الدولة؛ استبد بإمارتها، واستقل بحكمها؛ سنة 404هـ.

ـ ثم **إسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي**.

ـ ثم **المستظهر عزيز بن محمد بن عبد الله البرزالي** (ت: سنة 459هـ/1066م)؛ ثاني أمراء بني برزال بقرمونة بالأندلس؛ حكمها بعد وفاة أبيه؛ إلى أن تغلب عليه ابن عباد؛ كغيره من الأمراء الأمازيغ .

ـ ثم **أبو حرب مقاتل بن عطية البرزالي الغرناطي**؛ وهو من الفرسان الأبطال؛ شهير باسم الرُّيَّة؛ بسبب حمرة كانت في وجهه. ويعتبر من الأبطال المذكورين في الأندلس، وكان على رأس ثلاثمائة فارس من بني برزال؛ في خدمة بني زيري بالأندلس.

ـ ثم **وانزمار بن أبي بكر البرزالي**؛ وهو أحد الفرسان الأبطال؛ من الأمازيغ الذين كانوا في خدمة المنصور بن عامر. ذكره المقري؛ بقوله: **((تقدم إلى المنصور وانزمار...وقد جلس**

للعرض والتمييز؛ والميدان غاص بالناس؛ فقال له بكلام يضحك الثكلى: يا مولاي؛ مالي ولك؛ أسكني فإني في الفحص. فقال: وما ذاك يا وانزمار؟ وأين دارك الواسعة الأقطار؟ فقال: أخرجتني عنها نعمتك؛ أعطيتني من الضياع ما انصب علي منها من الأطعمة ما ملأ بيوتي، وأخرجني عنها؛ وأنا بربري مجوّع، حديث عهد بالبؤس؛ أتراني أبعد القمح عني؟ ليس ذاك من رأيي. فتطلّق المنصور، وقال: لله درك من فذ عَييٍّ؛ لعَيِّك في شكر النعمة أبلغ عندنا، وآخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد، وبليغ متفنن؛ وأقبل المنصور على من حوله من أهل الأندلس فقال: يا أصحابنا؛ هكذا فَالْتُشْكر الأيادي، وتستدام النعم؛ لا ما أنتم عليه من الجَحْد اللازم، والتشكي المبرّح؛ وأمر له بأفضل المنازل الخالية))[1].

OOO

أما الأمراء، والأعيان المنتسبون إلى القبيلة الأم (دمر)؛ فهم:

---

[1] نفح الطيب، ج: 1، ص: 417.

ـ ثم **أبو تيزيري الدمري** (ت: سنة 403هـ/1012م)؛ وكان قد استولى ـ مع قومه ـ على **مورور**، وما حولها؛ أثناء الفتنة التي قضت على الدولة الأموية؛ ثم اتخذها قاعدة لإمارة بني دمر.

ـ ثم ولده **نوح بن تيزيري الدمري** (ت: سنة 433هـ/1041م).

ـ ثم **عز الدولة محمد بن نوح الدمري** (ت: سنة 449هـ/1057م)؛ اتصف بحسن السياسة؛ والسهر على أمن رعيته؛ حتى سقط في حبائل ابن عباد الذي غدر به؛ مع بقية الأمراء من الأمازيغ.

ـ ثم **عماد الدولة مناد بن محمد بن نوح الدمري** (ت: سنة 464هـ/1071م)؛ ضايقه ابن عباد ـ هو الآخر ـ وطاوله؛ حتى قبل بتسليم مرور إليه؛ والانتقال إلى إشبيليا في ضيافته؛ ولما ذهب إليها أحسن إليه، وقام به أفضل قيام، وبالغ في إكرامه.

***

ـ ***مواطنهم:*** تمتد مواطن **بني دمر** عبر إفريقية، والمغرب الأوسط؛ فمنهم أحياء **بجهات طرابلس**، وجبالها؛ ويعرفون **بوَرْغمة**؛ بينما

يتنقل الظواعن منهم؛ عبر **سهوب إفريقية**، **والمغرب الأوسط**. ومن بني ورنيد؛ منهم ـــ أيضا ـــ جماعة في **الجبل المشرف على تلمسان**؛ انتقلوا إليه من السهوب الجنوبية لتمسان؛ بسبب ضغوط بني راشد؛ الذين كانوا مزاحمين لهم في تلك البسائط. ومنهم ـــ كذلك ـــ من كان **بجبال سالات**؛ **بنواحي المسيلة**؛ وهم **أحياء من بني برزال**.

....

ـــ *بنو وامانوا*:

ذكر ابن خلدون أنه لا يعرف تسلسل نسبهم؛ وإن كان يجعلهم من بين قبائل **زناتة**؛ تبعا لروايات النسابين. **وبنو وامانوا** هؤلاء كانوا حلفاء لإخوانهم، وجيرانهم بني يلومي؛ فتمكنت القبيلتان من التغلب على ربوع المغرب الأوسط. ولم يفُقْهم ـــ من زناتة آنئذ ـــ في **قوة العصبية**، وكثرة العدد؛ سوى بني يفرن، ومغراوة. وعندما أجبر بلكين بن زيري زناتة على النزوح إلى المغرب الأقصى؛ بقي بنو وامانوا، وإخوانهم بنو يلومي في مواطنهم؛ بسبب

تحالفهم مع صنهاجة، وانضمامهم إليها في حروبها.

وقد أصهر المنصور بن الناصر بن علناس الصنهاجي إلى بني وامانوا؛ في أخت شيخ القبيلة **ماخوخ**؛ فتعززت بذلك أواصر القربى بين الدولة، والقبيلة. ولكن دب الخلاف بين الطرفين؛ عندما ناصرت قبيلتا: بني وامانوا، وبني يلومي المرابطين؛ ضد الدولة الحمادية؛ وعندما فشل المنصور في عملياته العسكرية ضد القبيلتين العاصيتين؛ التجأ إلى أسلوب الانتقام من صهره؛ بطريقة غريبة؛ إذ لم يجد أمامه سوى زوجته الضعيفة؛ أخت ماخوخ؛ شيخ قبيلة وامانوا؛ فأطفأ غليله فيها، بقتلها؛ بدلا من أخيها العاق..!! ولما توفي المنصور، وخلفه العزيز، رجع بنو وامانوا إلى طاعة الدولة الحمادية، وأصهر إليهم العزيز كذلك؛ فتزوج ابنة ماخوخ. ولما هلك ماخوخ؛ خلفه أولاده في رئاسة قبيلة بني وامانوا؛ وهم: **تاشفين، وعلي، وأبو بكر.**

هـذا.. ولـم يـدم الحلـف بيـن بـني **وامانـوا**، **وبـني يلـومي** طويـلا؛ حيـث نشبـت بينهمـا الفتـن؛ الـتي انضمـت إليهـا أحيـاء أخـرى مـن زناتـة. وكـان بنـو وامانـوا متذبذبيـن في ولائهـم للدولـة. فهـم أحيانـا مـع بـني حمـاد، وأحينـا أخـرى مـع المرابطيـن، وأخـرى مـع الموحديـن. وقـد ينتهـزون أدنى فرصـة تسنـح لهـم؛ لـكي يتنكـروا لطـرف مـا، ويقدمـوا ولاءهـم لطـرف آخـر. ووصـل بهـم الحـال إلى الوقـوف مـع الموحديـن؛ في حمـلاتهـم القتاليـة؛ ضـد إخوانهـم، وحلفائهـم بـني يلـومي. ومـع مـرور الوقـت أخـذ الضعـف، والوهـن يـدب في القبيلتيـن؛ بسبـب الفتـن، والحـروب الـتي أكلـت خيارهـم؛ فأصبحـوا مغلوبيـن لقبيلـتي: توجيـن، وبـني عبـد الـواد[1].

***

ــ ***مواطنهـم:*** أمـا مواطـن **بـني وامانـوا** فـهي في المغـرب الأوسـط؛ **شـرق وادي ميـنـاس** (مينـا حاليـا) **بمنـداس؛ وحـتى أسافـل شلـف.** ويجاورهـم عـلى الضفـة الغربيـة؛ لـوادي ميـنـاس بنـو يلـومي.

---

[1] العبـر، مج: 7، ص ص: 114 ــ 119.

وثمة بعض الأحياء من بني وامانوا تعرف **بني يالدّاس**؛ وينتشرون في **القصور الجنوبية** التي تسمى **توات، وتيكورارين**. وهي عبارة عن حزام أخضر؛ ممتد من الغرب إلى الشرق؛ ويضم المئات من القصور، وآلاف البساتين؛ التي تزخر بأشجار النخيل، وكروم العنب، ومختلف الفواكه الأخرى. وأشهر قصورهم هي: **بودا، وتمنطيط، وتيميمون، وقليعة**. وتعتبر هذه القصور الصحراوية بمثابة محطات رئيسية؛ لقوافل التجار المتنقلين بين مالي، وأقطار المغرب. وعليه فقد ازداد نموها العمراني، وتضاعف ثراؤها، وازدهرت تجارتها.

وقد سجل ابن خلدون بعض الملاحظات؛ عن الطريقة التي يتبعها سكان تلك الجهات في استنباط المياه الجوفية. فقال: **((وفي هذه البلاد الصحراوية؛ إلى وراء العرق؛ غَريبَة في استنباط المياه الجارية؛ لا توجد في تلول المغرب. وذلك أن البئر تحفر عميقة، بعيدة المَهْوَى. وتطوَى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة؛ فتحت بالمعاول، والفؤوس إلى أن يرق جرمها. ثم تصعد الفعلة، ويقذفون عليها زبرة من الحديد؛ تكسر طبقها عن الماء؛ فينبعث**

صاعـــدا؛ فيفعـــم البئـــر، ثـــم يجـــرى عـــلى وجـــه الأرض واديـــا. ويزعمـــون أن المـــاء ربمـــا أعجـــل بسرعتـــه عـــن كـــل شيء. وهـــذه الغريبـــة موجـــودة في قصـــور تـــوات، وتيكوراريـــن، ووركـــلا، وريـــغ. والعالـــم أبـــو العجائـــب))[1].

....

ـ بنـــو يلـــومي:

كـــل مـــا قيـــل عـــن بـــني ومانـــوا ينطبـــق عـــلى **بـــني يلـــومي**؛ لأن هاذيـــن الحييـــن يجمعهمـــا مصيـــر واحـــد؛ نظـــرا لتلاحمهمـــا، وتحالفهمـــا؛ وذلـــك بالإضافـــة إلى النســـب الواحـــد الـــذي جمعهمـــا. ويـــرى بعضهـــم أن بـــني يلـــومي، وبـــني ورتاجـــن إخـــوان. وبمـــا أن ورتاجـــن هـــو أبـــو قبيلـــة بـــني مريـــن؛ فقـــد أضـــحى بنـــو يلـــومي يشاركوهـــم مريـــن عصبيتهـــم. ولمـــا ظهـــر المرابطـــون عـــلى مســـرح الأحـــداث بالمغـــرب؛ بـــرزت خلافـــات عميقـــة بيـــن بـــني يلـــومي، وحلفائهـــم بـــني وامانـــوا؛ وازدادت عمقـــا عندمـــا ظهـــر الموحـــدون أيضـــا؛ حيـــث وصـــل بهـــم

---

[1] العبـــر، مج: 7، ص: 119.

الحـــال إلى الاقتتـــال. بسبـــب تحيـــز أحدهمـــا إلى أعـــداء الآخـــر.

ويبـــدو أن أحيـــاء زناتـــة كلهـــا انقسمـــت؛ نتيجـــة لظهـــور المرابطيـــن، والموحديـــن؛ بحيـــث اختـــار كـــل حليـــف حليفـــه الجديـــد. وقـــد تبايـــن ولاء قبيلـــتي: بـــني يلـــومي، وبـــني وامانـــوا للدولـــة؛ حيـــث انضـــم ـــ في البدايـــة ـــ **بنـــو وامانـــوا** إلى الموحديـــن؛ متخليـــن في ذلـــك عـــن أبنـــاء عمومتهـــم، وحلفائهـــم الطبيعييـــن بـــني يلـــومي.

أمـــا **بنـــو يلـــومي فظلـــوا عـــلى ولائهـــم للمرابطيـــن**. وهكـــذا.. تسببـــت تلـــك الفتـــن، والحـــروب ـــ في عهـــد الدولـــة الموحديـــة خاصـــة ـــ في إضعـــاف القبيلتيـــن؛ فاضمحـــل شأنهمـــا، وانقـــرض عزهمـــا، ووهنـــت شوكتهمـــا؛ فأصبحـــت القبيلتـــان ـــ بذلـــك ـــ أوزاعـــا بيـــن القبائـــل الزناتيـــة. والرئاســـة في بـــني يلـــومي يمكـــن حصرهـــا في **بيـــت أميـــر النـــاس**؛ مـــن خـــلال ولديـــه: **سيـــد النـــاس، وبـــدرج**.

***

ـــ **مواطنهـــم:** تتواجـــد مواطـــن بـــني يلـــومي أيضـــا ـــ بالمغـــرب الأوســـط؛ وهي في **الضفـــة الغربيـــة لـــوادي**

ميناس (مينا)؛ **بالجعبات، والبطحاء، وسيك، وسيرات، وجبل هوارة، وبني راشد.**

....

ـ *بنو واسين*:

وهم **أبناء واسين بن يصلتين.** وجدهم **زانا بن يحيى.** اشتهروا بفرعيهم: **بادين، وورتاجن.** فمن بادين تفرع: **بنو عبد الواد، وبنو توجين، وبنو زردال، وبنو مصاب.** أما ورتاجن فمنهم **بنو مرين.** أما **بنو راشد**؛ فأبوهم راشد **أخو بادين** من أبيهما محمد؛ لذا اندرجوا في بني عبد الواد. أما بنو زردال، وبنو مصاب فالتحقوا ببني عبد الواد. أما بنو توجين فتأتي أهميتهم في الدرجة الثانية بعد بني عبد الواد؛ نظرا لكثرة عددهم، وشدة بأسهم. وتقول المصادر التاريخية عن بني واسين؛ أنهم ساندوا أبا يزيد في ثورته على الفاطميين؛ إذ حاصروا توزر كما أمرهم. وربما انضم ـ منهم ـ بنو عبد الواد إلى عقبة بن نافع في ولايته الثانية، وأبلوا معه في الجهاد[1].

---

[1] أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 120 ـ 131.

وأهم بطون بني عبد الواد هم: **بنو طاع الله**، **وبنو كمي**، **وبنو مطهر**. أما بطون بني مرين فأهمهم: **بنو عسكر**، **بنو وطاس**، **وبنو يابان**. أما بطون بني توجين فهم: **بنو مدن**، **وبنو رسوغين**؛ وتفرعوا جميعا إلى عدد من الأفخاذ؛ أشهرهم: **بنو منكوش** المتسببين إلى **بني رسوغين**، **وبنو يدلتن**، **وبنو يرناتن** المتسببين إلى بني مدن؛ وإلى يدلتن ينتمي **بنو سلامة**؛ أصحاب **قلعة تاوغزوت** الشهيرة؛ وهي التي لجأ إليها ابن خلدون؛ أين شرع في تأليف كتابه العبر.

وكان بنو واسين — في عهودهم الأولى — مغلوبين للطبقة الأولى من زناتة، وأن اعتزوا ببداوتهم؛ إذ كانوا من أهل الظعن، وأصحاب الخيام؛ ومن المنتجعين عبر السهوب، والسباسب، في ربوع المغرب، وإفريقية؛ ما بين ملوية، والزاب. ولما أخرج الصنهاجيون أهل الطبقة الأولى من زناتة عن المغرب الأوسط؛ ظل بنو واسين في منتجعهم؛ معتزين ببداوتهم، ومنعتهم عن قهر الدولة؛ حتى العهد الموحدي. وما أن دب الهرم في الدولة الموحدية؛ حتى شرعوا في الاستبداد، **والتطلع إلى مراتب الملك**.

وهكذا.. فبنو واسين ـ أيام الطبقة الأولى من زناتة ـ كانوا معروفين بهذا الاسم. ولما تشعبت بطونهم، وتكاثرت، أفخاذهم؛ تفرعوا إلى أحياء منفصلة، ومتنافسة على الرئاسة؛ فظهر منهم في البداية فرعان؛ هما: **بنو بادين، وبنو ورتاجن.** وكانت **عصابة بني بادين** ـ في البداية ـ أقوى لاشتمالها على أربع بطون؛ هم: **بنو عبد الواد، وبنو توجين، وبنو زردال، وبنو مصاب،** بالإضافة إلى بطن آخر ينتمي إليهم؛ وهم **بنو راشد**؛ أخو بادين.

ومع مرور الزمن، وبعد وصول **بني عبد الواد** إلى مرتبة **الملك**، وانفرادهم بعزه، وشرفه؛ دون البطون الأخرى؛ عندها.. دب الخلاف بين أحياء بني بادين، **وانقسمت عصبيتهم** إلى عصبيات أصغر، وأضيق؛ فبرز ـ عندئذ ـ كل حي مستقلا بذاته. وهنا **قويت شوكة بني مرين**؛ بعد **انقسام عصبية بني بادين.** وحدث ـ من جراء الصراع، والتنافس المشتعل بين أحياء بني واسين ـ أن نشأت لهم دول، وإمارات بالمغربين: الأقصى، والأوسط. **كدولة بني عبد الواد، ودولة بني مرين، وإمارة بني توجين.** وقد اشتد الصراع، والاقتتال بين

هـــذه الـــدول؛ طـــوال سنـــوات وجودهـــا؛ وذلـــك بغـــرض احتـــواء مجمـــوع الإمـــارات؛ ضمـــن دولـــة واحـــدة؛ ولكـــن عامـــل الحســـم العسكـــري كـــان مفقـــودا لديهـــم جميعـــا.

! ! !

ــ ***أعيانهـــم:*** لبـــني واسيـــن عـــدد مـــن الأعيـــان، والمشاهيـــر تضيـــق بهـــم الصفحـــات؛ ذلـــك أنهـــم تمكنـــوا ــ بمختلـــف أحيائهـــم ــ مـــن تشييـــد ممالـــك، وإمـــارات عديـــدة؛ أهلتهـــم لاحتـــلال مراكـــز مرموقـــة في المجتمعـــات المغربيـــة كافـــة. وعليـــه سنكتـــفي بذكـــر أهـــم رجالاتهـــم عـــلى الإطـــلاق. نبـــدأ بذكـــر أصحـــاب القلـــم منهـــم؛ ثـــم ننتقـــل إلى أصحـــاب السيـــف، والسلطـــان. ونشـــرع في ذكـــر أعيـــان بـــني عبـــد الـــواد؛ لأنهـــم سبقـــوا الأحيـــاء الأخـــرى في إقامـــة دولتهـــم؛ فمـــن أعيانهـــم:

ــ **أبـــو حمـــو مـــوسى الثـــاني ابـــن عبـــد الرحمـــن ابـــن يحـــيى بـــن يغمراســـن بـــن زيـــان** (ت: سنـــة 791هــ/1388م)؛ ويعتبـــر هـــذا السلطـــان مـــن أبـــرز سلاطيـــن، وأدبـــاء بـــني عبـــد الـــواد؛ فهـــو ــ إلى جانـــب شـــدة عزمـــه، وقـــوة إرادتـــه ــ أديـــب ملـــم بالشعـــر، والنثـــر معـــا. فمـــن مؤلفاتـــه النثريـــة كتـــاب واسطـــة السلـــوك في سياســـة الملـــوك، ولـــه قصائـــد كثيـــرة؛ موزعـــة ضمـــن مصـــادر عديـــدة؛ جَمـــَع

عبد الحميد حاجيات أهمها في كتابه ((أبو حمو موسى الزياني؛ حياته، آثاره)). ومن شعره السياسي؛ قصيدة قالها عندما حان وقت انطلاقه إلى تلمسان؛ لاستعادة ملك آبائه:

حَانَ الفِرَاقُ فَكُنْتُ مِنْهُ بِمَنْزِلِ
وَدَنَا الرَّحِيلُ فَكُنْتُ فِيهِ بِأَوَّلِ

وتَحَكَّم البَيْنُ المُشَتِّتِ والنَّوى
فِينَا بفَتْكَةِ سَيْفِهِ المُتَكَلِّلِ

وبَدَا غُرَابُ البَيْنِ في عَرَصَاتِهَا
يُرْثِي عَلَيْهَا مَنْزِلاً فِي مَنْزِلِ

إلى أن يقول:

والدَّارُ أمْسَتْ بَلقعاً منْ أهْلِها
يُرْثِي عَلَيْهَا كُلُّ طَيْرٍ أَلْيَلِ

والوَرْقُ نائِحَة على أغْصانِها
نَوْحُ الشَّجِي المُدْنِفِ المُتَعَلِلِ

فَسَمِعْتُ هاتِفَةٍ على أفْنانِها
تَشْكُو بصَوْتٍ بَيِّنٍ لم يُجْهَلِ

فَنَشَدْتُها عَنْ حَالِهَا فَتَرَنَّمَتْ
وبَكَتْ وأبْكَتْ صُمَّ صَخْرِ الجَنْدَلِ

قَالَتْ وَأشْوَاقُ النَّوَى لَعِبَتْ بِهَــا:
عَنْ غَيــْرِ حَــالِي يَا ابْنَ آدَمَ فَاسْــأَلِ
أوَمَا رَأيْتَ الرَّوْضَ أمْسَى مُقْفَــراً
لَعِبَــتْ بِهِ ريــحُ الصَّبَــا وَالشَّمْــألِ
هَاذِي دِيَارُكمْ وَهَاذِي أرْضُكُــمْ
بالأمْــسِ قَدْ كَانُــوا بِهَــذَا المَنْــزِلِ
دَعْنِي أنُوحُ عَلَيْهِــمُ طُولَ المَــدَى
أبْــكِي عَلَيْهِمْ جَــدْوَلاً فِي جَــدْوَلِ
فَشَفِقْتُ لَمَّا أنْ عَلِمْتُ حَدِيثَهَــا
وَالجَفْــنُ يَغــْرَقُ بالدُّمُــوعِ الهُطَّــلِ
نَادَيْتُهَــا وَالجِسْــمُ مِنِّ قَدْ فَــنَى
وَعَــلَىَ فُــؤادِي غَمْــرَةَ لَمْ تَنْجَــلِ
لَوْ ذقْــتِ يَاوَرْقَــاءُ مَا قَدْ ذقْتُــهُ
لَحَرْقْــتِ أغْصَــانَ الأرَاكِ المِيَّــــلِ
كَمْ حُرْقَــةٍ كَمْ زَفْرَةٍ كَمْ لوْعَــةٍ
يَحْلُــو لَدَيْهَــا كُل صَعْــبٍ مُذهِــلِ
وَشَوَاهِدِي هُمْ هَؤُلاَءِ كَمَا تَــرَى
بَانُــواَ وَكُــلٌّ مُبَيَّــنٍ لَــمْ يُجْهَــلِ
دَمْــعِي يَسِيحُ وزَفْرَتِي لاَ تَنْقَــضِي
والسَّهَــرُ أنْحَلَــنِي وعَــذلُ العَــاذِلِ

لوْ ذاقَ قاسي القلْب مَا قَدْ ذقْتــهُ
لَغَــدَوا سَكَــارَى في مَحَلٍ مُهْمِــلِ
أوْ حَلَّ مَا بِي بالجِبَال تَدَكْدَكَــتْ
دَكــاً وأمْسَتْ مِثْلَ كُحْــلِ المِكْحَــلِ
وَالحَــالُ تُنْبئُ وَالكَوَاكِبُ تَشْهَــدُ
أنِّي أرَاقِبُهَــــا وَلَــمْ أتخيَّــــلِ
حَالِي يَطُولُ وَمِحْنَتِي لا تَنْقَــضي
كَمْ لي بمَيْــدان الــوَغَى مِنْ مَحْفَــلِ
لا بُدَّ مِنْ سَــوْق النُّجُوعِ مُغَرِّبــاً
حَــتَّى تَكِــلَّ مُتُونُهَــا بِالأحْمُــلِ
وَتَرَى الفَوَارِسَ دَائرَات بالعِــدَى
تَسْــقي لِوَارِدِهَــا نَقِيــعَ الحَنْظَــلِ

ــ ثــم **أبــو زيــان محمــد بــن أبي حمــو الثــاني (ت: سنــة 805هــ)**؛ وهــو كأبيــه؛ محــب للعلــم والأدب، ويجيــد نظــم الشعــر؛ ومــن شعــره قصيــدة بعــث بهــا؛ مــع هديــة إلى سلطــان مصــر برقــوق؛ نذكــر منهــا:

لِمَنِ الرَّكَائِــبُ سَيْرهُــنَّ ذَمِيــلُ
وَالصَّبْــرُ ــ إلاَّ بَعْدَهُــنَّ ــ جَمِيــلُ

يَأَيُّهَـــا الحَــــادِي رُوَيْـــدَكَ إِنَّهَـــا
ظُعُـــنٌ يَمِيـــلُ القَلْـــبُ حَيْثُ تَمِيـــلُ
رِفْقـــاً بِمَنْ حَمَلَتْهُ فَوْقَ ظُهُورِهَـــا
فَالحُسْـــنُ فَوْقَ ظُهُورِهَـــا مَحْمُـــولُ

إلى أن يقـــول:
مَنْ لي بِـــزَوْرَة رَوْضَةِ الهَادي الذي
مَـــا مِثْلُـــهُ في المُرْسَلِيـــنَ رَسُــــولُ
هُوَ أحْمَدٌ ومُحَمَّـــدٌ والمُصْطَـــفَى
وَالمُجْتَـــبَى وَلَـــهُ انْتَـــهَى التَّفْضِيـــلُ
يا خَيْرَ مَنْ أَهْدَى الهُدَى وأجَلَّ مَنْ
أَثْـــنَى عَلَيْـــهِ الـــوَحْيُ وَالتَّنْزِيــــلُ
وَحْيٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يُلْقِيـــهِ عَـــلىَ
قَلْـــبِ النَّـــبِيِّ مُحَمَّـــدٍ جِبْرِيــــلُ
مَدَحَتْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَبَشَّـــرَتْ
بِقُدُومِـــكَ التَّــــوْرَاة وَالإنْجِيــــلُ
صِلَة الصَّلاَةِ عَلَيْكَ تَحْلو في فَـــمِي
مَهْمَـــا تَكَـــرَّرَ ذِكْـــرُكَ المَعْسُــــولُ
ثـــم يقـــول:
يَا سَائِقـــاً نَحْوَ الحِجَاز حَمُولَـــة
وَالقَلْـــبُ بَيْـــنَ حُمُولِـــهِ مَحْمُـــولُ

لِمُحَمَّدٍ بَلِّغْ سَلاَمَ سَمِيِّهِ
فَذِمَامُهُ بِمُحَمَّدٍ مَوْصُولُ
وَسَلِ الإِلَهَ لَهُ اغْتِفَارَ ذُنُوبِهِ
يُسْمَعْ هُنَاكَ دُعَاؤُكَ المَقْبُولُ
وعَنِ المَلِيكِ أَبِي سَعِيدٍ فَلْتَنُبْ
فَلَكَمْ لَهُ نَحْوَ الرَّسُولِ رَسُولُ
مُتَحَمِّلٌ لِلَّهِ كِسْوَةَ بَيْتِهِ
يَا حَبَّذَاكَ المَحْمِلُ المَحْمُولُ
سَعْدُ المَلِيكِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ
سَيْفٌ عَلَى أَعْدَائِهِ مَسْلُولُ
مَلِكٌ يَحُجُّ المَغْرِبُ الأَقْصَى بِهِ
فَلَهُمْ بِهِ نَحْوَ الرَّسُولِ وُصُولُ

وهذه القصيدة طويلة جدا؛ ولا يتسع المجال لذكرها بالكامل.

ooo

أما شيوخ بني عبد الواد، ورؤساء القبيل الأوائل؛ أي قبل نشوء دولتهم؛ فهم:

ـ **يوسف بن تكفا** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ وهو الذي كان يرأسهم أيام تغلب بني يلومي، وبني وامانوا على المغرب الأوسط.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق بن مَنَغْفَادْ بن يغرن** (من أعلام المائة السادسة للهجرة)؛ كان زعيمهم عند ظهور الدولة الموحدية؛ وهو الذي استرد أموال عبد المؤمن بن علي من أيدي بني مرين؛ وقتل كبيرهم المسمى المخضب بن عسكر.

ـ ثم **زيان بن ثابت بن محمد** (من أعلام أواخر القرن السادس للهجرة)؛ كان شيخا على بني طاع الله؛ حينما حدثت الفتنة بينهم وبين إخوانهم بني مطهر؛ تلك الفتنة التي قتل فيها زيان بن ثابت بواسطة كندوز الكمي؛ فنهض بنو طاع الله؛ بزعامة جابر ابن يوسف؛ وتمكنوا من قتل كندوز؛ ثأرا لزيان؛ وانجر عن هذه الفتنة؛ هروب بني كمي إلى تونس؛ مع شيخهم عبد الله بن كندوز.

ـ ثم **جابر بن يوسف بن محمد** (توفي أمام أسوار ندرومة سنة 629هـ/1231م)؛ انتقل من طور الزعامة إلى طور الإمارة؛ بعد إجهاضه للمؤامرة التي دبرها ضد شيوخ بني عبد الواد إبراهيم ابن علان الصنهاجي؛ الثائر بتلمسان على الدولة الموحدية؛ فقبض عليه هو وأتباعه؛ ثم انتصب على سدة الحكم في

تلمسان؛ معلنا دعوته إلى الموحدين؛ استرضاء لهم؛ وبذلك.. مهد لقيام الدولة العبد الوادية.

OOO

أما **بنو مطهر** فمنهم:

ــ **حمامة بن مطهر** (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي رافق سيد الناس بن أمير الناس؛ زعيم بني يلومي، وعطية الخير؛ زعيم بني توجين؛ لتقديم فروض الطاعة إلى عبد المؤمن بن علي؛ أثناء حصاره لوهران.

ــ ثم **عمر بن موسى المطهري** (كان حيا سنة 766هـ/1364م)؛ ولي قيادة دلس؛ من طرف أبي حمو الثاني.

OOO

ومن **بني كمي**:

ــ **كندوز بن عبد الله بن كمي** (من أعلام أواخر القرن السادس للهجرة)؛ هو الذي سبقت الإشارة إليه؛ عندما ذكرنا قتله لزيان؛ ثم مقتله هو الأخر من طرف بني طاع الله.

ـ ثـم **عبـد اللـه بـن كنـدوز** (كـان حيـا سنـة 665هـ/1266م)؛ وهـو الـذي هـرب ببـني كـمي إلى تونـس بعـد مقتـل أبيـه؛ غيـر أنهـم عـادوا فهاجـروا إلى المغـرب الأقـصى؛ أيـن التجئـوا إلى يعقـوب بـن عبـد الحـق المريـني؛ فأكرمهـم، وأقطعهـم بنـواحي مراكـش؛ غيـر أن **نـزوات العصبيـة القبليـة** أثـارت فيهـم جرثومـة الخـلاف؛ بعـد أن وصلـت إليهـم أخبـار حصـار تلمسـان؛ مـن طـرف يوسـف بـن يعقـوب المريـني؛ فخرجـوا عـن طاعـة الدولـة المرينيـة، والتحـقوا بجاحـة سنـة 703هـ. وبعـد مـوت السلطـان يوسـف عـادوا إلى طاعـة الدولـة المرينيـة.

ـ ثـم **عمـر بـن كنـدوز بـن عبـد اللـه بـن كـمي** (تـوفي سنـة 704هـ/1304م)؛ وذلـك خـلال ثورتهـم علـى بـني مريـن؛ احتجاجـا علـى حصارهـم لتلمسـان.

OOO

أمـــا **بنـــو زردال** فمنهـــم:

ـ **أبـــو محمـــد عبـــد اللـــه بـــن مسلـــم الـــزردالي** (ت: سنـــة 747هـــ/1346م). هـــو القائـــد الفـــذ، والوزيـــر المحنـــك؛ الـــذي أسنـــد إليـــه أبـــو حمـــو موسى الثـــاني شئـــون حربـــه؛ فقـــام بهـــا أحســـن قيـــام.

OOO

أمـــا أشهـــر ملـــوك؛ بـــني عبـــد الـــواد فهـــم:

ـ **أبـــو يحـــيى يَغُمْرَاسَـــنْ بـــن زيـــان** (ت: سنـــة 681هـــ/1282م)؛ وهـــو مؤســـس دولـــة بـــني عبـــد الـــواد، وأب ملوكهـــم، وأشهـــر أعيانهـــم عـــلى الإطـــلاق. قـــال عبـــد الرحمـــن بـــن خلـــدون في وصفـــه: **((كـــان يغمراســـن بـــن زيـــان بـــن ثابـــت ابـــن محمـــد مـــن أشـــد هـــذا الـــحي بأســـا، وأعظمهـــم في النفـــوس مهابـــة وجلالـــة، وأعرفهـــم بمصالـــح قبيلـــه، وأقواهـــم كاهـــلا عـــلى حمـــل الملـــك، واضطلاعـــا بالتدبيـــر والرياســـة؛ مهـــدت لـــه بذلـــك آثـــار قبـــل الملـــك وبعـــده. وكـــان مرموقـــا بعيـــن التجلـــة، مؤمـــلا للأمـــر عنـــد المشيخـــة،**

وتعظمة من أمره عند الخاصة، ويفزع إليه في نوائبه العامة))[1].

ـ ثم **أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان** (ت: سنة 703هـ/1303م)؛ خلف والده يغمراسن في الملك. افتتح عهده بشن حملات واسعة على المقاطعات الشرقية؛ حيث أخضع معظم قبائلها، وإماراتها لسلطانه؛ ووصل فتح إلى بجاية.

ـ ثم **أبو حمو موسى الأول ابن عثمان بن يغمراسن** (ت: سنة 718هـ)؛ قال عنه صاحب العبر: **((كان صارما، يقظا، حازما، داهية، قوي الشكيمة، صعب العريكة، شرس الأخلاق، مفرط الذكاء والحدة؛ وهو أول ملوك زناتة؛ رتب مراسم الملك، وهذب قواعده، وأرهف لذلك لأهل ملكه حده، وقلب لهم مجن بأسه؛ حتى دلوا لعز الملك، وتأدبوا بآداب السلطان. سمعت عريف بن يحيى... يقول: ويعنيه؛ موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزناتة.))**[1]. ومن الأخبار التي تؤيد ما وصف به من شراسة، وصرامة؛

[1] العبر، مج: 7، ص: 162.

[1] نفسه، ص ص: 203 ـــ 204.

موقفه الغريب تجاه سلطان مصر محمد بن قلوون؛ الذي أرسل خطابا يعاتبه فيه على ما نال مبعوثيه لملك المغرب من سلب، وعدوان بالمغرب الأوسط؛ وأرفق خطاب العتاب بهدية لا تناسب الحال؛ بالمقارنة مع الهدية التي وجهها لخصمه سلطان المغرب. وقد أورد ابن خلدون القصة؛ معددا محتويات الهدية؛ التي كانت عبارة عن: **((كوزين بدهن البلسان؛ المختص ببلادهم، وخمسة مماليك من الترك؛ رماة؛ بخمسة أقواس من قسي الغز المؤنقة الصنعة؛ من العرى، والعقب... ثم استدعى القاضي محمد بن هدية؛ وكان يكتب عنه؛ فقال له: الآن اكتب إلى الملك الناصر ما أقول لك، ولا تحرف كلمة عن موضعها إلا ما تقتضيه صناعة الإعراب، وقل له: أما عتابك على شأن الرسل، وما أصابهم في طريقهم؛ فقد حضروا عندي، وأبنت لهم الاستعجال؛ حذرا مما أصابهم؛ وأريتهم مخاوف بلادنا، وما فيها من غوائل الأعراب؛ فكان جوابهم: إننا جئنا من عند ملك المغرب، فكيف نخاف؟ مغترين بشأنهم؛ يحسبون أمره نافذ في أعراب قبائلنا. وأما الهدية فردت**

عليك: أما دهن البلسان؛ فنحن قوم بادية؛ لا نعرف إلا الزيت؛ وحسبنا به دهنا. وأما المماليك الرماة؛ قد افتتحنا بهم اشبيلية، وصرفناهم إليك لتفتح بهم بغداد؛ والسلام))[1].

ـ ثم **أبو تاشفين بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان** (ت: سنة 737هـ/1336م)؛ كان حازما، غشوما؛ لم يتورع عن قتل والده، والجلوس على سدة الحكم بدلا منه. وفي عهده امتدت حدود الدولة العبد الوادية إلى أقصى نطاق لها؛ إذ وصلت إلى مشارف تونس. ومع هذا فهو محب للعمران، والعلوم؛ ويقول عنه عبد الرحمن بن خلدون: **((وأغرى دولته بتشييد القصور، والرياض، والبساتين؛ فاستكمل ما شرع فيه أبوه من ذلك؛ وأربى عليه؛ فاحتفلت القصور، والمصانع في الحسن ما شاءت، واتسعت أخباره))**[1].

ـ ثم **أبو زيان الرابع أحمد بن عبد الله ابن موسى الثاني** (ت: سنة 957هـ)؛ اختلف مع أخيه محمد؛ الذي استعان بالإسبان؛ فتمكن أحمد من القضاء على الحملة الإسبانية

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 470 471.

[1] نفسه، ص: 219.

بقيادة ألفونس دي مارتينيز Don Alfonso de Martinez ثم اعتلى عرش تلمسان؛ داعيا على منابره للسلطان العثماني.

....

أما بنو مرين - فهم بدورهم - ظهر لهم أدباء، وعلماء؛ وقادة، وأمراء كبار؛ منهم:

- **أبو علي عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق** (توفي مقتولا في السجن بمدينة فاس سنة 734هـ/1333م)؛ كان أديبا؛ ناظما للشعر؛ منه هذه الأبيات التي بعث بها إلى أخيه السلطان أبي الحسن؛ عندما كان محاصرا له في سجلماسة:

فَلاَ يَغُرَنَّكَ الدَّهْرُ الخَئُونُ فَكَمْ
أَبَادَ مَنْ كَانَ قَبْلِي يَا أَبَا الحَسَنِ
الدَّهْرُ مُذ كَانَ لا يبْقى عَلى صِفَةَ
لا بُدَّ مِنْ فَرَحٍ فِيهِ وَمِنْ حَزَنِ
أيْنَ المُلُوكُ التي كَانَتْ تَهَابُهُمُ
أسْدُ العَرِينِ ثَوَوْا في اللَّحْدِ والكَفَنِ

بَعْدَ الأسِرَّةِ والتِيجَانِ قَد مُحِيَــــتْ

رُسومها وعَفتْ عنْ كُلِّ ذي حســـنِ

فاعْمَلْ لأخْرَى وكُنْ باللَّهِ مُؤْتَمـــراً

واسْتَغْـــنِ باللـــهِ في سِــرٍ وفي عَلَـــنِ

واخْتَـــرْ لنَفْسكَ أمْرا أنْتَ آمِـــرهُ

كَأنَّـــي لم أكُـــنْ يَوْمـــاً ولم تَكُـــنِ

ـ ثـم **أبـو العبـاس أحمـد بـن إبراهيـم بـن علـي ابـن عثمـان** (تـوفي بتـازا سنـة 796هـ/1393م)؛ اعتـلى عـرش بـني مريـن مرتيـن: الأولى سنـة 775هـ/1373م؛ ثـم خُلـع في عـام 786هـ/1384م؛ ثـم عقـدت لـه البيعـة في المـرة الثانيـة سنـة 789هـ/1387م. وكـان ضعيفـا، تابعـا لأبـن الأحمـر بالأندلـس؛ وفي عهـده تـم قتـل ابـن الخطيـب، بإيعـاز مـن ابـن الأحمـر. وكـان أديبـا، وشاعـرا؛ ولكنـه مقـل. مـن شعـره:

أمَّا الهَـــوَى يَا صَاحِــبي فَألِفْتُـــهُ

وَعَهدْتُـــهُ مِـــنْ عَهْـــدِ أيَّـــامِ الصِّبَـــا

وَرأيْتُـــهُ فَوْتَ النُّفُوسِ وَحَلْيَهَـــا

فَتخْذتُـــــهُ دِينـــــاً إليَّ وَمَذهَبَـــــا

وَلَبِسْتُ دُونَ النّـَـاسِ مِنْهُ حُلـَّـةً
كَانَ الوَفَـــاءُ لَهَـــا الطـِّـرَازُ المُذَهَّبَـــا
لَكِنْ رَأَيْــــتُ لَهُ الفِرَاقَ مُنَغِّصَـــا
لاَ مَرْحَبـــاً بِتَفَــــرُّقٍ لاَ مَرْحَبَــــا

وقـــال في مناسبـــة أخـــرى:
يَا عَاذِلِي دَعْ عَنْـــكَ عَذلَ العَـــاذِلِ
وَاخْلَـــعْ عِذَارَكَ فِي الحَبِيبِ الوَاصِـــلِ
وَإِذَا ذَكَـــرْتَ عَشِيَّـــةً بِمَحَاسِـــنٍ
فَاذْكُـــرْ عَشَايَانَـــا بِـــدَارِ العَــــادِلِ

ـ ثـــم **أبـــو فـــارس عبـــد العزيـــز بـــن أحمـــد بـــن إبراهيـــم بـــن عـــلي المريـــني** (ت: سنـــة 799هـــ/1396م)؛ كـــان رقيـــق القلـــب، شفوقـــا؛ منقبضـــا عـــن سفـــك الدمـــاء، أديبـــا، وشاعـــرا؛ وإن كـــان مقـــلا. مـــن شعـــره هـــذه الأبيـــات الـــتي يشكـــر اللـــه فيهـــا عـــلى سقـــوط المطـــر:
اللَّـــهُ يَلْطُـــفُ بالعِبَـــادِ فَوَاجِـــبٌ
إنْ يَشْكُـــرُوا فِي كُلِّ حَـــالٍ نِعْمَتَـــهْ
فَهُـــوَ الَذي فِيهِـــمْ يُنْـــزِلُ غَيْثَـــهُ
مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُـــوا وَيَنْشُـــرُ رَحْمَتَـــهْ

أما رؤساء بني مرين؛ فمنهم الشيوخ الأوائل؛ مثل:

ـ **المخضب بن عسكر المريني** (ت: سنة 540هـ/1145م)؛ وهو الرئيس عليهم في أواخر الدولة اللمتونية، وأوائل الدولة الموحدية؛ وقتل بأيدي بني عبد الواد المنحازين إلى صف الموحدين آنئذ. ثم أبو بكر بن حمامة بن محمد المريني (ت: سنة 561هـ/1165م)؛ وهو الذي تولى رئاسة قبيل بني مرين؛ بعد موت المخضب.

ـ ثم **محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد المريني** (توفي سنة 592هـ/1195م)؛ ترأس قبيل بني مرين بعد موت أبيه؛ ولما حشدت الحشود لموقعة الأرك بالأندلس سنة 591هـ/1194م؛ لبى محيو النداء، وشارك ـ هو وقومه ـ في المعركة؛ فأصيب بجروح؛ مات متأثرا بها.

ooo

أما أشهر أمرائهم، وملوكهم؛ فهم:

ـ **أبو محمد عبد الحق بن محيو بن أبي بكر المريني** (ت: سنة 614هـ/1217م)؛ وهو صاحب الخطوات الأولى نحو إنشاء الدولة المرينية؛

وصاحب مجدهم، وعزهم؛ قال عنه ابن خلدون: ((**وكان عبد الحق أكبرهم؛ فقام بأمر بني مرين؛ وكان خير أمير عليهم؛ قياما بمصالحهم، وتعففا عما في أيديهم، وتقويما لهم على الجادة، ونظرا في العواقب**))[1].

ـ ثم **أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة المريني** (ت: سنة 656هـ/1160م)؛ وهو أول من أدخل ملامح الدولة في الوسط القبلي لبني مرين؛ وأعلن بالدعوة إلى الحفصيين؛ لإضفاء الشرعية على الكيان الذي يتطلع لإقامته؛ وكانت له مواقع ساخنة مع الموحدين بمراكش؛ حالفه النصر في معظمها.

ـ ثم **أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني** (توفي سنة 685هـ/1286م)؛ بيده سقطت دولة الموحدين؛ كان حازما، شديد المراس؛ قام بالانتقال إلى بلاد الأندلس مرات عديدة؛ بغرض الجهاد، وصد هجمات الإسبان. توفي في الأندلس عندما كان معسكرا في الجزيرة الخضراء للجهاد؛ ويعتبر من أعظم سلاطين بني

[1] العبر، مج: 7، ص: 347.

مرين؛ بما له من خلال حميدة، وأعمال جليلة.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني** (قتل سنة 706هـ/1306م)؛ كان ذلك بيد مملوك له؛ طعنه غدرا؛ وهو على فراشه. قضى معظم حياته في حروب ضد بني عبد الواد، وضد الثوار من قبيله؛ والإسبانيين، وأعراب المعقل.

ـ ثم **أبو سعيد عثمان بن إدريس أبي العلاء ابن عبد الله بن عبد الحق المريني** (توفي سنة 730هـ/1329م)؛ في الجهاد بالأندلس؛ وكان قد هاجر إليها بعد فشله في الوصول إلى عرش بني مرين؛ وفي الأندلس ولي مشيخة الغزاة؛ فأبلى في الجهاد خير البلاء؛ إذ وصلت غزواته إلى 732 غزوة ضد الإفرنج.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المريني** (ت: سنة 752هـ/1351م)؛ كان محبا للعلماء، مقربا إياهم، مستدعيا لكبارهم في بلاطه؛ مغرما بالبناء والعمران؛ إذ شيد القصور، والمدارس، والمورستانات، والقناطر..الخ. وكان طافح الطموح، ساعيا لاستعادة أمجاد من سبقه من الملوك المسلمين؛

غير أن الحظ خانه مرتين؛ كانت آخرها هي القاضية عليه، وعلى دولته: أولاها تمت عندما مني بهزيمة منكرة أمام جيوش النصرى بالأندلس، والثانية هي التي قصمت ظهره؛ وحدثت حينما مُنِيَ بهزيمته الثانية؛ أمام أعراب بني هلال وسليم بإفريقية.

ــ ثم **أبو عنان فارس بن علي بن عثمان ابن يعقوب المريني** (قتل سنة 759هـ/1357م)؛ خنقا بيد وزيره عمر الفردودي. كان ــ كوالده ــ محبا للعلم، والعلماء، وكانت له ــ أيضا ــ الطموحات نفسها؛ ولكنه كان ــ كذلك ــ سيئ الحظ؛ فانتهى به الأمر إلى الموت بيد أقرب مساعديه.

ــ ثم **أبو محمد عبد الحق بن عثمان بن أحمد المريني** (توفي مقتولا سنة 869هـ/1464م)؛ وهو آخر سلاطين بني مرين؛ ثارت عليه رعيته؛ بعد أن استوزر وزيرين يهوديين؛ فوّض إليهما شئون الدولة؛ فأساءا السيرة؛ فانجر عن ذلك اشتعال ثورة الناس عليه؛ فكانت نهايته، ونهاية الدولة المرينية؛ وقيام الدولة الوطاسية؛ بدلا منها.

ooo

ومن بني يابان:

ـ جدهم **يابان بن جرماط بن مرين.**

ـ ثم **يوسف بن علي اليباني** (كان حيا سنة: 656هـ/1258م)؛ ولاه يعقوب ابن عبد الحق أعمال بلاد درعة وأحوازها.

ـ ثم **عمر بن عبد الله بن علي اليباني** (كان حيا سنة 759هـ/1357م)؛ ولاه أبوعنان خطة الحجابة.

ـ ثم **محمد بن العباس بن أبي يحيى اليباني** (كان حيا سنة 760هـ/1358م)؛ ولي وزارة إبراهيم ابن أبي الحسن المريني.

ـ ثم **يعيش بن علي بن فارس اليباني** (كان حيا سنة 788هـ/1386م)؛ ولي وزارة محمد ابن أبي الفضل بن أبي الحسن المريني.

ـ ثم **إدريس بن موسى بن يوسف اليباني** (كان حيا سنة 789هـ/1387م)؛ ولي وزارة أحمد بن أبي سالم المريني.

ـ ثم **صالح بن حمو اليباني** (كان حيا سنة 789هـ/1387م)؛ ولي ـ هو كذلك ـ وزارة أحمد ابن أبي سالم المريني.

ooo

أما بنو وطاس فمنهم:

ـ شيخهم الأول **وطاس بن بجوس المريني.**

ـ ثم **عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي**؛ وزير.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن زيان بن عمر ابن زيان الوطاسي** (ت: سنة 853هـ/1449م)؛ كان وزيرا، ووصيا على السلطان الصغير عبد الحق ابن عثمان بن أحمد المريني.

ـ ثم **أبو حسون علي بن يوسف بن زيان الوطاسي** (ت: سنة 865هـ/1460م)؛ ولي وزارة عبد الحق ابن عثمان بعد مقتل الوزير الوطاسي يحيى بن زيان.

ـ ثم **يحيى بن يحيى بن زيان بن عمر الوطاسي** (قتل ذبحا بأمر من السلطان عبد الحق سنة 866هـ/1461م)؛ ولي وزارة السلطان المريني عبد الحق بن عثمان؛ ولكنه قتله مع جمع من بني وطاس؛ لكي يتخلص من نفوذهم، واستبدادهم عليه.

ـ ثم **محمد الشيخ بن يحيى بن زيان الوطاسي** (توفي بفاس سنة 910هـ/1504م)؛ هو الذي أقام دولة بني وطاس؛ وأول سلاطينهم. في عهده استفحل شأن البرتغاليين، والإسبانيين؛ إذ

استولوا على آخر المعاقل الإسلامية ببلاد الأندلس، ثم استولوا بعدها على أصيلا، والبريجة، وأزمور، وتيط، وسواحل السوس بالمغرب.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الوطاسي** (توفي بعد سنة 956هـ/1549م)؛ وهو آخر سلاطين بني وطاس؛ تغلب عليه السلطان السعدي؛ محمد الشيخ المعروف بالمهدي؛ فاعتقله بمراكش، أو في درعة حتى مات.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن يحيى الوطاسي** المعروف بأبي حسون (ت: سنة 961هـ/1553م)؛ هو ثالث سلاطين بني وطاس، وقبل الأخير منهم. ثار عليه ابن أخيه أبو العباس أحمد؛ فسلم له الحكم مضطرا؛ ولكنه تمكن من الهرب إلى المغرب الأوسط؛ حيث استنجد بالأتراك؛ الذين ساعدوه على فتح فاس، وانتزاعها ـ لبعض الوقت ـ من السعديين؛ المتغلبين آنذاك على المغرب الأقصى؛ غير أن محاولته لم تعمر طويلا؛ إذ زحف إليه محمد الشيخ السعدي؛ فاسترد فاسا، وقتله.

ooo

أما **بنو توجين** فمعلوماتنا عنهم ضئيلة جدا؛ بسبب محيطهم البدوي؛ الذي اقتصر على إبراز رؤسائهم لا غير. وأشهر زعمائهم في عهد بني زيري الصنهاجيين؛ هم:

ـ **عطية بن دافلتن** (دافلين) **بن أبي بكر بن الغلب** (كان حيا سنة 395هـ/1004م).

ـ ثم **لقمان بن المعتز** (كان حيا سنة 395هـ/1004م).

وفي عهد الموحدين ترأسهم:

ـ **عطية بن مناد بن العباس بن دافلتن** (دافلين)؛ المعروف بعطية الحيو (من أعلام القرن السادس للهجرة)؛ كانت لقومه ـ برئاسته ـ وقائع، وأحداث ضد إخوانهم، ومنافسيهم ـ في الوقت نفسه ـ بني عبد الواد.

ـ ثم **العباس بن عطية بن مناد** (ت: سنة 607هـ/1210م)؛ تراجع عن الطاعة التي التزم بها سلفه للموحدين؛ فدسوا له من اغتاله.

ـ ثم **عبد القوي بن العباس بن عطية** (ت: سنة 647هـ/1249م)؛ وينتسب إلى بني منكوش من بني رسوغين. قال فيه ابن خلدون: **((ورئيسهم لذلك العهد عبد القوي بن عباس؛ والكل لأمره؛ فصار له ملك بدوي؛**

لـــم يفـــارق فيـــه سكـــنى الخيـــام، ولا إبعـــاد النجعـــة، ولا إيـــلاف الرحلتيـــن؛ ينتهـــون في مشاتيهـــم إلى مصـــاب، والـــزاب؛ وينزلـــون في المصائـــف بلادهـــم هـــذه مـــن التـــل؛ ولـــم يـــزل هـــذا شـــأن عبـــد القـــوي، وابنـــه محمـــد))[1].

ـــ ثـــم **محمـــد بـــن عبـــد القـــوي بـــن العبـــاس** (ت: سنـــة 684هـــ/1285م)؛ قتـــل أخـــاه يوســـف الـــذي خلـــف أباهـــم في إمـــارة القبيلـــة؛ ثـــم استقـــل برئاستهـــا. هـــذا وكـــان متقلبـــا في ولائـــه؛ بيـــن القـــوى المتواجـــدة آنـــذاك في بـــلاد المغـــرب؛ فكـــان يومـــا مـــع بـــني عبـــد الـــواد، ويومـــا مـــع بـــني أبي حفـــص، ويومـــا مـــع بـــني مريـــن.

أمـــا الذيـــن ينتسبـــون لبـــني يدلتـــن من بني مَـــدَّن فهم:

ـــ **نصـــر بـــن سلطـــان بـــن عيـــسى** (مـــن أعـــلام القـــرن الســـادس للهجـــرة)؛ هـــو الـــذي استوطـــن بقومـــه نـــواحي الجعبـــات، وتاوغـــزوت.

ـــ ثـــم **سلامـــة بـــن عـــلي بـــن نصـــر بـــن سلطـــان** (مـــن أعـــلام القـــرن السابـــع للهجـــرة)؛ وهـــو الـــذي شيـــد قلعـــة تاوغـــزوت المسمـــاة باسمـــه.

OOO

---

[1] العبـــر، مج: 7، ص: 321.

أما بنو يرناتن من بني رسوغين فمنهم:

ـ **نصر بن علي بن تميم بن يوسف بن بونوال** (من أعلام القرن السادس للهجرة).

ـ ثم ابنه **مهيب بن نصر** (من أعلام القرن السادس للهجرة).

***

هذا وقد لاحظنا ـ من خلال تتبعنا لأخبار القبائل في بلاد المغرب ـ أن اهتماماتهم متباينة؛ فمنهم من وجدوا في أنفسهم القدرة على السعي إلى **الملك** والسلطان؛ فجعلوه هدفهم الأساسي؛ حتى وصلوا إليه؛ ومنهم من عجز عن الملك؛ فسعى إلى وجهة أخرى؛ كالاهتمام **بالعلوم**. ومن هنا.. نجد بين القبائل التي عجزت عن الوصول إلى الملك؛ اهتماما كبيرا **بالشئون الثقافية، والدينية**. وعليه.. فقد برز فيها العلماء، وأصحاب الفكر، والقلم. ومن هذه القبائل على سبيل المثال: **مغيلة، وعجيسة، ونفوسة، وزواوة، ونفزة** ..إلخ؛ وإلى هذا الصنف من القبائل؛ تنضم **قبيلة بني راشد**؛ التي أعطت بلاد المغرب الإسلامي عددا ـ لا بأس به ـ من العلماء؛ منهم:

! ! !

ـ **أبو جعفر أحمد عبد النور بن أحمد المالقي الراشدي** (ت: سنة 702هـ/1302م)؛ وهو من بني راشد المقيمين بمالقة؛ وهنا.. يمكن أن ينطبق عليه ما سبق ذكره بخصوص لماية، وصدينة، وأوربة؛ تلك الأحياء الأمازيغية التي استقرت بالأندلس. وهو من علماء العربية، والعروض، والفقه، ويقرض الشعر؛ كما يتمتع بموهبة صوتية أهلته إلى تجويد القرآن. وله بعض المؤلفات؛ منها: كتاب الحِلْية في ذكر البسملة والتصلية، وكتاب رَصْف المباني في حروف المعاني؛ قال عنه ابن الخطيب: **((هو أجل ما صنف، ومما يدل على تقدمه في العربية))**[1]. وكتاب في العروض، وكتاب في شواذ العروض، وكتاب في شرح الكوامل؛ لأبي موسى الجزولي، وكتاب في شرح مُغْرب أبي عبد الله ابن الشوَّاس؛ لم يكمله، وتقييد على الجمل؛ لم يكتمل. من شعره:

مَحَاسِنُ مَنْ أهْوَى يَضِيقُ لها الشَّرْحُ
لَهُ الهمَّة العَلْيَاءُ والخُلُقُ السَّمْحُ
لهُ بَهْجَةَ يَغْشَى البصائِر نورُها
وَتَعْشَى بِهَا الأبْصَارُ إنْ غَلَسَ الصُّبْحُ

---

[1] الإحاطة، ج: 1، ص: 198.

إذا مَا رَنَى فَاللَّحْظُ سَهْمٌ مُفَوَّقٌ
وفي كُلِّ عُضْوٍ مِنْ إصابَتِهِ جُرْحُ
إذا مَا انْثَنَى زهْواً وَوَلَّى تَبَخُّتُراً
يَغَارُ لِذَاكَ القَدُّ مِنْ لِينِهِ الرُّمْحُ
وَإنْ نَفَحَتْ أزْهَارُهُ عِنْدَ رَوْضَةٍ
فَيُخْجِلُ رَيَّا زَهْرِهَا ذلِكَ النَّفْحُ
هُوَ الزَّمَنُ المَأمُولُ عِنْدَ ابْتِهاجِهِ
فَلِمَّتُهُ لَيْلٌ، وَغُرَّتُهُ صُبْحُ
لَقَدْ خَامَرَتْ نَفْسِي مُدامَةُ حُبِّهِ
فَقَلْبِيَ مِنْ سُكْرِ المُدامَةِ لا يَصْحُ
وَقَدْ هَامَ قَلْبي فِي هَوَاه فَبَرَّحَتْ
بِأسْرَارِهِ عَيْنٌ لِمَدْمَعِهَا سَبْحُ

ـ ثم الشيخ الولي الصوفي **أبو علي الحسن ابن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي** الشهير بأبركان (ت: سنة 857هـ/1453م)؛ وهو فقيه من الصوفية الزهاد؛ ترجم له ابن مريم؛ ولكنه لم يفد القارئ بشيء عن ثروة الرجل العلمية؛ وكل الذي سرده في ترجمته الطويلة؛ **حكايات، وخوارق عجيبة**؛ نسبها للشيخ أبركان.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي** (ت: سنة 868هـ/1463م)؛ له بعض المؤلفات؛ منها: الثاقب في لغة ابن الحاجب، وثلاثة شروح على الشفا؛ أكبرها في مجلدين؛ وهو المسمى بالغنية، وتعليق رجال ابن الحاجب، ومؤلفات أخرى.

ـ ثم **محمد بن عياد الكبير المعمراني الراشدي** (ت: سنة 964هـ/1556م)؛ كان شاعرا، ومحدثا، ونحويا، وفقيها، وأصوليا، ومنطقيا.

ـ ثم **أبو محمد العربي بن علي المشرفي الراشدي** (ت: سنة 1096هـ/1684م)؛ من الأدباء، والمؤرخين؛ له مؤلفات منها: فتح المنان شرح قصيدة ابن الونان؛ في مجلدين.

ـ ثم **عبد القادر الراشدي** (توفي حوالي سنة 1112هـ/1700م)؛ فقيه من أصحاب الاجتهاد؛ ولي قضاء قسنطينة، والإفتاء بها؛ له مؤلفات منها: حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية، وكتاب عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها، ورسالة في تحريم الدخان.

ـ ثم **أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله ابن محمد المشرفي الغريسي** المعروف بسقط (ت: سنة 1192هـ/1778م)؛ وهو من المحدثين،

والمؤرخين؛ وهو صاحب الرسالة المعنونة بـ: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر.

ـ ثم **محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي المعسكري الجزائري** المعروف بأبي راس (ت: سنة 1239هـ/1823م)؛ هو أحد العلماء المهتمين بالتاريخ، والحديث ورجاله، والفقه، والأدب؛ ألف حولي 50 كتابا؛ أهمها: تفسير القرآن، لب أفياخي في عدة أشياخي، وتخريج أحاديث دلائل الخيرات، وشرح المقامات الحريرية، والسيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى، ومروج الذهب في نبذة النسب ومن إلى الشرف انتمى وذهب، وذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، ودر السحابة فيمن دخل المغرب الأقصى من الصحابة، والزمردة الوردية في الملوك السعدية، والخير المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم، وحاشية على المكودي، وحاشية على السعد، وحاشية على الشرح الكبير للخراشي، وشرح العقيقية، وشرح الشمقمقية، وشرح الحلل السندسية، وكتاب التأسيس، ودرء الشقاوة، وفتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته،

والحـــاوي الجامـــع بيـــن التوحيـــد والتصـــوف والفتاوى، وكتـــاب عـــن رحلتـــه في المشـــرق والمغـــرب.
ــ ثـــم **أبـــو راشـــد عمـــار الراشـــدي** المعـــروف بالغـــربي (تـــوفي بقسنطينـــة سنـــة 1251هــ/1835م)؛ مـــن أهـــل الفقـــه، والعلـــم، والمعرفـــة؛ ومـــن الملميـــن بـــالأدب؛ وولي إفتـــاء المالكيـــة؛ لـــه نظـــم، وألـــف حاشيـــة عـــلى شـــرح الشبرخيـــتي عـــلى المختصـــر.

OOO

أمـــا رؤســـاء بـــني راشـــد، وزعماؤهـــم الأوائـــل فهـــم:
ــ **إبراهيـــم بـــن عمـــران الراشـــدي** (مـــن أعـــلام القـــرن الســـادس للهجـــرة)؛ كـــان يتـــولى رئاستهـــم عنـــد زحفهـــم نحـــو التلـــول مـــع بـــني عبـــد الـــواد؛ في عهـــد الموحديـــن.
ــ ثـــم **ونزمـــار بـــن عمـــران الراشـــدي** (مـــن أعـــلام القـــرن الســـادس للهجـــرة)؛ استبـــد عـــلى أخيـــه إبراهيـــم، وأزاحـــه مـــن مرتبـــة الرئاســـة، وتولاهـــا بـــدلا منـــه.
ــ ثـــم **مقاتـــل بـــن ونزمـــار بـــن عمـــران** (مـــن أعـــلام القـــرن السابـــع للهجـــرة)؛ خلـــف والـــده ونزمـــار؛ بعـــد أن قتـــل عمـــه إبراهيـــم؛ وأحـــدث

بذلك انقساما بين أسرة بني عمران؛ فأضحوا قسمين: **بنو إبراهيم**، **وبنو ونزمار**؛ إلا أن بني إبراهيم كانوا أظهر.

ــ ثم **ونزمار بن إبراهيم بن عمران** (ت: سنة 690هـ/1291م)؛ كان معاصرا ليغمراسن بن زيان.

ــ ثم **أبو يحيى بن موسى بن عبد الرحمن ابن ونزمار بن إبراهيم الراشدي** (كان حيا سنة 737هـ/1336م)؛ وهي السنة التي احتل فيها أبو الحسن المريني تلمسان، والمغرب الأوسط؛ فنقل ــ تبعا لذلك ــ أعيان زناتة في تلك الديار ــ إلى المغرب الأقصى؛ ومن بين من نقلهم أبو يحيى بن موسى هذا.

ــ ثم **زيان بن أبي يحيى بن موسى الراشدي** (قتل سنة 768هـ/1366م)؛ عاد إلى وطنه من منفاه بالمغرب؛ في عهد أبي حمو الثاني؛ فاحتفى به عند قدومه؛ ولكنه اهمم بالتجسس لسلاطين المغرب؛ فسجنه مرتين؛ حيث قتله في المرة الثانية في سجنه.

! ! !

وثمة – أيضا – علماء من الإباضيين؛ ينتسبون إلى بني واسين، وكانوا معروفين باسم هذه القبيلة الأم؛ قبل أن تتشعب أحياؤها، وتستقل بطونها بنفسها. وديار هؤلاء العلماء؛ هي الديار القديمة لبني واسين؛ قبل أن ينتقل جمهورهم إلى تلول المغرب الأوسط؛ وهي بلاد الجريد؛ ومن هؤلاء العلماء:

– **أبو القاسم يزيد بن مخلد الوسياني**؛ أي الواسيني؛ نسبة إلى بني واسين؛ (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من حامة قسطيلية؛ له دراية بالأدب، وعلوم: اللسان، والأصول، والفروع، والحديث، والفقه، والقرآن، والسيرة؛ قُتِل بأمر من المعز لدين الله الفاطمي؛ بسبب وشاية من أحد اليهود.

– ثم **أبو خزر يغلا بن زلتاف الوسياني** (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه، ومحدث؛ رافق أبو القاسم بن يزيد في مرحلة الدراسة، والعطاء العلمي؛ ثار على المعز الفاطمي؛ بعد مقتل رفيقه أبي القاسم؛ ولكنه استفاد من العفو؛ وأصبح من المقربين إلى المعز؛ حيث أخذه معه إلى مصر عندما انتقل إليها؛ وامتد عمره إلى عهد ولده نزار.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سودرين الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس)؛ وهو من العلماء البارزين؛ له إلمام بعلوم النظر والمنطق، والعلوم الشرعية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن زورستن الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس)؛ وهو من شيوخ الإباضية الملمين بالعلوم الشرعية، والمنطق.

ـ ثم **ميمون حمودي بن زورستن الوسياني** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ أحد علماء الإباضية المستوعبين لعلوم: النظر والمنطق، والعلوم الشرعية.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن خيران** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية المجتهدين؛ اشتهر بالورع، والكرم.

ـ ثم **أبو محمد ماكسن بن الخير الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ عالم إباضي؛ كف بصره وهو صغير؛ ومع هذا لم تمنعه علته من التعلم؛ حتى أضحى من العلماء البارزين.

ـ ثم **أبو عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو أحد علماء الإباضية.

ـ ثم **يوسف بن أحمد الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ قال عنه الدرجيني: ((**وأما يوسف بن أحمد فلا يبعد أن يكون حامل فقه إلى من هو أفقه منه؛ فإنه كان حفاظا؛ ولكن لا يحسن التصرف فيما يحفظه...وكان الشيخ يوسف كثير الورع، والاجتهاد؛ ذا خمول، واقتصار ممن يتعلم منه ويستفاد**))[1].

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ابن حسان الوسياني** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من كبار علماء الإباضية؛ راوية، من المؤرخين؛ له مشاركة في السير.

***

ـ ***مواطنهم:*** تنتشر مواطن **بني واسين** في **ربوع إفريقية، والمغرب الأوسط.** إذ كانوا في **جهات قسطيلية، وتوزر، وبلاد الحمة.** وإلى الغرب من **قابس** يسكن **بنو ورتاجن،** وفي **جبال أوراس**

---

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 512.

يوجد حي من بني عبد الواد، ويوجد آخرون من **بني واسين بصحراء برقة، وأرض الزاب، وقصور غدامس** التي يسكن في بعضها **بنو وطاس**؛ وهم من بني مرين. **وفي قصور مصاب** أحياء منهم؛ وقد سميت تلك الديار بهم. ويسكن في تلك البلاد ــ بالإضافة إلى مصاب ــ **فئات من بني عبد الواد، وبني توجين، وبني زردال**؛ وهم جميعا أبناء بادين. وجل بني واسين كانوا متواجدين في السهوب المحصورة ما **بين ملوية، وجبل بني راشد.** وفي أواخر الدولة الموحدية تغلبوا على تلول المغرب الأوسط كافة؛ سواء بالإقطاع، أو بالاحتلال، ثم تدرجت بعض أحيائهم ــ فيما بعد ــ نحو الملك القاهر[2].

هذا وقد عُرف ــ أيضا ــ بعض أعلامهم بنسبتهم إلى زناتة مباشرة؛ وهي قبيلتهم الأم؛ دون معرفة البطون التي ينتمون إليها؛ ومن هؤلاء:

ــ أبو عبد الرحمان بكر بن حماد بن سهل (أو سِهْر) ابن إسماعيل التاهرتي الزناتي (توفي بتاهرت سنة 296هـ/908م)؛ وهو من فحول الشعراء بالمغرب الإسلامي؛ ولكن أكثر شعره

---

[2] ابن خلدون؛ العبر، مج: 7، ص ص: 120 ــ 124.

ضاع، ولم يصل إلينا منه إلا قليله. وقد جمع الأستاذ محمد بن رمضان شاوش؛ منه بعض القصائد، والمقطوعات؛ التي كانت مبعثرة ضمن المصادر الأدبية، والتاريخية المختلفة؛ ووصل عدد ما عثر عليه: مائة وعشرة أبيات لا غير. وذكر ابن عذاري خبر ابن حماد بقوله:[1]

((مات أبو عبد الرحمن بُكْر ابن حَمَّاد بن سِهْر بن أبي إسماعيل؛ وهو زَناتِيٌّ؛ في شوال بقلعة ابن حَمَّة؛ بجوفيّ مدينة تيهرت؛ وبها كان مولده، ومنشأه؛ صلى عليه موسى بن الفارسي الفقيه؛ وهو يومَ مات ابْنُ ستّ وتسعين سنة؛ ورحل بُكْر إلى المشرق في سنة 217هـ[/832م]؛ وهو حدثُ السنّ؛ فسمع من الفقهاء، وجلّة العلماء؛ وكان عالماً بالحديث، وتمييز الرجال؛ وشاعراً مُفْلِقاً؛ ومدح المُعْتصِم؛ ووصله بصلات جزيلة؛ واجتمع بحبيب، وصريع، ودِعْبِل، وعلي بن الجَهْم، وغيرهم من شعراء العَراق. وله أبيات إلى المعتصم؛ يحرضه فيها على دعبل؛ وهي:

---

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 153 ــ 154.

أيَهْجُو أمِيــرَ المُؤْمِنيــنَ وَرَهْطَــهَ
وَيَمْشِي عَلىَ الأرْضِ العَرِيضَةِ دِعْبــِلُ
أما والَّــذِي أرْسَى ثَبِيــراً مَكَانَــهُ
لَقَدْ كَــادَتِ الدُّنْيَــا لِــذَاكَ تُزَلْــزَلُ
وَلَكِــنَّ أمِيــرَ المُؤْمنيــنَ بفَضْلِــهِ
يَهُــمُّ فَيَعْفُــوَ أوْ يَقــُولُ فَيَفْعَــلُ

فعاتبــه حبيــب فيــه؛ وقــال لــه: "قتلتــه واللــه يــا بكــر"؛ فقــال في قصيدتــه هــذه:
وَعَاتَبَــنِي فِيهِ حَبِيــبٌ وَقَــالَ لِي:
"لِسَانُــكَ مَحْــذُورٌ وَسَمُّــكَ يَقْتُــلُ"
وَإنِيِّ وَإنْ صَرَفْتُ فِي الشِّعْرِ مَنْطِقِي
لأنْصِــفُ فِيمَا قُلْــتُ فِيــهِ وَأعْــدِلُ)).

ومــن شعــره الــذي يصــف فيــه طقــس تاهــرت البــارد:
مَا أخْشَــنَ البَــرْدَ وَرِيعَانَــهُ
وَأطْــرَفَ الشَّمْــسَ بِتَاهَــرْتِ
تَبْــدُو مِنَ الغَيْمِ إذَا مَا بَــدَتْ
كَأنَّهَــا تُنْشَــرُ مِــنْ تَخْــتِ
نَحْــنُ فِي بَحْــرٍ بَــلاَ لُجَّــةٍ
تَجْرِي بِنَا الرِّيحُ عَلىَ السَّمْــتِ

نَفــْرَحُ بِالشَّمْسِ إِذَا مَا بَــدَتْ
كَفَرْحَــةِ الــذمِّي بِالسَّبْــتِ

عــاد إلى مسقــط رأســه تاهــرت؛ هاربــا مــن بطــش الأميــر إبراهيــم بــن أحمــد بــن الأغلــب؛ فاعتــرض طريقــه اللصــوص؛ بالقــرب مــن تاهــرت؛ في المكــان المســمى بقلعــة ابــن حمــة؛ وذلــك سنــة 295هـ/907م؛ فقتلــوا ولــده، وجرحــوه هــو بجــروح بليغــة؛ مــات متأثــرا بهــا؛ فيمــا بعــد. وهــذه أبيــات مــن قصيــدة قالهــا في رثــاء ولــده:

بَكَيْــتُ عَــلىَ الأحِبــَّةِ إِذْ تَوَلــَّوا
وَلــَوْ أَنِّي هَلَكْتُ بَكــَوا عَلَيَّــا
فَيَا نَسْــلِي بَقــَاؤُكَ كَانَ ذُخْــراً
وَفَقْدِكَ قَدْ كَوَى الأكْبــَادَ كَيَّــا
كَفَى حُزْنــاً بِأَنَّنِي مِنْــكَ خُلْــوٌ
وَأَنَّــكَ مَيِّــتٌ وَبَقِيــتُ حَيَّــا
وَلَمْ أكُ آيِســاً فَيَئِسْــتُ لَمَّــــا
رَمَيْتُ التُّرَابَ فَوْقــَكَ مِنْ يَدَيــَّا
فَلَيْتَ الخَلــْقُ إِذْ خُلِقــُوا أَطَاعُــوا
وَلَيْتَكَ لَمْ تَــكُ يَا بَكْــرُ شَيَّــا
تُسَــرُّ بِأشْهُــرٍ تَمْــضِي سِرَاعــاً
وَتُطــْوَى فِي لَيَالِيهــنَّ طَيَّــــا

فَلاَ تَفــْرَحْ بِدُنْيَــا لَيــْسَ تَبْــقَى
وَلاَ تَأْسَــفْ عَلَيْهَــا يَــا بُنَيَّــا
فَقَدْ قَطَعَ البَقَــاءُ غُرُوبَ شَمْــسٍ
وَمَطْلَعُهَــا عــلَى يَــا أُخَيَّــــا
وَلَيْــسَ الْهَــمُّ يَجْلُــوهُ نَهَــارٌ
تَــدُورُ لَــهُ الفَرَاقِــدُ وَالثُّرَيَّــا

وفي قصيــدة أخــرى؛ قــال يــرثي ولــده أيضــا:
وَهَــوَّنَ وَجْدِي أَنَّنِي بِكَ لاَحِــقٌ
وَأَنَّ بَقَــائِي فِي الحَيَــاةِ قَلِيــــلُ
وَأَنْ لَيْسَ يَبْــقَى لِلْحَبِيبِ حَبِيبُــهُ
وَلَيْــسَ بِبَــاقٍ لِلْخَلِيــلِ خَلِيــلُ
وَلَوْ أَنَّ طُــولَ الحُــزْنِ مِمَّا يَــرُدُّهُ
لَلاَزَمَــنِي حُــزْنٌ عَلَيْــهِ طَوِيــلُ

ولمــا أحــس بدنــو أجلــه قــال يــرثي نفســه:
أَحْبُو إِلَى المَوْتِ كَمَا يَحْبُــو الجَمَلْ
قَد جَــاءَنِي مَا لَيْــسَ فِيــهِ حِيَــلْ

وقــال في قاتــل عــلي كــرم اللــه وجهــه:
قُلْ لاِبْنِ مُلْجَــمْ وَالأَقْــدَارُ غَالِبَــةٌ
هَدَّمْتَ وَيْلَــكَ لِلإِسْــلاَمِ أَرْكَانَــا

قَتَلْتَ أفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلىَ قَدَمٍ
وَأوَّلَ النَّاسِ إسْلاَمَاً وَإيمَانَا

وَأعْلَمَ النَّاسِ بِالقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا
سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرْعاً وَتِبْيَانَا

صَهْرُ النَّبِيِّ وَمَوْلاَهُ وَنَاصِرُهُ
أضْحَتْ مَنَاقِبُهُ نُوراً وَبُرْهَانَا

وَكَانَ مِنْه عَلىَ رَغْمِ الحَسُودِ لَهُ
مَكَانُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَا

وَكَانَ فِي الحَرْبِ سَيْفاً صَارِماً ذَكَراً
لَيْثاً إذَا لَقِيَ الأقْرَانُ أقْرَانَا

ـ ثم **أبو الحسن صالح الزناتي الإشبيلي العابد** (ت: سنة 587هـ/1191م)؛ كان من أهل الخير والصلاح، ورع، زاهد؛ قضى أيامه في تلاوة كتاب الله؛ ولا يشغل نفسه بمشاغل الدنيا أبدا.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن خلف بن مرزوق بن أبي الأحوص البلنسي الزناتي** المعروف بابن نسع (ت: سنة 599هـ/1202م)؛ قال فيه ابن الأبار: **((وكان مقرئا صالحا، زاهدا ورعا؛ أخذ عنه الناس؛ وكثيرا ما كان**

يُسمع كتاب السيرة؛ لعلو إسناده فيه، وكذلك الإستيعاب؛ حتى كان يحفظهما))[1].

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الزناتي** المعروف بابن حافي رأسه (ت: سنة 725هـ)؛ من فقهاء المالكية؛ له نظم؛ منه:

كَأنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ وَلَمْ تَكُنْ فُرْقَةَ
إذَا كَانَ مَا بَيْنَ الفُرَاقِ تَلاَقي

....

(3) ــ سمكان:

وهم **أبناء سمكان بن يحيى بن ضري ابن زحيك بن مادغيس الأبتر.** ذكر ابن خلدون بطنين منهم؛ هما: **زواغة، وزواوة.** غير أنه اضطرب في موقفه؛ حين أدرج **زواوة** مرة ضمن **بني سمكان بن يحيى** البتري، ومرة بين **قبائل كتامة البرنسية**؛ معللا ذلك بكون نسابة البربر قد أدرجوا زواوة ضمن بني سمكان بن يحيى، بينما أدرجهم ابن حزم ضمن أحياء كتامة. أما هو فيميل إلى رأي ابن حزم؛

---

[1] التكملة، ج: 2، ص: 567.

مستنـــدا إلى كـــون مواطـــن زواوة تقـــع في جـــوار مواطـــن كتامـــة. ويـــرى أن سبـــب الخطـــأ الـــذي وقـــع فيـــه غيـــره؛ يعـــود للالتبـــاس الـــذي سببـــه التصحيـــف، والخلـــط بيـــن قبيلتيـــن؛ همـــا: **زواوة، وزوازة.** ولكـــن عبـــد الوهـــاب بـــن منصـــور حـــاول تصحيـــح هـــذا الالتبـــاس بقولـــه: **((ويظهـــر لي أن ابـــن خلـــدون نفســـه وقـــع هنـــا في خطـــأ؛ بسبـــب التصحيـــف، فالاســـم الـــذي صحـــف، وكـــان مثـــار هـــذا الالتبـــاس هـــو زوارة بالـــراء الـــتي سميـــت بهـــا مدينـــة، وتعـــرف بهـــا بطـــون إلى اليـــوم، وليـــس زوازة الـــتي لا تعـــرف بيـــن قبائـــل البربـــر؛ في قديـــم ولا حديـــث))**[1]. ومـــع وجاهـــة هـــذا الـــرأي الأخيـــر؛ إلا أنـــه لا يكـــفي لإقنـــاع المحققيـــن؛ فالتصحيـــف ممكـــن حدوثـــه ــ أيضـــا ــ في اســـم زوارة نفسهـــا؛ خاصـــة وأن هـــذه التسميـــة لـــم نعثـــر عليهـــا محققـــة، ومنسوبـــة لقبيلـــة مـــا؛ في المصـــادر التاريخيـــة القديمـــة؛ والـــتي أعـــدت قبـــل القـــرن السابـــع للهجـــرة. ولا يكـــفي وجـــود مدينـــة، أو قبيلـــة بهـــذا الاســـم في هـــذه الأيـــام. للتدليـــل عـــلى صحـــة تلـــك المزاعـــم. فاســـم المدينـــة ــ أيضـــا ــ معـــرض للتحريـــف. فعـــلى سبيـــل المثـــال: توجـــد ــ في أيامنـــا هـــذه ــ بالجزائـــر؛

---

[1] قبائـــل المغـــرب، ج: 1، ص: 320.

مدينة يسميها الناس **تامنراست بالراء**؛ بينما هي في الأصل تسمى **تامنغاست بالغين**؛ إذ تحولت الغين إلى راء؛ بسبب اللهجات. وعليه.. ألا يحتمل أن تكون **زواغة** هي **زوارة**؛ ثم تعرضت للتصحيف؟

وبينما خلت المصادر القديمة من تسمية قبيلة بهذا الاسم؛ نجدها في كتاب القلقشندي؛ (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب)؛ مع أنه لا يذكر — في حرف الزاي — زواوة، ولا زواغة؛ ويخلط في الأمر حين يقول: ((**بنو زوارة بطن من صنهاجة؛ من البرانس؛ من البربر. وهم بنو زوارة بن صنهاجة بن برنس بن بربر... بنو زواعة** [بالعين المهملة] **ويقال لهم بنو زواعة باسم أبيهم: بطن من ضري**))[1]. ومن خلال ما سبق ذكره؛ يبدو أن التصحيف بدأ في زمن غير بعيد عن زمن القلقشندي؛ الذي توفي في عام 821هـ. وربما لا يتجاوز زمن التصحيف؛ النصف الأخير من القرن السابع للهجرة. ونظرا لغياب الدليل القاطع، والسند المقنع؛ سنسجل ما هو متوفر لدينا، ونترك الباب مفتوحا للمزيد من التحقيق. وعليه..

---

[1] ص: 276.

سنعتبر **زوارة، وزواغة؛ وزواوة** من بين أحياء بني سمكان بن يحيى؛ حتى يثبت غير هذا.

....

ـ *زوارة:*

لم أعثر ـ كما سبق أن ذكرت ـ في المصادر التاريخية القديمة المتوفرة على قبيلة تسمى **زوارة** بالراء؛ إلاّ فيما ورد من خلط ضمن كتاب نهاية الأرب، وما ذكره عبد الوهاب بن منصور في كتابه ـ الحديث ـ قبائل المغرب. حيث يقول بأنهم مندمجون في قبائل أخرى هي: قبيلة **بني موسى** (دوار سيدي حمودة)، وقبيلة **صنهاجة** (دوار الشركة)، وقبيلة **أولاد عطية** (دوار الصوادق) بالمغرب الأوسط. ومن جهتي.. لا أدري إن كان هذا يكفي؛ كدليل على وجود قبيلة باسم **زوارة**؛ فالاندماج يتبعه الذوبان.. فهل احتفظ المندمجون باسم قبيلتهم زوارة..؟ ومن جهة أخرى؛ يشير عبد الوهاب بن منصور ـ أيضا ـ إلى المدينة الساحلية المسماة باسمهم؛ في الجهة الغربية من طرابلس.

وإذا ما تصفحنا مصدرا قديما؛ مثل كتاب الرحلة المغربية للعبدري؛ الذي أُعِدّ في عام 688هـ؛ نجده يذكر اسم **قرية زوارة**؛ في سياق عام، وبأسلوب غامض؛ عن شيء اسمه زوارة؛ ولكن يصعب على القارئ التمييز إن كان المقصود بها اسم قبيلة، أو اسم قرية. أما التجّاني (الذي توفي سنة 717هـ) فتكلم عن **زوارة** كاسم لمكانين: **زوارة الكبرى**؛ التي كانت تسمى كوطين، **وزوارة الصغرى**؛ التي كانت تسمى بلد المرابطين. أما الورتلاني في رحلته؛ التي تمت في عام 1179هـ؛ فقد ذكر في كتابه ثلاثة أماكن ــ متقاربة ــ تسمى زوارة؛ هي: **زوارة الخالية، وزوارة العامرة، وزوارة الشرقية** أو (الكبرى).

أما محمد علي دبوز؛ فلا يذكر من بين القبائل اسما **لزوارة**؛ وإن كان قد أشار إلى الاسم على أنه لإحدى المدن القريبة من طرابلس؛ التي خلفت مدينة زواغة المندثرة: **((ليست زُوّاغة هي زْوارة كما يعتقد الكثيرون. إن زواغة كانت في القرن الثاني والثالث الهجري، أما زْوارة** [بالسكون فوق الزاي]

فنشأت في سنة 380 **من الهجرة. وزُواغة انقرضت وزْوارة لا زالت...وأرى أن زْوارة نشأت لما انقرضت زواغة؛ فهاجر أهل زُواغة إليها فعمروها))**[1]. وبعد الذي ذكرناه؛ يبدو أنه لا داعي لذكر المزيد من المصادر الأخرى؛ التي جاءت بعد رحلة التجاني؛ لاحتمال انتقال العدوى، وانتشار الالتباس، والتصحيف. وعليه؛ نتساءل.. ألا تكون تسمية **زوارة** هذه تعرضت ـــ بدورها ـــ للتصحيف؟ كما حدث لمدينة **تامنغاست** (تامنراست).. وخلاصة القول.. أنه لم يثبت ـــ حتى الآن ـــ وجود قبيلة باسم **زوارة**؛ وإن كان وجود مكان بهذا الاسم أمر ثابت لا محالة.

....

[1] تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 603. تعليق: 1.

ـ زُوّاغـــة:

ينـــدرج **بنـــو زواغـــة** ـــ باتفـــاق المؤرخيـــن ، والنسابيـــن ـــ ضمـــن **أبنـــاء زواغ بـــن سمكـــان بـــن يحـــيى**. ويقـــول ابـــن خلـــدون عنهـــم: **((وأمـــا زواغـــة فلـــم يتـــأدّ إلينـــا مـــن أخبارهـــم، وتصاريـــف أحوالهـــم مـــا نعمـــل فيـــه الأقـــلام))**[1]. ثـــم يذكـــر ثـــلاث مـــن بطونهـــم؛ هـــم: **بنـــو دمـــر بـــن زواغ (ودمـــر** هـــذا ليـــس هـــو **الغانـــا** المعـــروف بدمـــر السابـــق الذكـــر**)**، **وبنـــو ماجـــر بـــن تيفـــون بـــن زواغ، وبنـــو واطيـــل بـــن زحيـــك بـــن زواغ.**

! ! !

ـــ أعيانهـــم: مـــن علمـــاء زواغـــة:

ـــ **أبـــو الخطـــاب وسيـــم بـــن ستتـــن الـــزواغي (**مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الرابـــع للهجـــرة**)**؛ وهـــو مـــن العلمـــاء الإباضييـــن؛ عـــرف بفضلـــه، وصلاحـــه.

ـــ ثـــم **أيـــوب بـــن كلابـــة الـــزواغي (**مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الرابـــع للهجـــرة**)**؛ وهـــو مـــن أفاضـــل علمـــاء الإباضيـــة؛ اشتهـــر بالثـــراء،

---

[1] **العبـــر، مج: 6، ص: 264.**

والكرم؛ وقد تناقل الأخباريون حكايات عديدة عن جوده، وكرمه؛ بالإضافة إلى علمه، وصلاحه.

ـ ثم **أبو موسى عيسى بن السمح الزواغي** (من أعيان النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ اشتهر بالتقوى، والصلاح؛ وكان من رجال الفتوى.

ـ ثم **يزيد بن يخلف الزواغي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية بوادي ريغ.

***

ـ ***مواطنهم:*** يقول ابن خلدون[1] أنهم موزعون بين القبائل، ومتفرقون في نواحي طرابلس؛ حيث يتواجد الجبل المعروف بأحد بطونهم؛ وهو **جبل دمر**. وفي جهات **قسنطينة**، وفي **جبال شلف** جماعة منهم اسمهم **بنو واطيل**. وكذا الحال؛ في نواحي فاس؛ أين يتواجد بعضهم. وحين أشار مبارك الميلي إلى مواطن زواغة قال: **((ومنهم قرب ميلة فريق يعرفون**

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 264.

بزواغة))[2]. ويقول ابن منصور أن آخرين متواجدون **بفج مزالة.** ويرى أنهم كانوا في تلك الديار في أول الفتح الإسلامي؛ وينسب إليهم **بسيط زواغة** الممتد بين **فاس**، وبين **صفرو، وجبل كندر**[1].

....

ـ زواوة:

إذا كان ابن خلدون قد تذبذب في حكمه بخصوص انتماء **زواوة**؛ فإنه بالمقابل خصص لهم فصلا رئيسيا بين قبائل البتر؛ إذ نسبهم ـ من خلاله ـ إلى **سمكان بن يحيى ابن ضري.** وبالمقابل اكتفى ببعض الفقرات؛ التي كررها عنهم في الفصول المخصصة للبرانس. وقد تأثر ابن خلدون ـ في رأيه هذا ـ برأي ابن حزم؛ الذي ينسب زواوة إلى كتامة؛ ثم يعلل ابن خلدون ذلك؛ بكونهم متجاورين في الأوطان. مع أنه يقول: **((وأكثر الناس جاهلون بنسبهم. وعامة نسابة البربر على أنهم من**

---

[2] تاريخ الجزائر، ص: 599

[1] قبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 311 ــ 312.

بني سمكان بن يحيى بن ضريس، وأنهم اخوة زواغة))[1]. والغريب في الأمر – هنا – هو موقف ابن خلدون المنحاز إلى رأي ابن حزم؛ ذلك الرأي الذي يخالف أقوال نسابة البربر عامة مع أنه اعترض عليه في نص آخر؛ مرجحا أقوال من سماهم بـ **((نسابة البربر))** فقال حين تكلم عن لواتة: **((وذكر ابن حزم أن نسابة البربر يزعمون أن سدراتة، ولواتة، ومزاتة من القبط. وليس ذلك بصحيح؛ وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر في ذلك))**[1]. ومع هذا.. يبدو أن انحيازه لآراء ابن حزم؛ يرجع إلى إلى ما يقوله عنه؛ من صفات تتحلى بالثقة، والتوثيق. وعلى الرغم من التردد، والاضطراب الذين وقع فيهما ابن حزم حينما أدرج **زواوة** مرة بين أبناء **سمكان بن يحيى البتريين**، ومرة أخرى ضمن **قبائل كتامة البرنسية**؛ فإن ابن خلدون بقي في موقفه المنحاز إليه؛ بل سايره في اضطرابه؛ حيث أدرج – هو الآخر – زواوة

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 308.

[1] نفسه، ص: 235.

ضمن أبناء سمكان من جهة، وأبناء كتامة من جهة أخرى.

وعليه.. هل يمكن الحكم بانتماء جماعات معينة إلى جماعات أخرى؛ على أساس الجوار في الموطن فقط..؟ وإذا كان الرد بالإيجاب؛ فكيف نفسر وجود قبائل أخرى متجاورة؛ مع أنها لا تنتمي إلى بعضها بعضا؟ والعكس صحيح أيضا. إذ هناك قبائل تنتسب إلى نسب واحد؛ ولكن أوطانها متباعدة. ولنفرض أن الموطن، والجوار يمكن اعتبارهما حجة لتصحح الانتماء، والقربى.. فما هو الرأي إذن.. حينما نرى ابن خلدون يؤكد على كون المغرب الأوسط هو وطن زناتة؛ وبالمقابل نجد أمة عظيمة تنتسب إلى البرانس؛ مواطنها هي الأخرى في المغرب الأوسط..؟

وجملة القول.. فابن خلدون لم يتمكن من حسم موقفه تجاه **زواوة**؛ بل إنه لم يجد ما يقوله بخصوص **أبناء سمكان** كافة؛ فإذا كان قد اعترف بذلك حين تكلم عن **زواغة**؛ فإنه احتار ــ من جهة أخرى ــ بخصوص **زواوة**، وحاول إيجاد تأويلات، وافتراضات، ومسوغات ــ غير مقنعة ــ عن

تصحيف يكون قد حدث لاسم **زوازة** [بالزاي]؛ فأخذت على أنها **زواوة**. مع أن زوازة لا وجود لها بين قبائل المغرب بالكامل. وفي كتاب مفاخر البربر ـــ الذي يكون كتب سنة 712هـ؛ أي قبل أن يلد ابن خلدون ـــ ورد نص يسجل أسماء القبائل البترية؛ جاء فيه: **((وأعلام القبائل التي تسمى البتر؛ من البربر هم: زواغة، وزناتة، وزواوة، ونفزة، ولواتة، ومزاتة، ونفوسة، ومغيلة، ومطماطة، ومطغرة، ومديونة، وصدينة. ولكل هؤلاء شعوب وقبائل كثيرة وبطون وأفخاذ وعمائر لا تحصى نسبوا إلى جدهم الأبتر وهو مادغس بن بركان** [هكذا صحف] **يلقب بالأبتر))**[1]. وجاء في الصحفة 71 من المصدر نفسه: **((وزواو اسم رجل هو زواو بن سمجان** [سمكان] **بن يحيى ابن تمزيت** [تمصيت] **بن ضريس))**.

وما يمكن قوله في هذا المجال؛ أنه وردت في العبر[2] أسماء كثيرة للبطون المتفرعة عن قبيلة **زواوة**؛ نكتفي منها بـ: **بني كوزيت، وبني كوفي، وبني مرانة، ومشدالة، وولزاجة**. ثم

---

[1] ص: 76.

[2] العبر: مج: 6، ص ص: 262 ـــ 264.

وردت في العبر ـ أيضا ـ أسماء بعض قبائلهم التي عاصرت ابن خلدون؛ وهم: **بنو بوشعيب، وبنو بويوسف، وبنو صدقة، وبنو غبرين، وبنو فوراسن، وبنو كشطولة، وبنو مانكلات، وبنو ماني، وبنو يتورغ، وبنو يراتن.** وكان لزواوة أثر ملحوظ في دولة بني حماد؛ حيث أضحت عاصمتهم مجاورة لمواطن زواوة؛ كما جاء في العبر: **((ثم اختط بنو حماد بعد ذلك بجاية بساحتهم، وتمرسوا بهم؛ فانقادوا، وأذعنوا لهم إلى آخر الدولة. واتصل إذعانهم إلى هذا العهد؛ إلا تمريضا في المغرم؛ يحملهم عليه الموثقون بمنعة جبالهم))**[1]. ويعتبر **بنو يراتن** من أبرز قبائلهم في عهد ابن خلدون. وبيت الرئاسة فيهم، هم رهط **عبد الصمد.** وكانت ترأسهم امرأة منهم اسمها **شمسي**؛ لها عشرة أولاد؛ فتغلبت بهم على قومها. وكان لشمسي هذه ذكر مع السلطان أبي الحسن المريني.

! ! !

---

[1] العبر: مج: 6، ص: 263.

ـ ***أعيانهم:*** ومن أعلام زواوة ورجالها المشهورين بالعلم، والفضل:

ـ **أبو زكرياء يحيى بن أبي علي الزواوي** (ت: سنة 611هـ/1214م)؛ وهو من أهل التصوف، والزهد؛ إذ تفرغ للعبادة، وتدريس الفقه، والحديث، وتفسير القرآن.

ـ ثم **أبو الحسن يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي** الملقب بزين الدين (توفي بالقاهرة سنة 628هـ/1230م)؛ شاعر مجيد، وإمام كبير من أئمة النحو، واللغة العربية؛ من مؤلفاته: كتاب الدرة الألفية في علم العربية، وكتاب الفصول، وكتاب العقود والقوانين، والهوامش على ابن السراج، وشرح على كتاب الجمل للزجاجي؛ هذه كلها في النحو؛ ثم منظومة في القراءات السبع، ونظم ألفاظ الجمهرة لابن دريد في اللغة، وكتاب المثلث في اللغة، وشرح لأبيات سيبويه نظما، وديوان خطب، وديوان شعر، والبديع في صناعة الشعر، ونظم كتاب الصحاح للجواهري؛ لم يكتمل. قال عنه ابن خلكان: ((**كان أحد أئمة عصره في النحو، واللغة؛ سكن دمشق زمانا طويلا؛ واشتغل عليه خلق كثير، وانتفعوا**

بـه، وصنـف تصانيـف مفيـدة... ثـم إن الملـك الكامـل أرغبـه في الإنتقـال إلى مصـر؛ فسافـر إليهـا؛ وتصـدر بالجامـع العتيـق بمصـر لإقـراء الأدب))[1].

ـ ثـم **ضيـاء الديـن عبـد الرحمـن بـن عبـد اللـه الـزواوي** (تـوفي بدمشـق سنـة 644هـ/1246م)؛ فقيـه، ولـه مشاركـة في علـوم عديـدة.

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد السـلام بـن عـلي بـن عمـر بـن سيـد النـاس الـزواوي** (تـوفي بدمشـق سنـة 681هـ/1282م)؛ شيـخ مشائـخ الإقـراء بدمشـق؛ وهـو أول مـن تـولى قضـاء المالكيـة بهـا؛ ولكنـه عـزل نفسـه بعـد تسـع سنـوات؛ مـن مؤلفاتـه: التنبيهـات عـلى معرفـة مـا يخـفى مـن الوقوفـات؛ وهـو في القـراءات، وعـدد الآي.

ـ ثـم **أبـو يعقـوب يوسـف بـن عبـد السـلام ابـن عـلي بـن عمـر الـزواوي** (ت: سنـة 683هـ/1284م)؛ أحـد كبـار العلمـاء؛ ولي قضـاء المالكيـة بدمشـق.

ـ ثـم الشيـخ **أبـو إسحـاق إبراهيـم بـن ميمـون ابـن بهلـول الـزواوي** (ت: سنـة 686هـ/1287م)؛ فقيـه، وشاعـر.

---

[1] وفيـات الأعيـان، ج: 6، ص: 197.

ـ ثم **أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنكلاتي الزواوي** (ت: سنة 690هـ/1291م)؛ فقيه، أصولي، مشارك في علم العقائد؛ تفرغ للعبادة، والتدريس ببجاية.

ـ ثم **أبو عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان بن يوسف الزواوي** (توفي بدمشق سنة 717هـ/1317م)؛ أحد كبار علماء المالكية؛ فقيه، ومحدث؛ تولى القضاء بدمشق طوال ثلاثين سنة؛ قال عنه ابن تغري بردي: **((كان فقيها، عالما، عالي الهمة، محدثا بارعا، مشكور السيرة في أحكامه))**.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف المنكلاتي الزواوي** (ت: سنة 730هـ/1329م)؛ فقيه، وابن فقيه؛ ولي القضاء ببجاية؛ قال عنه ابن القاضي في درة الحجال: **((كان فقيها، حافظا، مستبحرا في حفظ المسائل، والفروع))**[1].

ـ ثم **أبو الرُّوح عيسى بن مسعود بن منصور بن يحيى المنكلاتي الزواوي** (توفي بالقاهرة سنة 743هـ/1342م) فقيه، وعالم في الحديث، ومؤرخ؛ تولى القضاء بدمشق، والقاهرة، والتدريس بالأزهر. من مؤلفاته:

---

[1] ج: 2، ص: 101.

إكمال الإكمال؛ وهو شرح لصحيح مسلم؛ في 12جزءا، وشرح جامع الأمهات في 7 أجزاء؛ وهو شرح لكتاب ابن الحاجب في الفقه المالكي، وشرح المدونة في الفروع، ومناقب الإمام مالك، وكتاب في الوثائق، وكتاب في المناسك، وفي علم المساحة، وشرح العضدية للسمرقندي، وكتاب في التاريخ كبير أنجز منه عشرة مجلدات.

ـ **ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي** (ت: سنة 750هـ/1349م)؛ وهو من كبار القراء في المغرب، وفقيه، ومحدث؛ له فهرست سجل فيه مقروءاته، ومروياته.

ـ ثم **أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي** (ت: سنة 770هـ/1368م)؛ وهو أحد كبار علماء المالكية؛ أصولي؛ وحافظ للحديث، ناقد، ونحوي، وشاعر؛ قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: ((**هذا الرجل طرف في الخير، والسلامة، حسن العهد، والصون والطهارة والعفة، قليل التصنع... صدر من صدور الطلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم: العقلية، والنقلية، وإطلاع، وتقييد، ونظر في: الأصول، والمنطق، والكلام، ودعوى**

في: الحساب، والهندسة، والآلات، يكتب، ويشعر؛ فلا يعدو الإجادة، والسداد))[1]. ومن شعره الذي ذكره ابن الخطيب:

يُحَيِّيكَ عَنْ بَعْضِ المَنازلِ صَاحِبُ
صَدِيقٌ غَدَتْ تُهْدَى إلَيْكَ رَسَايِلُه
مُقَدِّمَة حِفْظ الودَادِ وَسِيلَة
وَلاَ وُدَّ إلاَّ أنْ تَصِحَّ وَسَائِلُه
يُسايِلُ عَنكَ الدَّارَيْنِ وَلَمْ يَكُنْ
تَغِيبُ لِبُعْدِ الدَّارِ عَنْكَ مَسَايِلُه

ومن شعره أيضا:

يَا مَنْ وَجَدْنَاهُ لَفْظاً	حَقِيقَة في المَعَالِي
مُقَدِّمَاتُ عُلاَكُمْ	أنْتِجْنَ كُلَّ كَمَالِ
وَكُلُّ نَظْمٍ قِيَاسٌ	خَلَوْت مِنْهُ فَخَالِ

ـ ثم **بدر الدين محمد بن علي بن إسماعيل الزواوي** (توفي بالقاهرة سنة 775هـ/1373م)؛ فقيه، وحافظ للحديث، وله إلمام بعلوم أخرى.

---

[1] ج: 3، ص ص: 324 ـــ 325.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يللبخت الزواوي** (من أعلام القرن الثامن الهجري)؛ حافظ للحديث، وأحد كبار علماء الفقه المالكي.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عثمان المنكلاتي الزواوي** (توفي في أواخر القرن الثامن الهجري)؛ أحد فقهاء بجاية؛ له فتاوى؛ سجل بعضها في المازونية، والمعيار.

ـ ثم **عبد الله بن عبد الله بن علي بن المحفوف الزواوي** (ت: سنة 800هـ/1397م)؛ وهو من أصحاب التنجيم، والأبحاث الغيبية؛ من مؤلفاته: المثلث في علم الرمال.

ـ ثم **نصر الزواوي** (توفي بالقدس سنة 826هـ/1422م)؛ عالم، ومن الزهاد، والعباد الصالحين، له مشاركة في علوم العربية.

ـ ثم **علي بن أحمد بن عبد المؤمن الزواوي** (ت: سنة 828هـ/1424م)؛ فقيه، ومن العارفين بالحديث، وله اهتمام بعلوم أخرى؛ من مؤلفاته: حل عقود الدرر في علوم الأثر؛ وهو لعقود المؤرخ ابن ناصر الدين.

ـ ثم **أبو الحسن منصور بن علي بن عثمان المنكلاتي الزواوي** (توفي بعد 850هـ/1446م)؛ وهو فقيه بجاية، ومفتيها، وعالمها في وقته؛ له فتاوى مسجلة في الدرر المكنونة، والمعيار.

ـ ثم **محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي** (ت: سنة 853هـ/1449م)؛ قاضي، وفقيه مالكي، وله اهتمامات بعلوم أخرى.

ـ ثم **شهاب الدين أحمد بن صالح بن خلاصة الزواوي** (ت: سنة 855هـ/1451م)؛ فقيه مالكي، ومحدث حافظ؛ هو أحد الذين أجازوا الإمام السخاوي.

ـ ثم **إبراهيم بن جابر بن موسى الزواوي** (ت: سنة 857هـ/1453م)؛ فقية من علماء المالكية له اهتمامات عديدة في علوم مختلفة.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد الزواوي** (ت: سنة 857هـ/1453م)؛ وهو أحد كبار علماء المالكية، وله المام بالتفسير؛ من مؤلفاته: تفسير القرآن، وشرح ألفية ابن مالك، وتسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل؛ في الفقه المالكي؛

وهو في 8 مجلدات وربما 3 ، وفيض النيل في شرح مختصر خليل؛ في مجلدين، وتلخيص التلخيص؛ وهو عبارة عن شرح على تلخيص المفتاح وتحفة المشتاق؛ وهو في مجلد كبير.

ـ ثم **عيسى الزواوي** (ت: سنة 878هـ/1473م)؛ صوفي، وعالم بالحساب، والفرائض؛ له بعض المؤلفات؛ قال عنها السخاوي: ((**أوقف كتبه قبل موته**)).

ـ ثم **أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري** (توفي بمدينة الجزائر سنة 884هـ/1479م)؛ وهو أحد علما المالكية؛ من مؤلفاته: اللامية؛ في علم الكلام؛ شرحها الإمام السنوسي.

ـ ثم **بلقاسم بن محمد الزواوي** (ت: سنة 922هـ/1516م)؛ وهو أحد علماء المالكية؛ له شرح على الرجز للضرير المراكشي.

ـ ثم **شرف الدين قاسم بن عمر الزواوي** (توفي بالقاهرة سنة 927هـ/1520م)؛ صوفي، ومشارك في عدد من العلوم؛ قال صاحب الكواكب السائرة: ((له تصانيف)).

ـ ثم **طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني** (ت: بعد 940هـ/1533م)؛ نزيل المدينة المنورة؛ فقيه، وصوفي؛ من مؤلفاته: نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد؛ في التصوف؛ وهو في ثلاثة كراريس، ورسالة القصد إلى الله؛ في كراسين.

ـ ثم **يحيى بن سليمان الزواوي** (توفي بعد 999هـ/1590م)؛ وهو أحد علماء المالكية؛ له إلمام بالعقائد.

ـ ثم **إبراهيم بن محمد الزواوي** (توفي بعد 999هـ/1590م)؛ فقيه من الحفاظ، وله إلمام بالفرائض، والحساب؛ قال عنه ابن القاضي: **((وهو الآن فقيه كَنْوا من بلاد السودان، ومدرسها؛ بعد أبي عبد الله التونسي))**[1].

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن أبي القاسم الحسني الزواوي** (ت: سنة 1208هـ/1793م)؛ شيخ الطريقة الرحمانية؛ قال صاحب شجرة النور: له **((تآليف، وأوراد))**.

ـ ثم **محمد بن عامر المغازي الزواوي** (ت: سنة 1221هـ/1806م)؛ صوفي، وفقيه؛ من مؤلفاته: الوظائف المحمدية لأهل الطريقة المغازية.

---

[1] درة الحجال، ج: 1، ص: 205.

ــ ثــم **أحمــد الطيــب بــن محمــد بــن الصالــح بــن سليمــان العيســاوي الــزواوي** (ت: سنــة 1251هــ/1835م)؛ وهــو مــن علمــاء النحــو، والأدب، وأحــد كبــار علمــاء المالكيــة، وشاعــر؛ ومــن مؤلفاتــه: الــدرة المكنونــة؛ وهي أرجــوزة في عقائــد التوحيــد، وتكملــة الفوائــد في تحريــر العقائــد؛ وهــو شــرح عــلى أم البراهيــن، ومفتــاح الأحكــام؛ وهي منظومــة في أحكــام الفتــوى تصــل أبياتهــا إلى الألفيــن، وتذكــرة الحكــام؛ وهــو شــرح لمفتــاح الأحكــام، ونصــرة الإخــوان في احجــاج الفقهــاء بالبرهــان؛ وهي أرجــوزة، ومنهــج الوصــول؛ وهي أرجــوزة في علــم الفرائــض، ومفيــد الطلبــة؛ وهــو شــرح الأجروميــة، والقــرة العصريــة؛ في أحكــام الفتــوى.

ــ ثــم **عــلي بــن محمــد المغــازي الــزواوي** (تــوفي بعــد 1301هــ/1883م)؛ صــوفي؛ مــن مؤلفاتــه: الفيوضــات الإضافيــة والتدرجــات الإنسانيــة في نشــر الطريقــة الخلوتيــة؛ طبــع بمصــر سنــة 1301هــ.

ولا تفوتــني ــ هنــا ــ الإشــارة إلى شاعــر شعــبي مــن زواوة؛ ظهــر في وقــت متأخــر بعــض الــشيء؛ ودواعي إدراجــه ــ في هــذا المجــال ــ ترجــع إلى كونــه عينــة صادقــة للشعــراء الأمازيــغ الشعبييــن؛

الذين يتعاملون مع هذا الفن بأسلوب شفوي غير مكتوب، وبالأمازيغية، والعربية الدارجة. وهذا الشاعر هو:

ـ **محند أو محند أمزيان حمدوش** (من أعلام أواخر القرن الثالث عشر للهجرة)؛ جاء في كتاب الحوار الرفيع بين الصوت الأمازيغي والحرف العربي؛ لعبد الرحمن بوزيدة: **((أما عائلة الشاعر فهي آيت حمدوش؛ من عرش شَرْعَوى... يسمى والد الشاعر محند أمزيان حمدوش؛ أصله من قرية أقمون وقد فر إلى شَرْعَيوى (الأربعاء أنيراثن) إثر قضية ثأر. وبعد أن حطم الاستعمار شَرْعَيوى، وشتت سكتنها سنة 1857م استقرت عائلة سي محند بأقبو... وقد كان عم الشاعر أرزقي حمدوش فقيها، ومدرسا؛ فتح زاوية بالمنطقة؛ حيث يدرس القرآن؛ وقد بدأ الشاعر تعليمه بهذه الزاوية؛ ثم انتقل بعد ذلك إلى زاوية سيدي عبد الرحمن الأيلولي بعين الحمام؛ أين تفقه في العلوم الدينية... ثم تدهورت حياة أسرته بعد ثورة المقراني سنة 1288هـ/1871م؛ حيث انضم إليها أبوه، وعمه. وقد أعدم أبوه بعد القضاء على هذه الثورة؛ أما عمه فقد**

نفي إلى كلدونيا الجديدة؛ وتشردت عائلته، وهام الشاعر ــ إثر ذلك ــ على وجهه؛ ضاربا في البلاد؛ بعد أن نجا من الإعدام بأعجوبة... إن الأشعار المنسوبة إلى الشاعر كثيرة جدا، ومتنوعة؛ وهي غير مكتوبة؛ بل بقيت في معظمها خاضعة لمنطق أدب الحفظ والمشافهة. ورغم اتفاق الرواة على أن سي محند كان يقول الشعر بالعربية، وبالأمازيغية معا، ورغم إتقانه للعربية؛ لم يكتب أشعاره، ولم يترك تراثا مكتوبا))[1]. وهذه عينة من شعره الْمُعَرَّب:

إنَّ فِي العِشْق اخْتلاَفْ
وَفُرُوقاً وَصُنُوفْ
كُلُّ فَرْدٍ مِحْنَتُهْ

بَعْضُهُمْ يَزْهُو سَعِيدْ
حَظُّهُ حَظٌّ رَغِيدْ
لاَ يُفَارِقْ مَنْ يُحِبْ

[1] ــ بوزيدة عبد الرحمن؛ الحوار الرفيع، ص ص: 29 ــ 32. 42.

بَعْضُهُـــمْ يَبْــقىَ يُعَــانِي
يَتَعَلَّـــلْ بالأمَـــاني
حَالُـــهُ، اَللّـــهُ أعْلَـــمْ

هــُوَ ذَا قَلْــبي اِمْتَــلاَ
فَيْــضُ دَمْعِــهْ قَدْ جَــرَى
كَــمْ تَلَــقىَّ مِــنْ مِحَــنْ

سِــرُّهُ هَــدَّ الجِبَــالْ
وَاخْتَنَــقْ فِيــهِ المَجَــالْ
هُــوَ بِالعِشْــقِ ظُلِــمْ

إلى أن يقــول:

لِي جنــَانٌ مُتَفَــرِدْ
بنَبــَاتٍ مُتَمَــدِّدْ
فَحَــمَى اللّـــهُ غِلاَلَــهْ

قَــدْ بَنَيْــتُ سُــورَهُ
وَغَلَقْــتُ بَابَــهُ
حَارِسُــهْ دَوْمــاً يَقِــظْ

السُّيُــولُ اكْتَسَحَتْــهُ
جَرَفَــتْ مَا وَجَدَتْــهُ

فَانْدَثَــرْ دُونَ أَثَــرْ

مَــنْ أذَانِي، لاَ سَمَــاحْ
فِي صَمِيمِي كَمْ جِــرَاحْ
كَــمْ ضَمِيــرِي يَتَأَلَّــمْ

***

ــ *مواطنهــم*: يقــول ابــن خلــدون: ((ومواطــن زواوة بنــواحي بجايــة؛ مــا بيــن مواطــن كتامــة، وصنهاجــة؛ أوطنــوا منهــا جبــالا شاهقــة متوعــرة؛ تنذعــر منهــا الأبصــار، ويضــل في خمرهــا السالــك؛ مثــل: بــني غبريــن؛ بجبــل زيــري؛ وفيــه شعــراء مــن الــزان؛ يشهــد بهــا لهــذا العهــد. ومثــل بــني فراســن، وبــني يراثــن؛ وجبلهــم مــا بيــن بجايــة، وتدلــس؛ وهــو أعصــم معاقلهــم، وأمنــع حصونهــم؛ فلهــم بــه الاعتــزاز عــلى الــدول، والخيــار عليهــا في إعطــاء المغــرم. مــع أن كلهــم لهــذا العهــد قــد امتنــع لسهامــه، واعتــز عــلى السلطــان في أبنــاء طاعتــه، وقانــون مزاجــه))[1].

---

[1] العبــر، مج: 6، ص ص: 262 ــ 263.

هـذا مـا توفـر لدينـا مـن معلومـات عـن بـني **أداس، وبـني ضـري**. وبـقي أمامنـا الآن الشـروع في موضـوع قبائـل: **بـني لـوا** الأكبـر، ثـم **بـني نفـوس**. وهـم جميعـا **أولاد زحيـك بـن مادغيـس الأبتـر.**

....

3 ـ بنـو لـوا:

يتفـرع **أبنـاء لـوا الأكبـر** إلى فرعيـن كبيريـن؛ همـا: **بنـو نفـزاو** (نفـزاوة)، **وبنـو لـوا الأصغـر** (لواتـة). فالذيـن حملـوا نسـب **لـوا**؛ هـم أبنـاء **لـوا الأصغـر**؛ الـذي سـمي باسـم أبيـه؛ بعـد أن مـات والـده؛ قبـل ميـلاده.

....

(1) ـ نفـزاوة:

وهـم **أبنـاء يطوفـت بـن نفـزاو بـن لـوا الأكبـر ابـن زحيـك**. فلـوا الأكبـر، وضـري أخـوان؛ وأبوهمـا هـو زحيـك بـن مادغيـس الأبتـر. ولنفـزاوة بطـون عديـدة؛ أهمهـا: **زاتيمـَة، وزُهيلـة، وسوماتـَة، وغُساسـَة، ومَرنيسَـة، وورسيـف،**

وولهاصة؛ وغيرهم كثيرون؛ لا حاجة لذكرهم بكاملهم؛ لعدم الفائدة. فأما **زاتيمة** فقد بقي منها ــ في زمن ابن خلدون ــ جماعة بساحل **برشك**. **وزهيلة** وكان منهم ــ في الزمن نفسه ــ بقية بجهات **بادس** (القريبة من نكور)؛ اندمجت بقبائل غمارة؛ ومنهم الولي الصالح **الشيخ أبو يعقوب البادسي**. **وسوماتة** بقيت منهم بعض الفئات في جهات **القيروان**. ومن غساسة بقيت جماعة في قرية **بطوية** ؛ على ساحل البحر. أما **مرنيسة** فمتفرقون عبر الأقطار المغربية كلها. أما **ورسيف**. فأهم بطونهم **مكلاتة**؛ وقد تفرعت بدورها إلى أفخاذ عديدة؛ منها: **ديمار**، **وريحون**، **وسراين**، **وكزناية**، **ووورياغل**، **ويصلتن**.

أما **ولهاصة**.. فمنها: **ورتدين**، **وورفجومة**. وقد دخلت قبيلة **ورفجومة** تاريخ المغرب الإسلامي من بابه المظلم؛ بسبب ارتكابها مجازر القيروان؛ التي فاقت حدود الوصف؛ من حيث الفساد، والعيث، والمنكر. وكانت ورفجومة صُفْرية المذهب، وتميل أحكام أهلها إلى التطرف الشديد. يأتمرون بأوامر قائدهم، وكاهنهم **عاصم بن جميل**؛ المقيم **بجبل أوراس**.

ومن رجالاتهم الذين قادوا حملة القيروان: **عبد الملك بن أبي الجعد، ويزيد بن سكوم**. وقد بقي من أحياء ورفجومة ـ في عهد ابن خلدون ـ جماعة **بمرمجنة**؛ وثمة قرية في نواحيها تنسب إليهم.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** فإذا كانت **ورفجومة** قد ظهرت بذلك الوجه البشع؛ فإن القبيلة الأم **نفزاوة**؛ منحت المغرب الإسلامي، والمسلمين عامة أفضل أبنائها الصالحين؛ من: العلماء، والأدباء، والقادة؛ حماة الوطن، والدين؛ مثل:

ـ **طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو الولهاصي النفزي** (تاريخ وفاته غير معروف؛ ويعد من أعلام أواخر القرن الأول للهجرة)؛ وهو القائد الذائع الصيت؛ الذي فتح بلاد الأندلس، ومهد للإسلام طريقا فيها. يكون قد استدعي إلى دار الخلافة بالشام؛ بسبب خلاف نشب بينه وبين موسى بن نصير؛ لم يعد بعده إلى وطنه، ولم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن مصيره النهائي. وربما يكون قد

تعرض لبعض المضايقات، والتجاوزات؛ كما أشار ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد وارشكين بن سعيد بن موسى بن عيسى الزجالي النفزي التاكرني** المعروف بحمدون (توفي بقرطبة سنة 232هـ/846م)؛ كان يلقب بالأصمعي؛ لقوة حفظه، وحدة ذكائه. وهو رأس أسرة الزجاليين بقرطبة؛ تلك الأسرة التي نبغ منها: الكتاب، والأدباء، والوزراء. وأورد ابن حيان القرطبي في كتابه المقتبس؛ قصة وصول محمد بن سعيد هذا إلى مرتبة كاتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم. ووردت القصة نفسها في كتابي: المُغْرِب، ونفح الطيب؛ وهي أنّ الأمير عبد الرحمن كاد يوما أن يسقط عن دابته؛ حين عثرت به؛ فحاول أن يتمثل ببيت شعر؛ لم يتذكر سوى شطر منه؛ إذ قال:

وَمَا لاَ يُرَى مِمَّا يَقِي اللّٰهُ أكْثَرُ

وتعذر عليه تذكر الشطر الآخر؛ فانشغل به؛ ثم سأل المحيطين به عنه؛ فلم يجد ضالته إلاَّ عند الزجالي؛ الذي كان كاتبا لدى وزراء الأمير. فلما مثل أمامه قال: أصلح الله الأمير؛ أول البيت:

تَــرَى الــشَّيْءَ مِمــَّا يُتَّــقىَ فَتَهَابُــهُ
وَمَا لاَ نَــرَى مِمَّا يَــقِي اللَّـــهُ أَكْثَــرُ

وكانــت هــذه الحادثــة أول اتصــال مباشــر بينــه وبيــن الأميــر؛ ازداد التحامــا مــع الأيــام؛ حــتى أضــحى كاتبــا لســره. وقــال فيــه ابــن حيــان القرطــبي: **((كــان محمــد بــن سعيــد هــذا أحــد عجائــب الدنيــا في قــوة الحفــظ؛ يضــرب بحفظــه الأمثلــة...جــاءه يومــا مستَجْــد توســل إليــه بشعــر امتدحــه بــه؛ ســأل أن يــأذن لــه في إنشــاده، ففعــل. وجعــل الشاعــر ينشــده لــه...ومحمــد مطــرق؛ فلمــا فــرغ مــن شعــره؛ ذهــب إلى مغالطتــه لــه: "يــا هــذا؛ مــا الــذي دعــاك أن تنتحــل شعــراً لغيــرك؛ فَتقْلِبــه فينــا؛ وكنــت في غــنى عــن ذلــك؟"...فقــال لــه: "سبحــان اللــه يــا سيــدي؛ تقــول ذلــك في شعــر كــددت فيــه خاطــري، وأتعبــت فيــه ذهــني؟ فــلا واللــه مــا أخذتــه مــن أحــد، ولا سَوَّيْــتــُــهُ إلا مــن نظــمي". فقــال لــه محمــد: "باطــل؛ إنــه لشعــر قــد رويتــه قديمــاً، وحفظتــه؛ فــإن شئــت فاسمــع إليــه أنْشِدْكــهُ"؛ وبــدأ، فأعــاد الشعــر عليــه، أو أكثــره؛ فبــقي حائــرا؛ لمــا فجــأة بــه؛ قــد زال طمعــه،**

وانقطعت حجته، واشتدت فجعته. فلما رأى محمد سوء مقامه قال له: "خَفِّضْ عليك؛ فإني مزحت معك؛ وإنك الصَّادق فيما قلت؛ الحقيق بالثواب على ما قرضت؛ وإنما أعانني عليك قوة حفظي؛ الذي ذهبت إلى اختباره معك. ولا والله ما سمعت بهذا الشعر قبل يومي." فَسَرَّى عن الشاعر هَمَّه، وأجزل صلته))[1]. وذكر المقري خبرا آخر عن الزجالي؛ جاء فيه:[2] ((حضَر مَعَ الوزير عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني في مجلس فيه رؤساء؛ فعُرض عليهم فرس مطهَّم، فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس:

"بَرِيد السُّرَى باللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرَا"

ففهم الزجالي أنّه عرَّض بأنَّه من البربر؛ فلم يحتمل ذلك؛ وأراد الجواب؛ فقال مدبَّجاً لما أراده، ومعرِّضاً: "أحسن عندي من ليل يسرى بي فيه؛ على مثل هذا يوم؛ على الحال التي قال فيها القائل:

---

[1] المقتبس، ص ص: 35 ـــ 36.

[2] نفح الطيب، ج: 3، ص: 540.

وَيَوْمٍ كَظِلِّ الرُّمْـــحِ قصَّـــرَ طُولَــهُ
دَمُ الزِّقِّ عَنـــّا وَاصْطِفَـــاقِ المَزَاهِـــرِ"

وإنَّمـــا عـــرَّض للإسكنـــدراني؛ بأنـــَّه كـــان يشهـــد مجالـــس الراحـــات في أول أمـــره، ومعرفـــة الغنـــاء؛ فقلـــق الوزيـــر، وشكـــاه إلى الحاجـــب عيـــسى ابـــن شُهَيْـــد... فحـــكى لـــه الزجـــالي مـــا جـــرى... وأنشـــد:

"وَمَا الحُرُّ إلاَّ مَنْ يَدِينُ بِمِثْـــلِ مَـــا
يُـــدَانُ وَمَنْ يُخْـــفِي القَبِيحَ وَيُنْصِفُ"
هُمُ شَرَعُوا التَّعْرِيضَ قذْفاً فَعِنْدَمَـــا
تَبِعْنَـــاهُمُ لاَمُـــوا عَلَيْـــهِ وَعَنَّفُـــوا"")).

ـــ ثـــم ولـــده **عبـــد اللـــه بـــن محمـــد بـــن سعيـــد**؛ ولي في منصـــب أبيـــه بعـــد وفاتـــه؛ ولكنـــه تـــوفي بعـــد ستـــة أشهـــر.

ـــ ثـــم ولـــده الثـــاني **حامـــد بـــن محمـــد بـــن سعيـــد** (ت: سنـــة 268هــ/881م)؛ قـــال عنـــه ابـــن حيـــان:[1] **((وأعقـــب ابنـــا نجيبـــا يســـمى حامـــد بـــن محمـــد، ورث مكانـــه في الأدب، والمعرفـــة، والكتابـــة، والبلاغـــة؛ فسلـــك سبيلـــه في خدمـــة السلطـــان،**

[1] المقتبـــس، ص ص: 36 ـــ 37.

وارتقى فوق ذروة أبيه بخطة الوزارة؛ بحضرة الأمير محمد بن عبد الرحمن... ومن نوادر حامد بن محمد الزجالي:... غلط إِمَامُ الوزيرِ حامد بن محمد ليلة في بعض قراءته... وحامد حاضر؛ فقرأ مكان قوله تعالى: " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " فقرأ: "... فانكحوهما"؛ فلما انصرف حامد قال لبعض من يخصه من جيرانه: "أما سمعت ما أتى به إمامنا من تبديل حدودنا؟" وتضاحكا؛ فقال له حامد: "فقد سنحت لي فيه بديهة فاسمعها؛ وأنشده:

أَبْدَعَ القَارِئُ مَعْنىً   لَمْ يَكُنْ فِي الثقَلَيْنْ
أَمَرَ النَّاسَ جَمِيعاً   بِنِكَاحِ الزَّانِيَيْنِ")).

وقد بقيت أسرة الزجالي تحتل خططا عديدة في الدولة؛ منها المتوسطة الحال، ومنها الخطط السامية؛ ككتابة السر، والوزارة؛ إذ يلاحظ أنهما أُسْنِدَتا إلى:

ـ **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد** (ت: سنة 302هـ/914م).
ـ ثم **أبي بكر عبيد الله بن عبد الله الزجالي** (ت: سنة 375هـ/985م).
ـ ثم **محمد بن عبد الله بن محمد الزجالي** (كان حيا سنة 307هـ/919م)؛ الذي تولى خزانة المال كذلك.
ـ ثم أخوه **عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي** (كان حيا سنة 316هـ/928م)؛ الذي أسندت إليه خزانة المال، وخطة العرض.
ـ ومن نفزاوة أيضا: **فضل الله بن سعيد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم الكزني النفزي** (توفي حوالي 335هـ/946م)؛ وهو فقيه، ولي قضاء فحص البلوط بالأندلس؛ وهو أخو قاضي الجماعة بقرطبة؛ منذر بن سعيد.
ـ ثم **أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم الكزني النفزي البلوطي** (ت: سنة 355هـ/946م)؛ وهو قاضي الجماعة بقرطبة؛ كان خطيبا مصقعا، وعالما مستبحرا، وفقيها مدققا، وأديبا بليغا؛ له مؤلفات عديدة؛ منها: أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، وكتب أخرى في الفقه، وعلم الكلام؛

في الـــرد عـــلى أهـــل المذاهـــب. قـــال عنـــه الضـــبي:
((ولي قضــاء الجماعــة بقرطبــة في حيــاة الحكــم المستنصــر باللــه، وكــان عالمــا، فقيهــا، وأديبــا بليغــا، وخطيبــا عــلى المنابــر، وفي المحافــل مصقعــا؛ ولــه اليــوم المشهــور الــذي مــلأ فيــه الأسمــاع، وبهــر القلــوب؛ وذلــك أن الحكــم المستنصــر كــان مشغوفــا بــأبي عــلي القــالي؛ يؤهلــه لكــل مهــم في بابــه؛ فلمــا ورد رســول ملــك الــروم؛ أمــره عنــد دخــول الرســول إلى الحضــرة أن يقــوم خطيبــا؛ بمــا كانــت العــادة جاريــة بــه؛ فلمــا كــان في ذلــك الوقــت، وشاهــد أبــو عــلي الجمــع، وعايــن الحفــل؛ جبــن، ولــم تحملــه رجــلاه، ولا ساعــده لسانــه؛ وفطــن لــه أبــو الحكــم منــذر بــن سعيــد؛ فوثــب، وقــام مقامــه، وارتجــل خطبــة بليغــة عــلى غيــر أهبــة، وأنشــد لنفســه في آخرهـــا:

هَذَا المَقَالُ الَّـــذي مَا عَابَـــهُ فَنَـــدٌ
لَكِـــنَّ صَاحِبَـــهُ أزْرَى بـــهِ البَلَـــدُ
لَوْ كُنْتُ فِيهِمْ غَريباً كُنْت مُطَّرَفـــاً
لَكِنـــَّني مِنْهُـــم فَاغْتَالَـــني النَّكَـــدُ
لَوْلاَ الخِلاَفَة أبْقىَ اللَّـــهُ بَهْجَتَهـــا
مَا كُنْتُ أبْـــقىَ بِأرْضٍ مَا بِهَا أحَـــدُ

فاتفق الجمع على استحسانه... ومن مصنفاته: كتاب الإفتاء على استنباط الأحكام من كتاب الله، وكتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة، وقد كانت له رحلة... ولقي أبا جعفر أحمد بن محمد بن النحاس النحوي بمصر؛ وله معه حكاية مشهورة؛ وذلك أنه حضر مجلسه في الإملاء؛ فأملا أبو جعفر – في جملة ما أملى – قول الشاعر[مجنون ليلى]:

خَلِيلَيَّ هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ
تَبْكِي عَلَىَ لَيْلَىَ لَعَلِّي أُعِينُهَا
قَدْ اسْلَمَهَا البَاكُونَ إلاَّ حَمَامَةً
مُطوَّقَةً بَاتَتْ وَبَاتَ قَرِينُهَا
تُجَاذِبُهَا أخْرَى عَلَى خَيْزُرَانَةٍ
يَكَادُ يُدَنِّيهَا مِنَ الأَرْضِ لِينُهَا

فقال له منذر بن سعيد: "أيها الشيخ أعزك الله؛ باتا يصنعان ماذا"؟ فقال أبو جعفر: "فكيف تقول أنت"؟ فقال له منذر: "بانت وبان قرينها"؛ واستبان أبو جعفر ما قال؛ فقال له: "ارتفع"؛ ولم يزل يرفعه

حــتى أدنــاه منــه))[1]. ومـــن شعـــره الــذي ورد في نفـــح الطيـــب:

الَمـــوْتُ حَـــوْضٌ وَكُلُّنَـــا نَـــرِدُ
لَمْ يَنْــجُ مِمَّـــا يَخَافُــهُ أحَـــدُ

فَلا تَكُـــنْ مُغْرَماً بِـــرِزْقِ غَـــدٍ
فَلَسْـــتَ تَـــدْرِي بِمَا يَـــجِئُ غَـــدُ

وَخُذْ مِنَ الدَّهْـــرِ مَا أَتَاكَ بِـــهِ
وَيسْلَـــمُ الرُّوحُ مِنْـــكَ وَالجَسَـــدُ

وَالخَيْـــرُ وَالشَرُّ لاَ تُذِعْهُ فَمَـــا
في النـــَّاسِ إلاَّ التَّشْنيـــعُ وَالحَسَـــدُ

وأرســـل إليـــه بعـــض الأدبـــاء:

مَسْأَلَـــة جئْتُـــكَ مُسْتَفْتِيـــاً
عَنْهَـــا، وَأَنْـــتَ العَالِمُ الُمسْتَشَـــارْ

عَلاَمَ تَحْمَـــرُّ وُجُـــوهُ الظِّبَـــا
وَأَوْجُـــهُ العُشَّاقِ فيهَـــا اصْفِـــرَارْ

فأجابـــه منـــذر بـــن سعيـــــد بقولـــه:

احْمَـــرَّ وَجْـــهُ الظَّـــبْيِ إذْ لَحْظُـــهُ
سَيْـــفٌ عَلىَ العُشَّاقِ فِيهِ احْـــوِرَارْ

---

[1] بغيـــة الملتمـــس، ص ص: 451 ـــ 452.

وَاصْفَـــرَّ وَجْهُ الصَّـــبِّ لَمَّا نَـــأى
وَالشَّــــمْسُ تُبْقي لِلْمَغِيبِ اصْفِــرَارْ

ـ ثـم أبـو محمـد عبـد اللـه بـن عبـد الرحمـن أبي زيـد النفـزي القيـرواني (تـوفي بالقيـروان سنـة 386هـ/996م)؛ إمـام فقهـاء المذهـب المالـكي في عصـره؛ إذ كـان يلقـب بقطـب المذهـب، وبمالـك الأصغـر؛ وعمـل عـلى تبسيـط أصـول الفقـه، والسـعي إلى توضيحـه؛ قـال عنـه القـاضي عيـاض: ((مـلأ البـلاد مـن تواليفـه))؛ وقـال فيـه ابـن خلـدون: ((وجمـع ابـن أبي زيـد جميـع مـا في الأمهـات مـن: المسائـل، والخـلاف، والأقـوال في كتـاب النـوادر؛ فاشتمـل عـلى جميـع أقـوال المذهـب، وفـرَّع الأمهـت كلهـا في هـذا الكتـاب))[1]. أمـا ابـن فرحـون؛ فقـال: ((واسـم أبي زيـد [والـده] عبـد الرحمـن، نفـزي النسـب، سكـن القيـروان؛ وكـان إمـام المالكيـة في وقتـه... وكـان واسـع العلـم، كثيـر الحفـظ، واالروايـة ــ وكتبـه تشهـد عـلى ذلـك ــ فصيـح القلـم، ذا بيـان ومعرفـة بمـا يقـول... يقـول الشعـر، ويجيـده... وهـو الـذي لخـص المذهـب، وضـمَّ

[1] المقدمـة، ج: 3، ص ص: 1158 ـــ 1159.

نشـــره، وذبَّ عنـــه؛ ومـــلأت البـــلد تآليفـــه... لـــه كتـــاب النـــوادر والزيـــادات عـــلى المدونـــة؛ مشهـــور؛ أزيـــد مـــن مائـــة جـــزء، وكتـــاب مختصـــر المدونـــة؛ مشهـــور أيضـــا؛ وعـــلى كتابيـــه هذيـــن المعـــول في التفقـــه))[2]. ولأبي زيـــد مؤلفـــات كثيـــرة؛ نذكـــر منهـــا بالإضافـــة إلى مـــا سبـــق: كتـــاب تهذيـــب العتبيـــة، وكتـــاب الإقتـــداء بأهـــل المدينـــة، وكتـــاب الـــذبِّ عـــن مذهـــب مالـــك، وكتـــاب التنبيـــه عـــلى القـــول في أولاد المرتديـــن، ومسألـــة الحُبُـــس عـــلى أولاد الأعيـــان، وكتـــاب تفسيـــر أوقـــات الصلـــوات، وكتـــاب الثقـــة باللـــه والتوكـــل عـــلى اللـــه، وكتـــاب المعرفـــة واليقيـــن، وكتـــاب المضمـــون مـــن الـــرزق، وكتـــاب المناســـك، ورسالـــة فيمـــن يأخـــذه عنـــد تـــلاوة القـــرآن والذكـــر حركـــة، وكتـــاب ردِّ السائـــل، وكتـــاب حمايـــة عـــرض المؤمـــن، وكتـــاب البيـــان عـــن إعجـــاز القـــرآن، وكتـــاب الوســـواس، ورسالـــة إعطـــاء القرابـــة مـــن الزكـــاة، ورسالـــة النـــهي عـــن الجـــدل، ورسالـــة في الـــرد عـــلى القدريـــة، ومناقضـــة رسالـــة البغـــدادي المعتـــزلي، وكتـــاب الاستظهار في الـــرد عـــلى الفكريـــة، وكتـــاب كشـــف التلبيـــس، ورسالـــة الموعظـــة والنصيحـــة،

---

[2] الديبـــاج المذهـــب، ج: 1، ص ص: 427 ـــ 429.

ورسالة طلب العلم، وكتاب فضل قيام رمضان، ورسالة الوعظة الحسنة لأهل الصدق، ورسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن، ورسالة في أصول التوحيد، وكتاب الرسالة الشهير؛ الذي يلخص المذهب السني، وكافة الفروض بأسلوب رائق بديع؛ وقد اهتم المختصون، والعامة بهذا الكتاب الصغير؛ حتى أنه حظي بشروح كثيرة تجاوزت المائة شرح؛ كما تناوله آخرون بالترجمة إلى أكثر من لغة أجنبية.

ــ ثم **أبو الربيع سليمان بن مُنَحل النفزي الشاطبي** (ت: سنة 456هـ/1063م)؛ فقيه، وخطيب؛ من أصحاب عمر بن عبد البر.

ــ ثم **أبو بكر محمد بن حبيب النفزي**؛ خطيب، ومقرئ، ومُجَوِّد.

ــ ثم **زينب بنت إسحاق النفزاوية**؛ زوجة يوسف بن تاشفين (ت: سنة 464هـ/1071م)؛ تزوجها ــ في البداية ــ أبو بكر بن عمر؛ أمير لمتونة؛ ثم طلقها حين قرر العودة إلى الصحراء، وأوصى ابن عمه يوسف بن تاشفين بالزواج منها؛ بعد عدتها. وعلى خلاف ما ذكره بقية المؤرخين؛ فقد نسبها صاحب الأنيس المطرب إلى هوارة، وقال أن اسم أبيها

هو إسحاق الهواري؛ تاجر من القيروان؛ ثم قال عنها: **((وكانت امرأة حازمة، لبيبة؛ ذات رأي، وعقل، وجزالة، ومعرفة بالأمور؛ حتى كان يقال لها ساحرة. فأقام الأمير أبو بكر بأغمات من ثلاثة أشهر إلى أن قدم عليه رسول من بلاد القبلة؛ فأخبره باختلال الصحراء... فلما عزم على الخروج للصحراء طلق زوجته زينب... فتزوج يوسف ابن تاشفين زينب المذكورة؛ فكانت القائمة بملكه، المدبرة لأمره، والفاتحة ـ بحسن سياستها ـ أكثر بلاد المغرب))**[1]. أما ابن عذاري فذكر ما أحيك حولها من أساطير؛ وقال: **((استقامت الأمور للأمير أبي بكر بن عمر... وكان مستوطنا بمدينة أغمات؛ وكانت بها امرأة جميلة؛ تعرف بزينب النفزاوية؛ وقد شاع ذكرها، وأمرها في قبائل المصامدة وغيرها؛ فكان يخطبها أشياخهم، وأمراؤهم؛ فتمتنع لهم، وتقول: "لا يتزوجني إلا من يحكم المغرب كله"؛ فكانوا يرمونها بالحمق، وكان لها أخبار مستطرفة، غريبة؛ كمثل أخبار الكهنة؛ فبعض يقولون: أن الجن يكلمها،**

---

[1] ص ص: 85 ـــ 86.

وبعض يقولون: هي ساحرة، وبعض يقولون: كاهنة. فأعلم بجمالها الأمير أبي بكر بن عمر؛ فخطبها، وتزوجها... وكانت هذه المرأة موسومة بالجمال، والمال؛ وكان لها محاسن، وخصال محمودة، وروية مستطرفة... وكان أبو بكر بن عمر لما عزم على حركته... طلقها؛ فذكروا أنه قال لابن عمه يوسف ابن تاشفين: "تزوجها فإنها امرأة مسعودة"... وتزوج يوسف بن تاشفين زينب النفزاوية... فبسطت آماله، وأصلحت أحواله، وأعطته الأموال الغزيرة؛ فأركب الرجال الكثيرة... بنفسه، وبتدبير زوجه زينب... اتصل الخبر بالأمير يوسف؛ أن ابن عمه الأمير أبا بكر بن عمر قد أخذ في الرجوع من الصحراء إلى بلاد المغرب؛ فاغتم لذلك غما شديدا... وصعب عليه مفارقة الملك؛ بعد أن ذاق حلاوته... فعرفت زينب ذلك في وجهه؛ فقالت له: "أراك مهموما، مكروبا من وصول ابن عمك إلى ملكه الذي ولاك عليه؛ والله لا ذاق أبو بكر طعمها أبدا؛ فطب نفسا، وقر عينا... إذا قدم عليك، وبعث مقدمات رجاله إليك فلا تخرج إليه؛ ولكن بادره بهدية

جليلة... فلا يقاتلك على الدنيا؛ فإن الرجل خير؛ لا يستحل سفك دماء"... فقال لها: "والله لا خالفتك في أمر تشيرين به أبداً"... كان وصول الأمير أبو بكر ابن عمر من صحرائه إلى مراكش؛ فوجد يوسف قد استبد بالملكة... فعلم أنه مغلوب عليه، وعزم على تسليم الأمر إليه... فكان هذا التدبير برأي زينب النفزاوية زوجته؛ فهي التي جسرته على ذلك كله؛ حتى ملك المغرب))[1]. أما ابن خلدون فيقول أن زينب النفزاوية كانت في البداية زوجة ليوسف ابن علي بن عبد الرحمن بن واطاس: **((وكان شيخا على وريكة، وهزرجة؛ بزمن هيلانة؛ في دولة أمغارن؛ في بلاد المصامدة؛ وهم الشيوخ. وتغلب بنو يفرن على وريكة، وملكوا أغمات؛ فتزوج لقوط زينب هذه، ثم تزوجها بعده أبو بكر بن عمر))**[2]. كان ذلك عندما تغلب على أغمات، واستولى على ملك لقوط، وبعد قتله؛ **((وكانت... من إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال،**

---

[1] البيان المغرب، ص ص: 18 ــــ 25.

[2] ، العبر مج: 6، ص: 376.

والرياسة)). ولما عزم أبو بكر على العودة إلى الصحراء؛ أناب عنه في الحكم ابن عمه يوسف بن تاشفين؛ ونزل له عن زوجته زينب أيضا **((فكان لها في سياسة أمره، وسلطانه؛ وما أشارت عليه عند مرجع أبي بكر من الصحراء؛ في إظهار الاستبداد؛ حتى تجافى عن منازعته، وخلص ليوسف بن تاشفين ملكه))**.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر النفزي الرندي** (توفي بأغمات سنة 514هـ/1120م)؛ فقيه، ومحدث، ومدرس.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي المالقي** المعروف بابن أخت غانم (ت: سنة 525هـ/1130م)؛ فقيه، ومقرئ، ومحدث، وأديب، ونحوي؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض؛ فقال فيه **((وكان شيخا مسنا من شيوخ أهل الأدب، والنحو، والرواية، وجمع الكتب؛ أخذ عنه الناس هذين العلمين كثيرا، ودرسهما عمره بغير أجر. وسمع منه كتب الحديث، والغريب، وحمل عنه جملة من المشائخ، والنبلاء؛ لعلو سنده، ومعرفته))**[1].

---

[1] القاضي عياض اليحصبي؛ الغنية، ص: **127**.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد النفزي المرسي**(ت: سنة 538هـ/1143م)؛ فقيه، وخطيب؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض.

ـ ثم **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المرسي** (توفي بقرطبة سنة 538هـ/1143م)؛ فقيه، وخطيب.

ـ ثم **أبو محمد عبد الغفور بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزي المرسي** (ت: سنة 539هـ/1144م)؛ فقيه؛ ألف كتاب التفتل في العبادات.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن خلصة بن أبي عامر النفزي الشاطبي** (ت: سنة 540هـ/1145م)؛ فقيه من أهل الصلاح.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سليمان بن خلف النفزي الشاطبي** المعروف بابن بركة (ت: سنة 552هـ/1157م)؛ فقيه، ومحدث، وحافظ للمسائل؛ من القادرين على الفتوى؛ ولي في بلده شاطبة خطة الشورى، وترأسها.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليفة النفزي البيزاني الداني** (ت: سنة

564هـ/1168م)؛ من الملمين بالقراءات، وتصدر للإقراء عملا، وتدريسا؛ وكان من المحققين في القراءات، ومن المجودين الضابطين؛ وله مشاركة في الآداب، والأخبار.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مطرف بن أبي سهل بن ياسين النفزي الشاطبي** (ت: سنة 590هـ/1193م)؛ وهو من الفقهاء، والأدباء، وله إلمام بقرض الشعر.

ـ ثم **دحمان بن مالك بن عثمان النفزي الترجيلي**؛ من العلماء، والزهاد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي النفزي الشاطبي** المعروف بابن اللَّايُه؛ تصدر للإقراء في بلده شاطبة؛ قال فيه ابن الأبار **((وكان من أهل الدين، والفضل، والمعرفة بالقراءات))**[1].

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن خنسوس النفزي**؛ فقيه ومؤذن بالمسجد الجامع بقرطبة؛ كان عارفا بالأوقات، مدركا للأحكام الفقهية، عدلا.

---

[1] التكملة، ج: 1، ص: 450.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن محمد بن علي ابن محمد بن أبي العاصي النفزي الشاطبي** المعروف بابن اللّأيُه؛ من الملمين بالقراءات؛ قال عنه ابن الأبار: **((وكان متقدما في صناعته؛ معروفا بالضبط، والتجويد. كان أبوه أيضا كذلك))**[2].

ـ ثم **أبو عمر أحمد بن هارون بن أحمد ابن جعفر بن عات النفزي الشاطبي** (فقد في ساحة الجهاد بوقعة العقاب ولم يظهر منذ عام 609هـ/1212م)؛ قال عنه ابن الأبار: **((وكان أحد الحفاظ للحديث، يسرد المتون، والأسانيد ظاهرا؛ لا يخل بحفظ شئ منها. موصوف الدراية، والرواية؛ غالبا عليه الورع، والزهد؛ على منهاج السلف؛ يأكل الجَشِب، ويلبس الخشن؛ وربما أذن في المساجد؛ وله تآليف دالة على سعة حفظه؛ مع النظم، والنثر))**[1]. له برنامجان؛ عنوان أحدهما: النزهة في التعريف بشيوخ الوجهة؛ وهو كتاب جامع، وقيم؛ أما الثاني فهو بعنوان: ريحانة التنفس وراحة الأنفس في ذكر شيوخ الأندلس.

---

[2] التكملة، ج: 1، ص: 75.

[1] نفسه، ص: 101.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن النفزي الأندلسي** (كان حيا سنة 613هـ)؛ فقيه، من الحفاظ؛ رحل إلى بغداد، ثم شيراز؛ حيث أقام بها.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن علي بن أحمد ابن سليمان النفزي الإسْطَبي** (ت: سنة 616هـ/1219م)؛ فقيه؛ من الملمين بمذهب مالك؛ يحسن الاستنباط في النوازل.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله النفزي الشاطبي المعروف بابن قَبُّوج** (ت: سنة 616هـ1219م)؛ فقيه، حافظ للمسائل، وللرأي، من أهل الثقة، والعدل.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد النفزي الجياني**؛ فقيه، ومحدث، وقاضي.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الملك ابن منخل بن محمد بن مشرف النفزي الشاطبي**؛ من رجال القراءات.

ـ ثم **أبو بكر بن أحمد بن عبد الملك بن منخل بن محمد بن مشرف النفزي الشاطبي** (ت: سنة 625هـ/1227م)؛ من المقرئين بالسبع.

ـ ثم **أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن**

إبراهيم بن خليل النفزي التاكرني (توفي بديار بكر سنة 629هـ/1231م)؛ أديب؛ له شعر حسن؛ منه:

إنْ أودَعَ الطِّرْسَ مَا وَشَّاهُ خَاطِرُهُ
أبْدَى لِعَيْنَيْك أزْهَاراً وَأشْجَارَا
وَإنْ تَهَدَّدَ فِيهِ أوْ يَعِدْ كَرَماً
بَثَّ البَرِيَّة آجَالاً وَأعْمَارَا

ويقول أيضا:

أوْصَيْتُ قَلْبِي أنْ يَفِرَّ عَنِ الصِّبَا
ظَنًّا بأنِّي قَدْ دَعَوْتُ سَمِيعَا
فَأجَابَنِي لاَ تَخْشَ مِنِّيَ بَعْدَمَا
أفْلَتَّ مِنْ شَرَكِ الغَرَامِ وُقوعَا
حَتَّى إذَا نَادَى الحَبِيبُ رَأيْتَهُ
آوَى إلَيْهِ مُلَبِّياً وَمُطِيعَا
كَذُبَالَةٍ أخْمَدتَهَا فَإذا دَنَا
مِنْهَا الضِّرَامُ تعَلَّقتْهُ سَرِيعَا

ـ ثم **أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله النفزي الشاطبي** المعروف بابن قَبُّوج (توفي ببجاية سنة 642هـ/1244م)؛ وهو من الفقهاء، والمحدثين، والحفاظ؛ له مشاركة في الآداب، وله في شبابه أشعار جيدة؛ ثم تنزه

عن نظمه؛ مال في الأخير إلى الاعتزال، والزهد، والعبادة.

– ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيديس بن محمود النفزي الغرناطي** (ولد بجيان سنة 562هـ/1166م)؛ فقيه، حافظ، ومن الملمين بعلوم: اللغة، والنحو، وفنون: الأدب، والشعر؛ وله مؤلفات عديدة؛ منها: كتاب مواهب العقول وحقائق النقول، وكتاب الغيرة المذهلة عن الحيرة والتفرقة، وكتاب الجمع، وكتاب الرحلة الممنوعة، وكتاب الوسائل في الفقه والمسائل؛ ومن هذه المصنفات ما هو في باب التصوف، وغيره؛ كما أن له أشعارا حسنة. ذكره ابن الخطيب بقوله: ((**خاتمة الرحال بالأندلس، وشيخ المجاهدات وأرباب المعاملات، صادق الأحوال، شريف المقامات... وكان فقيها حافظا، ذاكرا للغة والأدب، نحويا ماهرا، درس ذلك كله أول أمره؛ كريم الأخلاق؛ غلب عليه التصوف فشهر به... له أشعار في التصوف بارعة**))[1]. من ذلك قوله:

---

[1] الإحاطة، ج: 1، ص ص: 367 ـــ 369.

يَضيــقُ عَلىَّ مِنْ وَجْدي الفَضــاء
وَيُقْلِقُــني مِــنَ النَّــــاسِ العَنَــــاء
وَأَرْضُ اللَّـــهِ وَاسِعَـــة وَلَكِـــــنْ
أبَــتْ نَفْــسي تُحِيــطُ بِهَا السَّمَـــاء
رَأيْنَـــا العَــرْشَ وَالكُــرْسِيَّ أعْــلاَ
فَوَالَيْنَاهُمَــــا حَــــرَمَ الـــــوَلاء
فَأيْـــنَ الأيْـــنُ مِنَّـــا أوْ زَمَـــانٌ
بِحَيْـــثُ لَنَـــا عَلى الكُـــلِّ اسْتِـــوَاء
شَهدْنَـــا لِلإلَـــهِ بِكُـــلِّ حُكْـــمٍ
فَغَـــابَ القَلْـــبُ وَانْكَشَـــفَ الغِطَـــاء
وَيَدْعُـــوني الإلَـــهُ إلَيْـــهِ حَقـــاً
فَيُؤْنِسُـــني مِـــنَ الخَـــوْف الرَّجَـــــاء
وَيُقْبِضُـــني وَيُبْسِطُـــني وَيَقْـــضِي
بتفْرِيـــقِي وَجَمْـــعِي مَـــا يَشَــــاء
وَيَـــعِي فِي وُجُودِ الخَلْـــقِ نَحْـــواً
يُنْعَـــتُ مَـــنْ تَـــوَلاَّهُ الفَنَــــاء
فَكَمْ أخْفِي وُجُودِي وَقْتَ فَقْـــدِي
كَـــأنَّ الفَقْـــدَ وَالإحْيَـــا سَــــوَاء
فَسُكْـــرٌ ثُم صَحْـــوٌ ثُم سُكْـــرٌ
كَـــذَاكَ الدَّهْـــرُ لَيْـــسَ لَهُ انْقِضَـــاء

فَوَصْفِي حَالَ مِنْ وَصْفِي وَلَكِن
ظُهُورُ الحَقِّ لَيْسَ لَهُ خَفَاء
إذَا شَمْسُ النَّهَارِ بَدَتْ تَوَلَّتْ
نُجُومُ الليْلِ لَيْسَ لَهَا انْجلاء

ومن شعره الذي نال شهرة كبيرة:
يَا مَنْ أنَامِلُهُ كَالْمُزْنِ هَامِيَة
وَجُودُ كَفَّيْهِ أجْرَى مَنْ مجَارِيهَا
سَفِينَة الفَقْرِ فِي بَحْرِ الرَّجَا وَقَفَتْ
فامْنُنْ عَليَّ بريحٍ مِنْكَ تجْرِيهَا
بحَقِّ مَنْ خَلقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَق
أنْظُرْ إلَى رُقعْتِي وَافْهَمْ مَعَانِيهَا
إنِّي فَقِيرٌ وَمِسْكِينٌ بلا سَبَب
سِوَى حُرُوفٍ مِنَ القُرْآنِ أتْلوُهَا
لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلاَّ مَنْ يُكَابدُهُ
وَلاَ الصَّبَابَة إلاَّ مَنْ يُعَانِيهَا

ـ ثم **أبو إبراهيم إسحاق بن يحيى بن مطر الورياغلي** المعروف بالأعرج؛ وورياغل فخذ من نفزة؛ (توفي بفاس سنة 683هـ/1284م)؛ فقيه ألف التعليقات على المدونة؛ سماها: الطُّرَر.

ـ ثم **أبو الطيب صالح بن يزيد بن صالح ابن موسى بن أبي القاسم بن علي بن**

شريف النفزي الرندي (ت: سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه، وأديب، وشاعر مجيد؛ في أغراض: الغزل، والمدح، والزهد؛ له إلمام بالحساب، والفرائض؛ وله فيهما بعض المنظومات؛ ومما كتبه عنه ابن الخطيب؛ عن آخرين؛ أنه: **((كان خاتمة الأدباء بالأندلس؛ بارع التصرف في منظوم الكلام، ومنثوره؛ فقيها، حافظا، فرضيا، متفننا في معارف شتى))**[1]. له مؤلفات؛ منها: جزء في حديث جبريل، وكتاب في الفرائض، وكتاب في العروض، وكتاب في صنعة الشعر بعنوان: الوافي في نظم القوافي، وكتاب كبير في تاريخ الأدب بعنوان: روضة الأنس ونزهة النفس؛ ومما قاله في أشعاره:

بَرَزَتْ مِنَ الحَمَّامِ تَمْسَحُ وَجْهَهَا
عَنْ مِثْلِ مَاءِ الوَرْدِ بِالعُنَّابِ
وَالمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرِهَا
كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ غُرَابِ
فَكَأَنَّهَا الشَّمْسُ المُنِيرَةَ فِي الضُّحَى
طَلَعَتْ عَلَيْنَا مِنْ خِلاَلِ سَحَابِ

---

[1] الإحاطـة، ج: 3، ص: 360.

ومـــن مطولاتـــه الـــتي أجـــاد فيهـــا:

وَغَانِيَـــة يُغْنِي عَنِ العُـــودِ صَوْتُهَـــا
وَجَارِيَـــة تَسْـــقِي وَسَاقِيَـــة تَجْـــرِي

بِحَيْثُ يَجُـــرُّ النَّهْرَ ذَيْـــل مَجَـــرَّةٍ
يرُفُّ عَلَى حَافاتِهَـــا الزَّهْـــرُ كَالزَّهْـــرِ

وَقَدْ هَزَّت الأَرْوَاح خِصْر كَتَايِـــب
بأَلْوِيَـــةٍ بيـــضٍ عَـــلَى أسَـــلٍ سُمْـــرِ

رَمَى قُزَحٌ نبْـــلاً إِلَيْهَـــا فَجُـــرِّدَتْ
سُيُـــوفٌ سَوَاقِيهَـــا عَلى دَارِعِ النَّهْـــرِ

ويصـــف رمانـــة بقـــولـــه:

لِلَّـــهِ رُمَّانَـــة قَدْ رَاقَ مَنْظَرُهَـــا
فَمِثْلُهَـــا بِبَدِيـــعِ الحُسْـــنِ مَنْعُـــوت

القِشْرُ حَقٌّ لَهَا قَدْ ضَمَّ دَاخِلَـــهُ
وَالشَّحْـــمُ قُطْـــنٌ وَالحَـــبُّ يَاقُـــوت

أَنْظرْ إلى جِذْرٍ فِي اللوْنِ مُخْتَلِفٌ
البَعْـــضُ مِنْ سَجٍّ وَالبَعْضُ مِنْ ذَهَـــب

ويصـــف القلـــم بقولـــه:

وَأَصْفَـــرُ كَالصَّـــبِّ فِي رَوْنَـــق
تَظُـــنُّ بِهِ الحُـــبَّ مِمَّـــنْ نَحَـــل

بَـــدِيعُ الصِّفَاتِ حَدِيدُ السَّبَـــاتِ
يَطُـــولُ الرِّمَـــاحَ وَإنْ لَمْ يَطُـــلِ
يُعَبِّـــرُ عَمَّـــا وَرَاءَ الضَّمِيـــــرِ
وَيَفْعَـــلُ فِعْـــلَ الظُّبَـــا وَالذُّبَـــلِ

ويقـــول في وصـــف البحـــر:
البَحْـــرُ أعْظَـــمُ مِمَّا أنْتَ تَحْسَبُـــهُ
مَنْ لَمْ يَـــرَ البَحْرَ يَوْماً مَا رَأى عَجَبَـــا
طَـــامٍ لَـــهُ حَبَبٌ طَافٍ عَلى زَوْرَق
مِثْـــلُ السَّمَاءِ إذَا مَـــا مُلِئَـــتْ شُهُبَـــا

وفي وصـــف النهـــر يقـــول:
وَأزْرَق مَحْفُـــوفٌ بزَهْـــر كَأنَّـــهُ
نُجُـــومٌ بأكْنَـــافِ المَجَـــرَّةِ تَزْهَـــرُ
يَسِيلُ عَلى مِثْلِ الجُمَانِ مُسَلسَـــلاً
كَمَا سُلَّ عَنْ غِمْدٍ حُسَامٌ مُجَوْهَـــرُ
وقَدْ صَافَحَ الأدْوَاحَ مِنْ صَفَحَاتِـــهِ
حَـــتَّ حُبَـــاب بالنَّسِيـــمِ مُكَسَّـــرُ
فَمَا كَانَ فِي عَطْفِ الخَلِيجِ قُلامَـــةً
وَمَا كَانَ فِي وَجْهِ الغَدِيـــرِ فَمُغْفَـــرُ
ويقـــول في العقـــل والغربـــة:
مَـــا أحْسَـــنَ العَقْـــلَ وَآثَـــارَهُ
لَـــوْ لازَمَ الإنْسَـــان إيثَـــاره

يَصُـــونُ بِالعَقْلِ الفـــتىَ نَفْسَـــهُ
كَمَـــا يَصُـــونُ الحُـــرّ أسْـــرَاره
لا سِيَّمَـــا إنْ كَانَ فِي غُرْبَـــةٍ
يَحْتَـــاجُ أنْ يعْـــرفُ مِقْـــــدَاره

ويصـــف الجيـــش بقولـــه:
وَكَتِيبَـــة بِالدَّارِعِيـــنَ كَثِيفَـــة
جَـــرَّتْ ذُيُـــولَ الجَحْفَلِ الجَـــرَارِ
رَوْضُ المَنايَا بَيْنَهَا القُضُبُ الـــتي
زُفَّـــتْ بهـــا الرَّايَات كَالأزْهَـــارِ
فِيهَا الكُمَاة بَنُو الكُمَاةِ كَأنَّهُـــمْ
أسْـــدُ الشَّـــرَى بَيْنَ القَنَا الخَطـــارِ
مُتَهَلِّلِيـــنَ لَدَى الّلقَاءِ كَأنَّهُـــمْ
خُلِقَـــتْ وُجُوهُهُـــمْ مِنَ الأقْمَـــارِ
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ فَوْقَ بَرْق خَاطِفٍ
بِيَمِينِـــهِ قَـــدَرٌ مِـــنَ الأقْـــــدَارِ

ــ ثـــم **أبـــو جعفـــر أحمـــد بـــن أبي القاســـم بـــن يحـــيى بـــن وداعـــة النفـــزي الرنـــدي** (ت: سنـــة **738هـ/1337م**)؛ كـــان مـــن رجـــال الديـــن ذوي الفضـــل؛ قـــام بتصنيـــف كتـــاب لـــم يسبقـــه إليـــه أحـــد؛ إذ جمـــع فيـــه أربعيـــن حديثـــا عـــن أربعيـــن امـــرأة مـــن

الصحابة، وله كتاب آخر سماه: الضاحي في حكم الأضاحي.

ـ ثم **أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان النفزي الغرناطي** (توفي بمصر سنة 745هـ/1344م)؛ فقيه، ومن أئمة النحو، واللغة العربية؛ وصفه ابن الخطيب بقوله: **((كان نسيج وحده في ثقوب الذهن، وصحة الإدراك، واحفظ، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير، وطريق الرواية؛ إمام النحاة في زمانه غير مدافع؛ نشأ ببلده غرناطة؛ مشارا إليه في التبريز بميدان الإدراك، وتغيير السوابق في مضمار التحصيل. نالته نُبُوَّة لحق بسببها بالمشرق، واستقر بمصر؛ فنال ما شاء من عز، وشهرة، وتأثُّلٍ، وبر، وحُظْوة؛ وأضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ، وعدة... شاعرا مُكْثرا))**[1]. وله مؤلفات كثيرة؛ منها: البحر المحيط؛ وهو في تفسير القرآن الكريم؛ جزأه إلى ثماني مجلدات، ولآلئ النهر المستخرجة من البحر؛ وبه اختصر البحر المحيط، والوهاج على مذهب الشافعي، وتحفة الأريب؛ في غريب القرآن، والأنوار الأجلى في

---

[1] الإحاطة، ج: 3، ص: 43.

اختصـــار المحـــلى؛ عـــلى مذهـــب أبي داود، والتكميـــل في شـــرح التسهيـــل، ومنهـــج السالـــك عـــلى ألفيـــة ابـــن مالـــك؛ لـــم يتـــم، والإدراك للســـان الأتـــراك؛ وهـــو في قواعـــد ونحـــو التـــرك، والإسفـــار الملخـــص في شـــرح سيبويـــه للصفـــار، والمبـــدع في التصريـــف، وكتـــاب الارتضـــاء في الفـــرق بيـــن الضـــاد والظـــاء، وعقـــود اللآلي في القراءات السبـــع العـــوالي، والمـــورد الغَمـــر في قـــراءة أبي عمـــرو، والأثيـــر في قـــراءة ابـــن كثيـــر، وغايـــة المطلـــوب في قـــراءة أبي يعقـــوب، والحلـــل الحاليـــة في الأسانيـــد العاليـــة، والأمـــالي في شـــرح القـــالي، وكتـــاب النكـــت الحســـان، في شـــرح غايـــة الإحســـان، وكتـــاب الشـــذا في مسألـــة كـــذا، وارتشـــاف الضَّـــرَب في معرفـــة كـــلام العـــرب، واختصـــار بدايـــة المجتهـــد، وتقريـــب التقريـــب والتدريـــب، والتنخيـــل في شـــرح التسهيـــل، ورشـــح النفـــع في القـــراءات السبـــع واللمحـــة البدريـــة في علـــم العربيـــة؛ قـــام بشرحهـــا ابـــن هشـــام، وديـــوان شعـــر في ثـــلاث مجلـــدات، وكتـــاب في التاريـــخ؛ ومـــن شعـــره الطويـــل، والقصيـــر؛ وفيـــه جـــودة؛ فمـــن مطوَّلاتـــه:

لاَ تَعْـــذِلاَهُ فَمَا ذُو الحُبِّ مَعْـــذولُ
العَقْـــلُ مُخْتَبَـــلٌ وَالقَلْـــبُ مَتْبُـــولُ
هَـــزَّتْ لَهُ أسْمَراً مِنْ خُوطِ قامَتِهَـــا
فَمَـــا انْثَنَى لِلصَّبِ إلاَّ وَهْوَ مَقْتُـــولُ
جَمِيلَـــة فَصَّلَ الحُسْنُ البَدِيـــعُ لَهَـــا
فَكَـــمْ لَهَا جُمَـــلٌ مِنْـــهُ وَتَفْصِيـــلُ
فالنَّحْـــرُ مَرْمَـــرُهُ وَالنَّشْـــرُ عَنْبَـــرُهُ
وَالثَّغْـــرُ جَوْهَرُهُ وَالرِّيـــقُ مَعْسُـــولُ
وَالطَّرْفُ ذُو غَنَجٍ وَالعَرْفُ ذُو أرَجٍ
وَالخَصْـــرُ مُخْتَطفٌ وَالعُنْقُ مَجْـــدُولُ

ويقـــول في منظومـــة طويلـــة تدعـــوا إلى العلـــم، والنحـــو منـــه بالخصـــوص:

هُوَ العِلْمُ لاَ كَالعِلْمِ شَيْءٌ تُـــرَاوِدُه
لَقَدْ فَـــازَ بَاغِيـــهِ وأنْجَـــحَ قَاصِـــدُه
وَمَا فَضُـــلَ الإنْسَـــانُ إلاَّ بعِلْمِـــهِ
وَمَا امْتَـــازَ إلاَّ ثَاقِبُ الذِّهْنِ واقِـــدُه
وَقَدْ قَصُرَتْ أعْمارُنَـــا وعُلُومُنَـــا
يَطُولُ عَلَيْنَـــا حَصْرُهَـــا وَنُكَابِـــدُه
وَفي كُلِّهَـــا خَيْـــرٌ ولَكِنَّ أصْلَهَـــا
هُوَ النَّحْوُ فَاحْذَرْ مِنْ جَهُولٍ يُعانِـــدُه
بِهِ يُعْرَفُ القُرْآنُ والسُّنَّة التي هُمَـــا
أصْـــلُ ذَا الدِّينِ الذي أنْتَ عَابِـــدُه

إلى أن يقـــول:

وَالآنَ فَلاَ شَخْصٌ عَلَى الأَرْضِ قارِئٌ
كِتَـــابَ أبي بشْـــرٍ ولاَ هُـــوَ رَايِـــدُه

سِـــوَى مَعْشَرٍ بالغَرْب فيهِمْ تَلَفُّـــتٌ
إِلَيْـــهِ وشَـــوْقٌ ليْسَ يَخْبُـــو مَواقِـــدُه

ومَـــا زَالَ مِنَّـــا أَهْلُ أنْدَلُسٍ لَـــهُ
جَهَابِـــذُ تُبْـــدِي فَضْلَـــهُ وتُناجِـــدُه

وإِنِّيَ في مِصْرَ عَلَى ضُعْـــفِ نَاصِرِي
لَناصِـــرُهُ مَـــا دُمْـــتُ حَيًّا وعَاضِـــدُه

ثـــم يقـــول:

مُنِينَـــا بِقَوْمٍ صُـــدِّرُوا في مَجَالِـــسٍ
لإِقْـــرَاءِ عِلْـــمٍ ضَلَّ عَنْهُـــمْ مَرَاشِـــدُه

لَقَدْ أخِّرَ التَّصْدِيـــرُ عَنْ مُسْتَحَقِّـــهِ
وقُدِّمَ غَمْـــرٌ خَامِدُ الذِّهْـــنِ جَامِـــدُه

ثـــم يقـــول:

أقَمْنا بِمِصْرَ عِشْرِينَ حِجَّةٍ يُشَاهِدُنَا
ذُو أمْرِهِـــــمْ ونُشَاهِـــــدُه

فَلَمَّا نَنَلْ مِنْهُمْ مَدَى الدَّهْرِ طَايــلاً
وَلَمَّا نَجِــدْ فِيهِمْ صَدِيقاً نُــوَادِدُه

ويقــول في النسيــب:

كَتَمَ اللِّسَــانُ وَمَدْمَــعِي قَدْ بَاحــَا
وثَــوَى الأَسَى عِنْــدِي وأسًى رَاحَــا
إنِّي أحِــبُّ طَيَّ مَا نَشَــرَ الهَــوَى
نَشْــراً ومَــا زَالَ الهَــوَى إفْصَاحَــا
وَمُهْجَــتِي مَنْ لاَ أُصَــرِّحُ باسْمِــهِ
وَمِنَ الإشَــارَةِ مَا يَكُــونُ صُرَاحَــا
رِيــمٌ أرُومُ حُنُــوَّهُ وجُنُوحَــهُ
ويَــرُومُ عَــنِّي جَفْــوَةٍ وجِمَاحَــا
أبْــدَى لَنَــا مِنْ شَعْــرِهِ وجَبِينِــهِ
ضِدَّيْــنِ ذَا لَيْــلاً وذَاكَ صَبَاحَــا

وقــال في أغــراض أخــرى:

أزَحْــتُ نَفْسي مِنَ الإينَاسِ بالنَّــاسِ
لَمَّــا غَنِيــتُ عَــنِ الأكْيَــاسِ بِاليَــاسِ
وصِرْتُ في البَيْتِ وَحْدِي لا أرَى أحَداً
بَنَــاتُ فِكْــرِي وكُتْبِي هُنَّ جُــلاَّسِي

ومنهـــا أيضـــا:

وَزَهَّدَنِي فِي جَمْعِي المَـــال أَنَّـــهُ إِذَا
مَا انْتَهَى عِنْدَ الفَـــتَى فَـــارَقَ العُمْـــرَا
فَـــلاَ رُوحَهُ يَوْمـــاً أَرَاحَ مِنَ العَنَـــا
وَلَمْ يَكْتَسِبْ حَمْداً وَلَمْ يَدَّخِـــرْ أجْـــرَا

ومنهـــا أيضـــا:

عُـــدَاتِي لَهُـــمْ فَضْـــلٌ عَـــلَيَّ وَمِنَّـــة
فَـــلاَ أَذْهَـــبَ الرَّحْمَـــنُ عَنِّي الأَعَادِيَـــا
هُـــمْ بَحَثُـــوا عَـــنْ زَلَّـــتِي فَاجْتَنَبْتُهَـــا
وَهُـــمْ نَافَسُـــونِي فَاكْتَسَبْـــتُ المَعَالِيَـــا

ومنهـــا أيضـــا:

نُعِيـــدُ وُدَّ قَرِيـــــب ضَـــــلَّ
كَبِيـــرُ عَتْـــب قَلِيـــلٌ عَتْبَـــــا
كَالشَّمْسِ ظَرْفـــاً كَالمِسْكِ عَرْفـــاً
كَالخَشْـــفِ طَرْفا كَالصَّخْرِ قَلْبَـــا

ـ **ثـم أحمـد بـن محمـد النفـزي الرنـدي** المعـروف بالسـراج (ت: سنـة 759هـ/1357م)؛ مقـرئ.

ـ **ثـم أبـو عبـد اللـه محمـد بـن إبراهيـم بـن عبـد اللـه بـن مالـك بـن إبراهيـم بـن يحيى ابـن عبـاد الرنـدي** (ت: سنـة: 792هـ/1389م)؛ فقيـه،

وواعظ، وصوفي؛ ذكره المقري ضمن ما نقل عن ترجمة له من طرف أبي زكرياء السراج: **((نشأ ببلده رندة...وحفظ القرآن ابن سبع سنين، ثم تشاغل بعد بطلب العلوم النحوية، والأدبية، والأصولية، والفرعية؛ حتى رأس فيها، وحصل معانيها. ثم أخذ في طريق الصوفية، والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه. وتكلم في علوم الأحوال، والمقامات، والعلل، والآفات؛ وألف فيه تواليف عجيبة، وتصانيف بديعة غريبة. وله أجوبة كثيرة في مسائل العلوم؛ نحو مجلدين... وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر... وله كلام عجيب في التصوفن وصنف فيه... وللشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب؛ مشهورة بأيدي الناس، ويقرؤون منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف؛ بين يدي السلطان تبركا بها؛ وكذا يقرؤونها في المجتمعات، والمواسم؛ كأول رجب، وشعبان؛ ونصفهما، والسابع والعشرين منهما؛ كرمضان))**[1]. ومن مؤلفاته: الرسائل الكبرى، والصغرى، وشرح الحكم، ونظمها في أرجوزة

---

[1] نفح الطيب، ج: 5، ص ص: 341 ــــ 350.

من ثمانمائة بيت. وقال عنه ابن الخطيب: ((**وشعره حسن يدل على طبع معين**))؛ منه:

سُرًى يُسِرُّ إِلَيَّ أَنَّكَ تَارِكِي
نَفْسِي الفِدَا لِلُطْفِكَ الْمُتَدَارِكِ
يَا مَالِكِي وَلِيَ الفَخَارُ بِأَنَّنِي
لَكَ فِي الهَوَى مِلْكٌ وَأَنَّكَ مَالِكِ
التَّرْكُ هَلْكٌ فَاعْفِنِي مِنْهُ وَعِدْ
بِالوَصْلِ تُحْيِي ذِمَا مُحِبٍّ هَالِكِ
وَأَعِدْ جَمِيلاً فِي الهَوَى عَوَّدْتَنِي
إِنْ لَمْ تُعِدْهُ إِلَيَّ مَنْ لِلْهَالِكِ
يَا مُنْيَةَ القَلْبِ الَّذِي بِجَمَالِهِ
فُتِنَ الوَرَى مِنْ فَاتِكٍ أَوْ نَاسِكِ
أَأَتِيهُ دُونَكَ أَوْ أَحَارُ وَفِي سَنَى
ذَاكَ الجَمَالِ جِلاَ الظَّلاَمِ الحَالِكِ
وَلَكَمْ سَلَكْتُ إِلَيْكَ لَكِنْ حِينَ لَمْ
تَكُنِ الدَّلِيلَ اخْتَلَّ قَصْدُ السَّالِكِ

ويقول أيضا:

يَا لِلرِّجَالِ أَلاَ حِبٌّ يُسَاعِدُنِي
فِي ذَا الغَرَامِ فَأَبْكِيهِ وَيُبْكِينِ

غُلِبْـــتُ فِيهِ وَمَا أجَـــدْتُ مُغَالَبَـــتِي
وَهَـــنْتُ وَالصَّبُّ أوْلَى النَّاسِ بِالهَـــوْنِ
رَكِبْتُ لُجَّتَـــهُ وَحْدِي فَأدْهَشَـــنِي
وَمِـــتٌّ فِي يَـــدِهِ فَـــرْداً فَدُلُــــونِ
وَاضَيْعَة العُمْرِ وَالبَـــلوَى مُضَاعَفَـــة
مَـــا بَيْـــنَ يَـــأس وَآمَـــالٍ تُرَجِّيـــنِ
وَالَهْفَ نَفْسِي إنْ أوْدَتْ وَمَا ظَفِرَتْ
فِي ذَا الهَـــوَى بِتَمَـــنٍّ أوْ بِتَأمِيـــنِ
فَلَيْتَ شِعْرِي وَعُمْرِي يَنْقضِي طَمَعاً
فِي ذَا الهَوَى بَيْنَ مَغْلُـــوبٍ وَمَغْبُـــونِ

وكتـــب إلى أحـــد الحكـــام:
تَرَكْتُ لَكُمْ عِـــزَّ الغِـــنَى فَأبَيْتُـــمُ
وَأنْ تَتْرُكُـــونِي لِلْمَذَلَّـــةِ وَالفَقْـــرِ
وَنَازَعْتُمُـــونِي فِي الخُمُولِ وَإنَّـــهُ
لِذِي مُهْجَتِي أحْلَى مِنَ البِنَى وَالأمْـــرِ

ـــ ثـــم **أبـــو زكريـــاء يحـــيى بـــن أحمـــد بـــن محمـــد السـراج النفـزي الرنـدي** (ت: سنـــة 805هـــ/1402م)؛ وهـــو فقيـــه صـــوفي، وراويـــة، مـــن أهـــل الحديـــث؛ ولـــه فهرســـة.

ـ ثـم **عبـد العزيـز بـن مـوسى الورياغـلي النفـزي** (تـوفي بفـاس سنـة 880هـ/1475م)؛ فقيـه، وخطيـب القروييـن.
ـ ثـم **أبـو الحسـن عـلي الورياغـلي النفـزي** (ت: سنـة 962هـ/1554م)؛ فقيـه مالـكي.

***

ـ *مواطنهـم:* تتواجـد مواطـن **نفـزاوة** عبـر بـلاد المغـرب كلهـا. أمـا جمهورهـم فكـان **بجبـل أوراس، وإفريقيـة.** مثـل: تلـك القـرى المعروفـة بهـم في **قسطيلـة**، وبقاياهـم في نـواحي **القيـروان**، والشريـط الساحـلي **لقريـة بطويـة، وسهـول بونـة**؛ الـتي بهـا أحيـاء مـن **ولهاصـة**؛ رئاستهـم في **بـني عريـف.** ويتواجـد آخـرون مـن نفـزاوة بساحـل **برشـك**، وساحـل **بـادس.**

....

(2) ـ *لواتـة:*

وهـم **أبنـاء لـوا الأصغـر بـن لـوا الأكبـر ابـن زحيـك.** فلـوا الأصغـر، ونفـزاو؛ أخـوان. يقـول ابـن خلـدون: **((ولـوا اسـم أبيهـم؛ والبربـر**

إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف، والتاء؛ فصار لوات. فلما عربته العرب؛ حملوه على الإفراد، وألحقوا به هاء الجمع))[1]. وللوا عدد من الأولاد أشهرهم: **زاير**، **وفاصلة** أو (ماصلت)، **وكطوفت**، **ونيطط**. وقد تشعبت أفخاذهم جميعا، وتفرقت في الأقطار. وسنكتفي في هذا المجال ببعضهم؛ ومن الذين اشتهروا: **فاصلة** أو (ماصلت) فتفرع عنه: **أكورة**، **وجرمانة**، **وعترورزة** أو (عزوزة)، ثم **مغانة**. ثم **فزاير**؛ ومنه **مُزاتة**؛ التي تفرع عنها عدد كبير من الأحياء؛ أهمها: **بلايان**، **وحمرة**، **ودكمة**، **وقرنة**، **ومُجيجة**، **ومُدَّونَة**؛ وتقع أرض مزاتة جنوب شرقي سطيف؛ وتوجد منهم فئة في إقليم الجريد؛ إذ وصل تعدادهم فيه ــ حسب قول الدرجيني ــ إلى اثني عشر ألف فارس خلا الرجالة. أما **نيطط**؛ فمنهم **سدراتة**؛ التي تنسب إليها المدينة المتواجدة بقرب ورجلاء، والمدينة المتواجدة في الشرق الجزائري؛ على الحدود التونسية.

وفي عهد الدولة الحفصية برز من بطونهم: **بنو باديس**، **وبنو زنجان**، **وبنو سعادة**. وتقول

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 235.

المصادر التاريخية عن لواتة؛ أنه كان منهم من اختار حياة الرحلة؛ طلبا للنجعة في جهات برقة. وكانت للواتة مواقف منحازة لأبي يزيد؛ خلال ثورته على الفاطميين؛ نظرا لانتمائهم للمذهب الخارجي. وقد تذبذب منهم بعض الأحياء في ولائهم للدولة؛ فكانوا أحيانا في خدمتها (فتستعين بهم ــ خاصة ــ في جمع المغارم من القبائل المختلفة)؛ وأحيانا أخرى يتحولون إلى قبائل متمردة؛ ثائرة. وحينما أخذ الضعف يتسرب إلى الدولة، واستفحل أمر قبائل بني هلال، وسليم؛ أضحت أحياء من لواتة عرضة لابتزازهم، وضغوطهم؛ وبذلك اندرجوا ضمن القبائل الغارمة[1].

! ! !

ــ ***أعيانهم:*** أنجبت بلاد المغرب الإسلامي رجالا نسبوا إلى لواتة؛ خلفوا ذكرا حميدا، وسمعة مشرفة. غير أن أصول بعضهم يكتنفها شئ من الغموض؛ إذ لا نعرف إن كانوا ينتسبون إلى قبيلة لواتة؛ أم حملوا هذه التسمية نسبة إلى الموضع

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 235 ــ 238.

المسمى باسم القبيلة؛ سواء كان ذلك ببلاد المغرب أم في الأندلس؛ التي بها أماكن سميت باسم قبائل أمازيغية؛ كانت تسكنها بكثافة. ومع هذا سنعتبر كل من نُسب إلى لواتة؛ عضوا من تلك القبيلة؛ لأننا نؤمن بأن ((النسب القبلي أمر وهمي؛ لا حقيقة له))؛ كما يقول ابن خلدون. ونظرا لكون هدفنا الأساسي هو **إبراز دور أبناء المغرب الإسلامي في بناء الصرح الثقافي العربي الإسلامي**؛ **وليست غايتنا هي القبيلة** في حد ذاتها؛ وما إتباعنا هذه **المنهجية** ــ التي تضعهم في إطار قبلي ــ إلاّ **وسيلة إيضاح**؛ تسمح بتصور دقيق للمحيط الذي احتضن علماء المغرب؛ ومفكريه؛ كما تسمح هذه **المنهجية** ــ أيضا ــ بإجلاء الحركة الثقافية؛ في الأوساط القبلية بهذه الديار؛ وهذا بالطبع يسوقنا إلى الاستناد إلى القول المأثور: **((النسب علم لا ينفع، وجهالة لا تضر))**. وعليه فمن الذين نسبوا إلى لواتة من العلماء:

ــ **لواب بن سلام بن عمر اللواتي** (كان حيا سنة 260هـ/873م)؛ وهو من العلماء الإباضيين؛ ومن مؤلفاته: رسالة عن نشأة

الإباضية، ودخولهم إلى المغرب؛ وهي وثيقة تاريخية لم يسبقه إليها أحد.

ـ ثم **أبد الله السكاك القنطراري** (القنطناري) **اللواتي**؛ وهو رأس فرقة من الإباضية؛ ولكنها خرجت عن جماعتهم؛ إذ اتبعوا مذهبا أنكره عليهم جمهور الإباضية. وقد ذكرهم الدرجيني في طبقاته بقوله: ((**أن السكاك يعرف بأبد الله اللواتي النسب، قنطناري المسكن؛ وكان له أب من أهل الصلاح؛ فبلغنا أن أباه توجه إلى الحج قبل أن يولد له أبد الله؛ فلما كان في بعض الطريق رأى في منامه أن قد ولد له شيطان... ويقال سبع مسائل خالف فيها جميع أهل الحق:** 1ـ **أبطل السنة، ورأي المسلمين؛ قال... إن الله قد أغنى عنهما... بكتابه العزيز، ...**2 ـ **قوله إن الصلاة جماعة بدعة،** 3 ـ **قوله إن الأذان بدعة؛ فإذا سمع هو وأصحابه الأذان قالوا: نهيق الحمار،** 4 ـ **إن الصلاة عندهم لا تجوز بما لا يعرف معناه، وتفسيره من القرآن،** 5 ـ **قوله إن بقول الجنات؛ مما ينبت في سماد بني آدم؛ كل ذلك نجس؛ بنجاسة ما نبت عليه،** 6 ـ **إن الصلاة لا تجوز بثوب فيه قمل،** 7 ـ **إن بول الدواب**

في الأنـدر حين درسها إياه نجس؛ فلا يطهر ما بالت عليه إلا بالغسل. وجدت عن أبي يعقوب يوسف بن نفاث رحمه الله قال: أدركنا بقية أصحاب أبد الله السكاك؛ إذا قرب وقت الصلاة خرجوا؛ متجنبين عن الناس إلى مفاحص قد هيئوها لأنفسهم؛ فيصلون فيها فرادى. وعنه؛ أدرك جماعة الشيوخ بقسطيلية؛ يصلون على جميع موتى أهل القبلة؛ كلهم؛ من المخالفين، وغيرهم؛ إلا أصحاب السكاك؛ فإنهم من مات منهم؛ جعلوا في رجليه مرابط، وجروه بها إلى موضع يوارونه فيه. وكان مشائخ السلف تتقارب أقوالهم في السكاك وأصحابه، وتتفاوت؛ فقائل: بشركهم، وقائل بنفاقهم؛ وهذا المذهب قد فني أصحابه؛ فلم تبق لهم بقية))[1].

ـ ثم أحمد بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المرسي (كان حيا سنة 423هـ/1031م)؛ فقيه، ومقرئ.

[1] ج: 1، ص ص: 118 ـــ 119.

ـ ثم أخوه **أبو الحسن يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي المرسي** (كان حيا سنة 423هـ/1031م)؛ فقيه، ومقرئ.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن حسين ابن علي اللواتي الفاسي** عرف بابن تامتيت؛ فقيه، ومحدث.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن مخلوف بن جابر اللواتي البلنسي**؛ نحوي، ومن العارفين بالعربية، وعلومها، وآدابها؛ كما يمتاز بقرض الشعر.

ـ ثم **أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك ابن إبراهيم بن سمجون اللواتي الطنجي** (توفي بطنجة سنة 491هـ/1097م)؛ فقيه، ومقرئ، وشاعر؛ فهو عالم المغرب، وشيخه في وقته؛ كان ملما بعلوم الفقه، والأدب؛ واللغة؛ فصيح اللسان؛ يميل في حديثه وشعره إلى التقعير، والتمسك بالإعراب؛ مع الخاصة، أو العامة؛ قال عنه الشيخ عياض: **((فلا يكاد يؤخذ عليه لحن))**[1]. وولي في عهد المرابطين الصلاة، والخطبة، والإفتاء، والأحكام بمدينة طنجة؛ ومن قبلها ولي أيضا الإفتاء، والصلاة والخطبة بسبتة. وأسرة

---

[1] الغنية، ص: 258.

سمجون هذه أنجبت عددا من العلماء؛ عرفوا باسم سمجون الطنجي؛ نسبة إلى مدينتهم؛ سيتأتي الإشارة إليهم تباعا؛ كل في موضع ترتيبه.

ـ ثم **أبو الحسن يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد اللواتي يعرف بابن البيَّان** (توفي بمرسية سنة 496هـ/1102م)؛ كان من المقرئين.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي**؛ المعروف بابن الفاسي (توفي بسبتة سنة 513هـ/1119م)؛ وهو أحد شيوخ القاضي عياض؛ الذي قال عنه في الغنية: **((كان من أهل الفقه، والعلم، والمعرفة بالوثائق، والبصر بالأحكام، والتفنن في معارف... وكتب للقضاة بسبتة، وشوور في الأحكام؛ ثم قعد عن ذلك، وانقبض عن الناس، واشتغل بنفسه، وطلب الانفراد، والتقلل، والزهد في الدنيا. وقد طلب لقضاء سبتة، وولاية خطبتها؛ فامتنع، ولم يجب...صحبته كثيرا، وقرأت عليه غير شئ))**[2].

[2] الغنية ، ص ص: 186 ــ 187.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (توفي بتلمسان سنة 524هـ/1129م)؛ فقيه فاضل؛ ولي قضاء تلمسان.

ـ ثم **أبو محمد عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن سمجون اللواتي الطنجي** (توفي بالمرية سنة 524هـ/1129م)؛ فقيه فاضل؛ ولي قضاء غرناطة، والمرية؛ فترك أثرا حميدا بين الناس.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (توفي بغرناطة سنة 539هـ/1144م)؛ فقيه، فاضل، ولي قضاء تلمسان بعد عمه؛ قبل أن ينتقل إلى غرناطة.

ـ ثم **أبو محمد عبد الودود بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (ت: سنة 552هـ/1157م)؛ فقيه؛ من الرواة.

ـ ثم **أبو القاسم أحمد بن عبد الودود بن عبد الرحمن بن سمجون الطنجي**؛ فقيه، وولي القضاء.

ـ ثم **أبو علي الحسن بن مكي اللواتي**؛ فقيه، وراوية.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن جابر بن فتح الأنصاري اللواتي الغرناطي**؛ من المتكلمين الأصوليين.

ـ ثم **أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن اللواتي**؛ فقيه من الزهاد الصالحين.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ابن الحسين اللواتي الفاسي** (توفي بفاس سنة 573هـ/1177م)؛ قال عنه ابن الزبير: **((كان عالما بالفرائض، والعقود؛ ومن حفاظ المسائل؛ ممن تدور عليه الفتوى))**.

ـ ثم **علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك بن سمجون الطنجي** (توفي بالمُنَكَّب سنة 599هـ/1202م)؛ فقيه؛ من أهل المعرفة، والعلم؛ قال عنه ابن الزبير: **((كانت له كتب كثيرة))**[1]. دون أن يذكرها.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن علي بن عُتْبة اللواتي** (توفي بعد 625هـ/1227م)؛ مقرئ، ومحدث.

---

[1] صلة الصلة، القسم الأخير ، ص ص: 147. 117 ـــ 118.

ـ ثـم **أبـو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي الطرابلسي** (توفي حوالي سنة 650هـ/1252م)؛ من علماء اللغة؛ وله إلمام بعلوم أخرى؛ من مؤلفاته: كفاية المتحفظ، ومختصر في علم الأنساب، ومختصر في الأنواء، وكتابان في العروض.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي** (ت: سنة 779هـ/1377م)؛ وهو الرحالة الذائع الصيت المعروف بابن بطوطة. أملى رحلته؛ التي حررها الفقيه الأديب محمد ابن محمد بن جزي الكلبي؛ بأمر من السلطان المريني أبوعنان؛ فكانت أهم، وأشمل رحلة تمت في وقته؛ وترجمت إلى لغات عديدة؛ منها: الأنجليزية، والفرنسية، والبرتغالية، والألمانية.

ooo

أما اعلام لواتة؛ أصحاب الحكم، والسلطان؛ منهم:

ـ **سلام بن عمر اللواتي**؛ ولاه عبد الوهاب ابن رستم على سرت، ونواحيها.

ـ ثـم **ميـال بـن يوسـف اللـواتي**؛ ولاه عبـد الوهـاب بـن رستـم عـلى نفـزاوة.

ـ ثـم **أورغ بـن عـلي بـن هشـام اللـواتي**؛ أحـد القـادة في الدولـة الفاطميـين؛ ولكنـه انحـاز إلى حميـد ابـن يصلتـن بـن حبـوس المكنـاسي (صاحـب تيهـرت)؛ عنـد عصيانـه للدولـة، ومبايعتـه للأمويـين؛ ثـم التحـق أورغ بعدئـذ بالأندلـس سنـة 336هـ/947م.

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد اللـه بـن محمـد بـن ناصـر بـن ميـال بـن يوسـف اللـواتي** (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن السـادس للهجـرة)؛ كـان جـده وزيـرا للإمـام أفلـح بـن رستـم. وهـو مـن علمـاء ورجـلان الإباضيـين.

ـ ثـم **مـكي بـن فـراج بـن زيـادة اللـه بـن أبي الحسـن بـن محمـد بـن زيـادة اللـه بـن أبي الحسيـن اللـواتي**؛ وهـو كبيـر بـني مـكي رؤسـاء قابـس.

ـ ثـم **أبـو القاسـم عثمـان بـن أبي القاسـم بـن مـكي اللـواتي**؛ حليـف أبي زكريـاء الحفـصي؛ إذ تـولى أخـذ البيعـة لـه مـن النـاس؛ عندمـا عـزم عـلى الاستبـداد عـلى الموحديـن.

ـ ثـم **عبـد الملـك بـن عثمـان بـن مـكي اللـواتي**؛ الـذي انحـاز للـدعي أبي عمـارة.

! ! !

أما أعيان سدراتة؛ وهي بطن من بطون لواتة؛ كما سبقت الإشارة إليه؛ فمنهم:

ــ **عاصم السدراتي** (توفي أمام أسوار القيروان سنة 141هـ/758م)؛ وكان من المقربين من أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح؛ وهو أحد الخمسة الذين ذهبوا إلى البصرة طلبا للعلم؛ لدى أبي عبيدة مسلم الإباضي؛ وكان قد شارك أبي الخطاب في الزحف على القيروان، أثناء حصار ورفجومة في داخلها.

ــ ثم **أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن سهلون السدراتي** المعروف بالطرفي (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث)؛ وهو من كبار علماء الإباضية؛ استقر بوارجلان؛ التي تولى فيها الفتيا، والقضاء بين الناس؛ تلقائيا؛ دون تكليف من الحكام.

ــ ثم **أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي** (ت: سنة 570هـ/1174م)؛ كان له إلمام بعلوم شتى منها: علوم القرآن الكريم، واللغة، والفقه، والحديث، والفرائض، والكلام، والسير والتراجم، والتنجيم؛ إلى جانب أنه كان يقرض الشعر. ويقول الدرجيني أن أبا يعقوب تعلم هذه العلوم، والفنون بقرطبة؛ عندما ذهب

إليها في صغره؛ طلبا للعلم؛ ومن مؤلفاته: كتاب العدل والإنصاف؛ جزأه إلى ثلاثة أجزاء، وكتاب الدليل لأهل العقول؛ يعالج مواضيع من المذهب الإباضي، وكتاب مرج البحرين؛ في المنطق، والحساب، والهندسة، وكتاب المغرب في تاريخ المغرب، وتفسير القرآن الكريم؛ في سبعين جزءا؛ قد تصل أوراق الجزء إلى 700 ورقة أحيانا، كما قام بترتيب مسند الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري؛ وسماه الجامع الصحيح؛ وله قصيدة طويلة جدا سماها الحجازية؛ قال عنها الدرجيني: **((أبياتها عدد أيام العام؛ بدأ فيها بغزل رقيق، ثم الرحلة عن وارجلان، والتنبيه عمن صحبهم في ذلك الركب؛ فذكر الطريق مترلة مترلة في سيرهم؛ حتى وصلوا؛ وذكر المناسك، ثم فعل كذلك حتى خرج؛ ثم خرج إلى شيئ من علم الحدثان؛ ثم وعظ أحسن وعظ، وتذكير؛ ففيها ما يشهد له باتساع الفن))**[1]. وكان الأندلسيون يشبهونه بالجاحظ؛ ساح في الأرض مدة بين الأندلس، والمشرق الإسلامي؛ وإفريقيا السوداء؛ حتى وصل في رحلته جنوبا إلى حدود

---

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 494.

خط الاستواء؛ ثم عاد إلى بلده ورجلان؛ أين اعتكف على القراءة، والتأليف حتى توفاه الله فيها.

ـ ثم ولده **أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف السدراتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو أديب، وشاعر؛ إلى جانب إلمامه بالعلوم الشرعية، والنحوية، واللغوية؛ ولكنه دون والده.

ـ ثم **محمد بن أحمد السدراتي** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ وهو من الفقهاء، وأهل الفضل.

! ! !

أما مزاتة؛ فهي ـ بدورها ـ بطن من بطون لواتة؛ وبرز فيها رجال تركوا وراءهم ذكرا محمودا؛ منهم:

ـ **أبو عثمان الدكمي المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ استوطن جبل نفوسة؛ حيث عرف فيه باسم **باثمان**؛ وهو من الزهاد المتصوفين؛ تناقل الناس عنه، وعن ابنته **تكفا** حكايات عجيبة؛ تدخل في سياق الأساطير.

ـ ثم **أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ له حظ من العلم، والمال الوفير.

ـ ثم **أبو محمد واسلان بن يعقوب المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية؛ كان في البداية منصرفا عن العلم إلى الرعي، والطرب؛ ولكنه تدراك ما ضاع من عمره؛ فانكب على العلم حتى اكتسب منه ما أغناه.

ـ ثم **أبو الخطاب عبد السلام بن منصور ابن أبي وزجون المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو أحد علماء الإباضية.

ـ ثم **أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وصفه الدرجيني بقوله: **((رأس من رؤوس المذهب، وأعلم علمائه، وشمس من شموسه الكاشفة لظلمائه؛ العلم والأدب حليته))**[1]. كان رأس العلماء السبعة؛ الذين اعتكفوا في غار امجاج؛ بغرض تأليف ديوان في

---

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 409.

الفقه الإباضي؛ وقد تولى كتابته بخطه؛ فنسب إليه؛ بينما هو عمل جماعي.

ـ ثم **أبو إسماعيل البصير إبراهيم بن ملال المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من الزهاد، والصالحين.

ـ ثم **أبو موسى يزيد المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من أهل العلم، والصلاح، وفعل الخير.

ـ ثم ولده **ضمام بن أبي موسى يزيد المزاتي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ سار على نهج أبيه؛ في فعل الخير؛ قال عنه الدرجيني: **((أن بلاد إفريقية أصابتها سنة؛ فاشتدت أحوال أهلها؛ وعدموا القوت؛ حتى ضمت أهل البوادي، وغيرهم إلى بلاد الجريد؛ فانتجعت مزاتة إلى قابس؛ ليمتاروا منها التمر بالدين، والقرض؛ فأتوا ضمام بن أبي موسى؛ يدلون عليه بالقرابة، والأخوة؛ وهو حينئذ عند أهل قابس معروف، وبالخير والصلاح موصوف؛ فسألوه أن يستقرض لهم، ويستدين، ويتحمل عنهم... فشاور والده في ذلك... فقال له: هل يعرفهم أحد؟ قال: لا، قال: وأنت؛ هل يعرفك أهل قابس،**

ويأمنونك؟ قال: نعم، ولا يعرفون غيري؛ فقال له أبوه: دخولك في شئ يستنقذهم من الجوع إذا فرض من الفروض اللازمة؛ إذ كانوا ينتفعون بجاهك أكثر مما ينتفعون بأموالهم؛ فقضى مآربهم أجمعين))[2].

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ كان ملما بعلمي: الأصول، والفروع؛ وله تصنيف في الأصول؛ من مجلدين.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من الملمين بعلمي الأصول، والفروع؛ وتفرغ للتدريس، والإفتاء؛ ولكنه تعرض لمضايقات من طرف المتزمتين للمذهب الإباضي؛ بعدما لاحظوا أنه يطالع كتبا لعلماء المذاهب السنية؛ غير أنه صمد أمامهم؛ إيمانا برأيه.

---

[2] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص ص: 421 ـــ 422.

ــ ثم **ميمون بن أحمد المزاتي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي بدرجين؛ ناله ــ في أواخر أيامه ــ ضيم، وإهمال؛ وقال فيه الدرجيني: **((طال عمره حتى كف بصره؛ فتخلى عن التشديد، وكان يتمنى أن يلقى من يسأله عن المسألة سؤالَ مستفيدٍ؛ فقلما يظفر بسائل، أو بلقاء عارف أو معترف بما أوتي من الفضائل... وحدثني من لا أتهم؛ عن جدي يخلف أنه كان متى حضرته تحفة ذكر عندها السيخ ميمون بن أحمد؛ وكان يحض على إكرامه ويقول: أكرموا ميمون بن أحمد؛ قد اجتمعت فيه الصفات الثلاث: عزيز ذل، وغني افتقر، وعالم بين جهال))**[1].

***

ــ ***مواطنهم:*** من مواطن **لواتة** التي ينتجعون عبرها؛ هي أراضي **برقة**؛ وقد تمتد بهم النجعة إلى **مصر**؛ حيث سكن **واحاتها** عدد كبير منهم. وفي ذلك يقول ابن خلدون: **((ومنهم أيضا بواحات مصر ــ فيما ذكره المسعودي ــ أمة**

---

[1] طبقات المشائخ بالمغرب، ج: 2، ص: 512.

عظيمة بالجيزة؛ التي بينها وبين مصر. وكان لما قرب من هذه القصور؛ شيخهم هنالك بدر بن سالم؛ وانتقض على الترك؛ وسرحوا إليه العساكر؛ فاستلحموا كثيرا من قومه، وفر إلى ناحية برقة؛ وهو الآن في جوار العرب بها... ومنهم أوزاع متفرقون بمصر، وقرى الصعيد؛ شاوية، وفلاحين))[2]. وفي **جبل أوراس** تسكن أمة عظيمة منهم؛ انحازت إلى أبي يزيد في ثورته. وقد استعانت بهم الدولة في جباية الأموال من القبائل الأخرى. ولما ضعفت الدولة الحفصية؛ أصبحت جماعة منهم ــ يعرفون باسم **بني سعادة** ــ في إقطاع الدواودة؛ فاستعملوهم في المهمة التي خصتهم بها الدولة. ومن بقي من أحيائهم: **بنو باديس، وبنو زنجان**؛ دخلوا في طاعة بني مزني؛ أمراء بسكرة، وأرض الزاب. وكانت لبني باديس إتاوات يتقاضونها من **بلدة نقاوس** خلال الشتاء؛ عندما ينسحب الأعراب نحو مشاتيهم في الصحراء. وإذا ما عادوا إلى مصائفهم؛ انسحبت لواتة إلى معاقلها المنيعة في الجبال.

---

[2] العبر، مج: 6، ص: 238.

وتتواجد أعداد كبيرة منهم ــ أيضا ــ بضواحي **تيهرت**؛ حيث كانوا يتنقلون؛ منتجعين في تلك المناطق؛ على **وادي ميناس**. وجاء في العبر: **((يقال أن بعض أمراء القيروان نقلهم معه في غزوة، وأنزلهم هنالك. وكان كبيرهم أورغ بن علي بن هشام قائدا لعبيد الله الشيعي. ولما انتقض حميد بن يصل ــ صاحب تاهرت ــ على المنصور ــ ثالث خلفاء الشيعة ــ ظاهروه على خلافه... وأجاز حميد إلى الأندلس سنة ست وثلاثين؛ وزحف المنصور يريد لواتة؛ فهربوا أمامه إلى الرمال؛ ورجع عنهم))**[1]. وهذه الفئة من لواتة هي التي حاربها بنو وجديجن؛ بسبب إهانة امرأة منهم؛ متزوجة في لواتة. وقد سبق الحديث عنها. ومن جراء تلك الفتنة أجبرت لواتة على النزوح عن ديارها؛ حيث استقرت أحياؤهم خلف الجبل المسمى دارك؛ في التلول، **وخلف الجبال المطلة على متيجة**؛ أين أصبحوا من بين القبائل الغارمة. كما توجد فئة منهم ــ أيضا ــ في الجبال المسماة بهم؛ **جنوب قابس، وصفاقس**. **وبنو مكي؛ رؤساء قابس** منهم.

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 236 ــ 237.

وفي ضواحي بجاية توجد قبيلة من لواتة؛ تحتل سهل تاكرارت؛ فيتوزعونه قطعا؛ لزراعتهم، ومراعيهم. ومن رؤسائهم في تلك الجهات؛ بنو راجح بن صواب.

....

4 ـ بنو نفوس:

وهم **أبناء نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتر**. وكانوا من أعظم القبائل الأمازيغية عددا، وقوة. وهم جميعا ينتسبون إلى بطن واحد ممثلا **بنفوسة**. ومن أحيائهم المعروفة: **بنو زمور**، (وهم غير أبناء زمور البرنسيين). **وبنو ماطوسة**[1]. ويقول عبد الوهاب بن منصور أن بعض أحياء نفوسة اندرجوا ضمن قبيلة **بني خلفون** بالضفة اليمنى لوادي يسر؛ في الجهة الشرقية للجزائر. **وبنو مسكور**. ويقول عنهم عبد الوهاب بن منصور ــ كذلك ــ أن بعضهم مندمجون ضمن قبيلة **آيت ونير**؛ المتواجدة عند زاكورة بالمغرب الأقصى[2].

! ! !

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 230.

[2] قبائل المغرب، ج: 1، ص: 308.

ـ **أعيانهم:** نفوسة كغيرها من قبائل المغرب الإسلامي؛ أنجبت رجالا عظماء؛ بعلمهم، وبكفايتهم؛ ولكن المصادر التي بين أيدينا شحيحة للغاية؛ وإن أسعفتنا؛ فإنها لا تمدنا بما يفي بالغرض. وعليه فإنه تعذر علينا معرفة أعلام نفوسة بدقة، ووضوح. ومع هذا سنذكر أهمهم؛ كما عرفنا عنهم؛ ولا يفوتنا التذكير؛ بأن جل هؤلاء الأعيان ـ وإن لم يكونوا كلهم ـ فهم علماء؛ بالإضافة إلى مناصبهم الزمنية؛ على أن العلوم الغالبة على اهتمام أكثرهم؛ كانت العلوم الشرعية. وهؤلاء الأعيان وهم:

ـ **محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني النفوسي** (من أعلام أوائل القرن الثاني للهجرة)؛ ويعتبر من الرواد النفوسيين الأوائل الداعين للمذهب الإباضي؛ إذ كان قد رحل إلى البصرة؛ أين تلقى العلم من طرف أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وغيره؛ ثم عاد إلى جبل نفوسة؛ لنشر ما تعلمه من علم.

ـ ثم **إسماعيل بن زياد النفوسي**؛ (الذي تغلب سنة 132هـ/749م)؛ على قابس.

ـ ثم **عمرو بن يَمْكِتْن الأَفاطْمَاني النفوسي** (توفي سنة 144هـ/761م)؛ مع أبي الخطاب ـ في وقعة تورغا ـ أمام جيش ابن الأشعث؛ وكان قد بدأ حياته الأولى معلما للقرآن؛ ثم أضحى قائدا في جند أبي الخطاب عبد الأعلى؛ ثم ولاه بعد ذلك أعمال سرت، وأطرافها.

ـ ثم **أبو الحسن أيوب بن العباس النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ كان من الفرسان الأبطال؛ ولاه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم على أعمال جبل نفوسة.

ـ ثم **مَهَدِّي الويغوي النفوسي** (توفي سنة 196هـ/811م)؛ حينما كان في جيش عبد الوهاب ابن رستم المحاصر لطرابلس. وهو من علماء نفوسة الكبار؛ وكان فقيها، ملما بأساليب الكلاميين؛ وهو الذي تصدي لعالم الواصلية من المعتزلة؛ في المناظرة الشهيرة التي عقدت بتيهرت.

ـ ثم **أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو أحد علماء نفوسة الإباضيين؛ ولاه إمام الدولة الرستمية عبد الوهاب ـ بعد موت أبي الحسن أيوب ـ أعمال جبل نفوسة؛ باقتراح من سكان الجبل؛ ولكنه ـ حسبما يقال ـ رفض المنصب؛ وقال: أنا ضعيف؛ الأمر الذي جعل الإمام يصر، ويلح عليه؛ قائلا في رسالته إليه؛ أورد فقرة منها؛ علي يحيى معمر في كتابه الإباضية في موكب التاريخ؛ جاء فيها: **((إن كنت ضعيف البدن فالحق يقويك، وإن كنت ضعيفا في المال فبيت مال المسلمين تقويك، وإن كنت ضعيفا في العلم فعليك بأبي زكرياء اللواتي فاستعن به فيما يستقبل من أمورك))**[1]. فطلب مهلة للتفكير، والاستشارة. ومن الطريف إنه التجأ إلى امرأة في جبل نفوسة؛ ليستشيرها؛ ويبدو أنها كانت من الزاهدات الفاضلات؛ وتدعى **مارن**؛ التي تلقب بجدة العلماء؛ والتي تولت مهمة التدريس في مدرستها. ولما عرض عليها أبو عبيدة مشكلته قالت: **((إن تقدمت فأنت في**

---

[1] الحلقة: 2، القسم: 1، ص ص: 90 .

النـــار، وإن تأخـــرت فأنـــت في النـــار...إن تقدمـــت وأنـــت تعـــرف أن في المسلميـــن مـــن هـــو أكفـــأ منـــك؛ فأنـــت في النـــار، وإن تأخـــرت وأنـــت تعلـــم أنـــك أكفـــأ المسلميـــن؛ فأنـــت في النـــار))[2]. بهـــذه الطريقـــة جاوبتـــه، وتركـــت لضميـــره الخيـــار؛ ففكـــر في الأمـــر مليـــا ثـــم أعلـــن قبولـــه بالولايـــة.

ـ ثـــم **العبـــاس بـــن أيـــوب بـــن العبـــاس النفـــوسي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الثالـــث للهجـــرة)؛ ولي أعمـــال جبـــل نفوســـة بعـــد وفـــاة أبي عبيـــدة؛ في عهـــد أفلـــح بـــن عبـــد الوهـــاب؛ وهـــو ولـــد أيـــوب عامـــل الجبـــل الأول.

ـ ثـــم **أبـــو يونـــس وسيـــم بـــن يونـــس النفـــوسي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الثالـــث للهجـــرة)؛ ولي أعمـــال قنطـــار بالجريـــد مـــن طـــرف أفلـــح بـــن عبـــد الوهـــاب بـــن رستـــم.

ـ ثـــم **سعـــد بـــن وسيـــم بـــن يونـــس النفـــوسي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الثالـــث للهجـــرة)؛ ولاه أفلـــح بـــن عبـــد الوهـــاب مكـــان أبيـــه كعامـــل عـــلى قنطـــار بالجريـــد.

---

[2] الحلقـــة: 2، القســـم: 1، ص: 92.

ـ ثم **نفاث بن نصر النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ نسب إليه الدرجيني حركة ما أسماه بالافتراق الثالث في الإباضية؛ ومرد ذلك كما يقول: هو حسده لرفيق دراسته؛ سعد بن وسيم؛ الذي فضله الإمام عليه؛ في ولاية قنطنار؛ وبذلك شرع في الإعلان بمخالفته لتصرفات للإمام أفلح؛ ثم أظهر بعض الاجتهادات الفقهية؛ المخالفة لما اتفق عليه.

ـ ثم **أبو ذر أَبان بن وسيم النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة؛ في عهد أفلح بن عبد الوهاب. ويعتبر من أنبغ علماء نفوسة، وأبصرهم بالأحكام الشرعية. ومن الأمثلة على سرعة بديهته؛ أنه سُئِل يوما: ما هي فتوى من حلف لزوجته بالطلاق أن لا يزوج ابنتهما للذي يحبانه، أو للذي يكرهانه؟ فأجاب السائل بسرعة: يزوجها لمن لا يعرفان.

ـ ثم مجموعة من الأعلام؛ هم: **أبو زكرياء التكوتي النفوسي، وأبو مرداس مهاصر النفوسي، وأبو ميمون الجيطالي النفوسي، وأبو المنيب محمد بن يانس النفوسي، وأبو خليل**

اليدركلي النفوسي، وأبو مهاصر موسى بن جعفر النفوسي، وأبو مسور يصنيتن النفوسي (كلهم من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهم جميعا من علماء نفوسة الإباضيين.

ـ ثم **أبو منصور إلياس النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي أعمال جبل نفوسة في عهدي: أبي اليقظان، وأبي حاتم؛ وفي وقته زحف العباس بن أحمد بن طولون على برقة، وطرابلس؛ حيث تصدى له أبو منصور إلياس؛ ضمن مقاتلين من إباضيِّي نفوسة؛ وذلك في سنة 267هـ/880م؛ بالمكان المعروف بقصر حاتم؛ فتكبد الجيش الغازي هزيمة منكرة.

ـ ثم **أفلح بن العباس بن أيوب بن العباس النفوسي** (من أعيان النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ ولي في البداية أعمال نفوسة في عهد أبي اليقظان؛ أقيل مرتين؛ ثم أعيد في كل مرة؛ وفي عهده حدثت وقعة قصر مانو؛ (وهو موقع أثري على ساحل البحر)؛ وذلك في عام 283هـ/896م؛ بين جيش الأغالبة، ومقاتليه من إباضية نفوسة؛ فانتصر فيها إبراهيم بن أحمد

بن الأغلب؛ وكانت هذه الوقعة بداية النهاية لعنفوان نفوسة.

– ثم **عَمْروس بن فتح المساكين النفوسي** (توفي في وقعة مانو سنة 283هـ/896م)؛ وهو من علماء المذهب الإباضي؛ ولي في منصب قضاء نفوسة؛ في عهد أبي منصور إلياس؛ وله مؤلفات في اختصاصات شتى منها: الفقه، وعلم الكلام، والأصول، وغيره؛ أشهرها كتاب العمروسة.

– ثم **أبو محمد عبد الله بن الخير النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث)؛ بايعه سكان جبل نفوسة لكي يتولى حكم الجبل؛ بعد سقوط الدولة الرستمية.

– ثم **أبو محمد ملي الأيدرفي النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو من الزهاد الصالحين.

– ثم **أبو يحيى زكرياء الأرجاني النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ توفي في وقعة تيكرت بالجبل؛ التي انتصر فيها النفوسيون على جيش عبيد الله الشيعي؛ ولكن موته تمت بواسطة طعنة غادرة؛ صدرت من بين صفوف أنصاره .

ـ ثم **أبو زكرياء بن أبي يحيى الأرجاني النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) توفي أثناء عودته من معركة بين نفوسة وبين الأغالبة؛ وبالطريقة نفسها التي قتل بها والده؛ أي بطعنة غادرة.

ـ ثم **زيد بن أفصيت الدرفي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) تولى حكم الجبل بوصية من أبي زكرياء.

ـ ثم **أبو يحيى سليمان بن ماطوس الشَّرْوَسي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان مدرسا للعلم في مدرسته التي فتحها لطلاب العلم، والمعرفة؛ وكان مصدرا للفتوى والحكم بجبل نفوسة.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن يونس الجلالمي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان ملما بعلوم: الأصول، والمنطق، والرياضيات، وكان يقول عن الفقه: "**علم العجائز**"؛ أسس مدرسة نموذجية في منهجها، وفي محتوى ما تقدمه من علوم.

- ثم أبو الربيع سليمان بن زرقون التابديوتي النفوسي (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) تلقى في البداية العلم عن العالم الإباضي المشرقي ابن الجمع؛ الذي التقى به في توزر، ورافقه إلى سجلماسة؛ حيث استكمل تعليمه في تلك المدينة مع أبي يزيد مخلد بن كيداد؛ ولكن اختلفت آراؤهم فيما بعد. وسرد الدرجيني بعض الروايات التي تظهر تباين أفكارهما؛ من ذلك: ((وحدث غير واحد من أصحابنا أن أبا الربيع، وأبا يزيد مخلد بن كيداد خرجا ذات مرة في بعض شؤونهما؛ فنزلا على حي من أحياء الوهبية؛ فأضافوهما، ولم يحتفلوا بهما كبير احتفال، ولا أحسنوا قراهما؛ فوقع من ذلك في نفس أبي يزيد شر. ثم مرا بحي من أحياء النكارة؛ فأكرموا مثواهما، وأحسنوا قراهما؛ فقال أبو يزيد لأبي الربيع: "ألا ترى ما بين الرجال والرجال؟ فهل لك في الرجوع إلى مذهب هؤلاء"؟ فقال له أبو الربيع: "لست أريد عرض الدنيا؛ فيما هو أجل من هذا؛ فأبتغيه بديني؛ فكيف بالشيء الحقير أبذل بسببه ديني. ولو كان مرادي طلب الأمور

الدنيوية؛ لنلت جليلها بعلمي؛ ولكن الآخرة خير لمن اتقى؛ والذي تشير به والله لا أفعله أبداً"؛ فافترقا. وانطلق ابن كيداد؛ فأظهر ما وقع في نفسه؛ من اعتقاد مذهب النكارة، وترك مذهب الوهبية. فخاب، وحاب حوبا كبيرا؛ لما أراد الله من شقاوته؛ فخسر نفسه، ودينه، ودنياه؛ نعوذ بالله من سوابق الشقاء))[1]. ولما عاد إلى بلاد الجريد تصدى للنكارة، وحارهم بالمنطق، والحجة. يقال أنه رافق شيخين ورعين؛ في سفر أيام شتاء شديد البرد؛ فوصلوا إلى غدير في وقت الصلاة؛ فتباينت آراؤهم في وجوب التيمم؛ فتوضأ أحدهما بالماء البارد؛ بينما اكتفى أبو الربيع ابن زرقون، وصاحبه الآخر بالتيمم؛ وبعد مدة أصيب ذلك الشيخ ــ المتمسك بالوضوء ــ بعلة بسبب البرد؛ فقال له ابن زرقون: ((لم تجز لنفسك أن تتيمم لصلاة واحدة؛ فتيمم الآن لصلوات عدة)).

---

[1] طبقات المشائخ، ج: 1، ص: 111.

ـ ثم **أبو محمد زيد بن أفْصيت الدَّرَفي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) حكم جبل نفوسة بانتخابه من طرف أهل العقد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن جلداسن اللالَّاوُتي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع) حكم جبل نفوسة باتفاق أهل العقد.

ـ ثم **أبو زكرياء بن أبي عبد الله التَّنْدَمِيرْتي النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع) حكم جبل نفوسة باتفاق أهل العقد.

ـ ثم **أبو هارون موسى بن هارون النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة) كان مفتيا بجبل نفوسة؛ ثم زكاه أهل العقد لتولي حكم الجبل.

ـ ثم **أبو عمرو ميمون بن محمد الشروسي النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) حكم جبل نفوسة؛ بانتخابه من طرف أهل العقد.

ـ ثم **أبو الفضل سهل النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) من حكام جبل نفوسة.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن سفيان اللآلوتي النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) تولى الحكم في جبل نفوسة بتزكية من أهل العقد.

ـ ثم **أبو الربيع سليمان بن أبي هارون النفوسي** (من أعيان النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة) من الذين حكموا جبل نفوسة؛ باتفاق أهل العقد.

ـ ثم **أبو سهل النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ كان مترجما للإمام بتيهرت؛ ويعرف بالفارسي لكون أمه رستمية؛ أما آخرون فينسبونه إلى الفرس؛ وقال عنه الدرجيني: **((غلبت عليه هذه العزوة الفارسية؛ وليس بفارسي؛ وإنما هو نفوسي؛ ولا شك أن أمه رستمية من بيت الإمامة؛ فغلب نسبها عليه، واشتهر به. وقيل هو رستمي أبا وأما؛ وأن أباه ولد لميمون بن عبد الوهاب رحمه الله؛ تمسك من العلوم بسبب؛ فليس برأس فيها ولا ذنب؛ إلا أن الغالب: همل الدموع، والتلهف على فائت ليس له رجوع؛ فجعل هجيراه مراثي الدين وأهله، والبكاء عليه بوابل الدمع وطله؛ حتى دونت**

الدواوين من كلامه، وانتشر في الآفاق حسن نظامه؛ وقد أعجز المراثي بما أوعظ؛ فلها بذلك في النفوس أحسن موقع، وأوفر حظ. وجميع ما حفظ من ذلك فإنما هو بلسان البربر، وأكثره بالصواب حدا؛ فقف على دواوينه تكن عليه مترجما، ولا ترمها إذا لم تجد لها مترجما... وذكر أن قبر أبي سهل بالموضع المذكور [مرسى الدجاج**] ويُزار؛ حتى أن صنهاجة كانت ــ حينئذ ــ تزوره؛ وربما قال قائلهم: انطلقوا إلى قبر النادب ذنبه، ودينه؛ وهذا مما يصحح أنه بجزائر بني مزغنان؛ لأنها بلاد صنهاجة))**[1]. وتلك الدواوين التي ذكرها الدرجيني مكونة من اثني عشر كتابا باللغة الأمازيغية؛ ألفها للإباضية من بني درجين بالجريد.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من العلماء الذين تحلوا بالعلم، وعمل الخير؛ فكان يدرس للطلبة، ويتكفل بإطعامهم، وكسوتهم من ماله الخاص.

[1] طبقات المشائخ، ج: 1، ج: 2، ص ص: 351 ــ 352.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي** (من أعلام النصف الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من كبار علماء الإباضية بوادي ريغ؛ كما أنه هو مرتب سيرة الحلقة؛ التي تنظم تعليم العزابة.

ـ ثم **يخلف بن يخلف التميجاري النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من علماء الإباضية بالجريد؛ ويبدو أنه كان متفتحا على المذاهب الأخرى، غير متعصب لمذهبه؛ حتى أنه كان مقصودا من أبناء المذاهب المختلفة؛ طلبا للرأي، والفتوى.

ـ ثم ولده **علي بن يخلف النفوسي** (من أعلام النصف الثاني من القرن السادس)؛ وهو من علماء الإباضية المشتغلين بعلوم الدين؛ دون غيره؛ وكان يعاتب بعض أصحابه على ميلهم إلى فنون الأدب، والشعر؛ وقد أورد الدرجيني حكاية وقعت بينه وبين خلف ابن خلف المدعو بالزناد الوارجلاني: **((وعظه يوما فقال: "أقلع عن هذه الأشعار فقد أكثرت، واشتغل بالفقه"؛ فقال مرتجلا:**

دَعْـــنِي بِفِقْهِكَ يابْنَ يخْلف إنَّـــنِي
رَجُـــلٌ غَـــدَا بفَوَائِـــدِي الأشْعَـــارِ
إنَّ التَّفقُّـــهَ وَالتَّنَسُّـــكَ وَالتُّـــقىَ
أنْســـاكَ ذِكْـــرَ الخِـــرِّدِ الأبْكَـــارِ

ولا أقـــول أن هـــذا في الزنـــاد مجـــون، أو نقلتـــه مما عبـــر عنـــه لســـان شجـــون؛ بـــل إنمـــا حنينـــه إلى الأدب؛ فجعـــل لـــه صفـــات المجـــون))[1].

ــ ثـــم **أبـــو العبـــاس أحمـــد بـــن سعيـــد بـــن سليمـــان الدرجيـــني النفـــوسي** (تـــوفي حـــوالي سنـــة 670هـــ/1271م)؛ مـــن العلمـــاء المهتميـــن بالتاريـــخ؛ إذ ألـــف كتـــاب طبقـــات المشائـــخ بالمغـــرب؛ وهـــو خـــاص بمشائـــخ الإباضيـــة. وقـــد نسبـــه صالـــح باجيـــه ــ في أطروحتـــه الجامعيـــة المسمـــاة: الإباضيـــة بالجريـــد؛ في العصـــور الإسلاميـــة الأولى ــ إلى نفوســـة؛ وبالتحديـــد إلى بلـــدة تميجـــار؛ ملحقـــا إيـــاه بعـــلي بـــن يخلـــف ابـــن يخلـــف؛ أمـــا محقـــق كتـــاب الدرجيـــني المســـمى طبقـــات المشائـــخ بالمغـــرب؛ إبراهيـــم طـــلاي؛ فنسبـــه إلى مزاتـــة؛ متدرجـــا بالنســـب إلى مـــن يســـمى عـــلي ابـــن يخلـــف المـــزاتي. ومـــن

---

[1] طبقـــات المشائـــخ، ج: 1، ص: 516.

جهة أخرى ذكر الدرجيني اسم يخلف من بين أجداده؛ ولكنه لم يحدد أي يخلف يقصده.

***

ـ ***مواطنهم:*** يقول ابن خلدون: **((كانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس، وما إليها. وهناك الجبل المعروف بهم. وهم على ثلاث مراحل قبلة طرابلس؛ يسكنه اليوم بقاياهم. وكانت مدينة صبرة قبل الفتح في موطنهم، وتعزى إليهم؛ وهي كانت باكورة الفتح لأول الإسلام. وخربها العرب بعد استيلائهم عليها؛ فلم يبق منهم إلا الأطلال، ورسوم خافية. وكان من رجالاتهم اسماعيل بن زياد المتغلب على قابس سنة اثنتين وثلاثين ومائة لأول الدولة العباسية. ومنهم لهذا العهد أوزاع متفرقون في الأقطار؛ بعمالات مصر، والمغرب))**[1]. ويصف محمد علي دبوز جبل نفوسة بقوله: **((إذا جئت غرب طرابلس، وصعدت إلى جبال نفوسة الشماء؛ وجدت معادن العلم، والعبقرية... وكان جبل نفوسة الأشم يشتمل على مدن كثيرة؛ كانت**

---

[1] العبر، مج: 6، ص : 230.

مراكز لنواحيه، وقواعد لجهاتها. وكانت عاصمته هي مدينة شَرْوَسْ وَجَادُوا؛ ومن مدنه الكبرى: نَالُوتْ، وَكَبَاوْ، وَيَفْرَنْ، وَمِيرِي))[1].

هذا ما أمكن معرفته من معلومات تتعلق بقبيلة نفوسة. وتجدر الملاحظة ـ هنا ـ أن أخبارهم وأخبار بني سمكان كلهم؛ يكتنفها غموض كثيف. بسبب شح المصادر، وندرتها من جهة؛ والاختلافات المذهبية من جهة أخرى. وبهذا.. نكون قد أتممنا الحديث عن القبائل البترية؛ وبقي علينا الخوض في أخبار القبائل البرنسية.

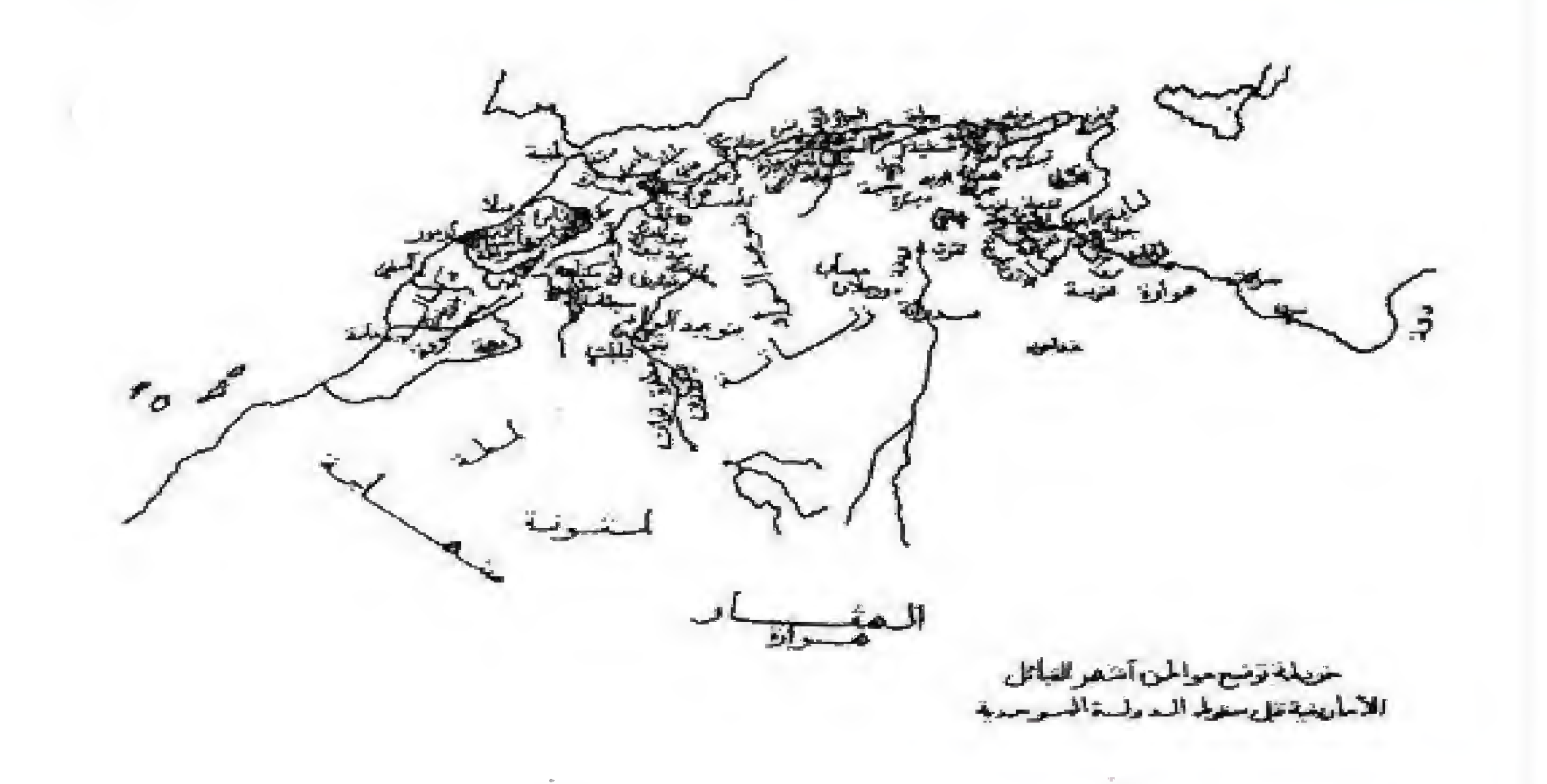
***

هذا ما تيسر من موضوع القبائل البترية. وسيلي هذا الجزء الأول من كتاب القبائل الأمازيغية ـ إن شاء الله ـ الجزء الثاني الذي يعالج موضوع القبائل البرنسية..

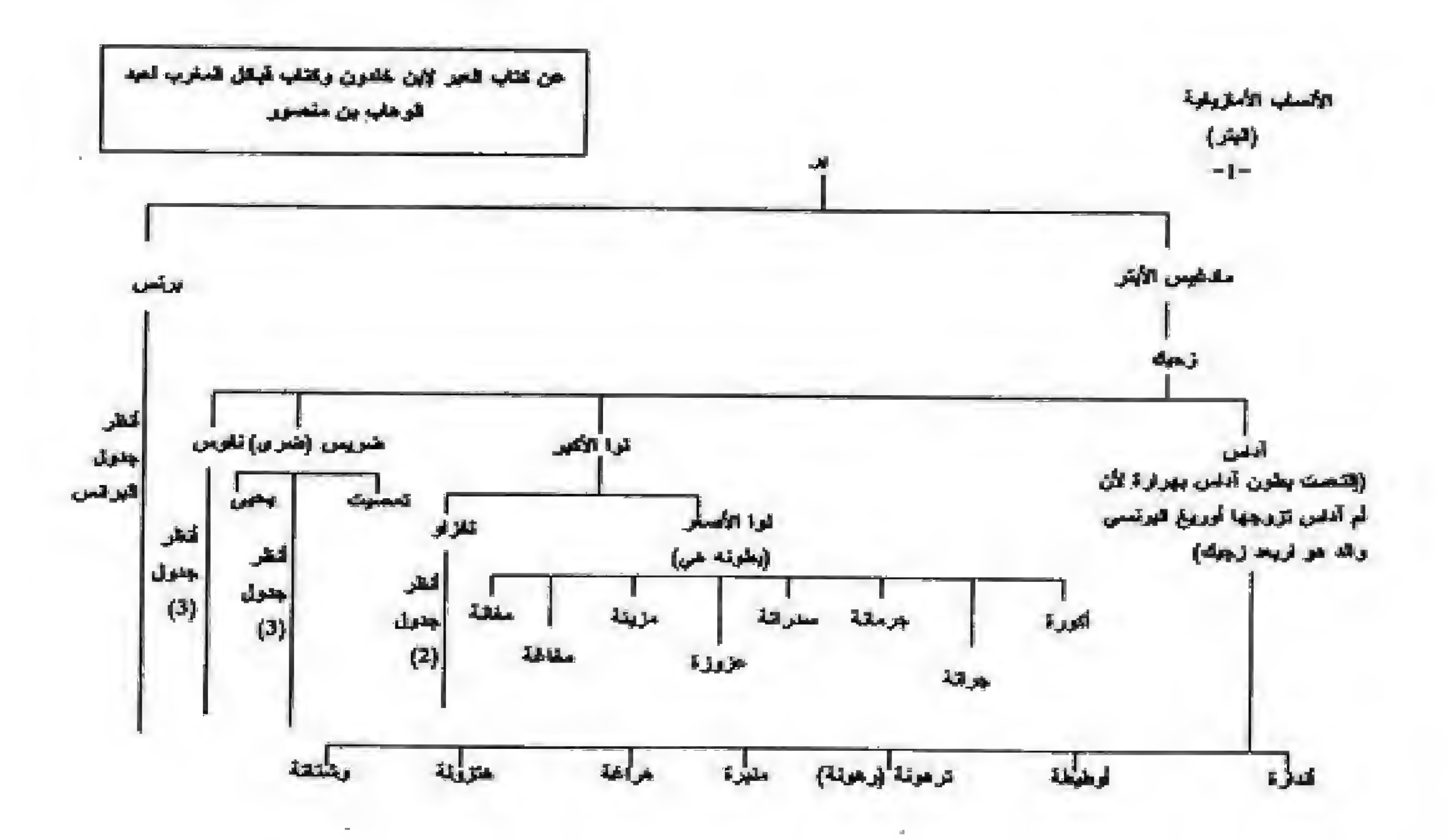
---

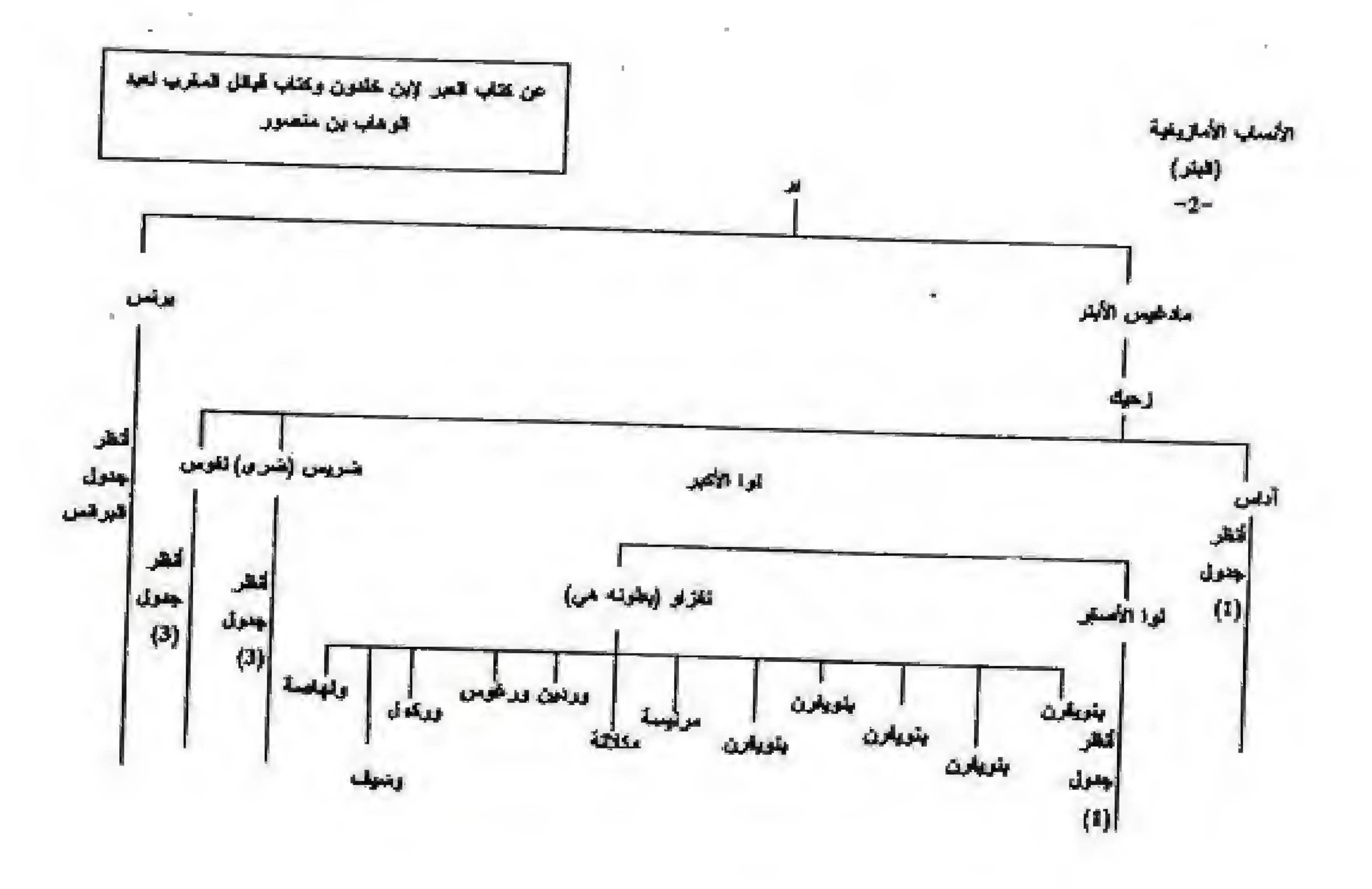
[1] تاريخ المغرب الكبير، ج: 3، ص: 375.

لوحات توضيحية

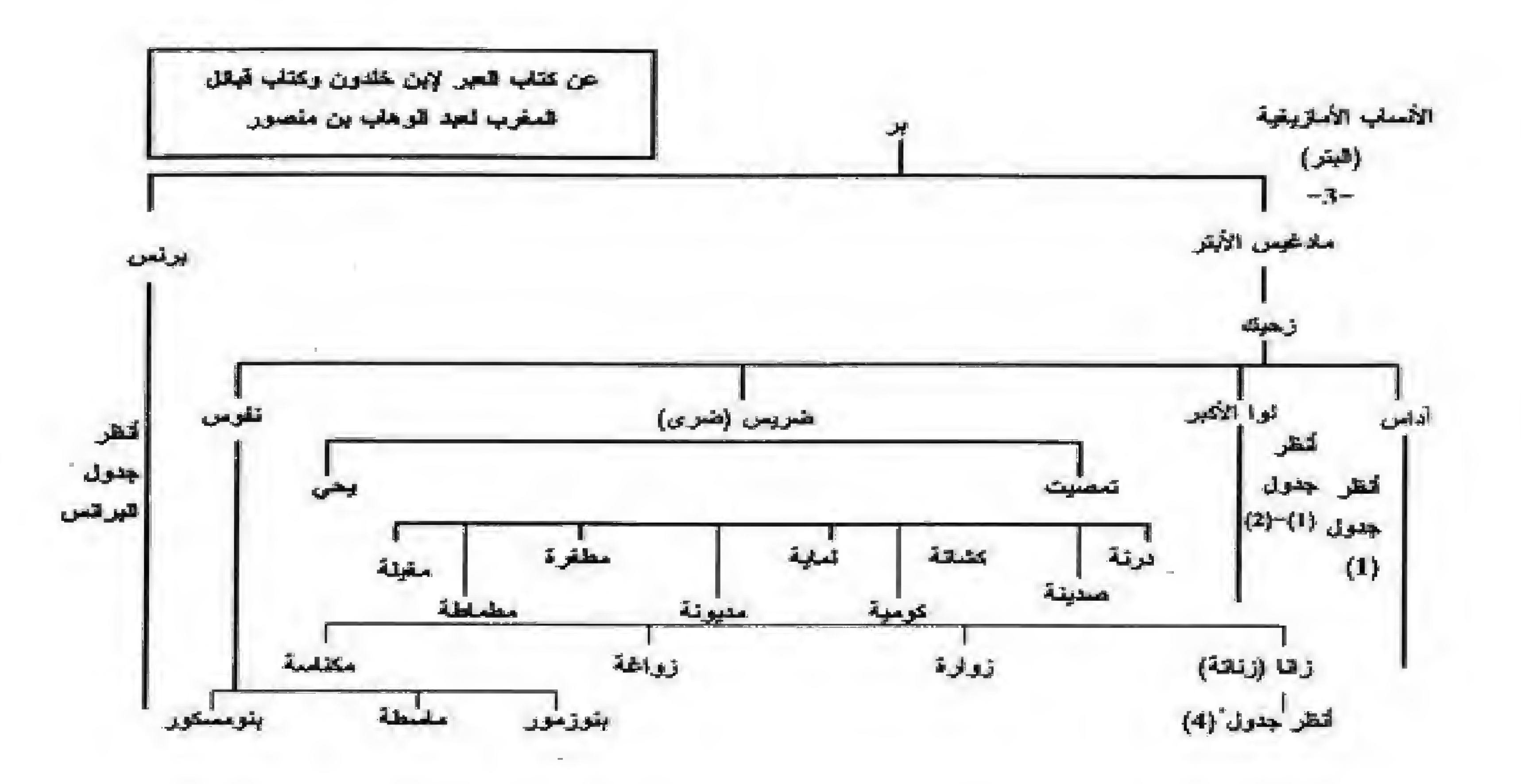


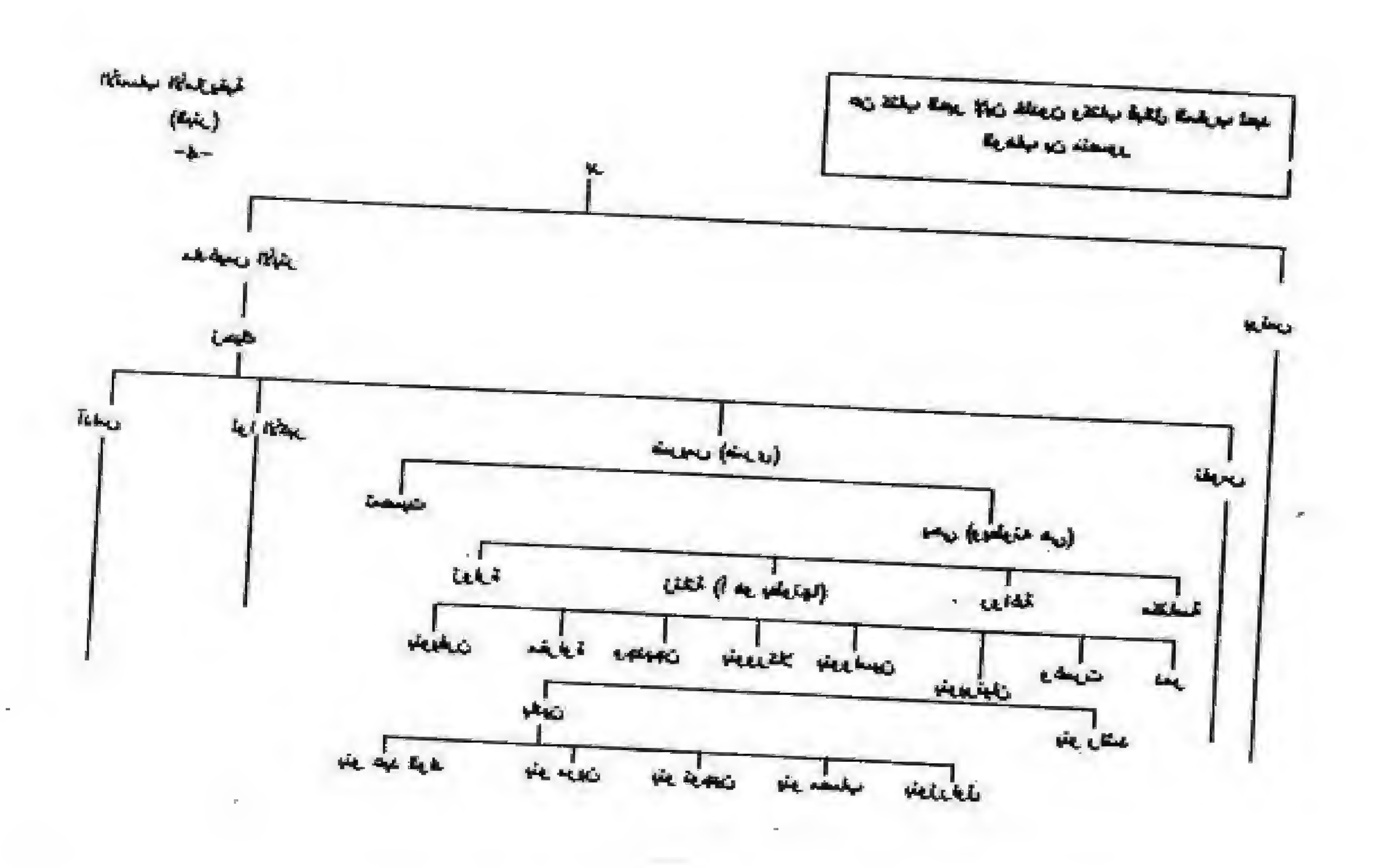
خريطة توضح مواطن أشهر القبائل
الأمازيغية قبل سقوط الدولة الموحدية


الأنساب الأمازيغية
(البتر)
-1-
عن كتاب العبر لابن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
مادغيس الأبتر
زجيك
آداس
(اختصت بطون آداس بهوارة لأن أم آداس تزوجها أوريغ البرنسي والد هو اربعد زجيك)
لوا الأكبر
لوا الأصغر
(بطونه هي)
أكورة
جرمانة
جراوة
سدراتة
عزوزة
مزيتة
مغاغة
مكناسة
نفزاو
أنظر
جدول
(2)
ضريس (ضري) ناوس
تمصوت
يحيى
أنظر
جدول
(3)
برنس
أنظر
جدول
البرانس
أندارة
أوطيطة
ترهونة (رهونة)
مليلة
غراغة
هنزولة
وشتاتة



الأنساب الأمازيغية
(البتر)
-2-
عن كتاب العبر لابن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
برنس
مادغيس الأبتر
زحيك
انظر جدول البرانس
ضريس (ضري) لقوس
لوا الأكبر
آداس
انظر جدول (1)
انظر جدول (3)
تفزاو (بطونه هي)
لوا الأصغر
ولهاصة
ورنفو
ورتغوس
ورتين
مكلاتة
مرنيسة
بنويارن
انظر جدول (1)
وشوف


الأنساب الأمازيغية
(البتر)
-3-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل
المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
مادغيس الأبتر
برنس
أنظر
جدول
البرانس
زحيك
أداس
أنظر
جدول
(1)
لوا الأكبر
أنظر
جدول (1)-(2)
ضريس (ضرى)
نفوس
تمصيت
يحي
درنة
صدينة
كشانة
كومية
لماية
مديونة
مطغرة
مطماطة
مغيلة
زاقا (زناتة)
أنظر جدول (4)
زوارة
زواغة
مكناسة
بتوزمور
ملمطة
بنومسكور



فهرس المحتويات

بوزياني الدراجي

سلسلة العصبية القبلية



دار الكتاب العربي
للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة

حي العناصر عمارة 309 رقم 03. القبة. الجزائر
الهاتف/فاكس: 021 31.44.51
الجــوال: 070 91.77.73

تأليف: بوزياني الدراجي
تصميم الغلاف: لويزة الحسين
الإخراج الفني: فراس الجهماني

الإيداع القانوني: 153-2007
ردمــك: 978-9947-833-00-1

بوزياني الدراجي
القبائل الأمازيغية ج2، تصميم الغلاف لويزة الحسين، الإخراج الفني فراس الجهماني .- الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007.- 263ص.، 23سم

بوزياني الدراجي

القبائل الآمازيغية

أدوارها - مواطنها - أعيانها

الجزء الثاني



دار الكتاب العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تم إصدار الجزء الأول الذي خصص لبحث الأصول الأولى لسكان بلاد المغرب، وتتبع أحوال أولئك السكان منذ العصور الحجرية الأولى؛ وحتى الفتح الإسلامي. وعليه فمن بين المواضيع التي بحثت في الجزء الأول:

- الجذور الأولى للمجتمع الأمازيغي.
- لغة الأمازيغ وآدابهم.
- الفنون لدى سكان بلاد المغرب قديما.
- النظام القبلي في هذه الديار.
- الهجرات.
- ثم دراسة نشاطات القبائل البترية في بلاد المغرب؛ وذلك من خلال التوسع في معالجة أخبارهم الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ إذ تم التطرق للأدوار المختلفة التي لعبتها تلك القبائل، وتحديد مواطنها الأصلية والانتقالية؛ وبعدها توسع البحث في تعريف وترجمة أهم أعيان وأعلام تلك القبائل البترية؛ مع ذكر كل ما لهم من مواهب وقدرات ثقافية وسياسية وعسكرية. كما ذكرت عينات من مؤلفاتهم وإبداعاتهم الفكرية والدينية والأدبية.

هذا عن القبائل البترية التي شملها الجزء الأول من كتاب القبائل الأمازيغية. أما الجزء الثاني الذي نضعه أمام القارئ الكريم الآن؛ فيشمل كل ما له علاقة بالقبائل البرنسية. من خلال تتبع أحوالهم الاجتماعية والسياسية؛ وذلك عند الكلام عن نشاطاتهم الحثيثة؛ في سبيل إنشاء دول لهم في بلاد المغرب والأندلس.

بالإضافة إلى الإشارة لما حصل من أدوار عسكرية وسياسية كان قد قام بها أبناء تلك القبائل.

وكما جرى في الجزء الأول بالنسبة للقبائل البترية؛ فقد حددت – **أيضا** – المواطن الأصلية والانتقالية للقبائل البرنسية. بالإضافة إلى ذكر أعيان القبائل البرنسية؛ مع سرد مؤلفاتهم، والإشارة لما أنتجوه من إبداعات، وما أنجزوه من آداب وفنون وعلوم.

هذا وقد ألحقنا بالكتاب – **أيضا** – بعض اللوائح التوضيحية؛ التي تشير إلى شجرات الأنساب الخاصة بالقبائل البترية والقبائل البرنسية؛ بالإضافة إلى الخرائط التي توضح – **جغرافيا** – مواطن تلك القبائل في بلاد المغرب كلها.

وفي هذا السياق.. أنتهز الفرصة للتنويه بالعمل الجليل الذي قام به **مدير دار الكتاب العربي السيد محمد خير الجهماني** وولداه: **مهند وفراس** والرسامة **لويزة الحسين**؛ حينما سهروا بجدية على إصدار الجزء الأول من كتاب القبائل الآمازيغية في ذلك الثوب الأنيق المتقن؛ متمنيا أن يواصلوا جهودهم القيمة في سبيل إكمال ما بقي. وأنا على يقين من حبهم لعملهم، ومن حرصهم على إتقانه. كما أقدم شكري الجزيل للصحف الجزائرية التي لم تبخل بالإعلان عن صدور الكتاب وهي: **صوت الأحرار، الشعب، كواليس، الخبر، أخبار العاصمة والأصيل.**

الجزائر في 2000.05.05

بوزياني الدراجي

"

القبائل البرنسية

مرَّ اسم **برانس** بالظروف نفسها التي مر بها اسم **بتر**؛ حيث أصبحت يتردد بين الناس، وبين صفحات الكتب بعد الفتح الإسلامي. ولا يعرف – بيقين – إن كانت هاتان التسميتان من وضع المسلمين؛ أم هي من التسميات التي أطلقها الأمازيغ على أنفسهم، ثم ورثها المسلمون عنهم. غير أن بعضهم قد زعم بأن المسلمين هم الذين ابتكروا الاسمين؛ فأطلقوا اسم **بتر** على القبائل الأمازيغية التي يرتدي أبناؤها لباسا قصيرا؛ **مبتورا**. واسم **برانس** على أبناء القبائل الذين يرتدون اللباس المسمى **بالبرنوس**.

ومن جهة أخرى رأى بعض الباحثين أن البرانس هم القبائل الأمازيغية المدرية المتمدينة، والمستقرة بمدن، وقرى إفريقية، والمغربين؛ وعليه.. يصبح البتر هم أبناء القبائل الوبرية؛ ذات النجعة. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك أثناء الحديث عن القبائل البترية. على أنه يستحسن

"

التذكير بالظروف التي كانت تحيط بقبائل برنسية مثل: **لمتونة، ومسوفة، ولمطة، وهوارة**...الخ. وهي التي تعد من بين القبائل الموغلة في البداوة، والتي تصنف ضمن القبائل الجمالة؛ ذات النجعة البعيدة في أعماق الصحراء. وبالمقابل.. نرى بعض القبائل البترية قد اختارت حياة المدر، والاستقرار في القرى، والمدن المتحضرة. مثل قبائل: **كومية، ومطغرة، ونفوسة، ومغيلة**..الخ. ومن هنا تتضح صعوبة الجزم بهذا الرأي الأخير بسبب تعذر تعميمه..

وما يمكن إجماله ــ هنا ــ هو أن البرانس فئة عظيمة من الأمازيغ. وقد يكون هذا الاسم مستمدا من الكلمة اليونانية Baranos **برانوس**؛ التي تمت الإشارة إليها من قبل، أو يكون أخذ من اسم شخص معين؛ تنتسب إليه هذه الفئة من الأمازيغ؛ التي تضم عددا كبيرا من القبائل العظيمة؛ وقد حصرها ابن خلدون في عشر كتل؛ هي: **ازداجة، وأوربة، وأوريغة، وصنهاجة، وعجيسة، وكتامة، وكزولة، ولمطة، ومصمودة، وهسكورة**.[1] وسنتكلم عن

[1] ابن حزم؛ الجمهرة، ص ص: 495 ــ 498. ابن خلدون؛ العبر، مج: 6، ص ص: 177 ــ 178.

"

هـــذه القبائـــل، أو الكتـــل القبليـــة في سيـــاق الموضـــوع؛ واحـــدة بعـــد أخـــرى.

....

1 ــ ازداجـــــة:

تعـــرف ــ كذلـــك ــ باســـم **وزداجـــة**. ولـــم تذكـــر المصـــادر المتوفـــرة اســـم أبيهـــم، أو سلسلـــة الآبـــاء الـــتي تصلهـــم ببرنـــس. ويـــرى بعضهـــم أن ازداجـــة، ووزداجـــة قبيلتـــان متباينتـــان؛ فالأولى تنتســـب إلى زناتـــة البتريـــة؛ بينمـــا تنتـــمي الثانيـــة إلى هـــوارة البرنسيـــة. وكانـــت ازداجـــة ــ في أول أمرهـــا ــ وافـــرة العـــدد، نافـــذة الشوكـــة، عزيـــزة الجانـــب. وسُجلـــت لأبنائهـــا صـــولات، وجـــولات، وفتـــن، وحـــروب؛ قلصـــت أعدادهـــم، وأفنـــت أبطالهـــم. وقـــد تمكنـــت **ازداجـــة** ــ بعصبيتهـــا المتناميـــة في عصرهـــا الذهـــبي ــ مـــن تشيـــد دولتهـــا في **نكـــور**؛ بعـــد الإطاحـــة بدولـــة بـــني صالـــح؛ ولكنهـــا لـــم تـــدم طويـــلا؛ إذ أسقطتهـــا ــ هي بدورهـــا ــ جيـــوش لمتونـــة؛ سنـــة 460هـــ/1067م؛ كمـــا التهمـــت غيرهـــا مـــن الـــدول.

"

ومن بطون ازداجة التي ذكرها النسابون: **مسطاسة، ومسكن.** غير أنهم اختلفوا بخصوص مسطاسة؛ إذ يرى بعضهم أن بني مسطاسة ليسوا من بطون ازداجة؛ وإن كانوا مندرجين معهم؛ بحكم الأخوة. أما بنو مسكن فكانت مواقفهم مذبذبة؛ حينما يتعلق الأمر بالولاء للدولة. وبحكم وجودهم بجوار مدينة وهران؛ فقد اشتدت الضغوط عليهم؛ من طرف الطامعين في الاستيلاء على تلك المدينة الهامة. هذا.. وقد انتهى الحال **بازداجة** إلى الشتات، والاندثار؛ بعد أن عانى أبناؤها الذل، والهوان؛ في ظل الدول القوية؛ التي فرضت عليهم الضرائب، والغرامات.[1] ومع ذلك فقد تمكن قبيل أزداجة من إقامة دولة لهم بنكور؛ بعد انتزاعها من بني صالح؛ وذلك عام 410هـ/1019م.

! ! !

[1] ـ العبر، مج: 6، ص ص: 293 ــ 295. 444. ابن الخطيب أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص: 179. دور كتامة، ص ص: 68 ــ 69.

"

ـ ***أعيانهم:*** من العلماء المعدودين في أزداجة:
ـ **أبو علي المنصور الزموري المسطاسي** (توفي بآزمور سنة 540هـ/1145م)؛ وهو من الشيوخ الصالحين. وكان قد تلقى علومه بقرطبة.
ـ ثم حفيده الشيخ **أبو يعقوب يوسف المسطاسي.**

أما زعماؤهم وأعيانهم المذكورين؛ فمنهم:
ـ **شجرة بن عبد الكريم المسطاسي**؛ هكذا سماه ابن خلدون؛ أما صاحب مفاخر البربر فسماه **شجرة بن عبد الله** (هاجر إلى الأندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة).
ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي دليم بن خطاب** (توفي بقرطبة سنة 338هـ). هاجر ـ هو الآخر ـ إلى الأندلس من ساحل تلمسان؛ وكان له خلف صالح في تلك الديار؛ منهم الفقهاء؛ الذين تركوا أثرا محمودا. أشار إليهم ابن خلدون بقوله: **((وكان لبنيه بها ذكر، وفي فقهاء قرطبة مكان)).**[1] كما أشار إليهم أيضا ابن حزم في الجمهرة.

---
[1] العبر، مج: 6، ص ص: 294.

"

ـ ثـم **خـزرون بـن محمـد الأزداجي** (مـن أعـلام النصـف الثـاني مـن القـرن الرابـع للهجـرة)؛ وهـو أحـد النازحيـن؛ مـن زعمـاء أزداجـة إلى الأندلـس؛ بعـد نكبـة قبيلـة أزداجـة، واستلحـام أبنائهـا؛ مـن طـرف يعـلى ابـن محمـد اليفـرني سنـه 343هـ. وباستقـرار خـزرون هـذا في تلـك الديـار أصبـح مـن الأصدقـاء المقربيـن للمنصـور بـن أبي عامـر، وولـده المظفـر.

OOO

أمـا أمـراء دولـة أزداجـة فهـم:

ـ **يعـلى بـن الفتـوح الأزداجي** (ت: سنـة 423هـ/1031م)؛ وهـو مؤسـس الدولـة الأزداجيـة بنكـور. قـال عنـه ابـن الخطيـب: **((واستـولى عليهـا** [أي نكـور] **يعـلى بـن الفتـوح الأزداجي؛ مستظهـرا بوفـور قبيلـه مـن أزداجـة؛ فبايعتـه قبائـل البربـر، وقتـل مـن بـقي بنكـور مـن أولاد صالـح، وجرثـم** [بـن عبـد السميـع] ، **ونـفى قومـا منهـم)).**[1]

---

[1] أعمـال الأعـلام، ق: 3، ص: 179.

"

ـ ثم ولده **يوسف بن يعلى بن الفتوح الازداجي** (ت: سنة 431هـ/1039م).

ـ ثم **عز بن يوسف بن يعلى الأزداجي** (ت: سنة 460هـ/1067م)؛ وفي عهده زحفت جيوش المرابطين إلى نكور؛ حيث أطاحت بدولة أزداجة القائمة فيها، وقتلوا هذا الأمير؛ وهو آخر أمرائها؛ وتم ذلك في السنة المذكورة.

***

ـ ***مواطنهم:*** لم يذكر ابن خلدون من مواطن ازداجة؛ سوى **نواحي وهران**. ويمكن ـ هنا ـ إضافة **نكور** التي أضحت حاضرة لدولتهم. أما عبد الوهاب بن منصور فلم يضف شيئا جديدا عما ذكره ابن خلدون؛ بينما أضاف لقبال بعض المعلومات التي استقاها من: المغرب، والاستبصار، والبلدان، وتحفة الزائر. ومفادها وجود مراكز عديدة لأحياء ازداجة غير وهران هي: بلدة **تانسالمت**؛ بجبل كيدر القريب من وهران، **وسوق عبيدون بن سنان** الأزداجي، **وقصر ابن سنان** المذكور، وبعض **القرى** المنتشرة ضمن **حوض وادي سبو**،

"

ومضارب لمسطاسة متواجدة **بين سبتة وفاس**، **وحصن مسطاسة** الرابض **ببلاد غمارة.**

....

2 ــ أوربة:

وهم من أبناء **أورب بن برنس.** كانوا ــ أيام الفتح الإسلامي ــ من أوفر القبائل الأمازيغية عددا. ويقال أن أكبر القبائل البرنسية ــ آنئذ ــ هي: **أوربة، وصنهاجة، وهوارة**؛ بينما كان التقدم فيهم **لأوربة**؛ نظرا لتفوقهم في العدد، والقوة، وشدة البأس. وتفرعت عنهم بطون عديدة؛ أهمها: **دقيوسة، ورغيوة، وزهجوكة، وسطة، ولجاية، مزياتة، ونفاسة، ونيجة.**

وقد حدث بعض التصحيف في أسماء هذه الأحياء؛ فقام عبد الوهاب بن منصور بتصحيحها، والتعليق عليها؛ واحدة بعد أخرى. فبخصوص **رغيوة** ــ التي ورد اسمها في العبر هكذا ــ قال ابن منصور أن بقية منها موجودة ــ في الوقت الحاضر، ــ وبالاسم نفسه ــ في شمال إقليم فاس. كما توجد فئة من رغيوة مندرجة ضمن قبيلة **التلاغمة** (دوار راس سكين) بالمغرب الأوسط. أما **زهجوكة**؛ فقد

"

كتبت في العبر زهكوجة؛ بينما تكلم البكري عن مدينة سماها زهجوكة؛ وقال أنها كانت مقرا للأمير إبراهيم بن محمد وبنيه (من أمراء الأدارسة). وقال ابن منصور أنها حرفت الآن؛ وأصبحت تسمى **جهجوكة**؛ ثم قال أن زهجوكة اسم قبيلة مشهورة بين **قبائل جبالة**؛ عرفت بالرقص، والطرب. أما **لجاية** فقد وردت مصحفة في العبر؛ إذ كتبت باسم بجاية؛ بينما تنتسب بجاية إلى صنهاجة؛ لا إلى أوربة. وعليه.. فقد قام ابن منصور بتصحيح الخطأ، وقال أن **لجاية** موجودة الآن بقرب وادي ورغة؛ المتواجد شمال إقليم فاس. أما **مزياتة** فيقول أنها موجودة ـــ الآن كذلك ـــ بجانب وادي ورغة؛ وهي معروفة باسم **مزيات**.[1] أما **نفاسة، ونيجة**؛ فلا يعرف عنهما شيئا حتى الآن.

وعلى الرغم من قوة **أوربة**، وتأثيرها على القبائل الأمازيغية؛ أثناء الفتح، وبعده؛ فإنها ـــ حسبما يبدو ـــ عجزت عن تشييد دولة بمعنى الكلمة؛ حيث وقفت طموحات أبنائها في حدود **الرئاسة، والمشيخة**. وحتى السنوات الخمس، أو الثلاث التي قضاها شيخهم

---

[1] أنظر العبر، مج: 6، ص ص: 296 ـــ 300. وقبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 313 ـــ 314. ودور كتامة، ص ص: 72 ـــ 74.

"

كَسيلة؛ على رأس السلطة في القيروان؛ لا يمكن اعتبارها فترة من عمر الدولة الأوربية؛ لأنها كانت فترة مشتركة؛ بين القبائل الأمازيغية الثائرة كلها. كما كانت فترة انتظار، وتربص حربية؛ لا غير. وقد انتهى الأمر بأوربة ـ بعد هزيمة الأحلاف الأمازيغية ـ إلى التشتت، والاضمحلال. ومع هذا ظهرت طائفة منهم في المغرب الأقصى؛ كان لها دور هام في تأسيس دولة الأدارسة.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** أنجبت أوربة عددا كبيرا من الأعلام الذين تركوا أثرا محمودا في تاريخ المغرب الإسلامي؛ نبدأ منهم بأصحاب القلم؛ من العلماء، والأدباء؛ ثم نتبعهم بأصحاب السياسة، والسلطان؛ فمن علمائهم:

ـ **عيشون بن إسحاق بن عيشون الأستجي السطي** (ت: سنة 353هـ/964م) وهو من علماء الحديث.

ـ ثم ولده **أبو ثابت فرح بن عيشون بن إسحاق بن عيشون الأستجي السطي** (ت: سنة 389هـ/998م)؛ وهو من أهل الصلاح؛ كان محدثا وإماما بمسجد أستجة بالأندلس.

ـ ثم **منذر بن عياش الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع)؛ كان قد ولي القضاء؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

ـ ثم **أبو موسى عيسى بن حماد بن محمد الأوربي**؛ قال عنه يحيى بن خلدون: **((روى بالأندلس عن أبي علي الصدفي؛ وكان من أهل الضبط، والإتقان، والزهد، والدين المتين)).**[1]

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن علي السطي** (توفي غريقا سنة 750هـ)؛ وذلك أثناء عودته مع السلطان أبي الحسن المريني من تونس؛ بعد نكبة القيروان. وترجم له عبد الرحمن بن خلدون في (التعريف) بقوله: **((وأما السطي واسمه محمد بن سليمان؛ من قبيلة سطة؛ من بطون أوربة بنواحي فاس. نزل أبوه سليمان مدينة فاس؛ ونشأ محمد بها... وكان أحفظ الناس لمذهب مالك، وأفقههم فيه؛ وكان السلطان أبو الحسن ـ لدينه، وسراوته، وبعد شأوه في الفضل ـ يتشوف إلى تنويه مجلسه بالعلماء؛ واختار منهم جماعة لصحابته، ومجالسته؛ كان منهم هذا الإمام**

---

[1] بغية الرواد، ج: 1، ص: 25.

"

محمد بن سليمان؛ وقدم علينا بتونس في جملته، وشهدنا وفور فضائله؛ وكان في الفقه من بينها لا يجارى؛ حفظا، وفهما... وحضر مع السلطان أبي الحسن واقعة القيروان، وخلص معه إلى تونس... ثم ركب [السلطان] أبو الحسن في أساطيله من تونس آخر سنة خمسين [وسبعمائة] **ومر ببجاية؛ فأدركه الغرق في سواحلها؛ فغرقت أساطيله، وغرق أهلهُ؛ وأكثرُ من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرهم)).**[1]

ـ ثم **أحمد بن حاتم السطي** (ولد في سنة 851هـ/1447م)؛ وهو من علماء تلمسان؛ هاجر إلى القاهر؛ واستقر بها.

OOO

ومن أشهر أعيان أوربة، ورؤسائها المعرفين:

ـ **سكرديد بن زوغي بن بارزت بن بارزيات الأوربي** (ت: سنة 71هـ/690م)؛ قال ابن خلدون: **((ولي عليهم** [أوربة] **مدة ثلاث وسبعين سنة، وأدرك الفتح الإسلامي، ومات سنة إحدى**

---

[1] التعريف بابن خلدون، ص ص: 31ـ32.

"

وسبعين، وولي عليهم بعده كَسيلة بن لزم الأوربي؛ فكان أميراً على البرانس كلهم.)).[1]

ومن هذا القول يتضح بأنه مات بعد **كسيلة**؛ وفي هذه الحال؛ يكون كسيلة مجرد قائد عسكري لأوربة، والبرانس.

ـ ثم **كَسيلة بن لزم الأوربي** (ت: سنة 67هـ/686م)؛ وكانت له مواقف مشهورة مع الفاتحين العرب؛ ذلك أنه اعترض طريق أبي المهاجر؛ في زحفه نحو غرب البلاد؛ في جهات تلمسان؛ فتمكن أبو المهاجر من أسره سنة 55هـ؛ فعرض عليه الإسلام؛ فاستجاب له، وصحبه في غزواته، وتمتنت العلاقة بينهما. ولما ولي عقبة على جيوش المسلمين؛ أساء معاملة كسيلة؛ فثار لكرامته، وانتهت ثورته تلك بقتل عقبة، وتغلب كسيلة بجيوشه الثائرة على القيروان لفترة؛ ربما تكون دامت خمس سنوات، أو ثلاث سنوات.

ـ ثم **إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي** (ت: سنة 192هـ/807م)؛ هو الذي ناصر إدريس الأول، وساعده على إقامة دولته في أوليلى؛ مركز قبيلة أوربة. ولكنه قتل بأمر

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 296 ـ 297.

"

من ولده إدريس الثاني؛ بعد اتهامه بالتآمر عليه.

ومن أوربة ــ كذلك ــ رجال مذكورين، وقادة للجيوش ظهروا في الأندلس؛ مثل:

ــ **صبرون بن شبيب الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ ــ ولي في عهد عبد الرحمن الناصر ــ بعض الولايات ببلاد الأندلس.

ــ ثم ولده **وكيل بن صبرون الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ ولاه ــ هو الآخر ــ عبد الرحمن الناصر بعض الولايات كأبيه.

ــ ثم **صيدون بن وكيل الأوربي** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ كان بدوره قائدا من قادة الجيش؛ في عهد عبد الرحمن الناصر.

***

ــ ***مواطنهم:*** لم يذكر ابن خلدون ــ هذه المرة كما هي عادته ــ مواطن أوربة الأولى. ولكنه أشار إلى مستقرهم الأخير؛ في **أوليلي**؛ حينما تكلم عن لجوء إدريس إليهم؛ في تلك المدينة بالمغرب الأقصى. وإن كان قد ذكر ــ

"

عرضا ــ بأن زعيمهم كَسيلة قد تصدى ــ في أول الأمر ــ لأبي المهاجر في جهات تلمسان. وذكر موسى لقبال ــ نقلا عن المالكي، والدباغ ــ بأهم متفرقون بين **أوراس** بالمغرب الأوسط، **والريف** بالمغرب الأقصى. أما دبوز فقال أن مواطنهم تتواجد انطلاقا **من شمال تاهرت إلى وهران**، وفي **غرب فاس**؛ ومنها **سقومة** قلعة أوربة، ومدينة **أوليلي**. على أنه لم يذكر المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات. ومن المعلومات التي ذكرها ابن منصور؛ يمكننا استنتاج بعض المواطن المتبقية لأبناء أوربة إلى الآن. وهذه المواطن موزعة بين الجزائر، والمغرب الأقصى؛ مثل ناحية **تازة**؛ التي تتواجد بها إلى الآن جماعة تسمى **وربة**. **وتلاغمة**، **والقصر الكبير**، ووادي **ورغة**.[1]

....

[1] أنظر العبر، مج: 6، ص ص: 297. 300. وقبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 313 ــ 314. وتاريخ المغرب الكبير، ج: 2، ص: 37. المغرب الإسلامي، ص: 38. ودور كتامة، ص ص: 72 ــ 74.

"

3 ـ *أوريغة*:[1]

وهم أبناء **أوريغ بن برنس**؛ الذي خلف أربعة من الأبناء؛ هم: **قلدن، ومغر، وملد، وهوار.** وتفرعت عن هؤلاء الأبناء بطون كثيرة. فمن بطون **قلدن: بيانة، وفل، وقمصانة، وورسطيف.** ومن **مغر: زمور، وكبا، وكركودة، وماواس، ومنداسة، وسراي أو** (مسرات)، **وورجين.** ومن بطون **ملد: أسيل، سطات** أو (سطط)، **ومليلة، ومسراتة، ونيفن، وورفل**؛ وهؤلاء جميعهم من أبناء لهان ابن ملد. أما بطون **هوار** فهم كثيرون؛ وقد التحقت بهم بطون أخرى من اخوتهم؛ أبناء أوريغ، ومن أقاربهم **البتر**؛ مثل أبناء أداس بن زحيك بن مادغيس الأبتر؛ بعد أن تزوج أوريغ أم أداس المسماة تصكي العرجاء. وأهم بطون هوارة هي: **زكارة، ومجريس، ومسلاتة، وغريان، وورغة، وبنو كسي، ولشوة، وهكارة** أو (هقارة)، **وهيوارة، وورتاكط.** وقد اختار بعضهم حياة الاستقرار، وسكنى المدر؛ بينما فضل آخرون حياة البدو، والتجوال في قفار

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 282 ـــ 291. قبائل المغرب، ج: 1، ص ص: 314 ـــ 318. دور كتامة، ص ص: 74 ـــ 79.

"

إفريقية، والمغرب الأوسط. وقد لعبت هوارة أدوارا هامة في الثورات التي اشتعلت بربوع المغرب مثل: ثورات الإباضية على ولاة القيروان، وثورة أبي يزيد على الدولة الفاطمية. وانتهى بهم الحال؛ بعد مقتل أبي يزيد إلى الشتات، والضياع؛ بسبب حملات الانتقام، والتصفيات التي سلطت عليهم؛ من طرف الدولة الفاطمية.

ومع مرور الزمن.. أضحت بقاياهم في عداد القبائل الغارمة. وفي عهد ابن خلدون كانوا منتشرين في ربوع إفريقية، والمغرب الأوسط؛ منهم المنتجعون في القفار، ومنهم المستقرون بالأرياف. وذكر ابن خلدون بعض أسماء أفخاذهم؛ في تلك الفترة الزمنية؛ مثل: **المثالينة، وقيصرون، ونصورة، وترهونة، وورقلة** (وهم غير واركلا)، **ومجريس، ومسراتة.** ويقول أنهم اختلطوا بعرب سليم، وهلال؛ واندمجوا معهم؛ حتى أصبح من الصعب التفريق بينهم في الزي، واللغة، أو أسلوب العيش. وأضحوا يعمرون ضواحي إفريقية، ويملكون الشاء، والبقر، ويمتطون الخيل. أما علاقتهم بالدولة ـــ آنئذ ـــ فيمكن حصرها في إعطاء الجباية للدولة، وتقديم حصة من المقاتلين؛ المفروضة عليهم

"

من طرف السلطان. على أنه كان لرؤسائهم كلمة مسموعة؛ في بلاط الدولة؛ كما كان الحال بالنسبة لبقية رؤساء القبائل البدوية الأخرى.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** منحت هوارة للمغرب الإسلامي ـ كغيرها من قبائل هذه الديار ـ علماء، وقادة، وزعماء؛ فمن بين أهل العلم:

ـ **أبو موسى عبد الرحمن بن موسى الهواري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)؛ من أهل إستجة؛ قال فيه ابن الفرضي: **((رحل في أول خلافة الإمام عبد الرحمن بن معاوية، فلقي مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، ونظراءهما من الأئمة. ولقي الأصمعي، وأبا زيد الأنصاري، وغيرهما من رواة الغريب. ودَاخَلَ العربَ، وتردد في محالها. وقدم الأندلس؛ صادرا من سفره؛ فعطب ببحر تُدْمير؛ فذهبت كتبه؛ ولما قدم إستجة؛ أتاه أهلها يهنئونه بقدومه، ويعزونه عن ذهاب كتبه؛ فقال لهم: "ذهب الخرج، وبقي الدَّرج". ويعني ما في صدره. وكان فصيحا ضربا من الأعراب، وكان حافظا**

"

للفقه، والتفسير، والقراءات؛ له كتاب في تفسير القرآن قد رأيت بعضه... وقال ابن حارث أن أبا موسى استقضيَ على إستجة أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم)).[1]

ـ ثم **أبو سليمان عبد السلام بن السمح ابن نابل بن عبد الله بن يحيون بن حارث بن عبد الله بن عبد العزيز الهواري** (ت: سنة 307هـ/919م)؛ من مواطني موروور بالأندلس؛ جال في بلاد المشرق؛ وسكن مدة باليمن؛ وتفقه بمصر للشافعي، حافظا لمذهبه. وكان يمتاز بالخط الحسن.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري** (ت: سنة 317 أو 319هـ/929 أو 931م)؛ وهو من فقهاء المالكية المتمكنين، والمبرزين؛ كان ملما بعلم الفرائض؛ قال ابن فرحون أنه قليل الكتب؛ علمه في صدره.

---

[1] تاريخ علماء الأندلس، ج: 1، ص ص: 257 ـ 259.

"

ـ ثم **أبو بكر يحيى بن خلفون الهواري المؤدب** (ت: سنة 347هـ/958م)؛ قال عنه المالكي: **((كان من أقرأ أهل زمانه. وكان فاضلا))**. ومن خلال ما ذكره المالكي؛ يفهم أنه كان حاد الطبع، سريع الانفعال؛ كما عرف بعداوته الشديدة للمذهب الفاطمي الشيعي.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن سعيد بن أحمد الفاسي الهواري** (كان حيا سنة 399هـ/1008م)؛ فقيه، وراوية.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سفيان الهواري** (توفي بالمدينة المنورة سنة 415هـ/1024م)؛ وهو من المشتغلين بعلوم القرآن؛ وله كتاب الهادي في القراءات، وغيره.

ـ ثم **أبو تمام غالب بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن نُهَيْك الأشوني الهواري** (ت: سنة 440هـ/1048م)؛ كان من العلماء المهتمين بعلم الحساب.

ـ ثم **أبو مسلم مؤمن بن فرج الطرابلسي الهواري** (ت: سنة 442هـ/1050م)؛ وهو من أفاضل الفقهاء بطرابلس.

"

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحاج الهواري** يعرف بابن حِفَاظٍ (من أعيان النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من أهل جزيرة شقر؛ كما أنه ممن لازم أبا سليمان الباجي، وتفقه عنده؛ وكان يميل إلى مذهبه؛ القائل بجواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة بيده. ولكنه تخلى عن هذا الاعتقاد؛ معلنا توبته؛ بعد أن شاهد حلما أفزعه. وحكايته وردت في الغنية، والتكملة، ونفح الطيب.

ـ ثم **أبو الطيب عبد المنعم بن منَّ الله ابن أبي بحر القيرواني الهواري** (ت: سنة 493هـ/1099م)؛ كان أديبا، وشاعرا.

ـ ثم **ذو الرئاستين حسام الدولة أبو مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل بن خلف ابن لُب بن رزين الهواري** (ت: سنة 496هـ/1102م)؛ اكتفت بعض المصادر بتلقيبه بالبربري لا غير؛ بينما ينسب ابن حزم ـ في الجمهرة ـ بني رزين؛ أمراء السَّهْلة بالأندلس إلى هوارة. وكان بنو رزين هؤلاء يستوطنون السهلة التي تمتد بين الثغرين: الأعلى، والأدنى؛ ثم اقتطعوها لأنفسهم، واستبدوا بها أيام

جدهم هذيل بن خلف؛ منتهزين فرصة الاضطرابات؛ التي حدثت في أواخر الدولة الأموية. وإذا كان هذيل لا يجيد سوى مهنة القتال، ولغة السلاح؛ فقد نبغ في ذريته ذو الرئاستين أبو مروان عبد الملك؛ الذي أشاد بمناقبه الأدباء، والمؤرخون. فمما قاله فيه الفتح ابن خاقان: **((ورث الرياسة من ملوك عَضَدوا مُؤازِرَهم، وشدوا دون النساء مآزِرَهم، ولم يتوشحوا إلا بالحمائل، ولا جنحوا للباس إلا في أعنة الصبا والشمائل، وركبوا الصعاب فذللوها، وابتغوا سببا للنجوم حتى انتعلوها، وملكوا الملك بأيد، وعقلوه من النخوة بقيد؛ وكان ذو الرياستين منتهى فخارهم، وقطب مدارهم؛ شيد بناءهم، وقيد غناءهم؛ رجلا اتخذته البسالة قلبا، وضمت عليه شغافا وخلبا؛ لا يعرف جبنا ولا خوار، ولا يتلو غير سور الندى سورا؛ وكانت دولته موقف البيان، ومقذف الأعيان... وله نظم ونثر ما قصر عن الغاية، ولا أقصر عن تلقي الراية)).**[1] ومن شعره؛ هذه الأبيات التي بعثها إلى الوزير الشاعر ابن عمَّار:

[1] قلائد العقيان، ص: 58.

"

ضَمْــآنٌ عَلَى الأيَامِ أنْ أبْلُغَ المُـــنَى
إذَا كُنْتَ فِي وِدِّي مُســـرًّا وَمُعْلِنَـــا
فَلَوْ تَسْأَلُ الأيَّامُ مَنْ هُـــوَ مُفْــرَدٌ
بِـــوِدِّ ابْنِ عَمَّـــارِ لَقُلْتُ لَـــهُ أنَــا
فَإنْ حَالَتِ الأيَّـــامُ بَيْـــني وَبَيْنَـــهُ
فَكَيْفَ يَطِيبُ العَيْشُ أوْ يَحْسُنُ الغِنَا

وقـــال في شمعـــة:

رُبَّ صَفْرَاءَ تَرَدَّتْ بردَاءِ العَاشِقِينَا
مِثْلَ فِعْلِ النَّارِ فِيهَا تَفْعَل الآجَالُ فِينَا

ولـــه أيضـــا:

أتُـــرَى الزَّمَانُ يَسُرُّنَـــا بتَـــلاقِي
وَيَضُـــمُّ مُشْتَاقـــاً إلَى مُشْتَـــاقِ
وَتَعُضُّ تُفَّاحَ الخُـــدُودِ شِفَاهُنَـــا
وَنَرَى سَنَا الأحْدَاقِ بالأحْـــدَاقِ
وَتَعُـــودُ أنْفُسُنَـــا إلَى أجْسَامِهَـــا
مِنْ بَعْدِ مَا شَرَدَتْ عَلَى الآفَـــاقِ

وقـــال كذلـــك:

وَرَوْضٍ كَسَـــاهُ الطَّـــلُّ وَشْيـــاً مُجَـــدَّدَا
فَأضْحَى مُقِيماً لِلنُّفُـــوسِ وَمُقْعِـــدَا

"

إذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ خِلْتَ غُصُونـــُهُ
رَوَاقِصَ فِي خُضْرٍ مِنَ القُضْبِ مُيَّدَا
إذَا مَا انْسكَابُ المَاءِ عَايَنْتَ خِلْتَهُ
وَقَدْ كَسَّرَتْهُ رَاحَـــةُ الـــرَّاحِ مِبْـــرَدَا
وَإنْ سَكَنَتْ عَنْـــهُ حَسِبْتَ صَفَاءَهُ
حُسَامـــاً صَقِيلاً صَافِيَ المَتْنِ جُـــرَّدَا
وَغَنَّـــتْ بِهِ وُرْقُ الحَمَائِمُ حَوْلَنَـــا
غِنَاءً يُنَسِّيـــكَ الغَرِيـــضَ وَمَعْبَـــدَا
فَلاَ تَجْفَوَنَّ الدَّهْرَ مَادَامَ مُسْعِـــدَا
وَمُـــدَّ إلَى مَا قَدْ حَبَاكَ بِـــهِ يَـــدَا
وَخُذهَا مُدَاماً مِنْ غَـــزَالٍ كَأَنَّـــهُ
إذَا مَا سَقَى بَـــدْرٌ تَحَمَّـــلَ فَرْقَـــدَا

ومـــن شعـــره أيضـــا:

دَعِ الجَفْنَ يُفْنِي الدَّمْعَ لَيْلَةَ وَدَّعُـــوا
إذَا انْقَلَبُوا بالقَلْبِ لاَ كَـــانَ مَدْمَـــعُ
سَرَوْا كَاغْتِدَاءِ الطَّيْرِ لاَ الصَّبْرُ بَعْدَهُمْ
جَمِيلٌ وَلاَ طُولُ النَّدَامَـــةِ يَنْفَـــعُ
أضِيقُ بِحَمْلِ الفَادِحَاتِ مِنَ النَّـــوَى
وَصَدْرِي مِنَ الأرْضِ البَسِيطَةِ أوْسَعُ
وَإنْ كُنْـــتُ خَـــلاَّعَ العِذَارِ فَإنَّـــنِي
لَبِسْتُ مِنَ العَلْيَـــاءِ مَا لَيْسَ يُخْلَـــعُ

"

إِذَا سَلَّتِ الأَلْحَاظُ سَيْفــاً خَشيتُــهُ
وَفِي الحَرْبِ لاَ أخْشَى وَلاَ أَتَوَقَّــعُ

ومــن غريــب شعــره:
أخْسِــسْ بِمَجْلِسِ مَعْشَــر
مَــا فِيــهِ إلاَّ الطَّتربــرُّ
جُلَسَــاؤُهُ قَــوْمٌ ثِقَــا
لٌ كُلُّهُــمْ خُبْــثٌ وَشَــرُّ
مَــا فِيهــمُ إلاَّ دَنــي
ءٌ أوْ غَــبِيٌّ أوْ مُضِــرُّ
أسْــدٌ عَلَى ثَلَــبِ الكِــرَا
مِ وَإنْ وَزَنْتَهُــمُ فَــــذَرُّ
هَــذَا يَغُــوثٌ بَــلْ أضَــ
لُّ وَذَا يَعُوقُ وَذَاكَ نَسْــرُ
ذَاكَ المَحَــلُّ كَــوَادِ عَــوْ
فٍ لَيْسَ يلْقَى فِيــهِ حُــرُّ

وقــال أيضــا:
أَقْسَمْتُ بِالــوَرْدِ الجَــنِيِّ
وَرَنــتَيْ نَــايٍ وَعُــودِ
لأوَاصِلنَّــكَ بالــــرِّضَى
أوْ تَأنَفَــنَّ مِنَ الصُّــدُودِ

"

وَلأشْرِبَنَّــكَ بالمُـــــنَى
وَلألْثِمَنَّــكَ مِنْ بَعِيــدِ
وَلأرْضِيَنَّــكَ إنْ سَخِطْــ
ــتَ بذِلَّةِ الدَّنفِ العَمِيدِ
وَلأعْطِفَنَّــكَ بالخُضُــو
عِ وَبالقُنُوعِ وَبالسُّجُــودِ
فَبحَــقِّ مَا فِي فِيكِ مِــنْ
لَعَسٍ وَمِنْ ثَغْــرٍ بُــرُودِ
أدْمِي يضِيــعُ وَشَاهِــداً
خَدَّيْكِ فِي عقْدِ الشُّهُودِ

ومن شعره كذلــك:
أدِرْهَــا مُدَامــاً كَالْغَزَلَــةِ مُــزَّة
تَلِينُ لِرَائِيهَا وَتَــأبَى عَلَى اللَّمْــسِ
وَتَبْدُو عَلَى الأبْصَارِ دُونَ تَجَسُّــمٍ
عَلَى أنَّهَا تَخْفَى عَلَى الذِّهْنِ وَالحِسِّ
إذَا شَعْشَعَتْ فِي الكَأسِ خِلْتَ حُبَابَهَا
لآلِيءَ قَدْ رُفِّعْنَ فِي لُبَّــةِ الشَّمْــسِ
مُوَكَّلَــة بالهَــمِّ تَهْــزِمُ جَيْشَــهُ
بجَيْشِ الأمَانِي وَالمَسَــرَّةِ وَالأنْــسِ
فَإنْ شِئْتَ قُلْ فِيهَا أرَقُّ مِنَ الهَــوَا
وَإنْ شِئْتَ قُلْ فِيهَا أرَقُّ مِنَ النَّفْــسِ

"

وقــــال أيضـــا:

يَا رُبَّ لَيْلٍ أطَـــالَ الهَجْـــرُ لَذتَـــه
فَأيْـــأسَ العُمْرَ عَنْ إدْرَاكِ مُنْتَصَفِـــه
لَيْلٌ تَطـــاوَلَ حَتَّى قَدْ تَبَيَّـــنَ لِي
عِنْدَ التَّأمُّلِ أنَّ الدَّهْـــرَ مِنْ سُدَفِـــه

ولـــه أيضـــا:

أنَا مَلِكٌ تَجَمَّعَـــتْ فِيَّ خَمْـــسٌ
كُلُّهَـــا لِلأنـــام مُـــحْيٍ مُمِيُـــت
هِـــيَ ذِهْـــنٌ وَحِكْمَـــة وَمَضَـــاءٌ
وَكَـــلاَمٌ فِي وَقْتِـــهِ وَسُكُـــوتُ

ومـــن شعـــره:

تُزْهِدُنِي فِي الزُّهْدِ عَيْـــنٌ مَرِيضَـــة
يُمَرِّضُـــنِي مِنْ لَحْظِهَـــا مَا أعَلَّـــنِي
وَلَمْ تبْق نَفْسِي غَيْرُ عَطْفَةِ شَـــادِنٍ
عَسَـــانِي أفَدِّيـــهِ بِهَـــا وَلَعَلَّـــــنِي
شَكَوْتُ إلَى فِيهِ الذِي بِي مِنَ الظَّمَا
فَأنْهَلَـــنِي عَذْبَ الرُّضَابِ وَعَلَّـــنِي

وقـــال:

إذَا زَهَّدَتْنِي فِي الهَوَى خِيفَة الرَّدَى
جَلَتْ لِيَ عَنْ وَجْدٍ يُزَهِّدُ فِي الزُّهْدِ

"

فَلاَ دَمْـــعَ مَا لَمْ يَجْـــرِ فِي إثْرِهِ دَمٌ
وَلاَ وَجْدَ مَا لَمْ يُغْنَ عَنِ صِفَةِ الوَجْدِ

وقـــال أيضـــا:

بَـــرَّحَ السُّقْمُ بِي فَلَيْسَ صَحِيحـــاً
مَـــنْ رَأتْ عَيْنُـــهُ عُيُونـــاً مِرَضَـــا
إنَّ لِلأعْيُـــنِ المِـــرَاضِ سِهَامـــــاً
صَيَّـــرَتْ أنْفُـــسَ الوَرَى أغْرَاضَـــا
جَوْهَـــرُ الحُسْنِ مُنْذُ أعْرَضَ لِلْقَلْـ
ـــبِ ثَـــنَى الجِسْمَ كُلَّـــهُ أعْرَاضَـــا

ولـــــه:

يَا مُقْلَةَ الظَـــبْيِ الغَرِيـــ
ـرِ وَوَجْنَةَ القَمَـــرِ المُنِيـــرِ
وَمُصِيبَ حَبَّاتِ القُلُـــو
بِ بِزَاعِبِيَـــاتِ الفُتُـــورِ
تَاللَّـــهِ إنْ لَـــمْ تتْـــرِكْ
عَنْ ذَا الجَفَاءِ وَذَا النُّفُورِ
لأسرحَـــنَّ لَوَاحِـــظِي
فِي ذَلِكَ الوَرْدِ النَّضِيـــرِ
وَلآكُلَنَّـــــكَ بِالمُـــنَى
ولأشْرِبَنَّـــكَ بِالضَّمِيـــرِ

"

وقــال :

مَنْ كَثَّـرَ الجُنْـدَ رأى سَعْـدَهُ
يَصْعَـدُ حَتَّى يَنْتَـهِي حَـدَّهُ
وَمَـنْ أذَلَّ المَـالَ عَـزَّتْ بِـهِ
أيَّامُـهُ وَانْصَرَفَـتْ جُنْـدُهُ
فَاهْدِمْ بِنَـاءَ البُخْلِ وَارْفُضْ بِـهِ
مَنْ هَـدَّمَ البُخْلَ بَنَي مَجْـدَهُ
لاَ عَـاشَ إلاَّ جَائِعـاً نَائِعـاً
مَنْ عَاشَ فِي أمْوَالِـهِ وَحْـدَهُ

ومما قالـه:

شَأوْتُ آل رَزين غَيْـر مُحْتَفِـلِ
وَهُمْ عَلَى مَا عَلِمْتُمْ أفْضَلُ الأمَـمِ
قَـوْمٌ إذَا سُئِلُـوا أغْنَـوا، وَإنْ حَرَبُـوا
أفْنَوا، وَإنْ سُوبِقُوا جَازُوا مَدَى الكَرَمِ
جَادُوا فَمَا يَتَعَاطَى جَوْدَ أنْمُلِهِـمْ
مَـدُّ البحَـار وَلاَ هَطَّالَـة الدِّيَـمِ
مَا ارْتَقَيتُ إلَى العلْيَا بِـلاَ سَبَـب
هَيْهَاتَ هَلْ أحَدٌ يَسْعَى بِـلاَ قَـدَمِ
فَمَنْ يَـرُمْ جَاهِداً إدْرَاكَ مَنْزِلَـتِي
فَلْيَحْكِنِي فِي النَّدَى وَالسَّيْفِ وَالقَلَمِ

"

و لـــه أيضـــا:

قَدْ خَرَجْنَا مِنَ ازْدِحَامِ القَتَـــامِ
كَشُمُوسٍ خَرَجْنَ تَحْتَ الغَمَـــامِ
وَحَصَلْنَا فِي نُزْهَتَيْنِ وَفِي حُسْـــ
نَيْــنِ بَيْــنَ المِيَــاهِ وَالآكَــامِ
بَيْنَ رَوْضٍ مُدَبَّـــجٍ وَغُصُــونٍ
تَتَثَــنَّى كَشَارِبَــاتِ المُــدَامِ
غَـــرَّدَتْ فَوْقَنَا البَلاَبِــلُ وَالــوُرْ
قُ فَأرَّقْنَـــنِي وَهِجْــنَ غَــرَامِي
ذَاكَ طَيْـــرٌ أطَـــارَ قَلْبِيَ شَوْقــاً
وَحَمَــامٌ مُغَــرِّدٌ بِحَمَــامِ

وقـــال في جوابـــه للوزيـــر أبي جعفـــر بـــن سعـــدون:

إلَيْكَ فَلَوْلاَ أنْتَ لَمْ يُنْظَـــمُ الـــدُّرُّ
وَلاَ التَامَ فِي مَدْحٍ نظَـــامٌ وَلاَ نَثْـــرُ
إذَا قُلْتَ لَمْ يَنْطِقْ فَصِيـــحٌ مُـــذَرَّبٌ
وَلاَ سَاغَ فِي سَمْعٍ غِنَـــاءٌ وَلاَ زَمْـــرُ
لَكَ السَّبْقُ كَمْ رَوَّضْتَ مِنْ عَاطِلِ الرُّبَى
وَحَلَّلْتَ مِنْ سِحْرٍ وَقَدْ عُدِمَ السِّحْـــرُ
وَلَمَّا مَلَكْتَ القَوْلَ قَهْـــراً وَعُنْـــوَةً
أطَاعَكَ جَيْـــشُ النَّظْمِ وَاتُمِـــرَ النَّثْـــرُ
فَـــلاَ نَقْـــلَ إلاَّ مَا تَقُـــولُ بَدِيهَـــةً
وَلاَ خَمْرَ مَا لَمْ تَأتِ مِنْ فَمِكَ الخَمْـــرُ

"

وقـــال ردا عـــلى الكاتـــب أبي الحســـن بـــن سابـــق؛ الـــذي تخـــلى عـــن ابـــن لبـــون؛ والتحـــق بالمستعيـــن:

هَبُـــوا لَنَـــا حَظَّكُمْ مِنْ آل لَبُـــونِ
كَـمْ تَبْخَلُـــونَ عَلَيْنَـــا بالرَّيَاحِيـــنِ
لاَ تَعْذِلُونَـــا فَحَـــقٌّ أنْ نُنَافِسَكُـــمْ
فِي أكْرَمِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ
ذَاكَ الوَفِيُّ الّذِي نِيطَـــتْ تَمَائِمُـــهُ
عِنْدَ الفِطَـــامِ عَلَى حِلْمِ ابْنِ سِيرِيـــنِ
اخْتَرْنَـــا فَتَخَيَّرْنَـــاهُ صَاحِبُنَـــا
وَكُلُّنَـــا فِي أخِيـــهِ غَيْـــرُ مَغْبُـــونِ
إنْ كَانَ أنْشرَ ذِكْرِي فِي بِلاَدِكُـــمُ
لأ نْشُـــرَنَّ لَهُ يَحْيَ بْنِ ذِي النُّـــونِ
وَكُلُّ مَنْ حَوْلَـــهُ حَـــاظٍ بِحَظْوَتِـــهِ
يَغْـــشَى الحَسُودَ بِتَرْفِيعٍ وَتَمْكِيـــنِ
حَتَى تَقُولَ اللَّيَـــالِي وَهْيَ صَادِقَـــة
هَذَا السَّمَوْألُ فِي هَذِي السَّلاَطِيـــنِ

ـــ ثـــم **أبـــو بكـــر محمـــد بـــن عبـــد المنعـــم بـــن مَـــنِّ اللـــه بـــن أبي بحـــر الهـــواري** يعـــرف بالكِمَـــاد (كـــان حيـــا سنـــة 527هــ/1132م)؛ كـــان أحـــد الـــرواة؛ وهـــو مـــن أهـــل فـــاس؛ كـــان أبـــوه قـــد

"

نزح إليها من القيروان، بعد فتنة أعراب بني هلال بها.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الهواري** (ت: سنة 533هـ/1138م)؛ وهو من فحول الشعراء، وعلماء اللغة، والأدب؛ قال فيه ابن الأبار: **((إبراهيم... ابن خفاجة الهواري الشاعر، من أهل جزيرة شقر... وكان عالما بالآداب، صدراً في البلغاء، متقدما في الكتاب والشعراء؛ يتصرف كيف يريد؛ فيبدع، ويجيد؛ ناظما، وناثراً، ومادحا، وراثيا، ومشببا، ومشبها. كان نزيه النفس؛ لا يكتسب بالشعر، ولا يمتدح رجاء الرفد)).**[1] وقال فيه معاصره، وصديقه الفتح ابن خاقان:[2] **((مالك أعنَّة المحاسن، وناهج طريقها، العارف بترصيعها وتنميقها، الناظم لعقودها، الراقم لبرودها... تصرف في فنون الإبداع كيف شاء، وأبلغ دلوه من الإجادة الرشاء؛ فشعشع القول وروقه، ومد في ميدان الإعجاز طلقه؛ فجاء نظامه أرق من النسيم العليل، وآنق من الروض البليل...وبلغه عني**

[1] التكملة، ج: 1، ص: 143.

[2] قلائد العقيان، ص ص: 266 ـ 267 ـ 268.

"

مــا ذكرتــه في هــذا الكتــاب بقبيــح، وأتيــت في وصــف أيــام فتوتــه بتنديــر، وتمليــح؛ فكــب إلي يعاتــبني:

خُذْهَا يُـــرِنُّ بِهَا الجَوَادُ صَهِيـــلاَ
وَتَسِيـــلُ مَاءً فِي الحُسَامِ صَقِيـــلاَ

بَسَّامَـــة تُصْبِي الحَلِيـــمَ وَسَامَـــة
لَوْلاَ المَشِيـــبُ لَسُمْتُهَـــا تَقْبِيـــلاَ

حَمَّلْتُهَـــا شَوْقـــاً إلَيْـــكَ تَحِيَّـــة
حَمَّلْتُهَـــا عَتْبـــاً عَلَيْـــكَ ثَقِيـــلاَ

مِنْ كُلِّ بَيْـــتٍ لَوْ تَدَفَّـــقَ طَبْعُـــهُ
مَـــاءً لَغَصَّ بِهِ الفَضَـــاءُ مَسِيـــلاَ

إيـــهٍ وَمَـــا بَيْنَ الجَوَانِـــحِ غلَّـــة
لَوْ كُنْتُ أنقَـــعُ بِالعِتَـــابِ غَلِيـــلاَ

مَا لِلصَّدِيقِ وُقِيـــتَ تَأْكُلُ لَحْمَـــهُ
حَيَّـــا وَتَجْعَـــلُ عِرْضَـــهُ مِنْدِيـــلاَ

أقْبَلتَـــهُ صَـــدْرَ الحُسَامِ وَطَالَمَـــا
أضْفَيْتَـــهُ دِرْعـــاً عَلَيْـــهِ طَوِيـــلاَ

مَاذَا ثَنَـــاكَ عَنِ الثَّنَـــاءِ وَنَشْـــرِهِ
بُرْداً عَلَى الرَّسْمِ الجَمِيلِ جَمِيـــلاَ

"

[إلى قولــه:]

وَسِــوَايَ يُنْشِدُ فِي سِوَاكَ نَدَامَــةً
"يَالَيْتَــنِي لَمْ أَتَّخِــذْكَ خَلِيــلاً"))

أمــا ابــن بســام فيفيــض ثنــاء عــلى **ابــن خفاجــة**، ويــدرج ضمــن كتابــه عينــات شعريــة، ونثريــة كثيــرة لهــذا الأديــب الجليــل. ومــن قولــه فيــه: **((الناظــم المطبــوع الــذي شهــد بتقديمــه الجميــع؛ المتصــرف بيــن حكمــه وتحكمــه البديــع... نشــأ ببــلاد الجانــب الشــرقي مــن الأندلــس؛ فلــم يذكــر معــه هنــاك محســن، ولا لغيــره فيــه وقــت حســن؛ ولا لأعــرفــه تعــرض لملــوك الطوائــف بوقتنــا؛ عــلى أنــه نشــأ في أيامهــم؛ ونظــر إلى تمافتهــم في الأدب، وازدحامهــم؛ وهــو اليــوم بمطلعــه مــن ذلــك الأفــق؛ يبلغــني مــن شعــره مــا يبطــل السحــر، ويعطــل الزهــر؛ وقــد أثبــت بعــض مــا وقــع مــن كلامــه؛ فتصفحــه؛ تعلــم أنــه بحــر النظــام، وبقيــة الأعــلام)).**[1] ونقــل المقــري في نفــح الطيــب ـــ أيضــا ـــ مقطوعــات كثيــرة جــدا؛ مــن أشعــار ابــن خفاجــة؛ كــان يستشهــد بهــا المــرة بعــد الأخــرى. كمــا قــال فيــه: **((وأبــو إسحــاق**

---

[1] الذخيــرة، ق: 3، مج: 2، ص ص: 541 ـــ 542.

"

ابن خفاجة كان أوحد الناس في وصف الأنهار، والأزهار، والرياض، والحياض، والرياحين، والبساتين)).[1] **((وكان صَنَوْبَري الأندلس أبو إسحاق ابن خفاجة؛ وهو من رجال الذخيرة، والقلائد، والمسهب، والمطرب، والمغرب؛ وشهرته تغني عن الإطناب فيه؛ مُغْرًى بوصف الأنهار، والأزهار، وما يتعلق بها؛ وأهل الأندلس يسمُّونه الجَنَّان؛ ومن أكثر من شيء عُرف به)).**[2] وهذه عينة من شعره:

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ
مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ
مَا جَنَّةُ الخُلْدِ إلاَّ فِي دِيَارِكُمُ
وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ أَخْتَارُ
لاَ تَحْسَبُوا فِي غَدٍ أَنْ تدْخُلُوا سَقراً
فَلَيْسَ تُدْخَل بَعْدَ الجَنَّةِ النَّارُ

وأورد المقري خبرا مفاده أن رسولا من الأندلس مثُل أمام سلطان المغرب الأقصى أبي عنان المريني؛ وألقى أبيات ابن خفاجة هذه

---

[1] نفح الطيب: ج: 1، ص: 681.
[2] نفسه، ج: 3، ص: 488.

"

بيـــن يديـــه؛ عـــلى سبيـــل الافتخـــار بـــلاده الأندلـــس. فاستنكـــر أبـــو عنـــان وصـــف الأبيـــات للأندلـــس بجنـــة الخلـــد؛ الـــتي لـــو خُيـــِّر؛ لاختارهـــا؛ فقـــال أبـــو عنـــان: **(("كـــذب هـــذا الشاعـــر... وهـــذا خـــروج عـــن رِبْقـــَة الديـــن؛ ولا أقـــلّ مـــن الكـــذب، والإغـــراق؛ وإن جـــرت عـــادة الشعـــراء بذلـــك الإطـــلاق". فقـــال الخليـــلي** [الرســـول الوافـــد مـــن الأندلـــس]: **"يـــا مولانـــا؛ بـــل صـــدق الشاعـــر؛ لأنهـــا موطـــن جهـــاد، ومقارعـــة للعـــدو وجـــلاد؛ والنـــبي صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم؛ الـــرءوف، الـــودود، الرحيـــم، العطـــوف؛ يقـــول: الجنـــة تحـــت ظـــلال السيـــوف". فاستحســـن منـــه هـــذا الكـــلام، ورفـــع عـــن قائـــل الأبيـــات المـــلام)).**[1]

وفي الوصـــف يقـــول:

وَعَـــشِيٍّ أنـــْسٍ أضْجَعَتْنِي نَشْـــوَة
فِيه تُمَهِّدُ مَضْجَـــعِي وَتُدَمِّـــثُ

خَلَعَتْ عَلَيَّ بـــِهِ الأَرَاكـــَة ظِلَّهَـــا
وَالغُصْنُ يُصْغِي وَالحَمَامُ يُحَـــدِّثُ

وَالشَّمْسُ تَجْنَـــحُ لِلْغُرُوب مَرِيضَة
وَالرَّعْدُ يَرْقِي وَالغَمَامَـــة تَنْفُـــثُ

---

[1] نفـــح الطيـــب: ج: 1، ج: 1، ص: 681.

"

ويقـــول أيضـــا:

لِلـــَّهِ نَهْـــر سَـــالَ فِي بَطْحَـــاءِ
أشْـــهَى وُرُوداً مِـــَنْ لـــَمَى الحَسْنَـــاءِ
مُتَعَطِّـــفٌ مِثْـــلَ السِّـــوَار كَأَنَّـــهُ
وَالزَّهْـــرُ يَكْنُفُهُ مَجَـــرُّ سَمَـــاءِ
قَدْ رَقَّ حَتَّ ظـــُنَّ قَوْســـاً مُفْرَغـــاً
مِنْ فِضَّـــةٍ فِي بُـــرْدَةٍ خَضْـــرَاءِ
وَغَدَتْ تَحُـــفُّ بِهِ الغُصُونُ كَأَنَّهَـــا
هُـــدْبٌ تَحُفُّ بِمُقْلَـــةٍ زَرْقَـــاءِ
وَلَطَالَمَـــا عَاطَيْـــتُ فِيـــهِ مُدَامَـــة
صَفْـــرَاءَ تَخْضِبُ أَيْدِيَ النَّدَمَـــاءِ
وَالرِّيحُ تعْبَثُ بالغـــُصُونِ وَقَدْ جَرَى
ذَهَبُ الأَصِيلِ عَلىَ لُجَيْنِ المَـــاءِ

ويقـــول كذلـــك:

حَـــثَّ المُدَامَـــة وَالنَّسيـــمُ عَلِيـــلُ
وَالظِّـــلُّ خَفَّاقُ الـــرُّوَاقِ ظَلِيـــلُ
وَالرَّوْضُ مُهْتـــَزُّ المَعَاطِـــفِ نعْمَـــة
نَشْـــوَانَ تَعْطفـــُهُ الصَّبَا فَيَمِيـــلُ
رَيـــَّانَ فَضَّضَهُ النـــَّدَى ثُمَّ انْجَـــلَى
عَنـــْهُ فَذَهَّبَ صَفْحَتَيْـــهِ أصِيـــلُ

"

وقـــال يصـــف سقـــوط البـــرد:

ألاَ نَسَـــخَ اللـــَّهُ القُطَارَ حِجَـــارَة
تَصُوبُ عَلَيْنـــا وَالغَمَامُ غُمُومَـــا
وَكَانَتْ سَمَاءُ اللـــَّهِ لاَ تَمْطِرُ الحَصَى
لَيَـــالِيَ كُنَّا لاَ نَطِيـــشُ حُلُومَـــا
فَلَمَّـــا تَحَوَّلْنَـــا عَفَاريـــتَ شِـــرَّةٍ
تَحَوَّلَ شُؤْبُوبُ الغَمَامِ رُجُومَـــا

ويقـــول في وصـــف شجـــرة نارنـــج:

ألاَ أفْصِـــحَ الطَّيْـــرُ حَتَّ خَطَـــبْ
وَخَفَّ لَهُ الغُصْن حَتَّ اضْطَـــرَبْ
فَمِـــلْ طَرَبـــاً بَيْـــنَ ظِـــلٍّ هَفَـــا
رَطِيـــب وَمَـــاءِ هُنَاكَ انْثَعَـــبْ
وَجُـــلْ فِي الحَدِيقَـــةِ أُخْتِ الُمُـــنَ
وَدِنْ بالُمُدَامَـــةِ أمِّ الطَّـــــرَبْ
وَحَامِلَـــةٍ مِـــنْ بَنَـــاتِ القَنَـــــا
أمَالِيـــدَ تَحْمِلُ خُضْرَ العَـــذَبْ
تَنُـــوبُ مُورَّقَـــة عَـــنْ عِـــــذَارِ
وَتَضْحَـــكُ زَاهِـــرَة عَنْ شَنَـــبْ
وَتَنْـــدَى بِهَـــا فِي مَهَـــبِّ الصَّبَـــا
زَبَرْجَـــدَة أثْمَـــرَتْ بالذَّهَـــبْ
تُفَـــــاوِحُ أنْفَاسَهَـــــا تَـــــارَة
وَطَـــوْراً تُغَازِلُهَـــا مِنْ كَثَـــبْ

"

فَتَبْسِـــمُ فِي حَالَـــةٍ عَـــنْ رِضىً
وَتَنْظُـــر آوِنَـــة عَـــنْ غَضَـــبْ

ـ ثـم أبـو الفضـل بـن عبـد اللـه بـن نـزار **القابسي الهواري** (من أعلام النصف الثاني ما القرن السادس للهجرة)؛ أديب وشاعر؛ وكان في خدمة بني عبد المؤمن؛ إذ ولي خطة الكتابة لديهم. ذكر له الأصفهاني قصيدة قالها في مدح الأمير محمد بن رشيد بن جامع؛ جاء فيها:

لَمْ يَبْـقَ لِي بَعْدَ الرَّحِيـلِ عَـزَاءُ
بَـانَ الخَلِيطُ وَشُتِّتَـتْ أهْـوَاءُ
فَاصْرِفْ عَنَانَ اللَّوْمِ عَنْ قَلِقِ الحَشَـا
مُغْـرَى فَـإِنَّ مَلاَمَـهُ إغْـرَاءُ
فَعَلَـتْ بِهِ أحْبَابُـهُ يَـوْمَ النَّـوَى
وَالبَيْـنُ مَا لاَ تَفْعَـلِ الأعْـدَاءُ
سَـارُوا وَلَمَّا يَسْمَحُـوا بوَدَاعِـهِ
فَكَـأنَّ خَالِـصَ وُدِّهِ شَحْنَـاءُ
أترَاهُمُ خَالُـوا الـوَدَاعَ مُحَرَّمـاً
أمْ أجْمَعُـوا أنْ لاَ يَكُونَ لِقَـاءُ
رَقَّتْ مِيَاهُ الحُسْنِ فَوْقَ خُدُودِهِـمْ
وَقَسَـتْ قُلُوبُهُمْ فَبَـانَ جَفَـاءُ

"

إلى أن يقـــول:

يَا وَيــْـحَ مَنْ عَبَثَ الهَوَى بِفُــؤَادِهِ
وَتَحَكَّمَتْ وَقَضَتْ عَلَيْــهِ ظِبَــاءُ
مِنْ كُلِّ مَا فِي القَلْب مِنْ لَحَظَاتِهَــا
نَفَثَــاتُ سِحْــرٍ مَا لَهُــنَّ دَوَاءُ
لِلْبَــدْرِ سُنَّــة وَجْهِهَا، وَقِوَامُهَــا
لِلْغُصْنِ، مُخَطَّفَــة الحَشَا هَيْفَــاء
إنَّ امْتِــدَاحِي مَا يُلِمُّ مِنَ الــوَرَى
إلاَّ لِمَــنْ دَانَــتْ لَــهُ العَلْيَــاءُ
مِثْــل المَلِيــكِ ابْنِ الرَّشِيــدِ فَإنَّــهُ
بَهَــرَ المُلُوكَ وَحَلَّ حَيْثُ يَشَــاءُ
وَتَشَابَهَـــــتْ آرَاؤُهُ وَسُيُوفُـــــهُ
كُلٌّ بِمَا يَهْــوَى لَــهُ ضُمَنَــاءُ
لَبِــسَ الجَلاَلَــة حُلَّــة أَعْلاَمُهَــا
حُلُــمٌ يُزَيِّــنُ ثَوْبَهَــا وَحَيَــاءُ
فَهُوَ القَرِيــبُ تَطَــوُّلاً وَتَجَمُّــلاً
وَهُوَ البَعِيــدُ مَحَلُّــهُ الجَــوْزَاءُ
وَلَهُ المَهَابَة فِي النُّفُــوسِ، وَإنْ غَــدَا
مُتَوَاضِعــاً وَالعِــزَّة القَعْسَــاءُ
يَا مَنْ شَكَا جَوْرَ الزَّمَــانِ وَظُلْمِــهِ
وَأصَابَــهُ مِــنْ مَسِّــهِ الضَــرَّاءُ
لُــذ بِالمَلِيــكِ مُحَمَّــد فَبِجَــوْدِهِ
يَحْيَا السَّمَاحُ وَتُكْشَفُ الغُمَّــاءُ

"

سَلْهُ تَفِدْ، وَاقْصُدْ تَجِدْ، وَاشْرَعْ تَرِدْ،
عَــذبَ النَّمِيــرِ وَمَا بِهِ أقْــذَاءُ
هَذَا العِيَــانُ يُرِيكَ مِــنْ أوْصَافِــهِ
فَوْقَ الَّذِي أهْــدَت لَكَ الأنْبَــاءُ
لَوْ نَظَّمَ الأمْــلاَكُ سِلْكاً لاغْتَــدى
لِسَنَــاهُ، وَهــوَ الــدُّرَّة الغَــرَّاءُ

ـ ثم **أبو يوسف حجاج بن يوسف الهواري** (توفي بمراكش سنة 572هـ/1176م)؛ وهو عالم وأديب، كان فصيح اللسان، وبليغا.

ـ ثم **أبو علي الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري** (ت: سنة 598هـ/1201)؛ أصله من جهات بجاية، ويقيم بمراكش؛ وكان من الفقهاء؛ وولي الخطابة بإشبيلية سنة 580هـ/1184م.

ـ ثم **ميمون الهواري** (من أعيان القرن السادس للهجرة)؛ ذكره ابن الأبار بقوله: **((من سكان قرطبة؛ كان أديبا فقيها؛ وله شعر فيما جرى بين أبي الوليد بن رشد، وأبي محمد بن أبي جعفر؛ في التفضيل بين الهَيْلَلَة والحَمْدَلَة فضل فيه قول ابن رشد)).**[1]

[1] التكملة، ج: 2، ص: 718.

"

ـ ثم **أبو موسى عمران بن موسى بن ميمون السلاوي الهواري** (توفي بسلا سنة 640هـ/1242م)؛ كان من الحفاظ المشتغلين بعلوم التفسير، والعربية، والنحو، والأدب.

ـ ثم **أبو موسى عمران بن موسى بن معمر الطرابلسي الهواري** (توفي بتونس سنة 660هـ/1261م)؛ فقيه، ولي القضاء بطرابلس، وتونس فكان محمود السيرة.

ـ ثم **أبو القاسم بن عمر بن أبي القاسم الهواري الإسكندري** (من أعيان النصف الثاني من القرن السابع للهجرة)؛ فقيه، وهو أخو وجيه الدين منصور بن العمادية لأمه. وهو ممن أجاز لابن جابر الوادي آشي.

ـ ثم **جمال الدين محمد بن سليمان بن عبد الله بن يوسف الهواري** المعروف بابن أبي الربيع (توفي بالقاهرة سنة 673هـ/1274م)؛ كان من أفاضل الأدباء؛ له شعر متداول؛ منه:

لَوْلاَ التَّطَيُّرُ بالخِلاَفِ وَأَنَّهُمْ
قَالُوا مَرِيضٌ لاَ يَعُودُ مَرِيضَا
لَقَضَيْتُ نَحْبِي خِدْمَةً بفَنَائِكُمْ
لأَكُونَ مَنْدُوباً قَضَى المَفْرُوضَا

"

ويقـــول أيضـــا:

أحْبَابَ قـــلْبي إنْ تَحَكَّمَتِ النَّـــوَى

فِي بَيْننَا وَجَرَى القَضَاءُ بمَا جَـــرَى

فَلَقَدْ غَضَضْتُ عَنِ الوَرَى مِنْ بَعْدِكُمْ

طَرفًا يَرَى مِنْ بَعْدِكُمْ أنْ لاَ يَـــرَى

وممـــا قالـــه كذلـــك:

سَرَيْـــتُ مِـــنَ السَّـــوَادِ إلىَ السُّوَيْـــدَا

مَسيرَ البَـــدْرِ فِي طَـــرَفِي وَقَلْـــبي

قَضَيْـــتُ مِـــنَ النَّـــوَى وَطَـــراً وَهَـــا قَـــدْ

قَضَيْتُ ـــ لَكَ البَقَا ـــ فِي البُعْدِ نَحْبِي

ويقـــول في مـــوسى بـــن يغمـــور:

لَكَ اللَّهُ يَا مُوسَى فَأنْتَ مُحمَدُ الـــ

ـــصِّفَاتِ وَفِكْرِي فِيكَ حَسَّانُ مَدْحِهِ

إذَا مَا دَجَا لَيْلٌ مِنَ الخَطْبِ مُظْلِـــمٌ

فَمِنْ يَدِكَ البَيْضَـــاءِ إسْفَارُ صُبْحِـــهِ

وبعـــث إلى أحـــد أصدقائـــه؛ وكـــان يســـمى الصـــدر هـــذه الأبيـــات:

مَا زِلْتُ فِي بُعْدٍ وَقُرْب صَبًّا إلَيْكَ وَأيَّ صَبِّ

حُزْتَ القُلُوبَ بِأسْرِهَا وَالصَّدْرُ مَوضِعَ كُلَّ قلْبِ

"

وقال فيه أيضا:

وَتَوَسْوَسْتُ باشْتِيَاقِي إلىَ الصَّدْ
رِ وَمَا زَالَ مَوْضِعَ الوَسْوَاسِ

ـ ثم **أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الطرابلسي الهواري** (ت سنة 682هـ/1283م)، وهو أخو أبو موسى عمران السابق الذكر؛ وكان أبو علي من المستوعبين لعلوم الفقه والأدب، وتعرض في حياته العملية لمحن عديدة في ظل الدولة الحفصية؛ وولي خطة القضاء في عهد المستنصر الحفصي، ثم خطة العلامة الكبرى، وخطة الأرفاع، والنظر في خزانة الكتب؛ ولكن السلطان سخطه، ونفاه إلى المهدية؛ ثم رضي عنه. وله شعر كثير؛ منه:

لَوْلاَ احْوِرَارُ جُفُونِ أودِعَتْ سَقَماً
مَا أمْطَرَتْ سُحْبُ أجْفَاني الدُّمُوعَ دَمَا
وَلاَ وَقَفْتُ أصَيْلاَناً بِرَبْعِكُمْ
وَلاَ سَقَيْت رُبَاهُ مِنْ دَمِي دِيَمَا
وَلاَ نَثَرْتُ عَقِيقَ الدَّمْعِ فِي طَلَلٍ
مِنْهُ أذِيعُ الَّذِي قَدْ كَانَ مُكْتَتَمَا
البَيْنُ يُقْطَعُ مِنْه كُلّ مُتَّصِلٍ
وَالشَّوْقُ يُنْثَرُ مِنْهُ كُلَّ مَا انْتظَمَا

"

وَالوَجْدُ شَادَ بجسْمِي مَا يُهَدِّمُــهُ
آهٍ عَلَى مَا بَــنَى فِيــهِ وَمَا هَدمَــا
مَا خَطَطَ النَّوْمُ فِي جَفْني رَسْمَ كَرَى
إلاَّ مَحَا السُّهْدُ مَا قَدْ خُطَّ أوْ رُسِمَا
أنْبيكُــمُ إنَّــني مِنْ يَوْمِ بَيْنكُــمُ
مَا زِلْتُ لِلسُّهْدِ وَالتِّذكَــارِ مُلْتَزِمَــا
أرْتَاحُ إنْ هَبَّ رِيحٌ مِنْ جَنَابكُــمُ
أوْ لاَحَ بَــرْقٌ بذَاكَ الأفْقِ مُبْتَسِمَــا
أمَا وَمَنْ قَــدَّرَ الأشْيَــاءَ مُقْتَــدِراً
وَحُبِّكُمْ وَكَــفَى بالحُبِّ لِي قَسَمَــا
مَا رَامَ قَلْبِي اصْطِبَاراً بَعْدَ بُعْدِكُــمُ
وَلاَ تَأخَّــرَ بِي مِنْ وَجْــدِهِ قَدَمَــا

ومــن قولــه لمــا شــفي المستنصــر مــن مرضــه:
اللَّـــهُ أنْعَمَ بَعْــدَ اليَــأسِ بالفَــرَجِ
يَا أزْمَةَ الدَّهْرِ عِنْدَ الشدَّةِ انْفَــرِجي
شُكْرُ الخَلاَئِقِ لاَ يَكْفِي لأيْسَــرِ مَــا
كَفَى وَسَكَّنَ مِنْ هَرْجٍ وَمِنْ رَهَــجِ
أبْقَى الأنَامَ بإبْقَــاءِ الإمَــامِ فَكَــمْ
بصَوْنِــهِ صَانَ مِنْ مَالٍ وَمِنْ مُهَــجِ
إذَا رَعَى اللَّـــهُ لِلإسْلاَمِ رَاعِيَهُــمْ
لَمْ نَأسَ مِنْ فَقْدِ ذِي قَدرٍ وَلاَ هَمَجِ

"

مـــن شعـــره أيضـــا:

آهاً نُـــرَدِّدُ لَوْ تشْـــفِي لَنَـــا كَرَبـــاً
وَبالتَّعِلاَتِ نَحْيَا لَوْ قَضَتْ لَنَا أرَبـــَا
وَبِالأمَـــانِي يَنَـــالُ القَلْـــبُ بُغْيَتَـــهُ
وَقَدْ تَحقَّـــقَ مِنْ مُعْتَادِهَـــا كَذِبَـــا
يَرْتَـــاحُ إنْ لاَحَ بَرْقٌ مِنْ جَهَامَتِهَـــا
وَمَـــا تَـــرَاءَى لَـــهُ إلاَّ وَقَدْ ذَهَبَـــا
يُسَـــرُّ إنْ مُـــدَّ يَوْماً حَبْـــلُ مُنْيَتِـــهِ
وَمَا تَطـَـاوَلَ إلاَّ جُـــذ وَانْقَضَبَـــا
إنْ عَـــزَّ مَا يَبْتَغِيـــهِ فَهْوَ فِي هَـــرَجٍ
وَيَخْتَشِي الفَقْدَ إنْ مَا يَبْتَـــغِي قَرُبـــَا
وَارَحْمَتَـــاهُ لِقَلْـــبيكَـــمْ أجَشَّمُـــهُ
أمْـــراً يُذِيبُ مِنَ الأصْلاَدِ مَا صَلُبَـــا
وَكَمْ يُعَـــانِي مُلِمَّـــاتٌ بأيْسَرِهَـــا
يُهَـــوِّنُ المَرْءُ مِنْ دُنْيَـــاهُ مَا صَعُبَـــا
وَكَمْ يُلَجْلِـــجُ فِي أفْكَارِهِ لُجَجـــاً
سُـــوداً تُؤَجِّجُ فِي أحْشَائِـــهِ لَهَبـــا
وَكَمْ تَهُـــبُّ سَمُـــومٌ مِنْ تَنُفسِـــهِ
لَو اسْتَمَرَتْ لَمَا هَبَّتْ نَسِيـــمُ صَبَـــا
اسْتَغْفِرُ اللَّـــهَ لاَ أشْكُو الزَّمَـــانَ وَلاَ
أبْـــدِي إذَا طَرَقَتْ أحْدَاثُـــهُ رَهَبـــا
وَلاَ أئِـــنُّ لِحَـــظٍّ مِنْـــهُ أعْـــوَزَنِي
وَلاَ أسَـــرُّ إذَا مَاءُ المُـــنَى انْسَكَبَـــا

"

أَنَّى يُسَرُّ لَبِيبٌ إنْ رَأى حُلمَا
وَكَيْفَ يَطْرَبُ مَنْ خَمْرَ الفَنا شَرِبَا

ـ ثم **أبو الحسن نور الدين علي بن يونس ابن عبد الله التونسي الهواري** (ولد سنة 668هـ/1269م)؛ وهو من العلماء الأفاضل، ومن المصنفين؛ شرح أصلي ابن الحاجب.

ـ ثم **منصور بن سليم بن منصور الجزيري الهواري** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه أجاز لابن جابر الوادي آشي في السنة المذكورة.

ـ ثم **أبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد بن نبيه الجزيري السبتي الهواري** (ت: سنة 701هـ/1301م)؛ فقيه. وهو من شيوخ محمد المجاري الأندلسي.

ـ ثم **أبو يحيى بن أبي بكر بن برنيق المجريسي الهواري** (كان حيا سنة 707هـ/1307م)؛ وهو من سكان طرابلس؛ وكان فقيها؛ له إلمام ومشاركة في علوم شتى؛ منها: أصول الدين، والفقه.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهواري** (كان حيا سنة 707هـ/1307م)؛ فقيه، وصوفي من سكان تونس؛ له شعر ؛ منه

"

بعـــض القصائـــد بعـــث بعثهـــا للتجـــاني أثنـــاء رحلتـــه مـــع السلطـــان ابـــن اللحيـــاني الحفـــصي:

مَنْ لِي بِخِلٍّ كَانَ يُؤنسُ وَحْشَــتِي
وَيؤُمُّـــنِي بالبشْـــر إذ يَلْقَـــانِي
صَاحَبْتُهُ فِي اللـــَّهِ أَحْسَنَ صُحْبَــة
فَشَكَـــرْتُ مِنْـــهُ كُـــلَّ مَا أوْلانِي
وَرَأيْـــتُ مِنْـــهُ مَـــوَدَّة وَمَحَبَّـــة
وَفَضَائِـــلاً زَادَتْ عَـــلَى الحُسْبَـــانِ
لاَ غَـــرْوَ أنْ حَـــازَ الكَمَالَ فَإنَّمَـــا
وَقْـــفُ الكَمَال عَلَى بَنِي تِيجَـــانِ
كَمْ زَهْرَة فِي رَوْضَةٍ سَمَحَتْ بِـــهِ
فَرَأيْـــتُ بُسْتَانـــاً لَـــدَى بُسْتَـــانِ
فَـــوِدَادَهُ عِنْـــدِي نَضِيـــرٌ دَائِمـــاً
وَثَنَـــاؤُهُ غَـــضٌ بكُـــلِّ أوَانِ
أمقَـــدِّمَ الآبَـــاء دُونَ مُنَـــازِعٍ
وَسُلاَلَـــة الحُسَبَـــاء وَالأعْيَـــانِ
وَأجَـــلَّ حَبْرٍ قَدْ سَمَا فِي عَصْرِنَـــا
بالْعِلْـــمِ وَالآدَاب وَالإتْقَـــانِ
قَدْ جَاءَنِي مِنْكُمْ كِتَـــابٌ سَـــرَّنِي
بالبشْـــر وَالتَّرْحِيـــب إذ حَيَّـــانِي
إنِّي لأحْيَـــا إذ سَمِعْتُ بذِكْرِكُـــمْ
فَأخَـــالُ قَلْبِي فَـــاضَ مِنْ أجْفَـــانِي

"

فَاللَّـــهُ يَجْمَـــعُ شَمْلَنَــــا بِلِقَائِكُـــمْ
وَيَزِيدُكُـــمْ بِالعَفْـــوِ وَالغُفْــرَانِ
وَعَلَيْكُـــمُ مِــنِّي سَـــلاَمٌ دَائِـــمٌ
مُتَعَطِّـــرٌ مَا اهْتَـــزَّ غُصْـــنُ البَـــانِ

ويقـــول في قصيـــدة أخـــرى أرسلهـــا إلى التجـــاني أيضـــا:

كِتَابُكُمْ أَهْدَى مِنَ الوَجْدِ مَا أَهْدَى
فَلاَ تَحْسبُوا أَنِّي نَقَضْتُ لَكُمْ عَهْـــدَا
سَـــرَى لِي بِسِرٍّ مِنْهُ عَرْفٌ مُعَـــرَّفٌ
أَفَـــادَ بِمَسْرَاهُ الصَّبَابَـــةَ وَالوَجْـــدا
حَبَانِي بِحُبٍّ سَيِّـــدٌ فِيهِ مَاجِـــدٌ
بِهِ شَرَّفَ اللَّـــهُ السِّيَـــادَة وَالَمجْـــدَا
نَسِيمُ الصَّبَا بِاللَّـــهِ سِـــرْ بِتَحِيَّـــةٍ
فَضَضْتُ بِهَا مِنْ شُكْرِهِ المِسْكَ وَالنَّدَا
كَأَنِّي بِهِ لَمَّا جَرَى البَيْـــنُ بَيْنَنَـــا
وَمَدَّ حِجَابَ البُعْدِ مَا بَيْنَنَـــا مَـــدَّا
يَقُولُ جَفَا أَوْ مَالَ أَوْ مَلَّ أَوْ سَلاَ
وَحَالَ عَنِ الإِخْلاَصِ أَوْ نَسِيَ الـــوُدَّا
غَرَامِي غَرَامِي بِالحَبِيبِ وَإِنْ نَـــأَى
وَحُبِّي لَهُ حُـبِّي دَنَـــا لِي أَوْ صَـــدَّا
وَإِنِّي لَمُشْتَـــاقٌ إِلَيْـــكَ وَصَابِـــرٌ
إِذَا لَمْ أَجِـــدْ مِمَّا أُكَابِـــدُهُ بُـــدَّا

"

وَإِذَا خَطَرَتْ ذِكْرَاكَ يَوْماً بخَاطِرِي

وَجَدْتُ لِحَرِّ الشَّوْق فِي إثْرِهَا بَــرْدَا

ألاَ نَفْحَــة مِنْكُـــمْ تُبَـــرِّدُ بَاطِـــنِي

فَإنَّ بقَلْبِي مِنْ أَلِيم النَّــوَى وَقْــدَا

ألاَ مَوْعِــدٌ مِنْكُمْ يُعَلِّــلُ مُهْجَــتِي

فَأرْتَاحُ لِلقِيَــا وَأَسْتَنْجِــز الوَعْــدَا

لَئِــنْ جَاءَنِي يَوْماً بَشِيرٌ بقُرْبكُـــمْ

وَهَبْتُ لَهُ نَفْسِي وَأَهْوِنْ بهَا نَقْــدا

وَإنِّـــي لأسْتَجْــدِي ودَادَكَ إنَّــهُ

أجَلُّ نَفِيسٍ وَالأفَاضِــلُ تُسْتَجْــدَا

وَإنِّي لأسْتَهْدِي سَلاَمَــكَ جَالِبــاً

بمَأتَــاهُ أنْسِي وَالأكَارِمُ تُسْتَهْــدَى

وَإنِّي لأسْتَــدْعِي جَوَابَــكَ رَاغِبــاً

لِيُفْتَحَ بَابُ القُرْب مِنْ بَعْدِ مَا سُــدَّا

لَقَدْ ضَيَّعَ الأصْحَابُ عَهْدِي وَلاَ نَوَى

وَأنْتَ بظَهْر الغَيْب تَحْفَظُ لِيَ الوُدَّا

سَأشْكُرُكُمْ شُكْرَ الرِّيَاضِ بسُحْبهَــا

وَأنْظِمُ فِيكُمْ مِنْ حُلَى مَجْدِكُمْ عِقْدَا

وَأجْهَدُ فِي شُكْرِي لِمَجْدِكُمْ عَسَى

بفَضْلِكُمْ أنْ تَقْبَلُوا مِــنِّيَ الجُهْــدَا

"

ـ ثم **أبو بكر يحيى بن أبي القاسم بن جماعة التونسي الهواري** (ت: سنة 712هـ/1312م)؛ فقيه.

ـ ثم **أبو علي عمر بن علي بن قداح التونسي الهواري** (توفي بعد عام 730هـ/1329م)؛ إمام من أئمة الفقه المالكي؛ ومن المختصين بالفتيا؛ وولي قضاء الجماعة بتونس؛ فكان حميد الذكر؛ قام بإعداد بعض التقييدات في بعض المسائل.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد السلام ابن يوسف بن كثير المنستيري الهواري** (توفي في تونس بالطاعون سنة 749هـ/1348م)؛ وهو فقيه مالكي، ومن الحفاظ، ضليع في علوم: الأصول، والعربية، والبيان، والحديث، والكلام؛ ولي قضاء الجماعة بتونس، فكان شديدا في أحكامه؛ وأنجز شرحا مفيدا لمختصر ابن الحاجب؛ وهو شرح جامع الأمهات لابن الحاجب؛ في فقه، والفتوى.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الهواري** المعروف بابن جابر (توفي في إلبيرة سنة 780هـ/1378م)؛ وهو من المرية. قال فيه ابن الخطيب: **((رجل كفيف البصر، مدلٌ على الشعر، عظيم الكفاية والمنة، على**

"

زمانته. رحل إلى المشرق؛ وتظاهر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلبيري؛ صارا روحين في جسد؛ وَوَقع الشعر منهما بين لَحْيَيْ أسد، وشمَّرا لِلعلم وطلبه؛ فكان وظيفة الكفيف النَّظم، ووظيفة البصير الكَتْبُ؛ وانقطع الآن خبرهما)).[1] وأضاف المقري إلى هذه الترجمة:[2] **((ودخل مصر والشام؛ واستوطن حلب؛ وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان؛ وله أمداح نبوية كثيرة، وتواليف؛ منها: شرح ألفية ابن مالك، وغير ذلك، وله ديوان شعر، وأمداح نبوية في غاية الإجادة)).** قام أيضا بشرح ألفية ابن المعطي الزواوي. ومن شعره الذي أثبته ابن الخطيب في الإحاطة، والمقري في نفح الطيب:

سَلوُا حُسْنَ ذَاكَ الخَالِ فِي صَفحَةِ الخَدِّ
مَتىَ رقَمُوا بالِمسْكِ فِي نَاعِمِ الوَرْدِ
وَقُولُوا لِذَاكَ الثَّغْرِ فِي ذَلكَ اللُّمَى
مَتىَ كَانَ شَأنُ الدرِّ يُوجَدُ فِي الشَّهْدِ
فَتَاة تَفُتُّ القَلْبَ مِنيِّ بمُقْلَةٍ
لَهَا رِقَّة الغُزْلاَنِ فِي سَطْوَة الأسْدِ

---

[1] الإحاطة، ج: 2، ص: 330.

[2] نفح الطيب، ج: 2، ص: 664.

"

فَقُلْتُ أَلَيْسَ القَلْبُ عِنْدَكِ حَاصِــلاً
فَقَالتْ قُلُوبُ النَّاسِ كُلُّهُمُ عِنْــدِي
فَقُلتُ اجْعَلِينِي مِنْ عَبيدِكِ فِي الهَوَى
فَقَالَتْ كَفَانِي كَمْ لِحُسْنِيَ مِنْ عَبْدِ
إذَا شِئْتَ أنْ أرْضَاكَ عَبْداً فَمُتْ جَوًى
وَلاَ تَشْتَكِي وَاصْبرْ عَلَى ألَمِ الصَّــدِ
ألَمْ تَــرَ أنَّ النَّحْــلَ يُحْمَلُ ضُرُّهَــا
لأجْلِ الَّذِي تَجْنيهِ مِنْ خَالِصِ الشَّهْدِ
كَذَلِكَ بَذْلُ النَّفسِ سَهْلٌ لِذِي النُّهَى
لِمَا يَكْسَبُ الإنْسَانُ مِنْ شَرَفِ الحَمْدِ
ألَسْتَ تَرَى كَفَّ ابْنَ جَانَة طَالَمَــا
أضَاعَ كَرِيمَ المَال فِي طَلَب المَجْــدِ

وفي قصيــدة أخــرى يقــول:

عَــرِّجْ عَلَى بَــانِ العُذَيْب وَنَــادي
وَأنْشُــدْ فَدَيْتُــكَ أيْنَ حَلَّ فُــؤَادِي
وَإذَا مَــرَرْتَ عَلَى المَنَازل بالحِــمَى
فَاشْــرَحْ هُنَالِكَ لَوْعَتِي وَسُهَــادِي
إيــهٍ فَدَيْتُــكِ يَانُسَيْمَــةَ خَبِّــرِي
كَيْفَ الأحِبَّــة وَالْحِمَى وَالْــوَادِي
يَا سَعْــدُ قَدْ بَانَ الْعُذَيْبُ وَبَانُــهُ
فَانْزِلْ فَدَيْتُــكَ قَدْ بَــدَا إسْعَــادِي

"

خُـــذْ فِي البشَارَةِ مُهْجَتِي يَوْمـــاً إذَا
بَانَ العُذَيْبُ وَنُورُ حُسْنِ سعَـــادِي
قَدْ صَحَّ عِيدِي يَوْمَ أبْصِرُ حُسْنَهَـــا
وَكَـــذَا الهِــلاَلُ عَلاَمَــةُ الأعْيَـــادِ

ويقـــول في قصيـــدة مديحيـــة:
هَنَاؤُكُـــمْ يَا أهْلَ طَيْبَـــة قَد حَقَّـــا
فَبالقُرْب مِنْ خَيْرِ الوَرَى حُزْتُمُ السَّبْقَا
فَـــلاَ يَتَحَـــرَّك سَاكِنٌ مِنْكُـــمُ إلَى
سِوَاهَا وَإنْ جَارَ الزَّمَانُ وإنْ شَقَـــا
فَكَمْ مَلِـــكٍ رَامَ الوُصُولَ لِمِثْلِ مَـــا
وَصَلْتُمْ فَلَمْ يَقْدِرْ وَلَوْ مَلَكَ الخَلْقَـــا
فَبُشْرَاكُـــمُ نلْتُـــمْ عِنَايَـــة رَبِّكُـــمْ
فَهَا أنْتُمُ فِي بَحْرِ نعْمَتِـــه غَـــرقَى
تَرَوْنَ رَسُولَ اللَّـــهِ فِي كُلِّ سَاعَـــةٍ
وَمَنَ يَـــرَهُ فَهُوَ السَّعِيـــدُ بِهِ حَقَّـــا
مَتَ جِئْتــُـمُ لاَ يُغْلَقُ البَابُ دُونَكُـــمُ
وَبَابُ ذَوِي الإحْسَانِ لاَ يَقْبَلُ الغَلْقَا
بطَيْبَـــة مَثْوَاكُمُ، وَأكْـــرَمُ مُرْسَـــلٍ
يُلاَحِظُكُمْ فَالّدهْرُ يَجْرِي لَكُمْ وَفْقَا
فَلاَ تَنْظُـــرُوا إلاَّ لِوَجْـــهِ حَبِيبكُـــمُ
وَإنْ جَاءَتِ الدُّنْيَا وَمَرَّتْ فَلاَ فَرْقَـــا

"

ولـــه المقصـــورة الموصوفـــة بالفريـــدة؛ وهي منظومـــة معشـــرات؛ عـــلى حـــروف المعجـــم؛ منهـــا عـــلى حـــرف الهمـــزة:

بَـــادَرَ قَلْـــبي لِلْهَوَى وَمَا ارْتَـــأى
لَمـــَّا رَأى مِـــنْ حُسْنِهَا مَا قَدْ رَأى
فَقَـــرَّبَ الوَجْـــدَ لِقَلْـــبي حُبُّهَـــا
وَكَـــانَ قَلْـــبي قَبْلَ هَذَا قَدْ نَـــأى
يَا أيُّهَـــا العَـــاذِلُ فِي حُـــبِّي لَهَـــا
أقْصِـــرْ فَلِي سَمْعٌ عَنِ العَذْلِ بَـــأى
لَوْ أبْصَـــرَ العَـــاذِلُ مِنْهَـــا لَمْحَـــة
مَا فَـــضَّ بَـــابَ عَذْلِـــهِ وَلاَ فَـــأى
سَرَّحْتُ طَـــرْفِي طَالِباً شَـــأوَ العُلاَ
وَتَابعـــاً فِي حُبِّهَـــا مَا قَدْ شَـــأى
إنِيِّ لأرْعَاهَـــا عَـــلىَ تَتْبيعِهَـــــا
عَهْدِي، وَمِثْـــلِي مَنْ وَفَى إذَا وَأى
مَنْ مُنْصِـــفِي مِن شَادِنٍ لَمْ أرْجُـــهُ
لِحَاجَـــةٍ مِـــنْ وَصْلِـــهِ إلاَّ زَأى
وَإنْ قَبضْتُ النَّفْـــسَ عَنْ سُلْوَانِـــهِ
مَـــدَّ أدِيـــمَ هَجْـــرِهِ لِي وَسَـــأى
لأقْطَعَـــنَّ البِيـــدَ أفْـــرِي حَاذَهَـــا
بِضَامِـــرٍ يَفْـــرِي الحَصَى إذَا جَـــأى
حَـــتَّ أزُورَ رَبَّـــةَ الخِـــدْرِ وَقَـــدْ
ذَادَ الكَـــرَى عَـــنِّ الوُشَـــاة وَذَأى

"

وعـــلى حـــرف البـــاء يقـــول:

يَـــا رُبَّ لَيْـــلٍ قَـــدْ تَعَاطَيْنَـــا بـــهِ
حَدِيثَ أنْـــسٍ مِثلَ أزْهَـــارِ الـــرُّبَى
فِي رَوْضَـــةٍ تَعَانَقَـــتْ أغْصَانُهَـــا
إذْ وَاصَلَـــتْ مَا بَيْنَهَا رِيحُ الصَّبَـــا
نَادَمْـــتُ فِيهَـــا مِنْ بَنِي الحُسْنِ رَشَا
يَصْبُـــو لَهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَـــطُّ صَبَـــا
حُلْـــوٌ رَخِيمُ الـــدلَّ فِي أعْطَافِـــهِ
لِيـــنٌ وَفِي ألْحَاظِهِ بيـــضُ الظُّـــبَى
أيَّـــامَ كَانَ العَيْـــشُ غَضًّا حُسْنُـــهُ
عَذْبَ الجَنَى رَيـــَّانَ مِنْ مَاءِ الصِّبَـــا

وعـــلى حـــرف التـــاء يقـــول:

تَاللـــَّهِ لاَ أعْبَـــا بعَيْشٍ قَدْ مَـــضَى
وَلاَ زَمَـــانٍ قَـــدْ تَعَـــدَّى وَعَتَـــا
مُذْ عَلِقَتْ كَـــفِّيَ بالهَادِي الَّـــذِي
سَـــادَ الوَرَى طِفْلاً وَكَهْلاً وَفَـــتَى

وعـــلى حـــرف الثـــاء:

لَـــوْلاَ اشْتِيَـــاقِي لِدِيَـــارٍ كَرُمَـــتْ
لِبُعْدِهَـــا يَـــرْثِي لَنَـــا مَنْ قَدْ رَثَى
وَمَـــدْحُ مَنْ أرْجُـــو بأمْدَاحِي لَـــهُ
إصْلاَحَ مَا قَدْ عَـــاثَ مِـــنِّ وَعَثَـــا

"

لَمْ أجْعَـــلِ الشِّعْـــرَ لِنَفْسي خِلَّـــة
وَلَمْ يَجـــشْ فِكْرِي بـــهِ وَلاَ غَثـــا
فَمَا أرَى الأيَّـــامَ تَبْـــدِي مُنْصِفـــاً
وَلوْ حَكَيْتُ المِسْكَ مِنْ حُسْنِ الثنَـــا
يَا ضَيْعَـــةَ الألْبَابِ فِي دَهْـــرٍ غـــدَا
فِيهِ فَتِيـــتُ المِسْكِ يَعْلُـــوهُ الخـــثَى

ومـــن حـــرف الجيـــم:
لاَ أسْألُ النَّـــذلَ وَلَـــوْ أنيِّ بـــهِ
أمْلُـــكُ مَا حَـــازَ النَّهَارُ وَالـــدُّجَى
حَسْبِي بَنُـــو عَبْـــدِ مَنَـــافٍ بهِـــمُ
يَغْنَى مَنِ اسْتَـــغْنَى وَيَنْجُو مَنْ نَجَـــا

ثـــم مـــن حـــرف الخـــاء:
يَا عَجَبـــاً مِنْ حَاسِدٍ لِي قَدْ زَهَـــا
بعَيْشِـــهِ الغَـــضِّ عَـــلَيَّ وَانْتَـــخَى
كَأنَّـــنِي لَـــمْ أعْـــرِفِ العِـــزَّ وَلاَ
صَاحَبْتُ دَهْرِي فِي سُرُورٍ وَرَخَـــا
وَإنَّمَـــا الدَّهْـــرُ لَـــهُ تَقَلُّـــبٌ
إنِ ارْتَـــخَى شَدَّ وَإنْ شَدَّ ارْتَـــخَى

"

ثم حرف الدال:

إنْ تَحْسبَ الرُّسْلَ سَمَاءً قَدْ بَدَتْ
فَإنَّهُ فِي أفْقِهَا نَجْمُ هَدَى
وَإنْ يَكُنْ كُلُّ كَرِيمٍ قَدْ مَضَى
طَلاًّ فَقَد أَضْحَى لَنَا غَيْثَ جَدَا
وَإنْ يَكُونُوا أنْجُماً فِي فَلَكٍ
فَإنَّه مِنْ بَيْنِهِمْ بَدْرٌ بَدَا
وَاسِطَة السِّلْكِ إذَا مَا نُظِمُوا
وَمَلْجَأ القَوْمِ إذَا الخَطْبُ عَدَا
كَالبَحْرِ بَلْ كَالبَدْرِ جُوداً وَسَنَا
فَحَبَّذا مَنِ اجْتَدَى أوِ اقْتَدَى
أحْسَن أخْلاَقاً مِنَ الرَّوْضِ إذَا
مَا اخْتَالَ فِي بُرْدِ الصَّبَا أوِ ارْتَدَى
وَسَاقَطَ القَطْرُ عَلَيْهِ دَمْعَهُ
فَابْتَلَّ بُرْدُ الزَّهْرِ مِنْهُ وَانْتَدَى

وهي كما ترى.. تتكون من عشرة أبيات؛ لكل حرف من الحروف الهجائية. وله أيضا المطولة المسماة البديعية؛ التي قال عنها المقري: **((ومن محاسنه أيضا البديعية المشهورة؛ وهي المعروفة ببديعية العميان؛ ولو لم يكن من محاسنه إلا قصيدته التي في التورية بسور القرآن، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم**

لكفى؛ وهي من غرر القصائد؛ وكثير من الناس ينسبها للقاضي الشهير عالم المغرب أبي الفضل عياض؛ وكنت أول الاشتغال ممن يعتقد صحة تلك النسبة؛ حتى وقفت على شرح البديعية الموصوفة لرفيقه أبي جعفر؛ فإذا هي منسوبة للناظم ابن جابر... وقد عارض منحاها جماعة فما شقوا لها غبارا)).[1] وهذه عينة من البديعية المذكورة:

فِي كُلِّ فَاتِحَةٍ لِلْقَوْلِ معتبر
حَقُّ الثَنَاءِ عَلَىَ المَبْعُوثِ أتبقره

فِي آلِ عِمْرَانَ قَدْماً شَاعَ مَبْعَثُهُ
رِجَالُهُمْ وَالنَّسَاءُ اسْتَوْضَحُوا خَبَرَه

مَنْ مَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ نُعْمَاهُ مَائِدَةَ
عَمَّتْ فَلَيْسَتْ عَلىَ الأنْعَامِ مقتصر

أعْرَافُ نُعْمَاهُ مَا حَلَّ الرَّجَاءُ بِهَا
إلاَّ وَأَنْفَالُ ذَاكَ الجُودُ مبتدؤه

بِهِ تَوَسَّلَ إذْ نَادَى بتَوْبَتِهِ
فِي البَحْرِ يُونُسُ وَالظَّلْمَاءُ معكره

هُودٌ وَيُوسُفُ كَمْ خَوْفٌ بِهِ أمِنَا
ولن يروع صوت الرعد من ذكره

---

[1] **نفح الطيب، ج: 7، ص ص: 323. 326.**

"

وهي على هذا المنوال في التورية لسور القرآن الكريم؛ ونظرا لشهرتها، وطرافتها فقد أغرت كثيرا من الناظمين، والناثرين على معارضتها بمختلف الأشكال. ولابن جابر الهواري قصائد كثيرة في مختلف الأغراض؛ منها:

وَقَفَتْ لِلْوَدَاعِ زَيْنَبُ لَمَّا
رَحَلَ الرَّكْبُ وَالَمدَامِعُ تُسْكَبْ
مَسَحَتْ بِالبَنَانِ دَمْعِي، وَحُلْوٌ
سَكْبُ دَمْعِي عَلَى أَصَابِعِ زَيْنَبْ

كما اشتهرت تثمينته التي يقول فيها:

لَمْ يَبْقَ فِيَّ اصْطِبَارُ
مُذْ خَلَّفُونِي وَسَارُوا
وَلِلْحَبِيبِ أَشَارُوا
جَارَ الكِرَامُ فَجَارُوا
لِلَّهِ ذَاكَ الأوَارُ
بَانُوا فَمَا الدَّارُ دَارُ
يَا بَدْرُ أَهْلُكَ جَارُوا وَعَلَّمُوكَ التَّجَرِّي
كَانُوا مَعَ الوُدِّ أَهْلِي
مَا عَامَلُونِي بِعَدْلِ
أَصْمَوْا فُؤَادِي بِنَبْلِ
يَا بَيْنُ بَيَّنْتَ ثُكْلِي
يَا رُوحَ قَلْبِيَ قُلْ لِي

"

أهُـــمْ دَعَـــوْكَ لِقَتْـــلِي

وَحَرَّمُوا لَكَ وَصْلِي وَحَلَّلُوا لَكَ هَجْرِي

حَسْـــبِي وَمَـــا ذَا عِنَـــادُ

هُـــمُ المُـــنَى وَالمُـــرَادُ

وَإنْ عَنِ الحَـــقِّ حَـــادُوا

أوْ جَامَلُـــونِي وَجَـــادُوا

يَا مَنْ به الكُـــلُّ سَـــادُوا

وَالكُلُّ عِنْـــدِي سَـــدَادُ

فَلْيَفْعَلُـــوا مَا أرَادُوا فَإنَّهُمْ أهْـــلُ بَـــدْرِ

ـ ثـم أبـو عبـد اللـه محمـد بـن عمـر الهـواري (تـوفي بوهـران سنـة 843هــ/1439م)؛ وهـو الـولي الصالـح المخصـوص بالزيـارة في مدينـة وهـران. ألـف منظومـة غيـر معربـة عرفـت باسـم سهـو والتنبيـه؛ انكـب عـلى تصحيحهـا عروضيـا، ولغويـا الفقيـه أبـو زيـد عبـد الرحمـن المقلـش؛ ولمـا أخبـر أبـو عبـد اللـه الهـواري بذلـك أجابـه: **((هـذا السهـو يقـال لـه سهـو المقلـش؛ أمـا سهـوي فهـو سهـو الفقـراء؛ إنمـا ينظـرون فيـه إلى المعـنى؛ ومـن أيـن العربيـة، والـوزن لمحمـد الهـواري؛ بـل سهـوي يبـقى عـلى مـا هـو عليـه)).**[1] ويفهـم ـ

---

[1] ابـن مريـم؛ البستـان، ص: 229.

"

بالطبع ـ من هذا أنه تعمد كتابته بهذا الشكل غير المعرب، ولا الموزون؛ لكي تستفيد منه العامة. وله أيضا التسهيل، والتبيان، وتبصرة السائل.

ـ ثم **أبو محمد عبد السلام الفاسي الهواري** (ت: سنة 1328هـ/1910م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ ولي القضاء؛ وله بعض المؤلفات؛ منها: كتاب شرح وثائق البناني.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الهواري** كان فقيها، وراوية، ومحدثا وكاتبا بليغا.

OOO

هذا ما أمكن إدراجه عن رجال العلم، والأدب من قبيل هوارة أصلا؛ أما أعلام السياسة، والحكم منهم فهم:

ـ **عبد الواحد بن يزيد الهواري** (ت: سنة 124هـ/741م)؛ وهو قائد الصفرية الزاحفين على القيروان؛ في السنة التي ولي فيها حنظلة بن صفوان الكلبي؛ فانتهت ثورته بالفشل، إذ قتل هو، وعدد كبير من أنصاره.

"

ـ ثم **عياض بن وهب الهواري** (كان حيا سنة 196هـ/811م)؛ قاد ثورتين على أمراء القيروان: الأولى سنة 179هـ/795م؛ ضد هرثمة بن أعين، أما الثانية فضد الأمير إبراهيم بن ألأغلب، وابنه عبد الله.

ـ ثم **مجاهد بن مسلم الهواري** (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ وهو أحد قادة عبد الرحمن بن حبيب؛ المتغلب على القيروان.

ـ ثم **أبو يحيى بن قَرْياس الهواري** (ت: سنة 156هـ/772م)؛ ثار على يزيد بن حاتم والي إفريقية؛ ولكنه لم يفلح؛ وقتل مع عدد من أنصاره الهواريين، والزناتيين والنفوسيين.

ـ ثم **وزواوة بن نعم الحلفاء الهواري** (كان حيا سنة 212هـ/827م)؛ وهو من القادة الذين أرسلوا لغزو صقلية.

ـ ثم **أصبغ بن وكيل الهواري** المعروف بفرغلوش (ت: 216هـ/831م)؛ جاء هذا القائد البحري مع رفاق له من متطوعي الأندلس. ولما وصل وجد جيش المسلمين في صقلية في حالة سيئة؛ فكان نجدة إلهية إليهم. وبشروط منه سلمت إليه قيادة المسلمين بالكامل؛ منعا

"

للتضارب، والتناقض؛ ولكنه لم يدم طويلا؛ إذ مات بوباء الطاعون؛ الذي اجتاح صقلية، ومات منه كثير من المسلمين.

ـ ثم **زنون** (ذي النون) **بن سليمان بن السمح بن وردجيقن الهواري**؛ وقد سماه المؤرخون العرب في البداية **دنون**، ثم **ذي النون** فيما بعد (توفي بأقليش سنة 274هـ/887م)؛ وهو جد بني ذي النون ملوك طليطلة في زمن الطوائف. كان في بداية أمره بحصن أقليش؛ قاعدة كورة شنتبرية؛ حيث أسند إليه السلطان محمد بن عبد الرحمن بن الحكم إدارة شئون قومه، ومن سكن كورة شنتبرية. وبهذا بدأ شأنهم في الرياسة والملك. وكان أول من دخل من هذه الأسرة إلى بلاد الأندلس جدهم سليمان بن السمح.

ـ ثم الأمير **موسى بن زنون** (ذي النون) **بن سليمان بن السمح بن وردجيقن الهواري** (ت: سنة 295هـ/907م)؛ يعتبر هو المؤسس الأول لإمارة بني ذي النون في بلاد الأندلس؛ ولي إمارة شنتبرية بعد وفاة أخيه **أبي جوشن**؛ الذي لم يدم حكمه طويلا؛ حيث عاجلته المنية. وكان من قبل هو وأخيه رهينتين لدى محمد بن

"

عبد الرحمن بقرطبة؛ ضمانا لطاعة أبيهما زنون. ولما ولي موسى إمارة شنتبرية؛ شرع في التطلع للاستبداد؛ وانتهز فرصته في عهد عبد الله ابن محمد الأموي؛ فكان له ذلك؛ وبقي حتى وفاته.

ــ ثم الأمير **الفتح بن موسى بن زنون (ذي النون) بن سليمان بن السمح الهواري** (ت: سنة 303هـ/915م)؛ خلف والده في الاستبداد بحصن أقليش بالأندلس، وقتله واحد من أتباعه؛ غدرا أمام طليطلة.

ــ ثم **يحيى بن موسى بن ذي النون الهواري** (ت: سنة 325هـ/926م)؛ كان من ولاة الدولة الأموية؛ ولكنه أخذ في قطع الطرق، والتعرض للناس؛ فأرسل الأمير عبد الله بن محمد الأموي جيشا لمطاردته؛ فقبض عليه؛ ثم صفح عنه الناصر؛ فانصلح حاله.

ــ ثم الأمير **مطرف بن موسى بن ذي النون الهواري** (ت: سنة 333هـ/944م)؛ في البداية أقطعه أبوه ــ الأمير المستبد على بني أمية ــ حصن وبذة؛ ولما اعتلى عبد الرحمن الناصر لدين الله عرش الخلافة؛ أعلن الأمير مطرف ولاءه؛ فأقره الناصر في إمارته؛ ثم أضاف إليه أغلب

الحصون والقرى في مقاطعة شنتبرية؛ وظل محافظا على العهد، والطاعة إلى يوم وفاته. غير أنه جاء في القطعة التي حققها عبد الرحمن علي الحجي لكتاب المقتبس؛ أن الخليفة المستنصر بالله أقر لمطرف بن إسماعيل إمارة وبذة وبقية الحصون في عام 363هـ/973م؛ مما يعني أن المطرف لم يمت في سنة 333هـ/944م؛ كما ذكرت مصادر أخرى.

ـ ثم **عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ حكم في عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر؛ وكان مستبدا بنواحي شنتبرية؛ على نهج أسلافه من بني ذي النون. ولما استنجد به سكان طليطلة؛ لصد جور واليهم عبد الملك بن متيوه؛ بعث إليهم ولده إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون؛ الذي استولى على المدينة، وأحسن السيرة فيهم.

ــ ثم **الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري** (ت: سنة 429 أو 435هـ/1037 أو 1043م)؛ سار سيرة حسنة في حكم طليطلة؛ ثم أضيفت إليه قلعة كونكة؛ وقد أخذ عليه ابن حيان ــ كما نقل صاحب الذخيرة ــ ميله إلى البخل، ((**والكلف بالإمساك، والتقتير في الإنفاق**)) بالإضافة إلى سبقه لإعلان الخلاف والفرقة، والتطرف.

ــ ثم **هُذيْل بن خَلَف بن لُبّ بن رَزين الهواري** المعروف بابن الأصلع (من أعلام أوائل القرن الخامس للهجرة)؛ نقل كل من: ابن عذاري، وابن الخطيب عن ابن حيان خبر هذيل هذا بقولهما هو: ((**صاحب السهلة؛ متوسطة ما بين الثغرين الأعلى والأدنى؛ من قرطبة. وكان من أكابر برابر الثغر؛ ورث ذلك عن سلفه. ثم سما لأول الفتنة إلى اقتطاع عمله، والأمارة بجماعته، والتشبه بجاره إسماعيل بن ذي النون؛ في الشرود عن سلطان قرطبة. فاستوى له من ذلك ما أراد؛ هو وغيره؛ إلا أنه كان مع تعززه على هشام؛ لم يخرج عن طاعته؛ ولا وافق منذرا، وأصحابه على التمالؤ عليه؛ إلى**

"

أن ظفر سليمان بهشام المؤيد؛ المخلوع آخر القوم بقرطبة؛ فسلك مسلكهم. ورضي منه بذلك سليمان؛ وعقد له على ما في يده؛ لعجزه عنه... فسلم من معرة الفتنة أكثر وقته، وتخطته الحوادث لقوة سعده؛ واقتصر مع ذلك على ضبط بلده المرسوم بولاية والده؛ وترك التجاوز لحده، والامتداد إلى شيء من أعمال غيره. فاستقام أمره، وعمر بلده، وأنظر بُعْدَ جُمْهُور الثوار بالأندلس مدة الحياة. وليس في بلد الثغر أخصب بقعة من سهلته المنسوبة إلى بني رَزين سلفه؛ لاتصال عمارتها؛ فكثر ماله؛ إذ ناغى جاره، وشبيهه إسماعيل بن ذي النون في جمع المال؛ ونافسه في خلال البخل، وفرط القسوة... وكان بارع الجمال، حسن الخلق، أرفع الملوك همة في اكتساب الآلات... وتصير أمره إلى الحاجب ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل؛ حسام الدولة. وعندئذ احتفل مجدهم، وبلغ النهاية في الإشراف نَجْدُهم)).[1] وبعد وفاة هذيل خلفه ابنه عَبود بن هذيل؛ ولما توفي ولي بعده عبد الملك.

---

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 181 ـــ 182. أعمال الأعلام، ص ص: 205 ـــ 206.

"

ـ ثم الأمير **المأمون أبو زكرياء يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون الهواري** (ت: سنة 460 أو 467 هـ/1067 أو 1074م)؛ وهو من ملوك الطوائف ببلاد الأندلس؛ تولى ـ بعد وفاة والده ـ على طليطلة؛ وتزاحم مع ابن هود على وادي الحجارة؛ فتقاتلا؛ واستعان كل منهما بالنصارى ضد خصمه؛ مما أدى إلى تخريب بلادهما من طرف النصارى. واستمرت الحرب سجالا بينهما؛ حتى وفاة ابن هود. عندها.. تمكن يحيى بن ذي النون من إخضاع شرق الأندلس كله تحت سلطانه؛ إلى أن مات بطليطلة. وقال فيه أبو محمد الحجاري في كتاب المغرب: **((لم يكن فيهم** (بنو ذي النون) **أعظم قدرا، ولا أشهر ذكرا منه؛ اجتمع في مجلسه أبو عبد الله محمد بن شرف؛ حسنة القيروان، وعبد الله ابن خليفة المصري؛ الحكيم** (الشاعر)، **وأبو الفضل البغدادي؛ الأديب** (محمد بن عبد الواحد الدارمي). **ولم يجتمع عند ملك من ملوك الأندلس ما اجتمع عنده من الوزراء والكتاب الجلة؛ منهم: أبو عيسى بن لبون** (الأديب الشاعر والوزير القائد)، **وابن سفيان**

"

(أبو محمد الشاعر البليغ)، **وأبو عامر بن الفرج** (الوزير الشاعر)، **وأبو المطرف بن مثنى))**.[1]

ـ ثم حفيده **القادر يحيى بن إسماعيل بن المأمون بن يحيى بن ذي النون** (توفي مقتولا في بلسية سنة 481 أو 485هـ/1088 أو 1092م)؛ لم يسر سيرة أسلافه؛ فكان سيئ الرأي؛ فانتهى أمره بالقتل؛ والوصول بدولته إلى السقوط في يد المرابطين.

ـ ثم **يعقوب بن يوسف بن حيون الهواري** (من أعلام النصف الأول من القرن الثامن للهجرة)؛ ولاه السلطان العبد الوادي **أبو حمو الأول** سنة 710هـ قائدا على **بني توجين**؛ بعد إخضاعهم.

***

ـ ***مواطنهم:*** يقول ابن خلدون أن مواطن جمهور **هوارة**؛ في بداية الفتح الإسلامي؛ تمتد من **طرابلس إلى برقة**. ثم يتابع: **((وكانوا ظواعن، وآهلين. ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر، وجاوزوا لمطة؛ من قبائل الملثمين؛ فيما يلي بلاد كوكو من السودان؛**

[1] المغرب في حلى المغرب، ج: 2 ص: 12.

"

تجاه إفريقية؛ ويعرفون بنسبهم هُكّارة؛ قلبت العجمة واوه كافا أعجمية؛ تخرج بين الكاف العربية، والقاف)).[1] وتوجد منهم بعض الفئات بجبل أوراس، وأخرى بمصر، وبعضهم ـ أيضا ـ منتشرون بين برقة، والإسكندرية. ويوجد منهم حي بين تبسة، ومرماجنة، إلى باجة. وآخرون في نواحي الأربس. ثم يضيف ابن خلدون: ((جبل مسلاتة، ويعتمره قبائل هوارة؛ إلى بلد مسراتة، ويفضي إلى بلد سرت، وبرقة؛ وهو آخر جبال طرابلس... وكانت برقة من مواطن هوارة هؤلاء. ومنهم مكان (هكذا) بني خطاب؛ ملوك زويلة؛ إحدى أمصار برقة... ومن قبائل هوارة هؤلاء بالمغرب أمم كثيرة... ومن أشهرهم بالمغرب الأوسط؛ أهل الجبل المطل على البطحاء؛ وهو مشهور باسم هوارة، وأوطنوه؛ وكانت رئاستهم في بني عبد العزيز منهم)).[2]

....

[1] العبر، ج: 6، ص: 286.

2 نفسه، ص ص: 290 ـ 292.

"

4 ـ صنهاجة:

فعلى الرغم من الدور الخطير الذي لعبته **صنهاجة** في تاريخ المغرب الإسلامي؛ فإن المصادر التاريخية لم تتوصل إلى حقيقة نسبهم. وما جاء فيها.. لا يفي بالحاجة؛ وحتى تسلسل الآباء الذي نسبه ابن خلدون إلى ((**المحققين من نسابة البربر**)) لم يرد فيه اسم **برنس** (أب البرانس)؛ مع أنهم يقولون بانتسابهم إليهم. وجاءت هذه السلسلة هكذا: **صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن يبرين بن مكسيلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم ابن حام.** فأين إذن **برنس** إذا كانوا ينتسبون إليه..؟ وهذا ابن خلدون يقول أيضا: ((**وأما ذكر نسبهم؛ فإنهم من ولد صنهاج؛ وهو صناك بالصاد المشممة بالزاي، والكاف القريبة من الجيم. إلا أن العرب عربته، وزادت فيه الهاء؛ بين النون والألف؛ فصار صنهاج. وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس؛ من ولد برنس بن بر**)).[1] ومع هذا بقيت الحقيقة غائبة. وتعتبر قبائل صنهاجة من أوفر القبائل وأوسعها. حتى أن بعضهم يزعم أنهم

---

[1] العبر، ج: 6، ص: 309.

"

يمثلون ثلث الأمازيغ. ويقول ابن خلدون عنهم أيضا في سياق النص السابق: **((هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد، وما قبله. لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم؛ في جبل أو بسيط))**. وبطون صنهاجة كثيرة جدا. يقول بعضهم أنها تصل إلى سبعين بطنا. اختصرهم ابن خلدون في: **أنجفه، وتلكاتة، وشرطة، وكدالة، ولمتونة، ومسوفة، ومندلة، وبنو وارث، وبنو يتيسن.** ومن أفخاذ **أنجفه: بنو سليب، وفشتالة، ومزوارت، وملوانة.** ويزعم بعض النسابين أن قبائل: **جزولة، ولمطة، وهسكوررة** اخوة صنهاج من أمهم تاصكي؛ فاندرجوا ضمن بطون صنهاجة؛ بالالتحاق. وصنفهم ابن خلدون إلى ثلاث طبقات حسب ظهورهم تاريخيا:

ـ **الطبقة الأولى:** تمثلها **قبيلة تلكاتة**؛ التي تولت حكم إفريقية، والمغرب الأوسط؛ نيابة عن الفاطميين. وهم من أهل المدر. فترأست تلكاتة القبائل الصنهاجية المتواجدة بإفريقية، والمغرب الأوسط. وكانوا بمثابة الدرع الواقي؛ الذي تصدى للقبائل الزناتية؛ المستميتة في قتال

"

الفاطميين. وتدرجت تلكاتة الصنهاجية؛ من مراتب الرئاسة إلى مراتب الملك. فمن مرتبة المشيخة، والرئاسة؛ أصبح أعياهم قادة، وأمراء؛ في ظل الدولة الفاطمية؛ بعدها أضحوا ولاة، وحكاما في الأقطار؛ ثم انتهى هم الحال إلى الاستبداد، والسلطان المطلق.

ـ **الطبقة الثانية:** وتمثلها قبائل: **لمتونة، ومسوفة.** وهم من أهل الوبر؛ الذين اختاروا حياة الرحلة، والانتجاع؛ في أعماق الصحراء، وتخوم السودان. وقد تمكنت هذه الطبقة من تشييد دولة عظيمة بالمغربين: الأقصى، والأوسط؛ بفضل **الدعوة** الصادقة، والمؤثرة؛ التي تولى أمرها عبد الله بن ياسين الجزولي، ثم **العصبية الصنهاجية** المتماسكة. وقد استطاعوا تحقيق أهدافهم، وإقامة دولتهم بالتدريج؛ كما تقتضيه **سنن العصبية.** فبعد إدماج قبائلهم؛ ضمن عصبية واحدة كبرى؛ شرعوا في ابتلاع الإمارات، والممالك الشمالية؛ حتى وصلوا في أوج ملكهم؛ إلى إحكام قبضتهم على بلاد الأندلس.

ـ **الطبقة الثالثة:** فعلى الرغم من وفرة عدد أعضاء هذه الطبقة؛ فإنهم لم يتوصلوا إلى مرتبة الملك. وهم عبارة عن مجموعة كبيرة من

"

القبائل المتفرقة؛ الذين انتشروا في بعض المناطق من المغرب الأقصى؛ بصورة خاصة. وظلت فئات منهم في عزة، ومنعة من سلطان الدولة، وقهرها؛ بينما خضعت فئات أخرى لقهرها، وأحكامها؛ فأعطوها ــ صاغرين ــ حق الولاء، والطاعة، وانقادوا لمستلزمات الضرائب، والمغارم المفروضة عليهم. وقد صنف صاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب؛ المجاورين منهم لمصمودة إلى: **صنهاجة القبلة** (أي أهل الجنوب سكان السهوب المجاورة لوادي درعة؛ حيث الشمس الساطعة)، **وصنهاجة الظل** (أي أهل الجبال؛ حيث الظلال). أما ابن خلدون فيصنف هؤلاء المجاورين لمصمودة إلى: **صنهاجة البز**؛ بسبب مهنتهم؛ وهي الحياكة. ثم **صنهاجة الذل**؛ بسبب رضوخهم للمغارم. **وصنهاجة العز**؛ نظرا لمنعة جبالهم، واعتزازهم.[1] كما يقول ابن منصور: **((ولا يزال هذا التقسيم جاريا على القبائل التي تدعى صنهاجة بشمال المغرب الأقصى؛ مع تغيير في الأسماء. فهم اليوم يقسمون إلى صنهاجة غدو، وصنهاجة السراير، وصنهاجة مصباح. وهذا**

---

[1] ــ العبر، ج: 6، ص ص: 425 ــ 427.

"

الفريق الأخير يقسم بدوره إلى صنهاجة الشمس، وصنهاجة الظل)).[1]

وقام ابن منصور بتحقيق أسماء بعض البطون من صنهاجة؛ تلك التي وردت في العبر؛ منها: **أنجفة** (وتسمى ــ أيضا ــ **هنجافة**؛ وبالأمازيغية هي **أينكفو**). وهم بطن كبير يصنف ضمن صنهاجة القبلة، وصنهاجة الظل؛ وكان ابن خلدون قد ذكر من أفخاذ هذه الطبقة: **بني سليب، وفشتالة، وبني مزوارت، وملوانة،** ثم **أنوغة، وبجاية**؛ وهي التي تسمى بها المدينة الساحلية بالجزائر. ويبدو أن أبناء هذه القبيلة ذابوا في قبائل أخرى. ويتساءل ابن منصور عن احتمال انتساب قبيلة بشمال تونس إليهم؛ تسمى **بجاوة**. ثم **بطوية** (وتسمى أحيانا بطيوة). وتوجد في الجزائر مدينة باسم بطِّيوَة ــ وهي منسوبة إليهم ــ بالقرب من آرزيو. كما توجد بهذا الاسم قبيلة مشهورة بمنطقة الريف؛ بالمغرب الأقصى. وتنقسم قبيلة بطوية إلى ثلاثة بطون؛ هم: **بنو ورياغل، وبقوية، وأولاد علي.**

---

[1] قبائل البربر، ج: 1، ص: 329.

ومن بطون صنهاجة التي حقق أسماءها ابن منصور: **تاركة** (تنطق بجيم بدوية)؛ وهم من قبائل اللثام؛ سكان الصحراء؛ بالجزائر، وليبيا. ثم **بنو جعد**؛ منهم بقية في نواحي البويرة، وعين بسام؛ بالجزائر. ثم **بنو حميد**؛ منهم بقية اندرجوا في قبيلة يسر؛ بدوار يسر الويدان بالجزائر. ثم **بنو خليل** (ويعرفون الآن بني خليلي)؛ وهم بين بجاية، وتيزي وزو بالجزائر. ثم **بنو دركون** (بجيم بدوية؛ ويسمونهم — أيضا — **بني دركول**). وتتواجد بقية منهم بناحية زمورة بجوار غليزان بالجزائر؛ ومنهم جماعة بالمغرب الأقصى.

ثم **بنو زروال**؛ يتواجدون في الجزائر، وفي المغرب الأقصى. ثم **زناكة** (يسمون أحيانا **إيزناكن، وإيصنهاكن**)؛ وتتفرق أحياؤهم بين الجزائر، والمغرب الأقصى. ثم **زغاوة** (من أهل اللثام). ثم **كدالة** (بجيم بدوية؛ وهم من أهل اللثام). ثم **لمتونة** (بلام أصلية)؛ وهم ملوك المرابطين؛ ومن أهم بطونهم: **بنو زمال، وبنو صولان، وبنو ناسجة، وبنو ورتنطق.** ثم **لمدية** (بلام أصلية)؛ وتسمى بهم مدينة في الجزائر. ثم **متنان**؛ منهم بقية بالقرب من

"

عين بسام بالجزائر. ثم **بنو مزكلدة**؛ منهم بقية بين فاس ووزان بالمغرب الأقصى. ثم **مزغنة**؛ نسبت إليها مدينة الجزائر؛ إذ يقولون **جزائر بني مزغنة**. ومازالت منهم بقية؛ على الضفة اليمنى لوادي يسر؛ اندرجوا في قبيلة بني سليمان الشراقة. ومنهم أيضا جماعة في مدينة الأربعاء؛ جنوب شرقي مدينة الجزائر. ثم **ملوانة (أو إيملوان)**، وهم متفرقون بين قبائل عديدة؛ في الجزائر، والمغرب الأقصى؛ وبهم يسمى **حمام ملوان** جنوب مدينة الجزائر. ثم **مليانة**؛ سميت باسمهم مدينة مليانة الجزائرية. ثم **مسوفة** (من أهل اللثام)؛ شاركوا في تأسيس دولة المرابطين. ثم **صنهاجة**؛ احتفظوا بالاسم الجامع للبطون كلها. وبقيت منهم فئة بين عنابة، وسكيكدة بالجزائر، وفئة أخرى قرب وادي يسر. ثم **صنهاجة مصباح**؛ متواجدون شمال إقليم فاس؛ بالمغرب الأقصى؛ ويتفرعون إلى صنهاجة الشمس، وصنهاجة الظل. ثم **صنهاجة غدو**؛ يتواجدون شمال إقليم تازة؛ بالمغرب الأقصى. ثم **صنهاجة السراير**؛ وهم قبيلة كبيرة، تتواجد أحياؤها بإقليم الحسيمة؛ بالمغرب الأقصى؛ ويتفرعون إلى سبعة بطون ضخمة؛

هم: **بنو أحمد**، **وبنو بشير**، **وبنو بوشيبت**، **وتغزوت**، **وبنو خنوس**، **وبنو زرقت**، **وكتامة وبنو سدات.** ثم **بنو عمران**؛ توجد منهم خمسة بطون بالجزائر هم: **بنو عمران** في الساحل الغربي لبجاية؛ بدوار أبراريس. **وبنو عمران** على ضفة وادي يسر، وفي مدينة الأربعاء؛ وفي جنوب مدينة الجزائر. **وبنو عمران** بالقرب من برج منايل، وتيزي وزو. **وبنو عمران**؛ وهم جبالة. **وبنو عمران** بالقرب من ميناء جيجل. ثم **فشتالة** (بالأمازيغية **إيفشتالن).** وينتسبون إلى هنجافة؛ ولهم بقية في شمال إقليم فاس؛ بالمغرب الأقصى. ثم **بنو سليب**؛ تتواجد فئة منهم بجهات قالمة؛ بالجزائر. ثم **بنو وارث** (بالأمازيغية **بنو وارثن)**؛ وتوجد بقية منهم بقرب بجاية؛ يسمون **آيت وارث وَغْلي.** ثم **وانوغة** (أو **أنوغة)**؛ يوجد بطن منهم قرب يسر؛ وهم ضمن قبيلة بني مكلا. ثم **وتريكة** (من أهل اللثام). ثم **ورتنطق** (من أهل اللثام)؛ وينتسبون إلى لمتونة. ثم **بنو ورياكل** (بجيم بدوية)؛ وهم غير بني ورياغل بالغين. يتواجد بنو ورياكل بجهات بجاية؛ إذ هم الذين نزل في ضيافتهم ابن تومرت بملالة؛

"

عنـد رجوعـه مـن المشـرق. ومنهـم في وادي ورغـة؛ شمـال إقليـم فـاس جماعـة كذلـك.

! ! !

ـ *أعيانهـم*: تفيـض المصـادر التاريخيـة، والأدبيـة، والدينيـة بأعيـان صنهاجـة؛ بطبقاتهـا المختلفـة. وسنتكلـم في هـذا المجـال عنهـم بـدءا بأهـل الفكـر منهـم:

ـ **أبـو عمـرو ميمـون بـن أبي جميـل الصنهـاجي** (مـن أعـلام صـدر الإسـلام)؛ وهـو ابـن أخـت القائـد الفاتـح طـارق بـن زيـاد النفـزي. ذكـره صاحـب مفاخـر البربـر ضمـن فصـل: الفقهـاء والأعـلام مـن البربـر؛ نقـلا عـن كتـاب أعـلام القبائـل للـرازي.

ـ ثـم **أبـو محمـد سِـرْوَاس بـن حَمـود الصنهـاجي** (تـوفي بطليطلـة سنـة 391هـ/1000م)؛ كـان مـن المحدثيـن، ومعلمـا للقـرآن بمدينـة طليطلـة.

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد اللـه بـن سـلام القرطـبي الصنهـاجي** (ت: سنـة 402هـ/1011م)؛ كـان مـن أهـل الصـلاح، والزهـد.

"

ـ ثم **أبو عمر أحمد بن محمد بن العاص ابن أحمد بن سليمان بن دَرَّاج القسطلي الصنهاجي** (ت: سنة 421هـ/1030م)؛ وهو من فحول الشعراء؛ وقد عادله الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر بالمتنبي؛ وساواه ابن حزم بالمتنبي وابن تمام. كما أشاد بعلمه وشعره كل علماء اللغة والأدب؛ وقال فيه الحميدي: **((وهو معدود في جملة العلماء، والمقدَّمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء؛ وشعره كثير؛ مجموع يدل على علمه؛ وله طريقة في البلاغة والرسائل تدل على اتساعه وقوته. وأول مدح من الملوك فالمنصور** (هكذا) **أبو عامر محمد ابن أبي عامر مدبر دولة هشام المؤيد؛ وأول شعر مدحه فقوله يعارض أبا العلاء صاعد ابن الحسن اللغوي بقصيدة أولها:**

أضَاءَ لَهَا فَجْرُ النُّهَى فَنَهَاهَا
عَنِ الدَّنَفِ المُضْنَى بحَرِّ هَوَاهَا
وَضَلَّلَهَا صَبِيحٌ جَلاَ لَيْلَةَ الدُّجَى
وَقَدْ كَانَ يَهْدِيهَا إِلَيَّ دُجَاهَا

"

وهي طويلة، ومستحسنة؛ فساء الظن بجودة ما أتى به من الشعر؛ واقم فيه؛ وكان للشعراء – في أيام المنصور أبي عامر – ديوان يرزقون منه على مراتبهم؛ ولا يخلون بالخدمة بالشعر في مضالها؛ فسعي به إلى المنصور؛ وأنه منتحلٌ سارقٌ؛ لا يستحق أن يثبت في ديوان العطاء؛ فاستحضره المنصور... واختبره، واقترح عليه؛ فبرَّز، وسبق، وزالت التهمة عنه؛ فوصله بمائة دينار، وأجرى عليه الرزق، وأثبته في جملة الشعراء؛ ثم لم يزل يسهر، ويجود شعره فيما بعد؛ وفي ذلك المجلس بين يدي المنصور أبي عامر قال القصيدة المشهورة التي أولها:

حَسْبِي رِضَاكَ مِنَ الدَّهْرِ الَّذِي عَتَبَا
وَعَطْفِ نُعْمَاكَ لِلْحَظِّ الَّذِي انْقَلَبَا

وهي طويلة، حسنة، كرر فيها المعنى الذي استُحْضِرَ من أجله، وتكذيب الدعوى التي قذف بها؛ منها:

وَلَسْتُ أوَّلَ مَنْ أعْيَتْ بَدائِعُهُ
فَاستَدْعَتِ القَوْلَ مِمَّنْ ظَنَّ أوْ حَسِبَا

"

إنَّ امــرأ القَيْسَ فِي بَعْضٍ لَمُتَّهــمٌ
وَفِي يَدَيْهِ لِوَاءَ الشِّعْــر "إنْ رَكِبــا"
وَالشِّعْرُ قَدْ أسَرَ الأعْشَى وَقَيَّــدَهُ
دَهْراً، وَقَدْ قِيلَ: "وَالأعْشَى إذَا شَرِبَا"
وَكَيْفَ أظْمَا وَبَحْري زاخُر فطنــا
إلَى خَيَال مِنَ الضَحْضَاحِ قَدْ نَضَبَا
فَإنْ نَأى الشَّكُ عَنِّي أوْ فَهَا أنَــذَا
مُهيَّــأ لجــلِي الخُبْــر مُرتَقِبـــا
عَبْدٌ لِنُعْمَاكَ فِي فَكَّيْهِ نَجْمُ هُــدًى
سَار لِمَدْحِكَ يَجْلُو الشَّكَ وَالرِّيَبــا
إنْ شِئْتَ أمْلَى بَدِيعَ الشِّعْرِ أوْ كَتَبَا
أوْ شِئْتَ خَاطَبَ بالَمْنْثور أوْ خَطَبــا
كَرَوْضَة الحَزْنِ أهْدِي الرَّشَى مَنْظَرَهَا
وَالَماءَ وَالزَّهْــرَ وَالأنْوَارَ وَالعُشْبَــا
أوْ سَابقِ الخَيْلِ أعْطِي الحَضْرَ مُتَّئِداً
وَالشَّدَّ وَالكَرَّ وَالتَّقْرِيبَ وَالخَبَبَــا)).[1]

ولــه ديــوان شعــر؛ حققــه محمــود مــكي بدمشــق سنــة 1381هـ/1961م. وممــا قالــه في مــدح سليمــان بــن الحكــم الأمــوي:

---

[1] جــذوة المقتبــس، ص ص: 110 ـــ 112.

"

هَنيئـــًا لِهَـــذَا المُلْكِ رَوْحٌ وَرِيْحَـــانُ
وَلِلدِّيـــنِ وَالدُّنْيَـــا أمَـــانٌ وَإِيمَـــانُ
فَإنَّ قَعِيدَ الخِـــزْيِ قَدْ ثُـــلَّ عَرْشُـــهُ
وَإنَّ أَمِيـــرَ المُؤْمِنيـــنَ سُلَيْمَـــــانُ
سَـــمِيُّ الَّذِي انْقَـــادَ الأنَامُ لأمْـــرِهِ
فَلَمْ يَعْصِهِ فِي الأرْضِ إنْسٌ وَلاَ جَانُ
وَقَـــامَ فَقَامَـــتْ لِلْمَعَـــالِي مَعَالِـــمٌ
وَلِلْخَيْـــرِ أسْوَاقٌ وَلِلْعَـــدْلِ مِيـــزَانُ
وَجَـــدَّدَ لِلإسْلاَمِ سُـــورَ خِلاَفَـــةٍ
عَلَيْهَا مِنَ الرَّحْمَنِ نُـــورٌ وَبُرْهَـــانُ
وَأكَّدَهَـــا عَهْـــدٌ لأَكْـــرَمِ مَنْ وَفَى
بعَهْدٍ، زَكَتْ مِنْهُ عُهُـــودٌ وَأيْمَـــانُ
قَرِيبُ النَّـــبِيِّ المُصْطَفى وَابْنِ عَمِّـــهِ
وَوَارِثُ مَا شَادَتْ قُرَيْشٌ وَعَدنَـــانُ
وَمَا سَاقَتِ الشُّورَى وَأوْجَبَهُ التُّـــقَى
وَأوْرَثَ ذو النُّورَيْنِ عَمُّكَ عُثْمَـــانُ
وَمَا حَاكَمَتْ فِيهِ السُّيُوفُ وَحَـــازَهُ
إلَيْـــكَ أبُو الأمْلاكِ جَدُّكَ مَـــرْوَانُ

ويصـــف المقاتليـــن في جيشـــه فيقـــول:

وَقَدْ لَمَعَتْ حَوْلَيْـــكَ مِنْهُمْ أسِنَّـــةٌ
تُخَيَّلُ أنَّ الحَـــزْنَ وَالسَّهْلَ نِيـــرَانُ

"

أسُــــودُ هَيَـــاجٍ مَا تَـــزَالُ تَرَاهُــــمُ
تَطِيــرُ بهِمْ نَحْــوَ الكَرِيهَةِ عِقْبَــانُ
وَأقْمَــــارُ حَــــرْبٍ طَالِعَاتٌ كَأنَّمَــا
عَمَائِمُهُمْ فِي مَوْقِفِ الرَّوْعِ تِيجَــانُ
وَكُـــلُّ زَنَـــاتِيٍّ كَــأنَّ حُسَامَـــهُ
وَهَامَــــةَ مَــــنْ لاقَـــاهُ نَارٌ وَقُرْبَـــانُ
وَأبْيَـــضَ صِنْهَـــاجٍ كَـــأنَّ سِنَانَـــهُ
شِهَابٌ إذَا أهْوَى لِقِـــرْنٍ وَشَيْطَـــانُ

وقـــال واصفـــا الصلـــح، وداعيـــا إليـــه:

وَقُلْـــتَ لَعـــاً لِلْعَاثِرِيـــنَ كَأنَّـــهُ
نُشُورٌ لِقَوْمٍ حَانَ مِنْهُمْ وَقَدْ حَانُــوا
وَقَدْ أمِنَ التَّثْرِيبَ أخْـــوَةَ يُوسُـــفٍ
وَأدْرَكَهُــــمْ لِلَّـــهِ عَفْـــوٌ وَغُفْـــرَانُ
وَحَنَّتْ لِدَاعِي الصُّلحِ بَكرٌ وَتَغْلِـــبٌ
وَشَفَّعَـــتِ الأرْحَامَ عَبْسٌ وَذبْيَـــانُ
وَفازَتْ قِدَاحُ المُشْتَـــرِي بسُعُودِهَـــا
وَسَالَـــمَ بَهْـــرَامٌ وَأعْتَـــبَ كِيـــوَانُ

ومـــن قصيـــدة طويلـــة وحسنـــة؛ مـــدح فيهـــا خيـــران العامـــري؛ تعـــرض ضمنهـــا لوصـــف هـــول البحـــر؛ فقـــال:

"

لَكَ الخَيْرُ قَدْ أوْفَى بعَهْدِكَ خَيـــرَانُ
وَبُشْرَاكَ قَدْ وَافَاكَ عِـــزٌّ وَسُلْطَـــانُ
هُوَ النَّجْمُ لاَ يُدْعَى إلَى الصُّبْحِ شَاهِدٌ
هُوَ النُّورُ لاَ يُبْغَي عَلَى الشَّمْسِ بُرْهَانُ
إلَيْكَ رَكَبْنَـــا الفُلْكَ تَهْوِي كَأنَّهَـــا
وَقَدْ ذَعِرَتْ مِنْ مَغْرِب الشَّمْسِ غِرْبَانُ
عَلَى لُجَجٍ خُضْرٍ إذَا هَبَّـــتِ الصَّبَـــا
تَرَامَى بنَـــا فِيهَـــا ثَبِيـــرٌ وَثَهْـــلاَنُ
مَوَاثِـــلَ تَـــرْعَى فِي ذَرَاهَا مَوَاثِـــلاَ
كَمَا عُبدَتْ فِي الجَاهِلِيَّـــةِ أوْثَـــانُ
وَفِي طَيِّ أسْمَـــالِ الغَرِيب غَرَائِـــبٌ
سَكَنَّ شِغَافَ القَلْب شِيبٌ وَوِلْـــدَانُ
يُـــرَدِّدْنَ فِي الأحْشَاءِ حَرَّ مَصَائِـــب
تَزِيـــدُ ظَلاَمـــاً لَيْلَهَا وَهْيَ نِيـــرَانُ
إذَا غِيـــضَ مَاءُ البَحْرِ مِنْهَا مَدَدنَـــهُ
بدَمْعِ عُيُـــونٍ تَمْتَرِيهِـــنَّ أشْجَـــانُ
وَإنْ سَكَنَتْ عَنْهَا الرِّيَاحُ جَرَى بهَـــا
زَفِيـــرٌ إلَى ذِكْـــرِ الأحِبَّـــةِ حَنَّـــانُ
يَقُلْنَ وَمَوْجُ البَحْرِ وَالهَمُّ وَالـــدُّجَى
تَمُـــوجُ بهَـــا فِينَـــا عُيُـــونٌ وَآذَانُ
ألاَ هَلْ إلَى الدُّنْيَا مَعَـــادٌ وَهَلْ لَنَـــا
سِوَى البَحْرِ قَبْرٌ أوْ سِوَى المَاءِ أكفَانُ

"

وقـــال في مـــدح منـــذر بـــن يحي التجيـــبي صاحـــب سرقسطـــة:

يَا عَاكِفِيـــنَ عَلَى المُـــدَامِ تَنَبَّهُـــوا
وَسَلُـــوا لِسَانِي عَنْ مَكَارِمِ مُنْـــذِرِ
مَلِـــكٌ لَو اسْتَوْهَبْتَ حَبَّـــةَ قَلْبِـــهِ
كَرَمـــاً لَجَـــادَ بِهَـــا وَلَمْ يَتَعَـــذرِ

ويقـــول فيـــه حيـــن قـــدم إليـــه صاعـــد بـــن الحســـن الربـــعي الموصـــلي اللغـــوي:

عَـــلاَ فَحَوَى مِيـــرَاثَ عَادٍ وَتُبَّـــعٍ
بهمَّتِـــهِ العُلْيَـــا وَنسْبَتِـــهِ الدُّنْيَـــا
فَأعْرَبَ عَنْ أَقْوَامِ يَعْـــرُبَ وَاحْتَـــبَى
فَلَمْ يَنْسَ مِنْ هُودٍ سَنَاءً وَلاَ هَدْيَـــا
وَمِنْ حِمْيَرٍ رَدَّ القَنَا أحْمَرَ الـــذرَى
وَمِنْ سَبَـــأٍ قَـــادَتْ كَتَائِبُهُ السَّبْيَـــا
وَمَا نَامَ عَنْهُ عِرْقُ قَحْطَانَ إذ فَـــدَى
عُرُوقَ الثَّرَى مِنْ غُلَّةِ القحْطِ بالسقْيَا
وَمَا أسْكَنَتْ عَنْهُ السّكُونُ سِيَـــادَةَ
وَلاَ رَضِيَـــتْ طَيٌّ لِرَاحَتِـــهِ طَيَّـــا
وَلاَ كَنَدَتْ أسْيَافُـــهُ مُلْكَ كِنْـــدَةٍ
فَيَتْـــرُكَ فِي أرْكَانِ عِزَّتِهَـــا وَهيَـــا

"

إلى قولـــه:

وَاهْـــدَتْ لَهُ بَغْدَادُ دِيوَانَ عِلْمِهَـــا
هَدِيَّـــة مَنْ وَالَى وَتُحْفَة مَنْ حَيَّـــا

فَكَانَتْ كَمَنْ حَيَّا الرِّيَاضَ بِزَهْرِهـــَا
وَأَهْدَى إِلَى صَنْعَاءَ مِنْ نَسْجِهَا وَشْيَا

وَحَسْبُ رُوَاة العِلْـــمِ أَنْ يَتَدَارَسُـــوا
مَآثِـــرَهُ حِفْظـــاً وَآثَـــارَهُ وَعْيَـــا

وَيَكْفِي مُلُوكَ الأَرْضِ مِنْ كُلِّ مَفْخَرِ
إِذَا امْتَثَلُوا مِنْ بَعْضِ أَفْعَالِـــهِ شَيَّـــا

إِذَا لَمَعَـــتْ زُرْقُ الأَسِنَّـــةِ حَوْلَـــهُ
كَإِضْـــرَامِ نِيـــرَانِ الهُمُومِ حَوَالَيَـــا

وَقَد لاَذَ أَبْطَـــالُ الجِـــلاَدِ بِعَطْفِـــهِ
كَمَا لاَذَ أَطْفَـــالُ الجَـــلاَءِ بِعِطْفَيَّـــا

وَقَد قَصَّـــرَتْ عَنْهُ رِمَـــاحُ عُدَاتِـــهِ
كَمَا قَصَّرَتْ عَنْهُم رِيَاشُ جَنَاحَيَّـــا

إلى أن يقـــول:

فَيَالَـــكِ مِنْ ذِكْرَى سَنَـــاء وَرِفْعَـــةٍ
إِذَا وَضَعُوا فِي التُّـــرْبِ أَيْمَـــنَ شِقَيَّـــا

وَفَاحَـــتْ لَيَالِي الدَّهْـــرِ مِنِّيَ مَيِّتـــاً
فَأَخْزَيْـــنَ أَيَّامـــاً دُفِنْـــتُ بِهَـــا حَيَّـــا

وَكَـــانَ ضَيَـــاعِي حَسْرَة وَتَنَدُّمـــاً
إِذَا لَمْ يُفِـــدْ شَيْئـــاً وَلَمْ يُغْنِنِي شَيَّـــا

"

وَأصْبحْتُ فِي دَار الغِنىَ عَنْ ذَوي الغِنىَ
وَعُوِّضْتُ فاسْتَقْبَلْـــتُ أسْعَـــدَ يَوْمَيـــاَّ
سِوَى حَسْرَتَيْ عَرْضٍ ووَجْهٍ تضَعْضَعَا
لِقَارعَـــةِ البَلْـــوَى وَكَانَـــا عَتَادَيَّـــا
فَيَا عَبْـــرَتِي سُـــحِّي لَعَـــلِّي مُبَلَّـــلٌ
بجَرْيكِ مَا أنْزَفْتُ مِنْ مَـــاءِ خَدَيَّـــا
وَيَا زَفْرَتِي هَلْ فِي وَقُودِكِ جَـــذوَة
تُنيـــرُ لَنَا صُبْحاً ثَنَاهُ الأسَى مُسْيَـــا
وَيَا خَلَّتِي إنَّ سَوَّفَ الغَوْثُ بالْمُـــنىَ
وَيَا غُلَّتِي إنْ أبْطَأَ الغَوْثُ بالسُّقْيَـــا
فَقُومَـــا إلَى رَبِّ السَّمَاءِ فَأسْعِـــدَا
تَقَلُّبَ وَجْـــهِي فِي السَّمَاءِ وَكَفِّيَـــا
عَسَى مَيِّتُ الأضْمَاءِ فِي رَوْضَةِ النَّدَى
سَيَرْجعُ عَنْ رَبِّ السَّمَاءِ وَقَد حُيَّـــا
وَيَا أوْجُـــهَ الأحْـــرَارِ لاَ تَتَبَـــدَّلِي
بظِـــلِّ يَحْيَى بَعْدُ ظِـــلاً وَلاَ فَيَّـــا

ولـــه قصيـــدة طويلـــة وبديعـــة؛ في مـــدح المنصـــور ابـــن أبي عامـــر؛ عـــارض فيهـــا قصيـــدة أبي نـــواس الـــتي مطلعهـــا:

أجَـــارَة بَيْتَينَـــا أبُـــوكِ غَيُـــورُ
وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْـــكِ عَسِيـــرُ

"

فقال القسطلي معارضا:

أَلَمْ تَعْلَمِي أنَّ الثَّواءَ هُوَ التَّوَى
وأنَّ بُيُوتَ العَاجزينَ قُبُورُ
تُخَوِّفُنِي طُولَ السِّفَار، وَإِنَّهُ
لِتَقْبيلِ كَفِّ العَامِرِيِّ سَفِيرُ
ذَرِينِي أرِدْ مَاءَ المَفَاوِز آجناً
إِلَى حَيْثُ مَاءُ المَكْرُمَاتِ نَمِيرُ
فَإِنَّ خَطِيرَاتِ المَهَالِكِ ضُمَّنٌ
لِرَاكِبِهَا أنَّ الجَزَاءَ خَطِيرُ

ثم يتطرق فيها لوداع زوجته وابنه الصغير، بأسلوب رائع؛ قال عنه ابن بسام: **((بما لا شبيه له، ولا نظير، ولا مثيل، ولا عديل)).**

وَلَمَّا تَدَانَتْ لِلْوَدَاعِ وَقَدْ هَفَا
بِصَبْرِيَ مِنْهَا أَنَّة وَزَفِيرُ
تُنَاشِدُنِي عَهْدَ المَوَدَّةِ وَالهَوَى
وَفِي المَهْدِ مَبْغُومُ النِّدَاءِ صَغِيرُ
عَيِيٌّ بِمَرْجُوعِ الخِطَابِ وَلَفْظُهُ
بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ خَبِيرُ
تَبَوَّأَ مَمْنُوعَ القُلُوبِ وَمُهِّدَتْ
لَهُ أذرُعٌ مَحْفُوفَة وَنُحُورُ

"

فَكُــلُّ مُفَــدَّاة التَّرَائِــب مُرْضِــعٌ
وَكُــلُّ مُحَيَّــاةِ المَحَاسِــنِ ظِيــرُ
عَصَيْتُ شَفِيعَ النَّفْسِ فِيهِ وَقَــادَني
رَوَاحٌ بِتَــدْآب السُّــرَى وَبُكُــورِ
وَطَارَ جَنَاحُ البَيْنِ بي وَهَفَــتْ بهَــا
جَوَانحُ مِنْ ذُعْــرِ الفِــرَاقِ تَطِيــرُ
لَئِــنْ وَدَّعَتْ مِنِّي غَيُــوراً فَإنَّــني
عَلَى عَزْمَتِي مِنْ شَجْوهَــا لَغَيُــورُ
وَلَوْ شَاهَدَتْــني وَالهَوَاجِــرُ تَلْتَــظِي
عَلَيَّ وَرَقْــرَاقُ السَّــرَاب يَمُــورُ
أسَلِّطُ حَــرَّ الهَاجِــرَاتِ إذَا سَطَــا
عَلَى حُرِّ وَجْهِي وَالأصِيــلُ هَجِيــرُ
وَأسْتَنْشِقُ النَّكْبَــاءَ وَهيَ بَــوَارِحٌ
وَأسْتَوْطِئُ الرَّمْضَــاءَ وَهِيَ تَفُــورُ
وَلِلْمَوْتِ فِي عَيْنِ الجَبَــانِ تَلَــوُّنٌ
وَلِلذعْرِ فِي سَمْعِ الجَــرِيءِ صَفِيــرُ

ـ ثـم **أبـو إسحـاق إبراهيـم بـن وَزَمَّـر الحجـاري الصنهـاجي** (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الخامـس للهجـرة)؛ هـو جـد عبـد اللـه صاحـب كتـاب المسهـب الآتي ذكـره. وهـو مـن مدينـة الفـرج بـوادي الحجـارة؛ وقـد صنـف للأميـر المأمـون بـن ذي النـون الهـواري (الأميـر علـى

"

طليطلة وشرق الأندلس) كتاب مغنطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النَّظْم، والنثر، والأخبار. وكان إبراهيم هذا مولعا بالتاريخ، والأدب، وله أشعار متناقلة بين الناس؛ منها:

لَئِنْ كَرِهُوا يَوْمَ الوَدَاعِ فَإِنَّنِي
أهِيمُ بِهِ وَجْداً لأَجْلِ عِنَاقِهِ
أصَافِحُ مَنْ أهْوَاهُ غَيْرَ مُسَاتِرِ
وَسِرُّ التَلاقِي مُوَدَّعٌ فِي فِرَاقِه

ويقول أيضا:

ألاَ إنَّهَا وَاللَّهِ إحْدَى الكَبَائِرِ
تَعُقُّونَ أسْلافاً لَكُمْ بِالمَآثِرِ
مَتَى كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَجُودُ لِقَاصِدٍ؟
مَتَى كَانَ مِنْكُم مَنْ يَهَشُّ لِشَاعِرٍ

وفي رد على أبيات لابن عائش؛ في يوم صحو بعد مطر؛ قال:

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَلَوْ أنَّنِي
أسْعَى عَلَى الرَّأسِ إلَى مِصْرِ
فَكَيْفَ وَالدَّارُ جِوَارِي وَمَا
عِنْدِيَ مِنْ شُغْلٍ وَلاَ عُذْرِ

"

وَلَو غَــدَا لِي ألْــفُ شُغْــلٍ بــلاَ
عُــذْرٍ تَرَكْــتُ الْكُــلَّ لِلْحَشْــرِ
وَكُلَّمَــــا أبْصَــــرَنِي نَاظِــــرٌ
بِبَابكُــمْ عَظُّــمَ مِــنْ قَــــدْرِي
أنَــا الَّــذِي يَشْرَبُهَــا دَائِمــــاً
مَا حَضَرَتْ فِي الصَّحْــوِ وَالقَطْــرِ
وَلَيْــسَ نَــقْــلِي أبَــداً بَعْدَهَــا
إلاَّ الَّــذِي تَعْهَــدُ مِــنْ شُكْــرِي

ويمدحــه بقولــه:

لَوْ كَانَ ثَانٍ فِي النَّدَى لابْنِ عَائِشٍ
لَمَا كَانَ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ أخُو فَقرِ
يَهَشُّ إلىَ الأمْدَاحِ كَالْغُصْنِ لِلصَّبَــاً
وَبشْــرُ مُحَيَّاه يَنُــوبُ عَنِ الزَّهْــرِ
فَيَــا رَبِّ زِدْ عُمْــرَه إنَّ عُمْــرَهُ
حَيَاة أنَــاسٍ قَدْ كفُوا كُلْفَة الدَّهْــرِ

ــ ثــم **عبــد الرحمــن بــن محمــد بــن أحمــد القرطــبي الصنهــاجي** المعــروف بابــن اللَّبــان (ت: سنــة 480هــ/1087م)؛ كــان مــن العلمــاء المستنيريــن المتفوقيــن؛ متمكــن مــن أدوات علمــه.

"

ـ ثم **أبو بكر زاوي بن مناد بن عطية ابن المنصور الصنهاجي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو فقيه ومحدث؛ ولي خطة القضاء، وله مؤلفات.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن وَزَمَّر الحجاري الصنهاجي** (كان حيا قبل سنة 480هـ/1087)؛ هو عم عبد الله صاحب المسهب؛ له كتاب بعنوان: الحديقة في البديع. وكان أديبا، وشاعرا؛ من شعره:

وَشَادِنٍ يُنْصِفُ مِنْ نَفْسِهِ
أَمَّنَنِي مِنْ سَطْوَةِ الدَّهْرِ
يَنَامُ لِلشُّرْبِ عَلَى جَنْبِهِ
وَيَصْرِفُ الذَنْبَ إِلَى الخَمْرِ

ومما قاله في أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية:

رُدُّوا عَلَيَّ رِكَابَهُمْ بالأجْرَعِ
حَتَّ يُقَضِّي الشَّوْقُ حَقَّ مُوَدِّعِ
وَأَبُثُّهُمْ مَا قَدْ أثَارُوا مِنْ جَوًى
بِفِرَاقِهِمْ وَاسْتَقْطَرُوا مِنْ أدْمُعِ

"

وقولـــه في فـــرس:

وَمُسْتَبِـــقٍ يَحَـــارُ الطَّـــرْفُ فِيـــهِ

وَيَسْلَـــمُ فِي الكِفَاحِ مِنَ الجِمَـــاحِ

كَـــأنَّ أدِيمَـــــهُ لَيْـــــلٌ بَهِيـــمٌ

تَحَجَّـــلَ بالْيَسيـــرِ مِـــنَ الصَّبَـــاح

إذَا احْتَـــدمَ التَسَابُـــقُ صَارَ جِرْمـــاً

تَقَلَّـــبَ بَيْـــن أجْنِحَـــةِ الرِّيَـــاحِ

وسألـــه ابـــن أخيـــه عبـــد اللـــه (صاحـــب المسهـــب) عـــن أفضـــل مـــن لـــقي مـــن الأعيـــان؛ فنـــوه بالوزيـــر أبي بكـــر بـــن عبـــد العزيـــز، والمعتمـــد ابـــن عبـــاد. وقـــال لـــه بأنـــه قصـــد ابـــن عبـــاد؛ عندمـــا كـــان يشـــارك يوســـف بـــن تاشفيـــن غزواتـــه ضـــد النصـــارى؛ فرفـــع إليـــه قصيـــدة جـــاء فيهـــا:

لاَ رَوَّعَ اللـــّـهُ سِرْبـــاً فِي رِحَابِهِـــمُ

وَإنْ رَمَـــوْنِي بتَرْوِيـــعٍ وَإبْعَـــادِ

وَلاَ سَقَاهُمْ عَلىَ مَا كَانَ مِنْ عَطَـــشٍ

إلاَّ ببَعْـــضِ نَدَى كَفٍّ ابـــْنِ عَبَّـــادِ

ذِي المَكرُمَاتِ التِي مَا زَلتْ تسْمَعُهَا

أنْـــسُ المُقِيمِ وَفِي الأسْفَارِ كَالـــزَّادِ

يَا لَيْتَ شِعْـــرِيَ مَاذا يَرْتضِيهِ لِمَـــنْ

نَـــادَاهُ يَا مَوْئِلِي فِي جَحْفَل النـــّادِي

"

وقال لابن أخيه: ((وكنت ممن زاره بسجنه بأغمات؛ وحملتني شدة الحمية له، والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلا:

فَإِنْ تسْجُنوا القَسْرِيَّ لاَ تسْجُنوا اسْمَهُ
وَلاَ تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي القَبَائِلِ

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام؛ فوجدت تحت البيت: لذلك سجناه [البيت للمتنبي]:

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغامَ فِي الصَّيْدِ بَازُهُ
تَصَيَّدَهُ الضِّرْغامُ فِيمَا تَصَيَّدَا

فما أدري من جاوب بذلك. ثم عدت له ووجدته قد محي؛ وأعلمت بذلك ابن عباد؛ فقال: صدق المجاوب؛ وأنا الجاني على نفسه، والحافر بيده لرمسه؛ ولما أردت وداعه أمر لي بإحسان على قدر ما استطاع؛ فارتجلت:

آلَيْتُ لاَ أقْبَلُ إحْسَانَكُمْ
وَالدَّهْرُ فِيمَا قَدْ عَرَاكُمْ مُسِي
فَفِي الَّذِي أسْلَفْتُمُ غُنْيَةٌ
وَإنْ يَكُنْ عِنْدَكُمُ قَدْ نُسِي

"

قـــال: وفيـــه أقـــول مـــن قصيـــدة:

يَا طَالِــبَ الإِنْصَــافِ مِنْ دَهْــرِهِ
طَلَبْــتَ أَمْــراً غَيْــرَ مُعْتَـــادِ
فَلَــوْ يَكُــونُ العَــدْلُ فِي طَبْعِــهِ
لَمَا عَــدَا مُلْــكَ ابْــنِ عَبَــادِ)).[1]

ـ ثـــم **المظفـــر باللـــه عبـــد اللـــه بـــن بلكيـــن بـــن باديـــس بـــن حبـــوس التلكـــاتي الصنهـــاجي** (تـــوفي بالســـوس الأقـــصى بعـــد سنـــة 483هـــ/1090م)؛ خلـــف جـــده باديـــس سنـــة 460هـــ/1067م؛ في إمـــارة غرناطـــة، وأسنـــد إمـــارة مالقـــة إلى أخيـــه تميـــم. وكـــان عبـــد اللـــه أديبـــا بليغـــا، وشاعـــرا مطبوعـــا، ولـــه خـــط رائـــع؛ نســـخ بخطـــه الجميـــل القـــرآن الكريـــم، ولـــه أيضـــا كتـــاب التبيـــان؛ هـــو عبـــارة عـــن مذكـــرات، وتاريـــخ للأحـــداث الـــتي عاصرهـــا؛ قـــام بتحقيقـــه، وطبعـــه ليـــفي بروفنســـال بعنـــوان: مذكـــرات الأميـــر عبـــد اللـــه.

ـ ثـــم **أبـــو يحـــيى تميـــم بـــن المعـــز بـــن باديـــس ابـــن المنصـــور التلكـــاتي الصنهـــاجي** (ت: سنـــة 501هـــ/1107م)؛ وهـــو مـــن سلاطيـــن الدولـــة الزيريـــة بإفريقيـــة. لمـــا انتصـــب عـــلى ســـدة الحكـــم؛ وجـــد

---

[1] **نفـــح الطيـــب، ج: 3، ص ص: 571 ـــ 572.**

الدولة تعاني من بعض الاضطراب، والخلل؛ نتيجة لعبث القبائل الهلالية؛ فنهض لإصلاح الحال، وضبط الأوضاع؛ فتم له تحقيق ذلك؛ باستعادة سوسة، وتونس، وصفاقس؛ ولكن شاءت الأقدار أن يهاجمه الإفرنج خلال حملاته الترميمية؛ فلم يتركوا له الوقت الكافي؛ لاستعادة الأنفاس؛ فاستولوا – في عهده – على المهدية، وصقلية؛ ومع هذا لم تلن عزيمته؛ إذ تغلب – فيما بعد – على حملة شنها ضده الإيطاليون. وكان – إلى جانب ممارسته للحكم – أديبا، وشاعرا؛ وله ديوان شعر ضخم. هذا وقد طالت فترة حكمه؛ إذ وصلت إلى 46 سنة. وخلف من الأولاد، والأحفاد الذكور حوالي الثلاثمائة. قال فيه ابن عذاري: **((كان رحمه الله شهما، شجاعا، حازما، عازما؛ يستصغر صعاب الأمور، ويستهل عظائم الخطوب؛ ويغلب عليه شدة البطش، والمبادرة؛ وهو أحد فحول شعراء الملوك؛ وذوي السبق، والتقدم في معانيه، وبدائعه؛ حوى فيه الجودة، والكثرة. وله ديوان كبير من شعره**

"

مشهــور)).[1] وقــد أورد العمــاد الأصفهــاني مجموعــة مــن أشعــاره في كتابــه خريــدة القصــر؛ منهــا:

مَا اخْتَلَفَ الصُّبْحُ وَالمَسَــاءُ
وَأنْفِــذَ الحُكْمُ وَالقَضَــاءُ
إلاَّ وَلِلَّــهِ فِيــهِ سِــرّ
يَحْكُم فِي الخَلْقِ مَا يَشَــاءُ

ومــن شعــره أيضــا:

وَجْــهٌ هُوَ البَــدْرُ المُنيــرُ وَقامَــة
كَالغُصْنِ مَــاسَ نَضَــارَة وَشَبَابَــا
يَسْقِيكَ مِنْ حَلَب العَصِيــرِ مُدَامَــة
وَمِــنَ المُؤَشَّــرِ مَسْكَــة وَرُضَابَــا
غَنَّــتْ وَكَاسَاتُ المُــدَام مُــدَارَة
عَــذُبَ الوصَالُ لَنَــا بهِنَّ وَطَابَــا
كَــأسٌ مِنَ الذهَب السَّبِيكِ تَضُمــهُ
قَصَــبُ اللُّجَيْــنِ تَعَمَّمَتْ عُنَّابَــا

ومنــه أيضــا:

سُعَــادٌ قَــد أَلَمَّــتْ بي   سَتَمْحُو البُعْدَ بالقُــرْبِ
كَبَــدْرٍ تَحْتَــهُ غُصْــنٌ   عَلىَ حِقْفٍ مِنَ الكُثْــبِ
فَحَلَّتْ فِي حِمَى قَلْــبِي   عَلىَ التَأهِيلِ وَالرَّحْــبِ

[1] البيان المغرب،ج: 1، ص: 303.

"

ومنـــه قولـــه:

وَجَاهِلَـــةٍ بِالحُبِّ لَمْ تَـــدْرِ طَعْمَـــهُ
وَقَدْ تَرَكَتني أعْلَمَ النَّاسِ بِـــالحُـــبِّ

قَامَـــتْ عَلىَ قَلْبي رَقِيباً وَحَارِســـاً
فليْـــسَ لِدَانٍ مِنْ سِوَاهَا إلىَ قَلْـــبِي

أدَرْتُ الهَوَى حَتيَّ إذَا صَارَ كَالرَّحَـــا
جَعَلْـــتُ لَهُ قَلْبي بِمَنْزِلَـــةِ القُطْـــبِ

وقولـــه كذلـــك:

مَا العَيْـــشُ إلاَّ مَعَ التَّهْجيرِ وَالدُّلَـــجِ
أوِ المُـــدَامِ وَصَـــوْتُ الطَّائِرِ الهَـــزِجِ

والشُّرْبُ بَيْنَ الغَوَانِي وَالقِيَانِ مَعـــاً
فَـــإنَّ أوْجُهَهَـــا تُغْنِي عَنِ السُّـــرُجِ

وَالقَصْرُ وَالبَحْرُ وَالبُسْتَانُ فِي نَسَـــقٍ
وَنَحْنُ فِي مُشْرِفٍ مِنْ مَنْظَرٍ بَهَـــجِ

وَالكَـــأسُ دَائِـــرَةٌ فِي كَفِّ غَانِيَـــةٍ
بَيْضَاءَ فِي دَعَجٍ صَفْـــرَاءُ فِي نَعَـــجِ

أقُـــولُ وَالكَأسُ تَزْهَى فِي أنَامِلِهَـــا:
رِفْقاً عَلىَ هَـــذِهِ الأرْوَاحِ وَالمُهَـــجِ

اللـــه فِي مُذْنِـــفٍ أوْدَى بِمُهْجَتِـــهِ
طَـــرْفٌ تَقَلَّبَ بَيْنَ السِّحْرِ وَالغَنَـــجِ

كَمْ حُجَّـــةٌ لِي وَلَكِنْ لَيْسَ يَقْبَلُهَـــا
لَوْ كَانَ يَنْتَفِعُ المُشْتَـــاقُ بِالحُجَـــجِ

"

وقـــال في منافـــق:

رَأيْتُـــكَ قَاعِداً عَـــنْ كُـــلِّ خَيـــر
وَأَنْـــتَ الشَّهْمُ فِيً قَالُـــوا وَقُلْـــتُ

وَطَـــرَّاراً لَـــهُ لُطْـــفٌ وَحِـــذقٌ
وَأَلْفَـــــاظٌ يُنَمِّقُهَـــا وَسَمْـــــتُ

وَثِقْـــتُ إِلَيْـــهِ مِنْ حَسَب وَبَيْـــتٍ
وَلَـــوْلاَ ذَاكَ مِنْـــهُ مَـــا وَثِقْـــــتُ

وَقدْ يَعِدُ الوُعُـــودَ وَلَيْـــسَ يُـــوفِي
وَلَيْـــسَ بقَائِـــلِ يَوْمـــاً فَعَلْـــــتُ

كَخَـــزِّ المَاءِ فَـــوْقَ المَـــاءَ طَـــافٍ
يَـــرُوقُ وَمَالُـــهُ أصْـــلٌ وَنَبْـــــتُ

كَذلـــكَ زَهْـــرَةَ الدفْـــلىَ تَرَاهَـــا
تُشَوِّقُ العَيْنَ حُسْنـــاً وَهيَ سُحْـــتُ

وقـــال:

فَنَـــادِ بِمَسْمَعَيْـــكَ لِـــكَيْ يُغَنُّـــوا
وَحُـــثَّ العُـــودَ مِنْ بَـــمٍّ وَزِيـــرِ

وَلاَ تَشْـــرَبْ بِـــلاَ طَـــرَب فَـــإِنِّي
رَأَيْـــتُ الخَيْـــلَ تَشْرَبُ بِالصَّفِيـــرِ

ويقـــول أيضـــا:

إنْ نَظـــرَتْ مُقْلـــَتِي لِمُقْلَتِهَـــا
تَعْلَـــمُ مِمَّـــا أرِيـــدُ فَحْـــواهُ

"

كَأَنَّهَــا فِي الفُــؤَادِ نَاظِــرَةٌ
تَكْشِــفُ أسْــرَارَهُ وَنَجْــواهُ

ويقــول في أخــرى:

سَلِ المَطَرَ العَــامَّ الَّذِي عَمَّ أرْضَكُمْ
أجَاءَ بِمِقْدَارِ الَّذِي فَاضَ مِنْ دَمْــعِي
إذا كُنْتَ مَطْبُوعاً عَلَى الصَّدِّ وَالجَفَا
فَمِنْ أيْنَ لِي صَبْرٌ فَأجْعَلــهُ طَبْــعِي

ويقــول أيضــا:

وَخَمْــرٍ قَدْ شَرِبْتُ عَلَى وُجُــوهٍ
إذَا وُصِفَتْ تُجَــلُّ عَنِ القِيَــاسِ
خُــدُودٌ مِثْــل وَرْدٍ فِي ثُغُــور
كَــدُرٍّ فِي شُعُــورٍ مِثْــلُ آسِ

ويقــول:

فَكَّرْتُ فِي نَارِ الجَحِيمِ وَهَوْلِهَــا
يَــا وَيْلَتَــاهُ وَلاَتَ حِيــنَ مَنَــاصِ
فَدَعَوْتُ رَبِّي أنَّ خَيْــرَ وَسَائِــلِي
يَــومَ المَعَــادِ شَهَــادَة الإخْــلاَصِ

وقــال كذلــك:

لَهَا وَجْــهٌ لَهَــا شَعَــرٌ كَمِثْلِ الرُّومِ وَالزِّنْــجِ
لَهَا جَفْنَــانِ قَدْ شُحِنَــا بِنَبْلِ السِّحْرِ وَالغُنْــجِ

"

لَهَا ثَغْـرٌ لَهَـا ريـقٌ كَمِثْلِ الخَمْرِ وَالبُنْـجِ
لَهَا نَهْـدَانِ قَدْ نَجُمَـا كَنَابَيْ فِيلِ شِطْرَنْـجِ

ومما قـال أيضـا:

أيَا مَنْ وَجْهُـهُ حُلْـوُ وَيَا مَنْ قَلْبُـهُ خِلْـوُ
وَيَا مَنْ لَحْظُـهُ سُكْـرُ وَيَا مَنْ لَفْظُهُ صَحْـوُ
وَيَا مَنْ قَـدُّهُ غُصْـنُ نَمَاهُ الـدِّلُّ وَالزَّهْـوُ
لَقَدْ أصْبَحْتَ ذَا جَـوْرٍ عَلَى مَنْ جسْمُهُ نضْوُ
وَقَدْ طَالَتْ مَوَاعِيـدِي هَذَا مِنْـكِ بي لَهْـوُ
فَإنْ كُنْت أخَا ذَنْـبٍ أمَا عِنْـدَكَ لِي عَفْـوُ

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد اللـه بـن إبراهيـم بـن إبراهيـم بـن وَزَمَّـر الحِجـاري الصنهـاجي** (ت: سنـة 520هـ/1126م)؛ كـان كاتبـا ماهـرا، وشاعـرا مجيـدا، يحـب الرحلـة، والانتقـال عبـر البـلاد، والأوطـان. يلقبـه أدبـاء الأندلـس ومؤرخوهـا بحافـظ الأندلـس، وإمـام الأدبـاء، وبجاحـظ الأندلـس. ومـن مؤلفاتـه كتـاب المُسْهَـبْ في فضائـل المغـرب؛ الـذي كـان هـو الأسـاس، والقاعـدة الـتي أنجـز عليهـا كتـاب المُغـْرِبْ في حُـلىَ المَغـْرِبْ. وقـد بـدأه عبـد اللـه الحجـاري بستـة أسفـار؛ انطلق فيهـا مـن أحـداث فتـح الأندلـس؛ إلى عـام 530هـ/1135م؛ السنـة الـتي شـرع فيهـا بكتابـة الكتـاب؛ وكـان

"

تاريخا للسياسة، والفكر، والأدب، والأعلام؛ وانتهى منه في غرة عام 641هـ/1243م. وكتابته حدثت صدفة؛ بعد أن طلب منه عبد الملك ابن سعيد (صاحب قلعة بني سعيد) أن يصنف له كتابا يشمل ما يعرفه من التاريخ، والأدب، والأدباء في ديار المغرب، والأندلس؛ فأنجز ذلك المشروع الأدبي الهام؛ فأعجب به عبد الملك؛ وكان لا يترك قراءته أبدا؛ بل أضاف إليه ما يعرفه هو؛ ثم توارثه: ولده، وأحفاده (أحمد، ومحمد، وموسى، وعلي) فكانوا يتولونه بالعناية، والتنقيح، والإضافة؛ طوال فترة زمنية تصل إلى مائة وخمسة عشر عاما؛ حتى أصبح كما عرفه أهل التاريخ، والأدب؛ في زمن سابق؛ لأن ما هو معروف الآن؛ ليس سوى قسم صغير منه؛ نشرة شوقي ضيف تحت عنوان: المُغْرِبْ فِي حُلىَ المَغْرِبْ. وجاء في الأخبار أن عبد الله الحجاري عندما قدم أول مرة على عبد الملك استخف به البوابون وازدروه بسبب زي البداوة التي كان عليه؛ فكتب إليه رقعة طلب فيها المثول بين يديه؛ وسجل فيها مطلع قصيدته التي أراد أن يلقيها أمامه؛ وهي:

"

عَلَيْــكَ أحَالَــنِي الذكْــرُ الجَمِيــلُ

ولمــا قــرأ الرقعــة، ومطلــع القصيــدة؛ أمــر الحــراس بإدخالــه. وعندمــا دخــل لــم يبــادر إلى الســلام، والتحيــة ــ كمــا جــرت العــادة ــ بــل ظــل واقفــا في صمــت؛ يجيــل النظــر فيهــم. وقــد وصــف المقّــري ذلــك الموقــف بقولــه: **((فاستثقلــه الحاضــرون، واستبــردوا مقصــده؛ ونسبــوه للجهــل، وســوء الأدب. فقــال لــه أحدهــم: مالــك لا تسلــم علــى القائــد، وتدخــل مداخــل الأدبــاء، والشعــراء؟ فقــال: حــتى أُخجــل جميعكــم قــدْرَ مــا أخجلتمــوني علــى البــاب مــع قــوم أنــذال، وأعلــم أيضــا مــن هــو الكثيــر الفضــول مــن أصحــاب القائــد أعــزه اللــه تعــالى؛ فأكــون أتقيــه إن قــدر لي خدمتــه. فقــال لــه عبــد الملــك: أتأخذنــا بمــا فعــل السفهــاء منــا؟ قــال: لا، واللــه؛ بــل أغفــر لــك ذنــوب الدهــر أجمــع؛ إنمــا هي أسبــاب نقصدهــا لنحــاور بهــا مثلــك؛ أعــزك اللــه تعــالى، ويتمكــن التأنيــس، وينحــل قيــد الهيبــة)).**[1]

وبعدهــا أنشــده قصيدتــه المطولــة؛ دون ورقــة؛ وهــي الــتي يقــول فيهــا:

---

[1] نفــح الطيــب، ج: 4، ص: 123.

"

عَلَيْـــكَ أحَالَنِي الذكْــرُ الجَمِيـــلُ
فَجئْـــتُ وَمِنْ ثَنَائِـــكَ لِي دَلِيـــل
أَتَيْـــتُ وَلَـــمْ أقَـــدِّمْ مِنْ رَسُـــول
لأنَّ القَلْـــبَ كَانَ هُـــوَ الرَّسُـــول

إلى أن يقـــول:
وَوَدَّعْـــتُ الحَبِيـــبَ بغَيـــر صَبْـــر
فَصَـــحَّ العَـــزْمُ وَاقْتُضِيَ الرَّحِيـــلُ
وَأسْبَلْـــتُ الظَّـــلاَمَ عَـــلَيَّ سِتْـــرا
وَنَجْـــمُ الأفْـــقِ نَاظِـــرُهُ كَلِيـــلُ
وَلَمْ أشْـــكُ الهَجيـــرَ وَقَدْ دَعَـــانِي
إلَى أرْجَائِـــكَ الظِّـــلُّ الظَّلِيـــلُ

ثـــم يشيـــر إلى شكلـــه البـــدوي:
أجِلْ طَرْفـــاً لَـــدَيَّ فَـــإنَّ عِنْـــدِي
مِـــنَ الآدَابِ مَا يَحْـــوِي الخَلِيـــلُ
وَمَثِّلْـــنِي بِـــدَنٍّ فِيـــــهِ سِـــــرٌ
يَخِـــفُّ بِـــهِ وَمَنْظَـــرُهُ ثَقِيـــــلُ

ومـــن شعـــره الجيـــد:
مَلِـــكٌ طُفَيْلِيٌّ السَّمَـــا
حِ عَلَى الأقَـــارِبِ وَالأبَاعِـــدْ

"

مَــا فُرِّجَـــتْ أبْوَابُـــهُ
إلاَّ تَفَرَّجَــــــتِ الشَّدَائِــــــدْ

ومـــن شعـــره أيضـــا:
كَمْ بــِتُّ مِنْ أسْرِ السُّهَـــادِ بلَيْلَـــةٍ
نَادَيْتُ فِيهَا هَلْ لِجُنْحِـــكِ آخِـــرُ
إذْ قَامَ هَذَا الصُّبْـــحُ يُظْهِـــرُ مِلَّـــة
حَكَمَتْ بِأَنْ ذُبـــِحَ الظَّلاَمُ الكَافِـــرُ

وممـــا قالـــه في بـــني سعيـــد:
زَارَتْــكَ فِي اللَّيْـــلِ البَهيـــمْ
كَالغُصْـــنِ يَثْنِيـــهِ النَّسِيــــــمْ
سَلَبَـــتْ ظَـــلاَمَ اللَّيـــلِ مَـــا
أبْصَرْتَ فِي العِقْـــد النَّظِيـــمْ
فَلِـــذَاكَ أمْـــسَى عَاطــــــــ
ـــلُ الآفَاق مُسْـــوَدَّ الأدِيـــمْ
لـــَوْلاَ الْمُـــدَامُ لَمَـــا اهْتَـــدى
فِيـــهِ إلىَ كَـــأسٍ نَدِيـــــمْ

ويقـــول أيضـــا:
قَـــوْمٌ لَهُـــمْ فِي فَخْرِهِـــمْ
شَرَفُ الحَدِيـــثِ مَعَ القَدِيـــمْ

"

وَرِثُــوا النَّدَى وَالبَأسَ وَالــ
ــعَلْيَــا كَرِيمــاً عنْ كَرِيــمْ
مِــنْ كُــلِّ وَضَّــاحٍ بِــهِ
يُجْــلىَ دُجَى اللَّيْــلِ البَهِيــمْ

وقـــال فيهـــم أيضـــا:
وَجَدْنَا سَعِيداً مُنْجباً خَيــْـرَ عُصْبَــةٍ
هُــمُ فِي بَنِي أزْمَانِهــمْ كَالمَوَاسِــمِ
مُشَنَّفَــة أسْمَاعُهُــمْ بفضَائِــــلٍ
مُسَــوَّرَة أيْمَانُهُــمْ بِالصَّــــوَارِمِ
فَكَمْ لَهُمْ فِي الحَرْب مِنْ فَضْلِ نَاثِــرٍ
وَكَمْ لَهُمْ فِي السِّلْمِ مِنْ فَضْلِ نَاظِــمِ

وكتـــب إلى القـــاضي أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد اللـــوشي؛ يطلـــب منـــه مـــده بأشعـــار لـــه؛ لـــكي يدرجهـــا في كتـــاب المسهـــب؛ فلـــم يلـــبي طلبـــه؛ فأرســـل إليـــه أبياتـــا يلومـــه فيهـــا:

يَا مَانِعاً شِعــْـرَهُ عَنْ سَمْعِ ذِي أدَب
نَائِي المَحَلِّ بَعِيدِ الشَّخْصِ مُغْتَــرِبِ
يَسِيــرُ عَنــْكَ بِهِ فِي كُلِّ مُتَّجَــهٍ
كَمَا يَمُرُّ نَسيــمُ الرِّيــحِ بِالعَــذبِ
إنيِّ وَحَقِّــكَ أهْــلٌ أنْ أفُوزَ بِــهِ
وَاسْــألْ فَدَيتكَ عَنْ ذَاتِي وَعَنْ أدَبِي

"

فأجابـــه؛ مـــع مـــا بعـــث إليـــه مـــن أعمـــال الشعريـــة:

يَا طَالِباً شِعْرَ مَنْ لَمْ يَسْمُ فِي الأَدَب
مَاذَا تُرِيدُ بِنَظْـــمِ غَيْـــرَ مُنْتَخَـــبِ
إِنِّي وَحَقِّـــكَ لَمْ أَبْخَـــلْ بِهِ صَلَفـــاً
وَمَنْ يَضِـــنُّ عَلَى جِيدٍ بِمخْشَلَـــبِ
لَكِنَّنِي صُنْـــتُ قَدْري عَنْ روَايَتِـــهِ
فَمِثْلُـــهُ قَلَّ عَنْ سَـــامٍ إِلَى الرُّتَـــبِ
خُذْهُ إِلَيْكَ كَمَا أَكْرَهْتُ مُضْطَربـــاً
مُحَلِلاً ذَمَّ مَـــوْلاَهُ مَـــدَى الحِقَـــبِ

ولمـــا أراد إبراهيـــم الحجـــاري الانتقـــال إلى جهـــة أخـــرى مـــن البـــلاد ـــ لولوعـــه بالسفـــر، وحبـــه للرحلـــة ـــ عذلـــه عبـــد الملـــك عـــن التحـــول عنـــه؛ فأجابـــه بأبيـــات:

يَقُولُونَ لِي مَاذَا المَـــلاَلُ تُقِيـــمُ فِي
مَحَلٍ فَعِنْدَ الأُنْسِ تَذْهَـــبُ رَاحِـــلاَ
فَقُلْتُ لَهُمْ مِثْـــلُ الحَمَامِ إِذَا شَـــدَا
عَلَى غُصْـــنٍ أَمْسَى بِآخَـــرَ نَـــازِلاَ

وكانـــت وجهتـــه؛ بعـــد قلعـــة بـــني سعيـــد (أو قلعـــة يَحْصَـــب كمـــا تســـمى أيضـــا)؛ نحـــو رُوطـــة حاضـــرة الأميـــر المستنصـــر بـــن هـــود. حيـــث اقتادتـــه

"

المقادير إلى نكبته المعروفة؛ إذ سقط أسيرا في أيدي النصارى؛ عندما شارك في غزوة شنها ابن هود عليهم. ومن هنا بدأت صفحة جديدة من حياته كأسير في بسقاية؛ فأرسل سيلا من الأشعار إلى ابن هود يستعطفه، ويحثه على خلاصه؛ ولكن دون جدوى. فراسل عبد الملك بن سعيد؛ ومما كتب إليه:

أرَئِيسَ الزَّمَانِ أغْفَلْتَ أمْرِي
وَتَلَذذْتَ تَاركاً لِي بِأسْرِ
مَاكَذَا يَعْمَلُ الكِرَامُ وَلَكِنْ
قَدْ جَرَى عَلَىَ المُعَوَّدِ دَهْرِي

فاستجاب له عبد الملك وافتداه؛ فأضحى بذلك؛ طليق بني سعيد.

ـ ثم **أبو يحيى عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي** (ولد بغرناطة سنة 521هـ/1127م)؛ من حفاظ كتاب الله؛ الملتزمين به. أشتهر بالفضل، والزهد، والمعرفة، والأدب.

ـ ثم **أبو عمر ميمون بن ياسين اللمتوني الصنهاجي** (توفي بإشبيلية سنة 530هـ/1135م)؛ كانت له رحلة إلى مكة للحج، والتزود بالعلم؛ وهو من المهتمين برواية الحديث؛ وقد

"

اشترى صحيح البخار: الأصل الخاص بأبي ذر الهروي؛ من ابنه أبي مكتوم بمبلغ كبير من المال؛ وأحضره معه إلى بلاد المغرب.

ـ ثم **أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي** (توفي بمراكش سنة 535هـ/1140م)؛ وهو من الفقهاء الحفاظ، وكان عالما بالمسائل، والأحكام؛ متمكنا من معارفه؛ ولي القضاء بمراكش فكان من أجل القضاة في زمنه.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن مفرج بن سليمان الصنهاجي** (ت: سنة 536هـ/1141م)؛ وهو من الفقها.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن يوغان الصنهاج** (توفي بتلمسان سنة 537هـ/1142م)؛ وهو من الزهاد الصوفيين.

ـ **أبو بكر بن علي الصنهاجي** الملقب بالبيذق (ربما كانت وفاته في حدود سنة 555هـ/1160م)؛ اشتهر من خلال كتابه الذي سرد فيه أخبار المهدي ابن تومرت، وعبد المؤمن بن علي. وكان قد اكتشفه ليفي بروفنسال، ونشره سنة 1347هـ/1928م.

"

ــ ثـم **عـز الديـن بـن محمـد عبـد العزيـز بـن شـداد بـن تميـم بـن المعـز بـن باديـس** (كـان حيـا سنـة 571هــ/1175م)؛ أديـب، ومـؤرخ؛ مـن مؤلفاتـه كتـاب الجمـع والبيـان في أخبـار القيـروان.

ــ ثـم **الأميـر عبـد الرحمـن بـن زيـري الصنهـاجي** (مـن أعـلام النصـف الثـاني مـن القـرن السـادس للهجـرة)؛ أديـب وشاعـر؛ مـن شعـره هـذه القصيـدة الـتي بعثهـا إلى الأميـر ساكـن بـن عامـر بـن محمـد بـن عسكـر الهـلالي في دمشـق؛ وكـان ذلـك الأميـر قـد وعـده بكتـاب:

سَرَى البَرْقُ مِنْ عَلْيَا مَعَالِمِ قَابِـسِ
وَفِي القَلْبِ مِنْ لَمْعِ البُرُوقِ كَوَامِنُ

يَذكِّـرُنِي عَهْدِي بِهَـا وَمَنَـازِلِي
بسَاحَتِهَـا وَالحَادِثَـاتُ سَوَاكِـنُ

وَنَحْـنُ عَلَى تِلْكَ المَوَاطِنِ وَالـرُّبَى
نُزُولٌ وَوَشْكُ البَيْنْ بِالوَصْلِ بَائِـنُ

أخَادِعُ عَنْ سُكَانِهَا الدَّهْرَ وَحْـدَهُ
كَأَنِّي لِمَا يَأتِي بِهِ الدَّهْـرُ ضَامِـنُ

وَلَمَّا سَرَى البَرْق الَّذِي ذكَرَ الصِّبَـا
تَأوَّهْـتُ شَوْقـاً وَالدُّمُوعُ هَوَاتِـنُ

وَنَادَيْتُ مِنْ عُلْيَا هِـلاَل بْنِ عَامِـر
فَتىً صَادِقَ الدَّعْوَى إذا مَـانَ مَائِـنُ

"

نَمَتْــه رِيَــاحٌ مِنْ صَلِيبَــةِ فَــادع
لآلِ عَلِيٍّ وَهْــوَ لِلْمَجْــدِ صَائِــنُ
وَحَلَّتْ بَنُــو دَهْمَانَ مِنْــهُ بعَشْــوَةٍ
وَعَــزَّ بهِ بَيْــنَ الأفَاضِــلِ ظَاعِــنُ
فَمَــا هُوَ إلاَّ فِي ذُرَى آلِ عَسْكَــر
لِعَامِرِهِمْ نَجْــلٌ وَذَلِــكَ سَاكِــنُ

ـ ثــم **أبــو العبــاس أحمــد بــن محمــد بــن مــوسى ابــن عطــاء اللــه الصنهــاجي** المعــروف بابــن العريــف (تــوفي بمراكــش سنــة 536 أو 538هــ/ 1141م أو 1143م)؛ وهــو مــن المتصوفيــن الزهــاد بالمريــة؛ وكــان ينعــت بشيــخ المتصوفــة؛ فأمــر السلطــان عــلي بــن يوســف بــن تاشفيــن بالقبــض عليــه ضمــن المتصوفيــن؛ ونقلهــم إلى مراكــش؛ أيــن تــوفي مــع أبي الحكــم ابــن برجــان. ومــن مؤلفــات ابــن العريــف: كتــاب محاســن المجالــس. ومــن شعــره:

سَلُوا عَنِ الشَّوْق مَنْ أهْوَى فَإنَّهُــمُ
أدْنَى إلىَ النَّفْسِ مِنْ وَهْمِي وَمِنْ نَفْسِي
فَمَنْ رَسُــولِي إلىَ قَلْبي لِيَسْألَهُــمْ
عَنْ مُشْكِلٍ مِنْ سُؤَالِ الصَّبِّ مُلْتَبِــسِ
حَلُّوا فُؤَادِي فَمَا يَنْدَى وَلَوْ وَطِئُــوا
صَخْــراً جِلاَدٍ بِمَاءٍ مِنْــهُ مُنْبَجِــسِ

"

وَفِي الحَشَا نَزَلُوا وَالوَهْمُ يَجْرَحُهُــمْ
فَكَيْفَ قَــرُّوا عَلىَ أذْكىَ مِنَ القَبَسِ
لأنْهَضَــنَّ إلىَ حَشْــرِي بحُبِّهِــمُ
لاَ بَارَكَ اللَــّهُ فِيمَنْ خَانَهُمْ وَنَسِي

ومــن شعــره أيضــا:
مَنْ لَمْ يُشَــاوِرْ عَالِمــاً بأصُولِــهِ
فَيَقِينُــهُ فِي المُشْكِلاَتِ ظُنُــونُ
مَنْ أنْكَــرَ الأشْيَــاءَ دُونَ تَيَقُّــنٍ
وَتَثَبُّــتٍ فَمُعَانِــدٌ مَفْتُــــونُ
الكُتْــبُ تَذكِرَة لِمَنْ هُوَ عَالِــمٌ
وَصَوَابُهَــا بمُحَالِهَــا مَعْجُــونُ
وَالفِكْــرُ غَوَّاصٌ عَلَيْهَا مُخــرِجٌ
وَالحَــقُّ فِيهَــا لُؤْلُــؤ مَكْنُــونُ

وقــال كذلــك:
وَإذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِكَ الرَّزَايَــا
فَلاَ تَجْزَعْ لَهَا جَزَعَ الصَّــبِيِّ
فــإنَّ لِكُــلِّ نَازِلَــةٍ عَــزَاءً
بِمَا قَدْ كَــانَ مِنْ فَقْدِ النَّــبِيِّ

"

ومــــن قولـــه:

شَدُّوا الرِّحَالَ وَقَدْ نَالُوا المُنَى بِمِـــنىً
وَكُلُّهُمْ بأَلِيـــمِ الشَّـــوْقِ قَدْ بَاحَـــا

رَاحَتْ رَكَائِبُهُمْ تَنْـــدَى رَوَائِحُهَـــا
طِيباً بمَا طَابَ ذَاكَ الوَفْدُ أشْبَاحَـــا

نَسِيـــمُ قَبْـــرِ النَّبيِّ المُصْطَفَى لَهُـــمُ
رَاحٌ إذَا سَكِرُوا مِنْ أجْلِـــهِ فَاحَـــا

يَا رَاحِلِيـــنَ إلَى المُخْتَار مِنْ مُضَـــر
زُرْتُمْ جُسُوماً وَزُرْنَا نَحْنُ أرْوَاحَـــا

إنَّـــا أقَمْنَـــا عَلَى شَوْق وَعَنْ قَـــدَر
وَمَنْ أقَـــامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَـــا

ومنـــه قولـــه:

لَسْـــتُ أدْرِي أطَـــالَ لَيْـــلِيَ أمْ لاَ
كَيْـــفَ يَـــدْرِي بذَاكَ مَنْ يَتَقَـــلَّى

لَـــوْ تَفَرَّغْـــتُ لاسْتِطَالَـــةِ لَيْـــلِي
وَلِـــرَعْيِ النُّجـــومِ كُنْـــتُ مُخِـــلاَّ

إنَّ لِلْعَاشِقِيـــنَ عَـــنْ قِصَـــرِ اللَّيْـــ
ـــلِ وَعَنْ طُولِهِ مِنْ الفِكْـــرِ شُغْـــلاَ

"

ـ ثـم **أبـو الوليـد إسماعيـل بـن محمـد بـن مـوسى بـن عطـاء اللـه الصنهـاجي** المعـروف بابـن العريـف (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن السـادس للهجـرة)؛ وهـو أخـو أبي العبـاس المتصـوف السابـق الذكـر. كـان راويـة لأخيـه؛ إذ كتـب عنـه مجموعـة كبيـرة مـن أشعـاره.

ـ ثـم **أبـو الحسـن زاوي بـن منـاد بـن عطيـة اللـه بـن المنصـور الصنهـاجي** يكـنى ـ أيضـا ـ أبـا بكـر، ويعـرف بابـن تقسـوط (تـوفي بدانيـة سنـة 539هـ/1144م)؛ وهـو مـن مواليـد دانيـة بالأندلـس؛ وتعلـم بهـا، وبمرسيـة، وبقرطبـة. كـان مـن أهـل العلـم، والفضـل؛ لـه إلمـام بعلـم الحديـث.

ـ ثـم **أبـو عـلي المنصـور بـن محمـد بـن الحـاج داود بـن عمـر اللمتـوني الصنهـاجي** (تـوفي ببياسـة سنـة 549هـ/1154م)؛ كـان ـ بالإضافـة إلى كونـه مـن رؤسـاء لمتونـة، وأعيانهـا ـ عالمـا بالأخبـار، والسنـن، والآثـار؛ ويعـد مـن بيـن الحفـاظ، ورواة الحديـث. أمـا أعمالـه السياسيـة؛ فتتمثـل في الولايـة الـتي أسنـدت إليـه مـن طـرف يحـيى بـن غانيـة؛ الـذي ولاه عـلى بلنسيـة.

"

ـ ثم **أبو الوليد عبد الملك بن أحمد بن أبي يداس الجياني الصنهاجي** (ت: سنة 560هـ/1164م)؛ وهو من علماء اللغة، والقراءات والنحو، والأدب؛ بالإضافة إلى كونه شاعرا؛ ولي الخطابة بجامع شقورة إلى أن وافته المنية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الصنهاجي** المعروف بابن الأشيري (توفي شمالي بعلبك سنة 561هـ/1165م)؛ كان من كتاب البلاط اللمتوني؛ فنكب بعد سقوط الدولة؛ فهاجر إلى الشام؛ وتصدر في دمشق لتدريس الموطأ، وكتب أخرى؛ زار بغداد، وحدث بها، ثم ذهب إلى حلب؛ وتصدر لتدريس الحديث بها. وهو شاعر جيد الصناعة؛ وله شرح على قصيدة الحصري. توفي أثناء عودته من المدينة إلى الشام.

ـ ثم **أبو بكر محمد بن خير بن عمر ابن خليفة الإشبيلي اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 575هـ/1179م)؛ وهو مقرئ، وحافظ للحديث؛ ومستوعب لعلوم اللغة، والأدب؛ وهو موصوف بالدقة، والإتقان، والصدق؛ وعليه فقد كانت كتبه تباع بأغلى الأثمان. ومن مؤلفاته الباقية:

"

فهرسة جمع فيها مروياته عن شيوخه، وشروح على كتاب صحيح مسلم.

ــ ثم **أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن ابن المعز التلمساني الصنهاجي** (توفي بسلا سنة 579هـ/1183م)؛ وهو من الزهاد؛ اشتغل في النسخ؛ ولم يكن يأخذ ثمنا لعمله سوى ما يأخذه العدل.

ــ ثم **أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم الجزيري الصنهاجي** (ت: سنة 585هـ/1189م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ انتقل من الريف المغربي إلى الأندلس؛ فأسندت إليه مرتبة القضاء بالجزيرة الخضراء التي أضحى ينسب إليها. من مؤلفاته: كتاب المقصد المحمود في تلخيص العقود؛ المعروف بوثائق الجزيري.

ــ ثم **يحيى بن علم الملك التلكاتي الصنهاجي** يعرف بابن النحاس (ت: سنة 589هـ/1193م)؛ وهو من أحفاد السلطان تميم بن المعز. كما كان من بين أمراء الدولة الأيوبية؛ وانتقل مع صلاح الدين إلى الشام. وله أعمال شعرية؛ لم تتوفر الآن.

"

ـ ثم **أبو بكر عتيق بن علي بن حسن الصنهاجي** المعروف بالفصيح (توفي بمراكش سنة 595هـ/1198م)؛ وهو من القضاة المتفقهين بمذاهب شتى؛ تنقل كثيرا عبر الأقطار؛ فزار مدنا عديدة ببلاد المغرب؛ ثم انتقل إلى بلاد المشرق؛ أين حج، ثم زار بغداد، ومصر. وبعد عودته إلى المغرب، توقف بتونس، وتلمسان؛ حيث عقد حلقات للتدريس بهما؛ ثم أقام بها نهائيا؛ إذ ولي فيها مرتبة القضاء؛ ولكنه صرف عنها؛ بسبب شكاوى الناس. وله شعر جمعه ضمن ديوان؛ وله أيضا تسجيلات كثيرة.

ـ ثم **أبو علي عمر بن العباس التلمساني الصنهاجي** المعروف بالحباك (توفي غريقا وهو في طريقه للحج سنة 613هـ/1216م)؛ وتصوف بعد حضوره جنازة أبي مدين شعيب؛ فترك لزوجته كل ما يملك، واختار حياة الزهاد والمتنسكين.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي** يسمى ابن حَمَادُوهْ (توفي بمراكش سنة 626 أو 628هـ/1228 أو 1230م)؛ ولد ببرج حمزة؛ في منطقة البويرة حاليا؛ ثم انتقل إلى قلعة بني حماد؛

القرية من المسيلة؛ للدراسة، ولتحصيل العلم بها؛ ثم ذهب إلى بجاية، ومدينة الجزائر، وتلمسان؛ للغرض نفسه؛ فكان يسعى وراء العلم، والعلماء؛ وبعد ذلك هاجر إلى الأندلس؛ حيث ولي القضاء بالجزيرة الخضراء؛ كما ولي القضاء — أيضا — في سلا بالمغرب الأقصى. وكان عالما في علوم، وفنون عديدة؛ كـ: التاريخ، والأدب، وعلوم اللغة والنحو؛ بالإضافة إلى شاعريته المتميزة. وله مجموعة من المؤلفات؛ منها: شرح الأربعين حديثا، شرح كتاب الأعلام بفوائد الأحكام؛ لعبد الحق الإشبيلي، وشرح مقصورة ابن دريد، وكتاب النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية، وكتاب ضخم ضمنه برنامجه العلمي، وتلخيص كتاب أخبار الرسل والملوك؛ للطبري، وكتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، وكتاب عجالة المودع وعلالة المشيع؛ وهو كتاب أدبي. وديوان شعر. ومن شعره هذه الأبيات التي يصف فيها — متألما — خراب قلعة بني حماد:

إِنَّ العَرُوسَيْنِ لاَ رَسْمٌ وَلاَ طَلَلٌ
فَانْظُرْ هُنَا لَيْسَ إلاَّ السَّهْلُ وَالجَبَلُ
وَقَصْرُ بَلاَرَةَ أَوْدَى الزَّمَانُ بِهِ
فَأَيْنَ مَا شَادَ مِنْهُ السَّادَةَ الأُوَلُ

"

وَمَـا رُسُـومُ المَنَـارِ الآنَ مَاثِلَـةٌ
لَكِنَّهَـا خَبَـرٌ يَجْرِي بِـهِ المَثَـلُ

ثـم يقـول:

قَدْ عَفَـا قَصْرُ حَمَـادٍ فَلَيْسَ لَـهُ
رَسْـمٌ وَلاَ أَثَـرٌ بَـاقٍ وَلاَ طَلَـلُ

وبـث شوقـه إلى بعـض المعالـم:

أَلاَ لَيْتَ شِعْـرِي هَلْ أَبِيتَـنَّ لَيْلَـةً
بِوَادِي الجَوَى مَا بَيْنَ تِلْكَ الجَـدَاوِلِ
وَهَلْ أَرِدَنَّ عَيْنَ السَّلاَمِ عَلَى الصَّدَى
فَأَبْـرُدُ مِنْ حَـرِّ الضُّلُوعِ النَّوَاهِـلِ
وَأَنْظُـرُ طِيقَـانَ المَنَـارِ مُطِلَّـةً
عَلَى الدُّجُنَّاتِ الزَّهِـرَاتِ الخَمَائِـلِ
كَـأَنَّ القِبَـابَ المُشْرِقَـاتِ بِأُفْقِـهِ
نُجُـومٌ تَبَدَّتْ فِي سُعُـودِ المَنَـازِلِ
فَصَبْـراً جَمِيلاً غَيْرَ أَنْ مَا أَصَابَـنِي
سَيَبْـقَى بَقَـاءَ الطَّالِعَاتِ الأَوَافِـلِ

ـ ثـم **يوسـف بـن محمـد بـن عـلي بـن محمـد ابـن جماعـة الصنهـاجي** المعـروف بابـن صامـد (ت: سنـة 633هـ/1235م)؛ وهـو مـن سكـان مالقـة؛ ويعـد مـن أهـل الخيـر والصـلاح؛ ولـه أعمـال،

"

ومؤلفات جيدة؛ منها: كتاب الإقتداء بسنن الهدى؛ في الفقه، وكتاب المنتقى مما هو المرتضى للمتكلمين في أصول الدين، وكتاب المقام الأعلى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وكتاب المرشد في رواية ورش وقالون.

ــ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي** المعروف بابن عبد المنعم (ت: بعد سنة 635هـ/1237م)؛ اشتهر بملكة الحفظ القوية؛ ولم يظهر في زمانه من يضاهيه في حفظ، واستظهار مواد اللغة؛ حتى قيل أنه كان يستظهر كتاب التاج للجوهري، وكتبا أخرى؛ فكان معجزة من معجزات عصره في هذا الباب. ويسرد عن ظهر قلب ــ أيضا ــ كتاب سيبويه؛ إذ أختبره فيه بعض الفاسيين مرات عديدة. كما أنه فلتة من فلتات زمانه في الشطرنج. وله إلمام بعلم الأصول، وبعض العلوم العقلية؛ مع أنه لم يخرج عن الحدود التي سطرتها السنة النبوية.

"

ـ ثم **أبو عمرو ميمون بن علي بن الخالق الخطابي الصنهاجي** المعروف بابن خبازة (توفي برباط الفتح سنة 637هـ/1239م)؛ وهو من الكتاب المترسلين؛ ومن الشعراء والأذكياء؛ ولي بمراكش حسبة الطعام؛ اتجه في كبره إلى التصوف.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق بن يوسف بن تورنارت بن تمحليت الصنهاجي** (توفي بجيان سنة 640هـ/1242م)؛ وهو من سكان جيان بالأندلس؛ ومن المشتغلين بالقراءات، واللغة، والأدب.

ـ ثم **أبو موسى عيسى بن يوسف بن أبي بكر بن تامْجَلت** (توفي بمراكش سنة 641هـ/1243م)؛ كان متمكنا من الرواية، والآداب، وقرض الشعر، والكتابة المرسلة؛ وله خط جيد، ويتميز بالضبط؛ ولي في خطة الكتابة لدى سلطان غرناطة محمد بن يوسف بن نصر.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله النامیسي الصنهاجي** (كان حيا سنة 647هـ/1249م)؛ وهو من الرواة، والمحدثين؛ وله مشاركة في علم الكلام.

"

ـ ثـم **أبـو إبراهيـم عبـد الواسـع بـن عبـد السـلام الزمـوري الصنهـاجي** (تـوفي بأزمـور سنـة 667هـ/1268م)؛ وهـو فقيـه ومقـرئ ومـدرس؛ تـولى الإفتـاء.

ـ ثـم **أبـو العبـاس شهـاب الديـن أحمـد بـن إدريـس بـن عبـد الرحمـن بـن عبـد اللـه بـن يليـن البهنـسي الصنهـاجي** الشهيـر بالقَـرَافِي (تـوفي بديـر الطيـن سنـة 684هـ/1285م)؛ وهـو مـن أئمـة المذهـب المالـكي؛ إذ تربـع عـلى رأس هـذا المذهـب في عصـره. وإلى جانـب الفقـه؛ فقـد بـرع في الأصـول، والعلـوم العقليـة، والتفسيـر؛ ولـه مؤلفـات هامـة، ومفيـدة؛ منهـا: كتـاب الذخيـرة؛ في الفقـه المالـكي؛ وهـو في سـت مجلـدات، وكتـاب الخصائـص؛ في قواعـد اللغـة العربيـة، وكتـاب شـرح التهذيـب، وكتـاب شـرح الجـلاب، وكتـاب شـرح محصـول الإمـام فخـر الديـن الـرازي، وكتـاب التعليقـات عـلى المنتخـب، ومختصـر تنقيـح الفصـول؛ في الأصـول، وكتـاب شـرح تنقيـح الفصـول، وكتـاب الأجوبـة الفاخـرة في الـرد عـن الأسئلـة الفاجـرة؛ في الـرد عـلى أهـل الكتـاب، وكتـاب الأمنيـة في إدراك النيـة، وكتـاب الاستغنـاء في أحكـام الاستثنـاء، وكتـاب الإحكـام في تمييـز الفتـاوى عـن

"

الأحكام وتصرف القاضي والإمام، وكتاب اليواقيت في أحكام المواقيت، وكتاب شرح الأربعين؛ لفخر الدين الرازي في أصول الدين، وكتاب الانتقاد في الاعتقاد، وكتاب المنجيات والموبقات؛ في الأدعية وما يجوز منها وما يكره وما يحرم، وكتاب الإبصار في مدركات الأبصار، وكتاب البيان في تعليق الأيمان، وكتاب العموم ورفعه، وكتاب الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب ابن نُباتة، وكتاب الاحتمالات المرجوحة، وكتاب البارز للكفاح في الميدان؛ وكتب أخرى، وكتاب أنوار البروق في أنواء الفروق؛ في أربعة أجزاء. ويقول ابن فرحون: ((**قال الشيخ شمس الدين بن عدلان الشافعي: "أخبرني خالي الحافظ شيخ الشافعية بالديار المصرية أن شهاب الدين القرافي حرر أحد عشر علما في ثمانية أشهر"؛ أو قال: ثمانية علوم في أحد عشر شهراً". وذكر عن قاضي القضاة تقي الدين ابن شكر قال: " أجمع الشافعية، والمالكية؛ على أن أفضل أهل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة: القرافي بمصر القديمة، والشيخ ناصر الدين بن مُنَيِّر بالإسكندرية، والشيخ تقي الدين بن دقيق**

"

العيد بالقاهرة المعزية؛ وكلهم مالكية؛ خلا الشيخ تقي الدين؛ فإنه جمع بين المذهبين"... ويَلِّينْ ... لعلها قبيلة من قبائل صنهاجة)).[1]

ـ ثم **أبو عبد الله عبد الله بن علي ابن إسماعيل بن الحسن بن عطية الإسكندري الصنهاجي** المعروف بالأبياري (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ ولاه ناصر الدين قاضيا للقضاة.

ـ ثم **أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي** المعروف بالبوصيري (اختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته؛ بين: 695 أو 696 أو 697هـ/1295 أو 1296 أو 1297م)؛ وهو من فحول الشعراء؛ عرف بطول النفس في النظم؛ فكانت ألفاظه عذبة، ونظمه جيد السبك، بديع الصياغة؛ وتميز بحسن التصرف؛ اشتهر بقصائده في مدح الرسول؛ كقصائد: نهج البردة، والهمزية، وغيرهما. وهو في أصوله من قلعة بني حماد بالجزائر؛ قد يكون من بطن يعرف ببني حبنون الصنهاجيين. ومن شعره المشهور:

فَقَدْتُ طَوَائِفَ المُسْتَخْدِمِينَا
فَلَمْ أرَ فِيهِمُ رَجُلاً أمِينَا

---

[1] الديباج، ج: 1، ص ص: 238 ـ 239.

"

فَقَــدْ عَاشَرْتُهُــمْ وَلَبثْــتُ فِيهِــمْ

مَعَ التَّجْريــب مِنْ عُمْري سِنِينَــا

فَكُتَّــابُ الشِّمَــال هُــمُ جَمِيعــاً

فَــلاَ صَحِبَــتْ شِمَالِهِــمُ اليَمِينــَا

فَكَمْ سَرَقــُوا الغِــلاَلَ وَمَا عَرَفْنــَا

بهِــمْ فَكَأَنَّمَــا سَرَقُــوا العُيُونَــا

وَلــَوْلاَ ذَاكَ مَــا لَبِسُــوا حَرِيــراً

وَلاَ شَرِبُــوا خُمُــورَ الأَنْدَرِينَــا

وَلاَ رَبَّــوْا مِــنَ الْمُــرْدَانِ مُــرْداً

كَأغْصَــانٍ يَقُمْــنَ وَيَنْحَنِينَــا

وَقَــدْ طَلَعَــتْ لِبَعْضِهِــمُ ذُقُــونٌ

وَلَكِــنْ بَعْــدَ مَــا نَتَفُــوا ذقُونَــا

وَأَقْــلاَمُ الجَمَاعَــةِ جَائِــلاَتٍ

كَأَسْيَــافٍ بأَيْــدِي لاَعِبِينَــا

وَقَــدْ سَاوَقْتُهُــمْ حَرْفــاً بِحَــرْفٍ

وَكُلُّ اسْــمٍ يَخُطُّــوا مِنْــهُ سِينَــا

أَمَــوْلاَيَ الوَزِيــرِ غَفَلْــتَ عَمَّــا

يَتِــمُّ مِنَ اللِّئَــامِ الكَاتِبِينَــا

تَنَسَّــكَ مَعْشَــرٌ مِنْهُــمْ وَعُــدُّوا

مِــنَ الزُّهَــادِ وَالْمُتَوَرِّعِينَــا

وَقِيــلَ لَهُــمْ دُعَــاءٌ مُسْتَجَــابٌ

وَقَدْ مَلأُوا مِنَ السُّحْــتِ البُطُونَــا

"

إلى أن يقـــول:

وَفِي دَارِ الوَكَالــَةِ أيّ نَهْـــب

فَلَيْتَـــكَ لَـــوْ نَهَبْـــتَ النَّاهِبِينَـــا

فَقَـــامَ بِهَـــا يَهُـــودِيٌّ خَبِيـــثٌ

يَسُـــومُ الْمُسْلِمِيـــنَ أذىً وَهُونَـــا

إذَا ألْـــقَى بِهَا مُـــوسَى عَصَـــاهُ

تَلَقَّفَـــتِ القَوَافِـــلَ وَالسَّفِينَـــا

وَشَاهِدُهُـــمْ إذَا اتُّهِمُـــوا يُـــؤَدِّي

عَنِ الكُـــلِّ الشَّهَـــادَةَ وَاليَمِينَـــا

وهـــذه القصيـــدة طويلـــة جـــدا؛ نكتـــفي منهـــا بمـــا تقـــدم. ولـــه في أعْـــوَر؛ بإحـــدى عينيـــه فـــص أبيـــض، وأسمـــه عمـــر:

سَمَّوْهُ غُمَراً فَصَحفْنا اسْمَهُ عُمَـــرا

فَبَيَّنَ الدَّهْـــرُ مِنَّـــا مَوْضِعَ الغَلَـــطِ

فَأصْبَحَتْ عَيْنُـــهُ غَيْنـــاً بِنُقْطَتِهَـــا

وَطَالَ مَا ارْتَفَعَ التَّصْحِيفُ بِالنُّقَـــطِ

وقـــال أيضـــا في مـــن بعينـــه بيـــاض:

أنْظُـــرْ تَجِـــدْ لِلَّـــهِ فِي

عَيْنَيْـــهِ سِـــراً أيَّ سِـــرٍ

طَمَـــسَ اليَمِيـــنَ بِكَوْكَـــب

وَسَيَطْمِسُ اليُسْرَى بِفَجْرٍ

"

وفي قصيدة أخرى يقول:

أهـوَى وَالمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهْ
وَالتَّصَابي بَعْدَ المَشِيب رُعُونَهْ
أبَتِ النَّفْسُ أنْ تُطِيعَ وَقَالَتْ
إنَّ جِنِّيٍّ لاَ يَدْخُلُ القِنِّينة
كَيْفَ أعْصَى الهَوَى وَطِينَة قَلْبي
بالْهَوَى قَبْلَ آدَمَ مَعْجُونَة

وكانت لديه أتان؛ فاستعارها منه ناظر الشرقية؛ فأعجبته، وأحب امتلاكها؛ فبعث إليه ثمنها كما قدره؛ وهو مائتي درهم؛ فأجابه بهذه الأبيات على لسان الحمارة:

يَا أيُّهَا السَيِّدُ الَّذِي شَهِدَتْ
ألْفَاظُهُ لِي بأنَّهُ فَاضِلُ
مَا كَانَ ظَنِّي يَبِيعُنِي أحَدٌ
قَطٌّ وَلَكِنْ سَيِّدِي جَاهِلُ
لَوْ جَرَّسُوهُ عَلَيَّ مِنْ سَفَهٍ
لَقُلْتُ غَيْظاً عَلَيْه يَسْتَاهِلُ
أقْصَى مُرَادي لو كنت في بلدي
أرْعَى بهَا فِي جَوَانب السَّاحِلِ
وَبَعْدَ هَذَا فَمَا يَحِلٌّ لَكُمْ
أخْذِي لأنِّي مِنْ سَيِّدِي حَامِلُ

"

فلمـــا وصلتـــه الأبيـــات ردهـــا إليـــه؛ ووهبـــه الدراهـــم. وقـــال في الشيـــخ زيـــن الديـــن بـــن الرعـــاد:

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي البَرِيَّةِ شَاعِــرٌ
وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلاَ بُدَّ أنْ يُهْجَى
وَشِعْرِيَ بَحْــرٌ لاَ يُوَافِيهِ ضِفْـدَعٌ
وَلاَ يَقْطَعُ الرَّعَــادُ يَوْمــاً لَهُ لُجَّــا

ومـــن أهـــم قصائـــده في مـــدح رســـول اللـــه صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم: القصيـــدة الهمزيـــة، وقصيـــدة البـــردة، والقصيـــدة الـــتي نظمهـــا عـــلى وزن بانـــت سعـــاد؛ ومطلعهـــا:

إلَى مَتَى أَنْتَ بـــاللَّـــذَاتِ مَشْغُـــولُ
وَأَنْتَ عَنْ كُل مَا قَدَّمْـــتَ مَسْئولُ

أمـــا الهمزيـــة فطويلـــة وأبياتهـــا 456 بيتـــا؛ وهي عبـــارة عـــن ملحمـــة؛ سجـــل فيهـــا سيـــرة الرســـول كاملـــة؛ نختـــار منهـــا مقدمتهـــا:

كَيْــفَ تَــرْقَى رُقِيَّــكَ الأَنْبِيَــاءُ
يَا سَمَــاءً مَــا طَاوَلَتْهَــا سَمَــاءُ
لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُــلاَكَ وَقَدْ حَــا
لَ سَنَــاً مِنْــكَ دُونَهُــمْ وَسَنَــاءُ

"

إِنَّمَـــا مَثَّلُـــوا صِفَاتِـــكَ لِلنَّـــا
س كَمَـــا مَثَّـــلَ النُّجُـــومَ المَـــاءُ
أَنْتَ مِصْبَاحِ كُلِّ فَضْـــلٍ فَمَا تَصْـــ
ـــدُرُ إِلاَّ عَـــنْ ضَوئِـــكَ الأَضْـــوَاءُ
لَـــكَ ذَاتُ العُلُومِ مِنْ عَالِـــمِ الغَيْـــ
ـــبِ وَمِنْهَـــا لآدَمَ الأَسْمَـــــــاءُ
لَمْ تَـــزَلْ فِي ضَمَائِرِ الكَوْنِ تُخْتَـــا
رُ لَـــكَ الأُمَّهَـــاتُ وَالآبَـــــاءُ
مَا مَضَـــتْ فَتْـــرَةٌ مِنَ الرُّسْـــلِ إِلاَّ
بَشَّـــرَتْ قَوْمَهَـــا بِـــكَ الأَنْبِيَـــاءُ
تَتَبَـــاهَى بِـــكَ العُصُـــورُ وَتَسْمُـــو
بِـــكَ عَلْيَـــاءٌ بَعْدَهَـــا عَلْيَـــاءُ
وَبَـــدَا لِلْوُجُـــودِ مِنْـــكَ كَرِيـــمٌ
مِـــنْ كَرِيـــمٍ آبَـــاؤُهُ كُرَمَـــــاءُ
نَسَـــبٌ تَحْسَـــبُ العُـــلاَ بِحُـــلاَهُ
قَلَّدَتْهَـــــا نُجُومَهَـــــا الجَـــــوْزَاءُ
حَبَّـــذَا عِقْـــدُ سُـــؤْدَدٍ وَفَخَـــارٍ
أَنْـــتَ فِيـــهِ اليَتِيمَـــةُ العَصْمَـــاءُ
وَمُحَيَّـــا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُـــضِيءٌ
أَسْفَـــرَتْ عَنْـــهُ لَيْلَـــةٌ غَـــــرَّاءُ
لَيْلَـــةُ المَوْلِـــدِ الَّذِي كَـــانَ لِلدِّيـــ
ـــنِ سُـــرُورٌ بِيَوْمِـــهِ وَازْدِهَـــاءُ

"

أما قصيدة البردة التي تعرف أيضا باسم الكواكب الدرية؛ فأبياها 162 بيتا؛ نذكر منها:

أمِنْ تَذَكُّرِ جيرَانٍ بذِي سَلَم
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ البَقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إضَمِ

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

لَوْلاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ
وَلاَ أَرَقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالعَلَمِ

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبَاً بَعْدَ مَا شَهِدَتْ
بهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

وَأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنىً
مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَمِ

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أهْوَى فَأَرَّقَنِي
وَالحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بالأَلَمِ

يَا لاَئِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً
مِنِّي إلَيْكَ وَلَوْ أنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

عَدَتْكَ حَالِيَ لاَ سِرِّي بمُسْتَتِرٍ
عَنْ الوُشَاةِ وَلاَ دَائِي بِمُنْحَسِمِ

"

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أسْمَعُهُ
إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُــذالِ فِي صَمَــمِ

إنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْب فِي عَذَلِي
وَالشَّيْبُ أبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَــمِ

فَإنَّ أمَّارَتِي بالسُّــوءِ مَا اتَّعَضَــتْ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْــبِ وَالهَــرَمِ

إلى أن يقــول:

مُحَمَّــدٌ سَيِّــدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْــ
ـــيْنِ وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

نَبِيُّنَــا الآمِــرُ النَّــاهِي فَلاَ أحَــدٌ
أبَــرَّ فِي قَــوْلِ لاَ مِنْــهُ وَلاَ نَعَــمِ

هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُــرْجَى شَفَاعَتُــهُ
لِكُلِّ هَــوْلٍ مِنَ الأهْوَالِ مُقْتَحَــمِ

إلى قولــه:

وَكُلُّ آيٍ أتىَ الرُّسْلُ الكِــرَامُ بِهَــا
فَإنَّمَا اتَّصَلَــتْ مِنْ نُــورِهِ بِهِــمِ

فَإنَّهُ شَمْسُ فَضْــلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَــا
يُظْهِــرْنَ أنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَــمِ

أكْرِمْ بِخَلْــقِ نَــبِيٍّ زَانَــهُ خُلُــقٌ
بِالحُسْــنِ مُشْتَمِــلٍ بالبِشْرِ مُتَّسِــمِ

كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَــرَفٍ
وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْــرِ فِي هِمَــمِ

"

كَأَنَّــهُ وَهْــوَ فَــرْدٌ مِنْ جَلاَلَتِــهِ
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَــمِ

ـ ثــم **أبــو زيــد عبــد الرحمــن الكيمــراني الصنهــاجي** (ت: ســنــة 712هــ/1312م)؛ فقيــه، ومقــرئ، ومــدرس.

ـ ثــم **أبــو فــارس عبــد العزيــز بــن عبــد العظيــم ابــن عــلي الحفــوي الصنهــاجي** والحفــوي نسبــة إلى بطــن مــن صنهاجــة (عــاش قبــل عــام 712هــ/1312م)؛ وهــو فقيــه عــدل.

ـ ثــم **أبــو عبــد اللــه بــن القــاضي الصنهــاجي** (عــاش قبــل عــام 712هــ/1312م)؛ كاتــب؛ يجيــد النظــم والنثــر.

ـ ثــم **أبــو محمــد عبــد الوهــاب بــن محمــد بــن عبــد القــدوس القرطــبي الصنهــاجي** (عــاش قبــل عــام 712هــ/1312م)؛ فقيــه، وخطيــب جامــع قرطبــة؛ وهــو المقــرئ بهــا.

ـ ثــم **أبــو عبــد اللــه محمــد بــن محــوت الصنهــاجي** (عــاش قبــل عــام 712هــ/1312م)؛ فقيــه، ومفــتي.

"

ـ ثم **أبو عمر ميمون بن علي بن عبد الخالق الفاسي الخطابي الصنهاجي** (عاش قبل عام 712هـ/1312م)؛ من الصوفية، ومحدث، ومفتي.

ـ ثم **زين الدين محمد بن سليمان بن أحمد ابن يوسف المراكشي الصنهاجي** (ت: سنة 717هـ/1317م)؛ أمام، ومقرئ؛ سنن الإسكندرية.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود ابن آجُرُّوم الفاسي الصنهاجي** (ت: سنة 723هـ/1323م)؛ ومعنى آجروم بالأمازيغية: الفقير الصوفي؛ وهو من علماء النحو، والأدب، والقراءات؛ وله إلمام بعلم الفرائض والحساب؛ وله مؤلفات، وأراجيز عديدة في: النحو، والقراءات، وغيرها؛ واشتهرت منها مقدمة الأجرومية في النحو. قال السيوطي عن مذهبه في النحو أنه على مذهب الكوفيين؛ وبذلك فهو يخالف مذهب البصريين. ويقال بأنه ألف مقدمة الأجرومية أمام الكعبة المشرفة. من شعره في الغربة:

يَا غَائِباً كَانَ أنـسي رَهْنَ طَلْعَتِهِ
كَيْفَ اصْطِبَارِي وَقَدْ كَابَدْتُ بَيْنَهُمَا
دَعْوَايَ أَنَّكَ فِي قَلْبي يُعَارِضُهَا
شَوْقِي إِلَيْكَ فَكَيْفَ الجَمْعُ بَيْنَهُمَا

"

ـ ثم **أبو المكارم منديل بن محمد بن محمد ابن داود بن آجُرُّوم الفاسي الصنهاجي** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن)؛ وهو ابن صاحب الأجرومية؛ وله شعر جيد؛ منه:

أَيُّهَا العَارِفُونَ قَدْرَ الصَّبُوحِ
جَدِّدُوا أُنْسَنَا بِبَابِ الفُتُوحِ

إلى أن يقول:

جَدِّدُوا ثُمَّ أُنْسَنَا ثُمَّ جِدُّوا
يَسْرَحِ الطَّرْفُ فِي مَجَالٍ فَسِيحِ
حَيْثُ شَابَتْ مَفَارِقُ اللَّوْزِ نَوْراً
وَتَسَاقَطْنَ كَاللُّجَيْنِ الصَّرِيحِ
وَبَدَا مِنْهُ كُلُّ مَا احْمَرَّ يَحْكِي
شَفَقاً مَزَّقَتْهُ أَيْدِي الرِّيحِ
وَكَأَنَّ الَّذِي تَسَاقَطَ مِنْهُ
نُقَطٌ لُحْنَ مِنْ دَمٍ مَسْفُوحِ
وَإِذَا مَا وَصَلْتُمْ لِلْمُصَلَّىٰ
فَلْتَحِلُّوا بِمَوْضِعِ التَّسْبِيحِ
وَبِطَيْفُورِهَا فَطُوفُوا لِكَيْمَا
تُبْصِرُوا مِنْ ذُرَاهُ كُلَّ سُطُوحِ
وَلْتُقِيمُوا هُنَاكَ لَمْحَةَ طَرْفٍ
لِتَرُدُّوا بِهِ ذَمَاءَ الرُّوحِ

"

ثُمَّ حُطــُّوا رِحَالِكُمْ فَوْقَ نَهْــرِ
كَــلَّ فِي وَصْفِــهِ لِسَــانُ المَدِيــحِ
فَوْقَ حَافَّاتِــهِ حَدَائِــقُ خُضْــرٌ
لَيْــسَ عَنْهَــا لِعَاشِــقٍ مِنْ نــُزُوحِ
وَكَــأنَّ الطُّيُــورَ فِيهَــا قِيَــانٌ
هَتَفَــتْ بَيْــنَ أعْجَــمٍ وَفَصِيــحِ
وَهْيَ تَدْعُوكُــمُ إلَى قُبَّــةِ الجَــو
زِ هَلُمُّــوا إلَى مَكَــانٍ مَلِيــحِ
فِيهِ مَا تَشْتَهُــونَ مِنْ كُلِّ نَــوْرٍ
مُغْلَــقٍ فِي الكِمَــامِ أوْ مَفْتُــوحِ
وَغُصُونٍ تَهِيــجُ رَقْصــاً إذَا مَــا
سَمِعَتْ صَوْتَ كُلِّ طَيْــرٍ صَــدُوحِ
فَأجِيبُــوا دُعَاءَهَــا أيُّهَا السِّــرْ
بُ وَخَلُّــوا مَقَــالَ كُــلِّ نَصِيــحِ

ومــن شعــره الــذي قالــه لابــن مــرزوق الخطيــب؛ يسليــه بــه؛ عندمــا سجــن بعــد مــوت السلطــان المريــني أبي سالــم:

يَا شَمْــسَ عِلْــمٍ أفَلَــتْ بَعْدَمَــا
أضَــاءَتِ المَشْــرِقَ وَالمَغْرِبَــا
حُجِبَتْ قَسْراً عَنْ عُيُونِ الوَرَى
وَالشَّمْسُ لاَ يُنْكَر أنْ تُحْجَبَــا

"

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن أحمد الصنهاجي** المعروف بابن الحداد (يحتمل أنه كان حيا سنة 723هـ/1323م)؛ وهو من المتصوفين؛ وكان قبل تصوفه شاعرا، ومحدثا ذكيا؛ ولكنه ترك ذلك كله، وانغمس في الصوفية. ويقال أنه كان يستغفر الله عندما يذكره بعضهم بأشعاره، وما كان ينظمها في شبابه؛ بغرض مدح الملوك والأمراء.

ـ ثم **عائشة بنت علي بن عمر بن شبل الصنهاجي** (توفيت بمصر سنة 739هـ/1338م)؛ وهي عالمة فاضلة في علوم الحديث، وراوية له، ومحدثة به.

ـ ثم **وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي** (توفي بالإسكندرية سنة 739هـ/1338م)؛ فقيه مالكي، ولي القضاء بالإسكندرية.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي المليكشي الصنهاجي** (توف بتونس سنة 740هـ/1339م)؛ وهو من الأدباء العاملين في مجال الكتابة؛ إذ ولي خطة الإنشاء في بلاط الحفصيين بإفريقية. له شعر سلس، ونثر متقن. ونقل ابن الخطيب، والمقري عن صاحب الإكليل الزاهر قوله فيه: **((كاتب الخلافة، ومشعشع**

"

الأدب الذي يزري بالسلافة؛ كان بطل مجال، ورب رواية وارتجال؛ قدم هذه البلاد وقد نبا به وطنه، وضاق ببعض الحوادث عطنه؛ فتلوم تلوم النسيم بين الخمائل، وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائل؛ ولبث مدة إقامته تحت جراية واسعة، وميرة يانعة؛ ثم آثر قطره؛ فولى وجهه شطره؛ واستقبله دهره بالإنابة، وقلده خطة الكتابة؛ فاستقامت حاله، وحطت رحاله؛ وله شعر أنيق، وتصوف وتحقيق، ورحلة إلى الحجاز سعيها في الخير وثيق ونسبها في الصالحات عريق)).[1]

ومن شعره؛ قوله:

رِضىً نِلْتِ مَا تَرْضَيْنَ مِنْ كُلِّ مَا يَهْوَى
فَلاَ تُوقِفِينِي مَوْقِفِ الذلِّ وَالشَّكْوَى

وَصَفْحاً عَنِ الجَانِي المُسيءِ لِنَفْسِهِ
كَفَاهُ الَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ شِدَّةِ البَلْوَى

بِمَا بَيْنَنَا مِنْ خَلْوَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ
أَرَقَّ مِنَ النَّجْوَى وَأَحْلَى مِنَ السَّلْوَى

قِفِي أَتَشَكَّى لَوْعَةَ البَيْنِ سَاعَةً
وَلاَ يَكُ هَذَا آخِرَ العَهْدِ بِالنَّجْوَى

---

[1] الإحاطة، ج: 2، ص: 563. نفح الطيب، ج: 6، ص: 240.

"

قِفِي سَاعَةً فِي عَرْصَةِ الدَّارِ وَانْظُــرِي
إِلَى عَاشِــقٍ مَــا يَسْتَفِيــقُ مِــنَ البَلْــوَى
وَكَمْ قَدْ سَأَلْتُ الرِّيــحَ شَوقاً إِلَيْكُــمُ
فَمَــا حَــنَّ مَسْــرَاهُ عَــلَيَّ وَلاَ أَلْــوَى
فَيَا رِيــحُ حَتَّى أَنْتِ مِمَّنْ يَغَــارُ بِي
وَيَا نَجْــدُ حَتَّى أَنْتَ تَهْــوَى الَّذِي أَهْــوَى
خُلِقْــتُ وَلِي قَلْبٌ جَلِيدٌ عَلَى النَّــوَى
وَلَكِــنْ عَــلَى فَقْــدِ الأَحِبَّــةِ لاَ يَقْــوَى

تعــرف صدفــة عــلى قينــة رائعــة؛ فمــال إليهــا؛ بعــد أن توافقــا؛ ولكنــه انعطــف عنهــا خوفــا مــن السقــوط في هواهــا؛ زهْــدا، ونسْكــا؛ ثــم قــال:

لَمْ أَنْــسَ وَقْفَتَنَــا بِبَــابِ المَلْعَــبِ
بَيْنَ الرَّجَــا وَاليَــأْسِ مِنْ مُتَجَنِّــبِ
وَعَــدَتْ فَكُنْتُ مُرَاقِبــاً لِحَدِيثِهَــا
يَــا ذلَّ وَقْفَــةِ خَائِــفٍ مُتَرَقِّــبِ
وَتَدَلَّلَــتْ فَذِلَلْــتُ بَعْــدَ تَعَــزُّزٍ
يَأْتِي الغَــرَامُ بِكُلِّ أَمْــرٍ مُعْجِــبِ
بَدَوِيَّــةٌ أَبْــدَى الجَمَالُ بِوَجْهِهَــا
مَا شِئْتَ مِنْ خَدٍّ شَرِيــقٍ مُذْهِــبِ
تَدْنُــو وَتَبْعُــدُ نَفْــرَةً وَتَجَنِّيــاً
فَتَكَادُ تَحْسِبُهَــا مَهَــاةَ الرَّبْــرَبِ

"

وَرَنَـــتْ بلَحْظٍ فَاتِـــنٍ لَكَ فَاتِـــرٍ
أنْضَى وَأمْضَى مِنْ حُسَامِ الْمُضْـــرَبِ
وَأرَتْكَ بَابِـــل سِحْرِهَـــا بجُفُونهَـــا
فَسَبَتْ، وَحُقَّ لِمِثْلِهَـــا أنْ تَسْتَـــبِي
وَتَضَاحَكَتْ فَحَكَتْ بنَيِّـــرِ ثَغْرِهَـــا
لَمعَانَ نُـــور ضِيَاء بَـــرْقٍ خُلَّـــبِ
بِمُنَظَّمٍ فِي عِقْدِ سَمْـــطَيْ جَوْهَـــرٍ
عَنْ شِبْهِ نُـــور الأقْحُوَانِ الأشْنَـــبِ
وَتَمَايَلَتْ كَالغُصْنِ أخْضَلَهُ النَّـــدَى
رَيَّـــانُ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَـــةِ مُخْصِـــبِ
تَثْنيـــهِ أرْوَاحُ الصَّبَابَـــةِ وَالصَّبَـــا
فَتَـــرَاهُ بَيْـــنَ مُشَـــرِّقٍ وَمُغَـــرِّبِ
أبَـــتِ الرَّوَادِفُ أنْ تَميـــلَ بمَيْلِـــهِ
فَرَسَتْ وَجَـــالَ كَأنَّـــهُ فِي لَوْلَـــبِ
مُتَتَوِّجـــاً بهِـــلاَل وَجْـــهٍ لاَحَ فِي
خلَلِ السَّحَاب لِحَاجب وَمُحَجَّـــبِ
يَا مَنْ رَأى فِيهَـــا مُحِبـــاً مُغْرَمـــاً
لَـــمْ يَنْقَلِـــبْ إلاَّ بقَلْـــبٍ قُلَّـــبِ
مَا زَالَ مُـــذ وَلَّى يُحَـــاوِلُ حِيلَـــةً
تُدنيـــهِ مِنْ نَيْـــلِ الْمُـــنَى وَالمَطْلَـــبِ
فَأجَالَ نَـــارَ الفِكْرِ حَتَّى أوقَـــدَتْ
فِي القَلْـــبِ نَار تَشَـــوُّقٍ وَتَلَهُّـــبِ

"

فَتَلاقَتِ الأرْوَاحُ قَبْــلَ جُسُومِهَــا
وَكَذَا البَسِيطُ يَكُونُ قَبْــلَ مُرَكَّــبِ

ولــه أيضــا:

أرَى لَكَ يَا قَلْــبي بقَلْــبي مَحَبَّــة
بَعَثْتُ بهَا سِــرِّي إلَيْــكَ رَسُــولاَ
فَقَابلْــهُ بالبُشْرَى، وَأقْبِــلْ عَشِيَّــة
فَقَدْ هَــبَّ مِسْكِيُّ النَّسيــمِ عَلِيــلاَ
وَلاَ تَعْتَذِرْ بالقَطْرِ أوْ بَلــلِ النَّــدَى
فَأحْسَــنُ مَا يَــأتِي النَّسِيمُ بَلِيــلاَ

ـ ثــم **أبــو هــادي مصبــاح بــن سعيــد الصنهــاجي** (تــوفي بقسنطينــة سنــة 747هـ/1346م)؛ وهــو مــن فقهــاء الذهــب المالــكي؛ وكــان مــن أهــل الزهــد، والصــلاح.

ـ ثــم **أبــو محمــد عبــد العزيــز بــن صالــح الســلاوي الصنهــاجي** (كــان حيــا سنــة 763هـ/1361م)؛ وهــو مــن المتصوفيــن؛ دمــث الأخــلاق، مــن أهــل الخيــر والصــلاح، يعمــل جاهــدا لقضــاء حاجــات المسلميــن. وعندمــا يحــس بــأن أحدهــم أنكــر عليــه شيئــا ينشــد قائــلا:

"

وَاحِيــرَتِي مِنْ قَلْــبِيَ القَــاسِي
وَمَا جَرَى مِنْــهُ عَلَى رَاسِي
العِــزُّ مَوْجُــودٌ لِمَنْ يَشْتَــرِي
وَإِنَّمَــا المِحْنَــة إِفْــلاَسِي
إِنْ أَنْكَــرُوا دُفِّي وَشَبَّابَــتِي
وَهزَّ عِطْفِي بَيْنَ جُــلاَّسِي
لاَ غَــرْوَ أَنْ أَفْتَوْ عَلَى عِلْمِهِــمْ
فَإِنَّهُمْ مَا شَرِبُــوا كَــاسِي

ـ ثم **حسن بن عبد الله المليكشي الصنهاجي** (توفي بالقاهرة سنة 778هـ/1376م)؛ وهو من علماء الحديث؛ ومن الفقهاء المالكيين؛ واشتغل في علوم عديدة. وهو من مواليد بجاية؛ رحل إلى مصر؛ حيث تصدر للتدريس في المدرسة الناصرية.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن منصور ابن علي بن الأشهب التلمساني الصنهاجي** (توفي بمكناسة سنة 791هـ/1388م)؛ أستاذ، وراوية، ومن المولعين بالرحلة.

ـ ثم **برهان الدين إبراهيم بن عبد الله ابن عمر الصنهاجي** (توفي بدمشق سنة 796هـ/1393م)؛ ولي قضاء المالكية بدمشق؛ وهو

من حفاظ الموطأ؛ وكان عالما بالأصول، والفقه، وعلوم العربية، والنحو.

ـ ثم **إبراهيم بن عبد الله بن عمر الصنهاجي** (توفي بدمشق سنة 798هـ/1395م)؛ وهو من الفقهاء؛ كان يحفظ الموطأ؛ ولي قضاء دمشق؛ فلم يقبل إلا بالحاح عليه.

ـ ثم **عثمان بن سليمان الجزائري الصنهاجي** (توفي بالقاهرة سنة 825هـ/1421م)؛ نشأ بمدينة الجزائر، وأخذ العلم في تونس، ومصر. يفهم من وصف ابن حجر له أنه من فئة الأقزام؛ وكان من أصحاب العلم، والفضل.

ـ ثم **أبو الخير خليل بن هارون بن مهدي ابن عيسى بن محمد الجزائري الصنهاجي** (توفي بالمدينة المنورة سنة 826هـ/1422م)؛ وهو من فقهاء المالكية؛ درس في مدينة الجزائر، وفي تونس، والإسكندرية، ومكة؛ وله مؤلفات؛ منها: كتاب تذكرة الإعداد لهول يوم الميعاد؛ في الأذكار، والأدعية، وكتاب مختصر التذكرة، وكتاب أشرف مسموع في تحقيق الموضوع.

"

ـ ثـم **أبـو العبـاس أحمـد بـن عيـسى التلمسـاني البطـوي الصنهـاجي** (كـان حيـا سنـة 843هــ/1439م)؛ وهـو مـن فقهـاء المذهـب المالـكي؛ ولي القضـاء؛ وصـف بالعـدل، والتوثيـق.

ـ ثـم **عثمـان بـن يوسـف بـن محمـد بـن علـي الجزائـري الصنهـاجي** (تـوفي بمكـة المكرمـة حـوالي 863هــ/1458م)؛ وهـو مـن علمـاء المذهـب المالـكي؛ نشـأ ودرس بالجزائـر، ثـم رحـل إلى المشـرق بغـرض الحـج، وطلـب العلـم.

ـ ثـم **سالـم بـن إبراهيـم بـن عيـسى الصنهـاجي** (تـوفي بدمشـق سنـة 873هــ/1468م)؛ وهـو فقيـه مالـكي، مـن الحفـاظ، وأصحـاب الحديـث. ولـد بمشدالـة، وترعـرع ببجايـة، وأكمـل تعليمـه بتونـس ومصـر والحجـاز ودمشـق. تعـرض للأسـر مـن طـرف قراصنـة النصـارى؛ ثـم أطلـق سراحـه. ولي القضـاء بدمشـق، والقـدس؛ فكـان حازمـا، صارمـا، عـادلا، عفيـف النفـس عزيزهـا، نزيهـا في سيرتـه.

ـ ثـم **أحمـد بـن محمـد بـن يوسـف الصنهـاجي** المعـروف بالدقـون (ت: سنـة 921هــ/1515م)؛ أستـاذ وخطيـب ومحـدث وراويـة وأديـب؛ لـه معرفـة بقـرض الشعـر؛ ولي الخطابـة بالقروييـن. كـان خفيـف الظـل؛ وعـرف بكثـرة المـزاح؛ ومما أجـاز

"

بــه أبــا القاســم محمــد بــن إبراهيــم المشــرائي قولــه نظمــا:

أشْهَدُكُمْ يَا مَنْ حَضَرْ أهْلَ البَدَاوَى وَالحَضَرْ
أني أجَــزْت قَاسِمــاً ابْنَ الفَقِيــهِ المُعْتَبَــرْ

وفي إجــازة أخــرى لأبي عبــد اللــه محمــد ابــن أحمــد شقــرون بــن أبي جمعــة المغــراوي قولــه:

أجَازَ لَكَ الدقُّونُ يَا نَجْــلَ سَيِّــدِي
أبي جُمْعَــةٍ وَالآل كُلَّ الَّذِي رَوَى
فَحَدِّثْ بِمَا اسْتُدْعِيتَ فِيــهِ إجَــازَة
وَسَلِّمْ عَلىَ مَنْ خَافَ النَّفْسَ وَالهَوَى

ــ ثــم **أبــو هــادي مصبــاح بــن سعــد الصنهــاجي** (تــوفي بقسنطينــة سنــة 947هــ/1540م)؛ وهــو مــن فقهــاء المذهــب المالــكي.

ــ ثــم **حمــد بــن محمــد بــن عيــسى التلمســاني البطــوي الصنهــاجي** (مــن أعــلام النصــف الأول مــن القــرن العاشــر للهجــرة)؛ وهــو مــن فقهــاء المالكيــة؛ لــه إلمــام بعلــم الحديــث؛ ويميــل إلى التصــوف؛ هاجــر إلى المدينــة المنــورة، وتــوفي بهــا.

"

ـ ثم **أبو الثناء محمود بن عمر بن محمد أوقيت الصنهاجي** (توفي بتنبوكتو سنة 955هـ/1548م)؛ ولي قضاء تنبكتو؛ فكان حازما، شديدا، وعادلا في أحكامه؛ لا يحابي، ولا يجامل أهل الجاه، والسلطان؛ فظهر فضله، وسما شأنه. وكان يقوم بالتدريس إلى جانب عمله في القضاء؛ فتخرج على يديه نخبة من الطلاب، والشيوخ. وله شرح على مختصر خليل؛ في الفقه المالكي؛ وهو في مجلدين، وكتاب تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس.

ـ ثم **أبو عبد الله عبد الخالق الصنهاجي** (كان حيا سنة 999هـ/1590م)؛ وهو من بني أمغار أهل تيط. ذكره ابن القاضي بالسوء؛ إذ قال فيه: **((وهو رأس الطائفة الأندلسية الملعونة؛ ولقد شاهدت بمدينة مكناسة ثُلْمَة عظيمة في الدين: أجلسوه على كرسي بجامعها الأعظم؛ وهو يتكلم في التصوف بزعمه! ويضل العامة بمذهبه الشنيع! أهلكها الله ـ من طائفة مضرة بالسنة السمحة ـ بحمده)).**[1]

---

[1] درة الحجال ج: 3، ص: 168.

"

ـ ثـم **سعيـد بـن مسعـود الماغـوسي المراكـشي الصنهـاجي** (ت: سنـة 1016هـ/1607م)؛ وهـو مـن العلمـاء الأفاضـل؛ لـه مؤلفـات عديـدة؛ منهـا: شـرح لاميـة العـرب، ونظـم الفرائـد الغـرر في سلـك فصـول الـدرر؛ وهـو شـرح لدرر السمـط في مناقـب السبـط؛ لابـن الأبـار.

ـ ثـم **أبـو العبـاس أحمـد بابـا بـن أحمـد بـن أحمـد بـن عمـر التكـروري التنبكـتي الصنهـاجي** (تـوفي بتنبكتـو سنـة 1036هـ/1626م)؛ وهـو مـن الفقهـاء، والمحدثيـن. نكـب عندمـا عـارض حملـة سلطـان السعدييـن المنصـور؛ الموجهـة لاحتلال بلـده تنبكتـو؛ فأسـر، وضاعـت كتبـه الـتي تقـدر بـ 1600 مجلـد. وفي هـذه الحادثـة نقـل مـع أسرتـه إلى مراكـش؛ وبعـد إطـلاق سراحـه؛ توجـه إلى فـاس؛ ثـم سمـح لـه بالعـودة إلى تنبكتـو؛ أيـن تـوفي هنـاك. وكـان مـن أهـل العلـم، والفضـل؛ لا يجامـل في الحـق، ولا يتساهـل فيـه. ولـه مؤلفـات عديـدة؛ أهمهـا: كتـاب نيـل الابتهـاج بتطريـز الديبـاج؛ وهـو في التراجـم، ولـه أيضـا مصنفـات تدخـل في إطـار الحـواشي، والمختصـرات قـد تصـل إلى الأربعيـن؛ وجلهـا في الفقـه والحديـث والعربيـة؛ بقيـت كلهـا ضمـن المخطوطـات.

"

ـ ثم **عثمان بن زيان الصنهاجي** اشتهر باسم الصنهاجي (من أعلام القرن الحادي عشر للهجرة)؛ وهو من علماء النحو، والفقه؛ توفي ببلدة أولاد علي بن صناج؛ ألف كتابا في النحو، وآخر في التوحيد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد ماني الفاسي الصنهاجي** (ت: سنة 1333هـ/1913م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي؛ وله إلمام بالإفتاء. ألف بعض الكتب؛ منها: منظومة في البدريين، والتعريف بمعاذ، ومعوذ؛ ابني عفراء المذكورين في الشمائل.

ooo

وبعد ذكر العلماء، ورجال الفكر من بني صنهاجة؛ نتكلم الآن عن زعمائهم، ورجال السياسة فيهم؛ وهم:

ـ **ثابت بن وزريون الصنهاجي** (كان حيا سنة 127هـ/744م)؛ وهو الذي ثار في باجة على عبد الرحمن بن حبيب (والي القيروان). ولكن مصيره بقي مجهولا؛ بعد إخماد تلك الثورة؛ التي قتل خلالها عبد الرحمن بن حبيب أعدادا كبيرة من الأمازيغ.

"

ـ ثم **عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي** (كان حيا سنة 153هـ/769م)؛ وهو أحد قادة الصفرية؛ الثائرين بإفريقية في عهد والي القيروان عمر بن حفص بن قبيصة؛ كما شارك في الحلف الأمازيغي الذي حاصر عمر بطبنة.

ـ ثم **تيولوتان بن تيكلان اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 222هـ/836م)؛ ملك جميع الصحراء الفاصلة بين الأقطار المغربية بكاملها، وبين بلاد السودان. ويقول صاحب روض القرطاس: أنه في إمكانه حشد مائة ألف مقاتل على النجب؛ وأن أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كانوا تحت سلطانه، ويؤدون إليه الجزية؛ وكانت البلاد الخاضعة لهيمنته تمتد لثلاثة أشهر سيرا.

ـ ثم حفيده **الأثير بن يطين** (أو بطين) **بن تيولوتان بن تيكلان اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 237هـ)؛ ملك مناطق الصحراء ـ بعد جده ـ على أحسن وجه.

ـ ثم **تميم بن الأثير بن يطين بن تيولوتان اللمتوني الصنهاجي** (توفي مقتولا سنة 306هـ/918م)؛ قتله أشياخ بعض القبائل من

"

صنهاجة؛ مما أدى إلى افتراق أمرهم؛ وبقائهم على فرقتهم طوال 120 سنة.

ـ ثم **مناد بن منقوش بن صناك** الأصغر (من أعلام القرن الثالث للهجرة)؛ كبير قبيل تلكاتة الصنهاجية، وأميرهم في عهد الأغالبة، وبني العباس. كان ـ في وقته ـ مواليا لهم، وتابعا لسلطانهم.

ـ ثم **زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 361هـ/971م)؛ وهو الممهد الأول للدولة الصنهاجية بالمغرب الأوسط؛ في ظل الدولة الفاطمية. شيد مدينة آشير الحصينة؛ بجبل تيطري. كما أمر ولده بلكين ببناء: مليانة، ولمدية، والجزائر. وكان له عشرة من الأبناء؛ أصغرهم بلكين. وقُتل زيري في معركة دارت بينه وبين منافسه، وخصمه جعفر بن علي أمير المسيلة. ومن صفات زيري بن مناد؛ أنه ـ إلى جانب ما عرف عنه من كرم، وشجاعة ـ فقد كان يميل إلى الوحشية، والقسوة مع أعدائه.

ـ ثم **أبو الفتوح سيف الدولة بلكين بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** ويسمى يوسف (ت: سنة 373هـ/983م)؛ هو مؤسس الدولة الزيرية بالمغرب الأوسط وإفريقية؛ بعد أن

"

استخلفه المعز لدين الله الفاطمي على تلك الديار. وكانت له حروب حامية ضد قبائل زناتة؛ التي كانت تميل إلى طاعة بني أمية بالأندلس. تميز هو الآخر بالقسوة؛ مثل أبيه.

ـ ثم **أبو الفتح المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 386هـ/1027م)؛ تربع على عرش المغرب الأوسط، وإفريقية بعد موت أبيه؛ فكان شهما، كريما، حازما، شجاعا؛ عادلا. من إنجازاته العمرانية: بناء مصلى للعيد برقادة، وتشييد قصر صبرة؛ القريب من القيروان؛ الذي انتقل إليه من بلاده آشير. ويقال أنه أنفق في بنائه ثمانمائة ألف دينار.

ـ ثم **حُباسة بن ماكسن بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (توفي في وقعة رمداي خارج قرطبة سنة 402هـ/1011م)؛ ويعد من الفرسان الأبطال؛ فهو ـ كما كان يوصف عادة ـ فارس صنهاجة، وفتاها بدون منازع. والسبب في مماته ـ كما ذكرت المصادر التاريخية ـ أنه خاض عباب المعركة التي كانت دائرة خارج قرطبة؛ ونظرا لبعض حركاته الخطيرة؛ من على ظهر حصانه؛ الذي كان عليه سرج طري العمل، متفتح اللِّبد ـ

كما قال أبو حيان — فإنه مال به أثناء المراوغة، والمحاولة؛ فسقط؛ فبادره المدعو النبيه النصراني بطعنة؛ كانت بها نهايته.

— ثم **أبو مناد نصير الدولة باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 406هـ/1015م)؛ سلطان إفريقية بالقيروان. حدثت في أيامه فتن؛ بينه وبين قرابته على الحكم؛ فقمع محاولاتهم بشدة. كما ثارت عليه قبائل زناتة؛ فقضى بقية عمره في الحروب ضدهم؛ إذ توفي فجأة بالقرب من المسيلة؛ بينما كان خارجا لملاقاة المتمردين.

— ثم **أم ملال السيدة بنت المنصور بن بلكين التلكاتي الصنهاجي** (توفيت سنة 414هـ/1023م)؛ وهي من شهيرات النساء بالمغرب الإسلامي؛ شاركت أخاها باديس في الحكم،؛ إذ انشغل بالفتن، والحروب، وترك لها تسيير شئون الدولة؛ ولما مات فجأة؛ تولت الوصاية على عرش ابنه المعز؛ الذي يبلغ لم يبلغ التاسعة من عمره؛ فكانت تتحلى بالحنكة، والحكمة، والحزم؛ وظلت في مهامها إلى يوم وفاتها؛ فرثاها أكثر من مائة شاعر.

"

ـ ثم **حماد بن بلكين بن زيرى بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 419هـ/1028م)؛ بدأ يظهر في عهد ابن أخيه باديس بن المنصور؛ الذي ولاه تيهرت؛ ولكن عاد فعزله وولى عمه الآخر يطوفت. وقد اضطر باديس إلى الاعتماد عليه للمرة الثانية؛ ولكن في هذه المرة؛ احتاط حماد لكي يدوم له الأمر؛ فقضى بقية حياته في صراع حثيث؛ ضد باديس، والمنصور من جهة، وقبائل زناتة من جهة أخرى. وفي سنة 405هـ أسقط دعوة الفاطميين من منابر دولته، وأعلن دعوة العباسيين، وأظهر المذهب السني. وبهذه الخطوة يكون قد سبق المعز في الارتداد عن المذهب الشيعي. ويبدو أن حمادا كان سيئ الحكم، قاسيا على أنصاره، ورعيته؛ بل كان لا يتورع عن الغدر والخيانة؛ إذا لزم الأمر. وقد انتهى ببعض تصرفاته إلى حد الوحشية؛ إذ وصل به الحال إلى قتل حرمه بيديه؛ عند هزيمته أمام ابن أخيه باديس؛ لكي لا تقع في الأسر، ويلحقه منها العار. ومع هذا فقد استطاع بعد إلحاح حثيث، وكفاح شديد؛ من تشيد دولة كبيرة له، ولأبنائه في المغرب الأوسط؛ تميزت ـ فيما بعد ـ بازدهار حضاري، وثقافي عظيم؛ تجلى ذلك

"

في المنجزات العظيمة؛ التي قامت بعاصمة الدولة؛ المعروفة بقلعة بني حماد. ويشير ابن خلدون إلى تلك الإنجازات بقوله: **((تم بناؤها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة. وشيد من بنيانها، وأسوارها؛ وأستكثر فيها من المساجد، والفنادق؛ فاستبحرت في العمارة، واتسعت في التمدن؛ ورحل إليها من الثغور، والقاصية، والبلد البعيد طلاب العلوم، وأرباب الصنائع؛ لنفاق أسواق المعارف، والحرف، والصنائع بها)).**[1]

ـ ثم **أبو مثْنى الحاجب المنصور زاوي بن زيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي** (كان حيا سنة 420هـ/1029م)؛ هو الذي لجأ مع أنصاره من صنهاجة إلى الأندلس أيام ابن عامر؛ هاربين من باديس بن المنصور. كما أنه الممهد الحقيقي لملك بني زيري بالأندلس. ولكنه بعد الفتنة الكبرى التي انطلقت من قرطبة؛ كره البقاء في الأندلس، وعاد إلى القيروان.

ـ ثم **أبو مسعود حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي** (توفي بغرناطة سنة

---

[1] العبر، مج: 6 ، ص: 350.

"

429هـ/1037م)؛ أقام ملكه بإلبيرة، وغرناطة، وما تبعها؛ وأورثه بنيه.

ـ ثم **محمد بن تيفاف** (أو تيفاب) **اللمتوني الصنهاجي** المعروف بتارسنا (توفي حوالي سنة 429هـ/1037م)؛ تمكن هذا الأمير من جمع شمل صنهاجة الصحراء ـ من جديد ـ تحت لوائه. وكان رجلا صالحا؛ ومتدينا؛ قتل في إحدى المعارك الجهادية؛ ضد بعض الفئات من اليهود.

ـ ثم **يحيى بن إبراهيم الجدالي الصنهاجي** (توفي بعد عام 440هـ/1048م)؛ وهو صهر محمد ابن تيفاف؛ فأضحى ـ بعد مماته ـ زعيما لصنهاجة في الصحراء؛ هو الذي طلب من أبي عمران الفاسي؛ شيخ المالكية بالقيروان ـ أثناء عودته من الحج ـ أن يبعث معه فقيها؛ ليعلم قومه شئون دينهم؛ فكتب إلى من يعرفه بالمغرب الأقصى؛ فدله على عبد الله بن ياسين الجزولي؛ فأخذه معه، وحمل قومه على طاعته؛ إلى أن مات.

ـ ثم **القائد بن حماد بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 446هـ/1054م)؛ افتتح عهده بصد هجمات زناتة؛ في الوقت الذي

"

سادت البلاد هدنة حذرة؛ بينه وبين بني عمه في إفريقية. ويقول ابن خلدون أنه أعاد الدعوة للفاطميين؛ فأتحفوه بلقب "شرف الدولة"؛ وهو اللقب الذي سبق أن منحوه إلى المعز؛ بينما ينفي آخرون ذلك. ويمكن أن يكون هذا قد تم نكاية في المعز بن باديس الذي أسقط دعوتهم. وقد ورث عن أبيه حماد قسوته، وشراسته؛ إذ قتل ابنه زيري بنفسه؛ ولكنه قاصر عنه في الحنكة السياسية، والموهبة الحربية. ومع هذا فقد عرفت دولته فترة هادئة، مستقرة.

ـ ثم **محسن بن القائد بن حماد بن بلكين التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 447هـ/1055م)؛ قبل أن يموت والده القائد أوصاه بأمرين: الأول؛ أن يحسن إلى أعمامه؛ خاصة يوسف، وريغلان. والأمر الثاني؛ آلا يخرج من القلعة مدة ثلاث سنين. والغريب في شأن محسن؛ أنه أخل بالوصيتين؛ إمعانا، وإصرارا. فأساء إلى أعمامه جميعا؛ بعزلهم من مناصبهم وقتلهم. كما خرج من القلعة لمحاربة عمه يوسف؛ وأثناء ذلك حاول الغدر بعمه الآخر بلكين؛ فانكشفت المكيدة، ودارت عليه الدائرة؛ وقتله بلكين بمساعدة أنصاره من عرب هلال.

"

ـ ثم **يحيى بن عمر بن تكلاكين اللمتوني الصنهاجي** (توفي بجهات درعة سنة 448هـ/1056م)؛ وهو المهد الأول لقيام الدولة المرابطية. كان مع يحيى بن إبراهيم الدكالي؛ في العودة من الحج، وشاركه في جلب عبد الله بن ياسين إلى الصحراء. ولما تنكرت جدالة؛ خرج مع ابن ياسين إلى جزيرة في نهر السينغال؛ فتنسك معه في رباطه؛ ثم أخذت شلتهم تتنامى ؛ معتزلين عمن خالفهم؛ ولما قويت شوكتهم، وكثرت عصبتهم؛ خرجوا لقتال المخالفين من قومهم، وقتال الوثنيين من السودان. وقتل يحيى بن عمر في بعض الوقائع ضد جدالة ببلاد درعة.

ـ ثم **بلكين بن محمد بن حماد بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 454هـ/1062م)؛ بتوليه الحكم انتقل الملك من بيت القائد إلى بيت أخيه محمد بن حماد. كان بلكين ـ كغيره من أمراء تلكاتة ـ يميل إلى القسوة، وسفك الدماء، والجبروت. فافتتح عهده بقتل وزير سلفه الأمير محسن، ثم قتل جعفر بن أبي رمان صاحب بسكرة، ونكب المدينة، وأثخن في أهلها. ثم توغل غربا؛ في بلاد زناتة، والمناطق الصحراوية؛ طالبا المرابطين؛ دون جدوى.

"

وامتدت يده الفاتكة إلى زوجته؛ تانميرات بنت عمه علناس بن حماد؛ الأمر الذي دفع بأخيها؛ الناصر بن علناس لرصد الفرصة المواتية؛ للانقضاض على بلكين؛ قاتل أخته؛ فكان له ذلك. وقد ساعدت الأوضاع السياسية المتردية؛ في دولة بني باديس الزيرية بإفريقية — بعد الغزو الهلالي — وتضعضع أحوال زناتة في غرب البلاد — بفعل زحف المرابطين — على ديارهم على تعزيز نفوذ بني حماد، واتساع رقعة دولتهم شرقا، وغربا؛ على حساب الطرفين الضعيفين. وبدأت قوة الحماديين تظهر، وتزداد ظهورا منذ عهد بلكين بن محمد بن حماد؛ ووصلت بعنفوانها في عهد الناصر بن علناس إلى حد كبير.

— ثم **شرف الدولة المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (توفي بالمهدية سنة 454هـ)؛ خلف والده على عرش إفريقية؛ وعمره لم يصل إلى التاسعة. ولما اشتد ساعده؛ أعلن ما يجيش به صدره، وما نشأ عليه خفية؛ فترك — بذلك — أثرا تاريخيا لا يمحى؛ إذ كان أول من تمرد — من بني زيري — على الفاطميين، ومذهبهم الشيعي؛ وشجع رعيته على اعتناق المذهب

"

المالكي؛ لأن المذهب السني الذي كان معمولا به؛ إلى جانب الشيعة في إفريقية آنئذ؛ هو المذهب الحنفي. وبهذا فتح المعز على نفسه باب المصائب؛ إذ أرسل الفاطميون إليه قبائل بني هلال، وسليم؛ لتأديبه؛ فعاثت تلك القبائل بالبلاد فسادا؛ وقامت بمهمة تدميرية؛ تعجز عنها الجيوش النظامية.

ــ ثم **سيف الدولة بلكين بن باديس بن حبوس التلكاتي الصنهاجي** (توفي مسموما في حياة أبيه سنة 456هـ/1063م)؛ **وكان** وليا لعهد أبيه؛ ولاه والده ــ في البداية ــ على إمارة مالقة. التي انتقلت إليهم بعد انتزاعها من حكم بني حمود؛ فتحولت إلى كورة من كور غرناطة. وتقول المصادر أن الذي قتله ــ غدرا بالسم ــ وزير أبيه: يوسف بن نغْرالة اليهودي؛ ولكنه حول التهمة ــ بدهائه ــ إلى فتيان القصر؛ فانتقم منهم باديس ظلما. وتقول المصادر ــ أيضا ــ بأنه تآمر على الدولة؛ بمداخلة ابن صمادح؛ أمير المرية إذ أطمعه في تحويل إمارة باديس إليه. وعندما قرأ الناس في غرناطة ــ الصنهاجيون منهم على الخصوص ــ قصيدة الشيخ أبي إسحاق الإلبيري؛

"

ثـــاروا عـــلى ابـــن نغرالـــة وقتلـــوه. وممـــا جـــاء في تلـــك القصيـــدة التحريضيـــة:

ألاَ قُـــلْ لِصَنْهَاجَـــةٍ أجْمَعِيـــنْ
بُـــدُورُ الزَّمَـــانِ وَأسْدُ العَرِيـــنْ
مَقَالَـــة ذِي مُقَّـــةٍ مُشْفِـــق
يَعُدُّ النَّصِيحَـــة زُلْـــفَى وَدِيـــنْ
لَقَـــدْ زَلَّ سَيِّدِكُـــمْ زَلَّـــة
تَقَـــرُّ بهـــا أعْيُـــنُ الشَّامِتيـــنْ
تَخَيَّـــرَ كَاتِبَـــهُ كَافِـــراً
وَلَـــوْ شَـــاءَ كَانَ مِنَ المُؤْمِنيـــنْ
فَعَـــزَّ اليَهُـــودُ بـــهِ وَانْتَخَـــوا
وَتَاهُـــوا وَكَانُوا مِنَ الأرْذَليـــنْ
وَنَالُـــوا مُنَاهُمْ وَجَازُوا المَـــدَى
وَقَـــدْ جَـــازَ ذَاكَ وَمَا يَشْعُـــرُونْ
فَكَمْ مُسْلِـــمٍ رَاهِـــبٍ رَاغِـــب
لأرْذَل قِـــرْدٍ مِـــنَ المُشْرِكِيـــنْ

ـ ثـــم أبـــو منـــاد المظفـــر باللـــه باديـــس بـــن حبـــوس بـــن ماكســـن بـــن زيـــري بـــن منـــاد التلكـــاتي الصنهـــاجي (ت: سنـــة 467هـ/1074م)؛ خلـــف والـــده حبـــوس في إمـــارة غرناطـــة؛ في ظـــل الدعـــوة لآل حمـــود بمالقـــة. وكـــان طاغيـــة، جبـــارا، وداهيـــة وشجاعـــا وحازمـــا وجَلْـــدا. وقـــال ابـــن خلـــدون أنـــه

هو الذي اختط قصبة غرناطة، وشيد قصورها، وأقام حصونها، ومختلف المنشآت التي ظلت إلى عهده؛ وبذلك يكون هو الذي مصَّرها. كما زحف على مالقة ــ بعد ظهور بوادر الضعف عليها ــ فاحتلها، واكمل بنا ء قصبتها؛ ثم أسند إمارتها ــ بعدئذ ــ لولده بلكين.

ــ ثم **أبو بكر بن عمر اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 480هـ/1087م)؛ عينه عبد الله بن ياسين ــ بعد موت يحيى بن عمر الجدالي ــ قائدا للصنهاجيين؛ فتولى إدارة الحرب بينهم بجدارة، وكفاءة عالية؛ إذ تمكن من السيطرة على المناطق الشمالية لبلاهم؛ مثل بلاد فازاز، والسراير ومكناسة، وبرغواطة. ثم وصلته أخبار باشتعال فتن داخلية بين قبائل صنهاجة في أعماق الصحراء؛ فعاد لإصلاح حال قومه؛ بعد أن أسند أمر جيشه، والمناطق المفتوحة إلى يوسف بن تاشفين؛ الذي استبد بالأمر، وانفرد بالحكم.

"

ـ ثم **الناصر بن علناس بن حماد بن زيري التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 481هـ/1088م)؛ باستيلائه على الحكم؛ يكون المُلك قد انتقل إلى بيت ابن ثالث لحماد؛ وهو علناس. وكان الناصر ـ كغيره من بني حماد ـ شديدا وقاسيا؛ إذ كان لا يتورع عن القتل لأبسط الأسباب. وقد افتتح حكمه بقتل أعيان بسكرة؛ من بني جعفر ابن أبي رمان، وبعض الفئات من صنهاجة، وبعض الموظفين في بلاطه، وكثير من زعماء زناتة. هذا وقد تدعم ـ في بداية عهده ـ سلطان الدولة الحمادية؛ التي استفادت من تدهور الأوضاع في دولة بني باديس بالمهدية، وانشغال زناتة في كفاح المرابطين. ولكن لم تدم الأحوال كما كانت؛ إذ ساعدت بذور الفرقة بين بني زيري؛ في إفريقية والمغرب الأوسط على تعزيز نفوذ قبائل بني هلال؛ التي ترصدت الفرص ـ واحدة بعد الأخرى ـ لكي تضعف سلطان الدولة ونفوذها؛ وتوسع سلطان القبائل الهلالية وتنشره عبر البلاد كافة بالتدريج؛ شيئا فشيئا؛ حتى أصبحت جل المناطق السهبية، والسهلية خاضعة لنفوذهم. بل أجبروا الناصر بن علناس نفسه على إخلاء قلعته، والهجرة إلى شاطئ البحر؛

"

حيث شيد مدينة الناصرية (بجاية) واتخذها عاصمة لملكه. وفي هذا يقول ابن خلدون: **((وفي سنة ستين [**وأربعمائة**] افتتح جبل بجاية، وكان له قبيل من البربر يسمون بها الاسم... وهذا القبيل من صنهاجة... فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة، وسماها الناصرية؛ وتسمى عند الناس باسم القبيلة؛ وهي بجاية. وبنى بها قصر اللؤلؤة؛ وكان من أعجب قصور الدنيا، ونقل إليها الناس، وأسقط الخراج عن ساكنيها، وانتقل إليها سنة إحدى وستين. وفي أيام الناصر هذا كان استفحال ملكهم، وشغوفه على ملك بني باديس إخوانهم بالمهدية... فبنى المباني العجيبة المؤنقة، وشيد المدائن العظيمة)).**[1]

ـ ثم **المنتصر تميم بن بلقين بن باديس بن حبوس** (توفي بمراكش سنة 488 هـ)؛ ولاه جده باديس على مالقة؛ تحت وصاية شيخ من صنهاجة؛ نظرا لصغره؛ فكان جريئا، وشهما؛ ولكنه قاسيا وعنيفا. ولما استولى يوسف بن تاشفين على غرناطة؛ اتبعها بمالقة، وألقى القبض على تميم ، ثم أرسله إلى السوس؛

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 357.

"

ولكنه عفى عنه فيما بعد، فاستقر بمراكش حتى مات.

ـ ثم **عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 488هـ/1095م)؛ وهو مؤسس إمارة بني خراسان بتونس.

ـ ثم **المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 498هـ/1104م)؛ أمه هي بلارة بنت تميم بن العز؛ وهي التي بنى لها زوجها الناصر قصري بلارة: أحدهما بالقلعة، والآخر ببجاية. وورث المنصور عن والده الدهاء، والشجاعة، والحزم. وهو أقل قسوة، ووحشية من أسلافه؛ وإن كان قد قتل زوجته ظلما؛ بسبب خلاف حدث بينه وبين والدها؛ ماخوخ زعيم بني وامانوا. وسار المنصور على نهج والده في جل الميادين: السياسية، والعسكرية، والحضارية؛ فكان نسخة منه. وعليه فقد قضى جل وقته في مطاردة القبائل الزناتية، وصد أطماع المرابطين، ومواجهة عيث، وفساد قبائل بني هلال، وتأديب الخارجين عن سلطانه من أهل بيته، وعمومته. وكان ولوعا بالبناء، والعمران، وأسباب الحضارة. وقال ابن خلدون فيه: ((**فاتخذ بجاية**

"

هذه معقلا، وصيرها دارا لملكه، وجدد قصورها، وشيد جامعها. وكان المنصور هذا جماعا، مولعا بالبناء؛ وهو الذي حضر ملك بني حماد، وتأنق في اختطاط المباني، وتشييد المصانع، واتخاذ القصور، وإجراء المياه في الرياض، والبساتين؛ فبنى في القلعة قصر الملك، والمنار، والكوكب، وقصر السلم؛ وفي بجاية قصر اللؤلؤة، وقصر أميمون)).[1]

ـ ثم أبو معبد باديس بن المنصور بن الناصر بن علناس التلكاتي الصنهاجي (ت: سنة 500هـ/1106م)؛ كان قاسيا شديد الوحشية. افتتح عهده بقتل وزير أبيه عبد الكريم بن سليمان؛ ثم قتل عامل أبيه على بجاية؛ التي لم ينتقل إليها بعد؛ ثم أساء إلى أخيه العزيز؛ والي الجزائر؛ فعزله، ونفاه إلى جيجل. كما ألقى أحد الصالحين إلى أسد؛ فلم يفترسه الأسد. وبذلك تصبح وحشية الأسد أقل حدة من وحشية باديس بن المنصور. ويقال أن موته حدث بواسطة السم؛ الذي دسته أمه في طعامه؛ بعد أن توعدها بالقتل.

[1] العبر، مج: 6، ص: 358.

"

ـ ثم **عبد العزيز بن عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 500هـ/1106م)؛ وهو ثاني الأمراء من بني خراسان بتونس؛ وقد اتصف بالضعف.

ـ ثم **أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت اللمتوني الصنهاجي** (توفي بمراكش سنة 500هـ/1106م)؛ وهو ممهد الدولة المرابطية، وباسط سلطانها في بلاد المغرب والأندلس. شارك ابن عمه أبا بكر بن عمر في فتوحاته، وانتصاراته ببلاد المغرب؛ ولما قرر العودة إلى الصحراء استخلفه على البلاد المفتوحة؛ فنهض بهمة، وحزم عظيمين؛ فأضاف جزءا كبيرا من البلاد إلى ملكه؛ فاستفحل أمره، وعظم شأنه؛ فلما عاد ابن عمه أبو بكر وجه قد استبد بالملك؛ فتركه وعاد إلى الصحراء؛ متجنبا الفتنة، زاهدا في مغريات الدنيا. وهكذا أضحى ابن تاشفين هو الآمر الناهي؛ فتحول إلى ملك عظيم؛ نشر سلطانه على بلاد المغرب والأندلس. ويتحلى ابن تاشفين بالتدين، والخلال الحميدة، والتفاني في الجهاد، والغيرة على المسلمين.

"

ـ ثـم **سيـر بـن أبي بكـر اللمتـوني الصنهـاجي** (تـوفي قـرب إشبيليـة سنـة 507هـ/1113م)؛ وهـو ابـن عـم يوسـف بـن تاشفيـن؛ وكـان مـن الذيـن يكلفهـم بالمهـام الكبـرى. ويعـد مـن بيـن القـادة الكبـار للدولـة المرابطيـة.؛ فهـو الـذي فتـح إشبيليـة، وقـام بنـفي المعتمـد ابـن عبـاد. وبهدهـا أسنـدت ولايتهـا إليـه. كمـا فتـح قرمونـة، ولبلـة. ومـات فجـأة؛ أثنـاء تشييعـه لزوجتـه حـواء بنـت تاشفيـن، خـلال زفـاف ابنتـه فاطمـة.

ـ ثـم **مَـزْدَلِي بـن بُوبْلِنْكَـانْ بـن حمـني** أو (حسـن) **بـن محمـد بـن ترْقـوت اللمتـوني الصنهـاجي** (تـوفي في حصـن مسطاسـة سنـة 508هـ)؛ وهـو مـن أعيـان المرابطيـن، وابـن عـم يوسـف بـن تاشفيـن، وعضـده الأيمـن؛ إذ تـولى مهـام كبـرى في الدولـة؛ وهـو الـذي أعـاد فتـح بلنسيـة، وأخـرج النصـارى منهـا عـام 494هـ/1100م. وولي عـلى تلمسـان، وقرطبـة، وغرناطـة، والمريـة.

ـ ثـم **أبـو طاهـر يحـيى بـن تميـم بـن العـز بـن باديـس التلكـاتي الصنهـاجي** (تـوفي بالمهديـة سنـة 509هـ/1115م)؛ وهـو مـن سلاطيـن الدولـة الزيريـة بإفريقيـة. تمكـن مـن بنـاء أسطـول غـزا بـه جنـوة، وسردانيـة؛ حيـث فـرض عـلى أهلهـا

"

الجزية. وكان شجاعا، حازما؛ وله اشتغال بالشعر، والأدب؛ ولكنه ترك ذلك بعد اعتلاء سدة الحكم. حدث خلاف بينه وبين بعض إخوته؛ فنفاهم؛ فغدر به بعضهم؛ فطعنوه طعنات؛ أودت بحياته؛ بعد حين.

ـ ثم **أبو بكر بن إبراهيم المسوفي الصنهاجي** المعروف بابن تيفلويت (توفي بسرقسطة سنة 510هـ/1116م)؛ وهو صهر علي بن يوسف. كان واليا للمرابطين على غرناطة، ثم سرقسطة؛ كان من أهل الفضل، والجود، والحياء، والشجاعة. ومدح من طرف الفيلسوف ابن باجة، ومن الشاعر ابن خفاجة.

ـ ثم **العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 515هـ/1121م)؛ افتتح عهده؛ بعقد صلح مع زناتة؛ وأصهر إلى أحد زعمائهم؛ فتزوج بنت ماخوخ. وكانت أيامه في غالب أوقاتها آمنة، هادئة؛ باستثناء بعض العمليات القليلة؛ التي اضطرته إليها الظروف؛ مثل: حصاره لجزيرة جربة ثم احتلالها، وإخضاع تونس؛ ومناوشة الأعراب، ومكافحة عيثهم، وفسادهم في القلعة ونواحيها ومنطقة الزاب. ومع هذا فقد كان يعقد مجالس للعلماء، والأدباء؛ بالإضافة إلى

"

ولوعه بالبناء. وفي عهده مر ابن تومرت ببجاية؛ عائدا من المشرق عام 512هـ؛ فاجتهد فيها لتغيير المنكر؛ فرفعت به الشكاوى إلى السلطان عبد العزيز؛ فأمر بإحضاره؛ فهرب إلى بني ورياكل؛ القاطنين في وادي بجاية.

ـ ثم **علي بن يحيى بن تميم بن المعز التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 515هـ/1121م)؛ وهو أحد سلاطين بني زيري بإفريقية؛ كان حازما، وشجاعا؛ قضى فترة حكمه في إخماد الفتن التي يشعلها الأعراب من بني هلال، وسليم. وحاول في آخر أيامه غزو صقلية؛ لكبح عدوان روجر الثاني المتكرر؛ ولكن عاجله القدر؛ فتوفي قبل تحقيق غرضه.

ـ ثم **أبو طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 520هـ/1126م)؛ كلف بمهام عديدة؛ عسكرية، وسياسية في المغرب، والأندلس. ويبدو أنه لم يحالفه التوفيق في كثير منها.

"

ـ ثم **أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** المعروف باسم بكور (كان حيا سنة 522هـ/1128م)؛ أسندت إليه ولاية من إشبيلية سنة 518هـ/1124م إلى سنة 522هـ/1106م. وهو أكبر أبناء السلطان علي بن يوسف.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنة 537هـ/1142م)؛ خلف والده يوسف في ملك المغرب، والأندلس؛ فسار على نهجه، واقتفى أثره في مواصلة الجهاد، ونصرة الحق، وإنصاف المظلومين، وكبح الظالمين، والانتصار للدين، والورع، ومخافة الله. وفي عهد ظهرت بوادر الدعوة الموحدية؛ وذلك في سنة 514هـ. وعندما شعر بدنو أجله أوصى بأن يدفن بين عامة المسلمين؛ فكان له ذلك.

ـ ثم **أبو المعز تاشفين بن علي بن يوسف ابن تاشفين اللمتوني الصنهاجي** (توفي في وهران سنة 539هـ/1144م)؛ اشتهر بالشجاعة، والشهامة؛ وكانت له في حياة أبيه ملاحم ضد النصارى بالأندلس؛ إذ فتح مدنا عديدة بها؛ منها: طليطلة، وكركي، وأشكونية، وغيرها. ولما

"

انتصب على سدة الحكم بمراكش؛ مرت أيام حكمه كلها في حروب، وفتن ضد الموحدين؛ الذين استفحل أمرهم بالمغرب الأقصى. وكانت نهايته في معركة بينه وبين عبد المؤمن بن علي أمام وهران؛ حيث سقط به جواده في هوة؛ مات إثرها.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف اللمتوني الصنهاجي** (قتل بمراكش سنة 540هـ/1145م)؛ بايعه المرابطون بعد مقتل أبيه بوهران؛ ولكنهم عدلوا عنه بعد أيام؛ وبايعوا عمه إسحاق.

ـ ثم **إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين** (ت: سنة 541 هـ/1146م)؛ وهو آخر سلاطين الدولة المرابطية؛ وبقتله انتهى أمرها. بويع في مراكش بالملك بعد تنحية ابن أخيه إبراهيم؛ فزحف إليه عبد المؤمن بن علي؛ الذي قتله؛ بعد أن تغلب عليه.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن علي بن غانية المسوفي الصنهاجي** (توفي بغرناطة سنة 543هـ/1148م)؛ وهو من الأبطال المعدودين؛ حمل لواء الجهاد بالأندلس؛ فكان من أكفأ الأمراء المسلمين بتلك الديار؛ وكان شهما، داهية،

"

حازما، خبيرا بفنون الحرب. بدأ حياته السياسية، والعسكرية في ظل أمير قرطبة اللمتوني محمد بن الحاج (زوج أمه، وكفيله بعد أبيه)؛ الذي ولاه مدينة أستجة في البداية؛. واشتهر يحيى تبعا لما أظهره من بسالة، وإقدام، وحنكة عسكرية؛ خاصة عندما هزم ابن رُذْمير (ألفونسو المحارب ملك أرغون). ويقال أنه تزوج امرأة من صنهاجية جميلة، وفاضلة؛ ولكنه طلقها؛ فلما سألوه عن سبب طلاقه لها؛ قال: **((والله ما فارقتها عن خلة تُذَم؛ ولكن خفت أن أشْتَغَلَ بها عن الجهاد))**. وفي أواخر حياته واجهته ضغوط كثيرة؛ نتيجة لخيانة بعض المسلمين؛ مثل ابن حمدين؛ الذي تحالف مع النصارى، وأدخلهم على ابن غانية بقرطبة؛ فعاثوا بالمدينة فسادا، ونهبوا المسجد، ودنسوه.

ـ ثم **أبو بكر بن إسماعيل بن عبد الحق ابن عبد العزيز بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 544هـ/1149م)؛ وهو رابع أمراء بني خراسان بتونس؛ ولما استولى بنو حماد على تونس؛ نزل أبو بكر هذا بمدينة بنزرت؛ حتى ثار سكان تونس على معد بن منصور الحمادي؛ فاستدعوه للإمرة عليهم؛ وبعد مدة

"

غدر به ابن أخيه؛ فقتله، ورمى به في البحر؛ مدعيا بأنه غرق.

ـ ثم **محمد بن علي بن يوسف بن غانية المسوفي الصنهاجي** (ت: سنة 546هـ/1151م)؛ وهو مؤسس إمارة بني غانية بميورقة؛ انتقل إليها بعد موت أخيه يحيى، وانقراض دولة المرابطين؛ فأنشأ إمارته في تلك الجزر؛ معلنا بالدعوة لبني العباس، وبقي على ذلك الحال حتى مات.

ـ ثم **يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 547هـ/1152م)؛ كان ضعيف الشخصية، مولعا بمجالسة النساء، وبالصيد؛ ولم يخلف أثرا يستحق أن يذكر. وفي هذا يقول ابن الخطيب: **((وكان مولعا بالصيد، مغرما به، كلفا بالملهين؛ يحضر منهم عنده نحو العشرين؛ بين رجل وامرأة؛ من شيوخ، وعجائز، وحمقى؛ فكان يستلقي في بيته على الفرش الوثيرة الحشايا، ويستدعي المضحكين، وجوارح الصيد؛ فيختبر هذا البازي، ويتفقد هذا الكلب، ويستنهض هذا المضحك في النوع الذي سلكه؛ فيلهيه، ويضحكه. ويجلس أبدا بين أخواته: تقسوط، وأم ملال، وشبلة؛ في زي**

"

العرائس؛ من الحلي، والملابس. فلا يزال كذلك إلى أن ينام. ثم يغتدي إلى الصيد)).[1]

وانتهى أمره إلى تسليم أمره للموحدين؛ وإنهاء عمر الدولة الحمادية؛ وذلك سنة 547هـ؛ بمبايعته لعبد المؤمن بن علي.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن فاطمة الصنهاجي(**كان حيا سنة 549هـ/1154م**)**؛ كان من القادة المحنكين في الجيش اللمتوني. شارك في استنقاذ بلنسية من أيدي النصارى. ثم أسندت إليه ولايتها سنة 503هـ/1109م؛ وبعدها كلف بولاية فاس ؛ ثم نقل إلى ولاية إشبيلية من سنة 509هـ/1115م إلى سنة 511هـ/1115م.

ـ ثم **علي بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان الصنهاجي** (ت: سنة 555هـ/1160م**)**؛ وهو آخر أمراء بني خراسان بتونس. اقتحم عليه عبد المؤمن بن علي حاضرة ملكه، ونقله إلى مراكش؛ فتوفي في طريقه إليها.

ـ ثم **الحسن بن علي بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس التلكاتي الصنهاجي** (ت: سنة 563هـ/1167م**)**؛ هو آخر العقد من سلاطين

---

[1] أعمال الأعلام، ق: 3 ، ص ص: 99 ـ 100.

"

الدولـــة الزيريـــة بإفريقيـــة؛ تربـــع عـــلى العـــرش وهـــو طفـــل لا يتجـــاوز عمـــره الإثـــني عشـــر سنـــة؛ فحكـــم في ظـــل الأوصيـــاء؛ فاختـــل شـــأن الدولـــة، وتعرضـــت لغـــزو النصـــارى بقيـــادة روجـــار Roger II ملـــك صقليـــة؛ الـــذي استـــولى على المهديـــة حاضـــرة الدولـــة الزيريـــة؛ فاستنجـــد الحســـن بعبـــد المؤمـــن بـــن عـــلي؛ فزحـــف إلى المهديـــة بجيـــش الموحديـــن فافتتحهـــا، وأخـــرج منهـــا النصـــارى، وبـــقي الحســـن في رعـــايـــة عبـــد المؤمـــن، وابنـــه يوســـف حـــتى تـــوفي وهـــو في طريقـــه إلى مراكـــش.

ـــ ثـــم **عـــلي بـــن إسحـــاق بـــن محمـــد بـــن غانيـــة المســـوفي الصنهـــاجي** (ت: سنـــة 585هـــ/1189م)؛ كـــان أميـــرا عـــلى مايورقـــة بالأندلـــس؛ فانتهـــز فرصـــة غفـــل فيهـــا الموحـــدون؛ فجهـــز أسطولـــه، وغـــزا بـــه مدينـــة بجايـــة. وكانـــت محاولتـــه هـــذه شـــرارة أشعلـــت ـــ مـــن جديـــد ـــ نـــار الثـــورة، والفتـــن المتتاليـــة ببـــلاد المغـــرب الأوســـط، وإفريقيـــة. وكانـــت نهايتـــه القتـــل بواسطـــة سهـــم في موقعـــة تـــوزر.

ـــ ثـــم **داود بـــن عائشـــة الصنهـــاجي** (ربمـــا كـــان حيـــا سنـــة 585هـــ/1189م)؛ وهـــو مـــن القـــادة العسكرييـــن الأفـــذاذ. كـــان يتحـــلى بالشجاعـــة، والعزيمـــة الفولاذيـــة. فهـــو الـــذي أسقـــط ملـــك بـــني

"

صمادح بالمرية؛ ثم استولى على مرسية، فدانية، فشاطبة؛ فبلنسية، فشنتمرية، فشقورة.

ـ ثم **إبراهيم بن إسماعيل بن علان اللمتوني الصنهاجي** (ت: سنه 627هـ/1229م)؛ شيخ اللمتونيين في حامية تلمسان؛ حاول الاستيلاء عليها ـ أيام المأمون الموحدي ـ بعد نزوة من نزوات العصبية؛ فتصدى له بنو عبد الواد، وقتلوه؛ فكان سببا غير مباشر؛ لتدرج بني عبد الواد نحو ملك تلمسان.

ـ **ثم أبو علي عمر بن يحيى بن مُحَلىً البطوي الصنهاجي** (توفي مقتولا سنة 785هـ/1383م)؛ تجمعه مع أبي يوسف سلطان بني مرين قرابة خؤولة؛ أهلته لكي يتولى ـ من طرفة ـ أعمال مالقة؛ التي خرجت من أيدي بني اشقيلولة؛ في جوازه الثاني للأندلس. ولكنة خان الأمانة؛ بتخليه عنها لأبن الأحمر؛ مقابل بعض المغريات؛ دون الرجوع إلى صاحب العهدة؛ سلطان بني مرين. ومع هذا لم تدم علاقته الحميمة مع ابن الأحمر؛ إذ فسد الجو بينهما؛ فنشبت فتن متتالية بينهما؛ حتى عاد سلطان بني مرين مرة أخرى إلى الأندلس؛ فقبض عليه، وأرجعه إلى المغرب؛ أين أطلق سراحه بعد مدة. ولما مات أبو يوسف عاد عمر

هذا إلى الأندلس؛ طلبا للمغامرة؛ ولكنه ــ هذه المرة ــ انقاد إلى مصيره المحتوم؛ إذ قتل في النهاية بأيدي أبناء أبي العلاء المريني اللاجئين ببلاد الأندلس؛ ثأرا منه في دم عمهم؛ مقتول أبيه.

ــ ثم **طلحة بن يحيى بن مُحَليّ البطوي الصنهاجي** (توفي مقتولا سنة 786هـ/1384م)؛ وهو مثل أخيه عمر؛ يستند إلى القرابة التي تربطه بالسلطان يعقوب بن عبد الحق. ويعد طلحة هذا من بين الأبطال المشهورين؛ إذ استعانت الدولة المرينية بخبرتهم في بداية تكوينها؛ إلا أنه شارك أخيه في خيانته للدولة فيما بعد؛ سواء في الأندلس؛ حيث قاسم أخاه عمر الفوائد التي اتفق عليها مع ابن الأحمر؛ أو في ديار المغرب؛ حيث ثار على السلطان، وأعلن العصيان. هذا وقد انتهى به الأمر إلى القتل في إحدى المعارك.

ــ ثم **محمد بن علي بن مُحَليّ البطوي الصنهاجي** (ت: سنة 787هـ/1385م)؛ ولاه السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق على أعمال مراكش كافة سنة 768هـ/1366م؛ بعد افتكاكها من أيدي الموحدين. وكانت ولايته محمودة، إذ

"

ســار في الأمــر سيــرا حسنــا؛ وبــقي فيهــا إلى عــام 787هـ/1385م؛ السنــة الــتي هلــك فيهــا بمحبســه.

***

ـ ***مواطنهــم:*** يقــول ابــن خلــدون عــن شعــب صنهاجــة: ((**وهــو أكثــر أهــل الغــرب لهــذا العهــد، ومــا قبلــه؛ لا يكــاد قطــر مــن أقطــاره يخلــو مــن بطــن مــن بطونهــم؛ في جبــل أو بسيــط**)).[1] وينقســم الصنهاجيــون؛ حســب مواطنهــم، ونظــام حياتهــم؛ إلى فئتيــن عظيمتيــن: صنهاجــة الشمــال **(سكــان التلــول، والجبــال)**؛ ومــن أهــم قبائلهــم **تلكاتــة**؛ ويسكنــون بيــوت الطيــن والحجــر. وصنهاجــة الجنــوب (سكــان الصحــراء)؛ وأعظــم قبائلهــم هي: **لمتونــة، ومسوفــة، وكدالــة.** وتمتــد مواطنهــم **جنــوب المفــازة الصحراويــة الكبــرى**؛ وحــتى بــلاد الســودان. وهــم مــن أهــل الوبــر.

فأمــا قبائــل صنهاجــة الشمــال فهــم عــلى طبقتيــن: إحداهمــا تمثلهــا قبيلــة **تلكاتــة**؛ مــن أهــل المــدر. والأخــرى تتكــون مــن القبائــل الصنهاجيــة الــتي اختــارت العيــش في الأريــاف، والجبــال؛ حيــث انتشــرت جماعاتهــم في شمــال المغــرب؛ بعــد سقــوط

---

[1] **العبــر، مج: 6 ، ص: 309.**

"

دول صنهاجة؛ وظلت على حالها حتى عصر ابن خلدون. وهذه الطبقة لم تتوصل إلى إقامة إمارات، وممالك؛ على الرغم من ضخامة هياكلها، وتعدد قبائلها. ومواطن هذه الطبقة مجاورة لمواطن قبائل مصمودة؛ حيث تتواجد فئات منهم **بجبل درن**، ثم إلى الشرق منه؛ في المحيط الذي تربض فيه: **تازي، وتادلا، ومعدن بني فازان، وآكرسلوين، ودرعة**، وضواحي السوس الأعلى ومدنه مثل: **تارودانت، وإفري، وفونان**..إلخ.[1] أما **تلكاتة** فهم مدريون. وقد تمكنوا من تأسيس دول هامة في إفريقية، والمغرب الأوسط، والأندلس. وتتواجد أوطانهم الأولى **بالمغرب الأوسط**؛ من **المسيلة، إلى الجزائر، ثم لمدية، ومليانة**. وأوطانهم هذه هي التي تغلبت عليها — فيما بعد — قبائل الثعالبة، وزغبة، كـ: بني يزيد، وحصين، العطاف.[2] أما صنهاجة الجنوب فتمكنوا — بدورهم — من تشييد دولة عظمى؛ وهي دولة المرابطين. وثمة نص لابن خلدون يصفهم، ويصف أوطانهم بقوله: **((وهذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر؛ وراء الرمال الصحراوية**

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 425 — 427.

[2] نفسه، ص ص: 309 — 316.

"

الجنوبيـــة؛ أبعـــدوا في المجـــالات هنالـــك؛ منـــذ دهـــور قبـــل الفتـــح؛ لا يعـــرف أولهـــا؛ فأصحـــروا عـــن الأريـــاف، ووجـــدوا بهـــا المـــراد، وهجـــروا التلـــول، وجفوهـــا؛ واعتاضـــوا منهـــا بألبـــان الأنعـــام، ولحومهـــا؛ انتبـــاذا عـــن العمـــران، واستئناســـا بالإنفـــراد، وتوحشـــا بالعـــز عـــن الغلبـــة، والقهـــر. فترلـــوا مـــن ريـــف الحبشـــة جـــوارا، وصـــاروا مـــا بيـــن بـــلاد البربـــر، وبـــلاد الســـودان حجـــزا، واتخـــذوا اللثـــام خطامـــا؛ تميـــزوا بشعـــاره بيـــن الأمـــم؛ وعفـــوا في تلـــك البـــلاد، وكثـــروا؛ وتعـــددت قبائلهـــم مـــن: كدالـــة، فلمتونـــة، فمسوفـــة، فوتريكـــة، فتاركـــا، فزغـــاوة، ثـــم لمطـــة اخـــوة صنهاجـــة؛ كلهـــم مـــا بيـــن البحـــر المحيـــط بالمغـــرب، إلى غدامـــس؛ مـــن قبلـــة طرابلـــس، وبرقـــة)).[1]

....

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 370 ـــ 373.

"

5 ـ عَجيسة:

لم تسعفنا المصادر التاريخية بمعلومات كافية؛ تخص بطون **عَجيسة**، وتسلسل أنساها؛ كما جرت العادة مع غيرها من القبائل. وكل ما وصلنا عنهم؛ هو عبارة عن لمحات عامة؛ سردها ابن خلدون؛ في جمل خاطفة؛ تبعث على الحيرة، والاستفسار. من ذلك قوله: ((**وأما عَجيسة: وهم بطون البرانس من ولد عَجيسة من برنس؛ ومدلول هذا الاسم البطن؛ فإن البربر يسمون البطن بلغتهم عدّس؛ بالدال المشددة؛ فلما عربتها قلبت دالها جيما مخففة؛ وكان لهم بين البربر كثرة، وظهور**)).[1] ويبدو أن كثرهم انتهت إلى التقلص والانكماش؛ في عهد الدولة الزيرية؛ التي سلطت عليهم آلة الانتقام الجهنمية؛ نتيجة للضعف، والهوان الذين أضحيا يخيمان عليهم؛ بعد القضاء على ثورة أبي يزيد؛ التي تورطوا فيها؛ حين أجاروه ضد الدولة الفاطمية.

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 295 ـــ 296.

"

ولما اختار حماد بن بلكين أرضهم لبناء قلعته العتيدة؛ نشبت مناوشات عديدة بينهم وبين الدولة؛ فانتهى بهم الحال إلى القتل، والتشرد في الأقطار. ثم أضافت عشائر عياض الهلالية ما كانت قد تعففت عنه الدولة الحمادية. وهكذا هلكت أحياء **عَجيسة**، وتفرقت عبر بلاد المغرب، وإفريقية. وبمرور الزمن؛ ذاب أبناء عَجيسة ضمن قبائل أخرى مجاورة لمواطنهم الأصلية؛ مثل: كتامة، وصنهاجة، وزواوة. وقد بقيت منهم بعض الفئات التي احتفضت باسم القبيلة الأول؛ من بينها: قبيلة عَجيسة المتواجدة على بعد 26 كلم إلى الجنوب الغربي من مدينة بجاية الجزائرية. ثم قبيلة أخرى باسم عَجيسة؛ متواجدة في الحضنة الشرقية؛ ضمن دوار الجزار؛ بجوار مدينة بريكة الجزائرية. كما توجد قرية باسم عَجيسة — أيضا — ضمن أرض بني تليلان؛ بين مدينتي: قسنطينة، والقل. وقد اندمجت بعض البطون من عَجيسة ضمن قبيلة الأعراش (دوار رأس تالا تينزار — الكركور)، ثم قبيلة الساحل القبلي(دوار ذرا قبيلة — الكركور) بالمغرب الأوسط.[1]

---

[1] قبائل المغرب، ج: 1 ، ص: 336. دور كتامة، ص ص: 70 — 71.

"

ويبـــدو أن بعـــض الفئـــات منهـــم اختـــارت الهجـــرة إلى بـــلاد الأندلـــس.

! ! !

ــ ***أعيانهـــم***: نبـــغ مـــن **عَجيســـة** رجـــال علـــم وفقـــه ذاع صيتهـــم؛ في المغـــرب، والمشـــرق؛ مـــن بينهـــم أســـرة بـــني مـــرزوق الشهيـــرة؛ منهـــم:

ــ **أبـــو عبـــد اللـــه شمـــس الديـــن محمـــد بـــن أحمـــد ابـــن محمـــد بـــن محمـــد بـــن محمـــد بـــن مـــرزوق التلمســـاني العَجيســـي** الشهيـــر بالخطيـــب (تـــوفي سنـــة 781هــ/1379م)؛ وهـــو مـــن أعـــلام الفقـــه المالـــكي؛ ولـــه عنايـــة بالأدب، وعلـــوم الديـــن، وفنـــون أخـــرى. وصـــل عـــدد مؤلفاتـــه حـــوالي 17 كتابـــا؛ في الفقـــه، والفتـــوى، والتوحيـــد، والتفسيـــر، والحديـــث الشريـــف، والتاريـــخ، والتراجـــم، والخطابـــة، والأدب، والشعـــر، والتنجيـــم، وغيـــر ذلـــك مـــن الفنـــون. ولاه السلطـــان أبـــو الحســـن المريـــني الخطابـــة بمسجـــد العبـــاد بتلمســـان؛ ثـــم نقلـــه قربـــه بالمغـــرب؛ حيـــث ولاه الخطابـــة؛ كمـــا كلفـــه ببعـــض السفـــارات. أمـــا السلطـــان أبـــو عنـــان فقـــد حـــاول في البـــدء تقريبـــه إليـــه؛ وبعثـــه في سفـــارة إلى تونـــس؛ ولكنـــه اتهمـــه ــــ فيمـــا بعـــد ــــ بالتآمـــر؛ فسجنـــه، ثـــم أطلـــق سراحـــه. وبعـــد مـــدة رحـــل إلى تونـــس؛ ثـــم إلى

"

القاهرة؛ التي استقر بها حتى وافته المنية. له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون؛ كـ: الفقه والتوحيد والفتاوى والتفسير والحديث والمنطق والعروض والقوافي والشعر، وغيره من الفنون المختلفة. منها: كتاب عجلة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من الشيوخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز، وكتاب تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام؛ وهو في خمسة أجزاء، وكتاب شرح الأحكام الصغرى؛ وهو شرح لكتاب عبد الحق الإشبيلي، وشرح كتاب الشفاء للقاضي عياض؛ لم يكتمل، وإزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب، وتحفة الطرف إلى الملك الأشرف، والمسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، وكتاب الإمامة، وكتاب إيضاح الرشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد، وشرح صحيح البخاري، والإمامة، وشرح البردة، وديوان خطب وقصائد، وكتاب في التنجيم، وكتاب جني الجنتين في فضل الليلتين؛ وهما ليلتي: القدر، والمولد، وكتاب الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء، وكتاب جمع فيه ما قيل في الصبر. وقد أورد له ابن الخطيب، ومن بعده المقري؛ بعض المقطوعات

"

الشعرية القليلة؛ منها هذه القصيدة الطويلة؛ التي سنثبتها هنا كاملة؛ لأنها تكاد تكون الوحيدة؛ مما وصل إلينا من شعر ابن مرزوق الخطيب؛ باستثناء أبيات قليلة؛ استشهد بها ابن الخطيب — أيضا — في بعض المواضع، وفي مناسبات مختلفة. أما القصيدة الكاملة فنظمها عن الحج، وزيارة الديار المقدسة؛ وقرِئَتْ بمناسبة ليلة المولد عام 763هـ/1361م.

[أيا نسيم][1] السحر	بالله[2] بلغ خبر
إن أنت يوماً بالحمى	جررت فضل المئزر
ثم حثثت الخطو من	فوق الكثيب الأعفر
مستقرياً في عشبه	خفيَّ[3] وطء المطر
تروي عن الضحاك في الر	وضِ حديث الزهر
مخلق الأذيال بالـ	ـعبير أو بالعنبر
وصف لجيران الحمى	وجدي بهم وسهري
وحقهم ما غيرت	ودي صروف الغير
لله عهد فيه قَضَّـ	ـيْت حميد الأثر

[1] في النفح: ((قل لنسيم)).
[2] نفسه: ((لله)).
[3] نفسه: ((مخفيَّ وطء)).

أيامه هي التي   أحسبها من عمري
وباليل فيه ما   عيب بغير القصر
العمر فينان ووجـ   ـه الدهر طلق الغرر
والشمل بالأحباب منـ   ـظوم كنظم الدرر
صفو من العيش بلا   شائبة من كدر
ما بين أهل تقطف الـ   ـأنس جني الثمر
وبين آمال تبيـ   ـح القرب صافي الغدر[1]
يا شجرات الحي حيَّـ   ـاك الحيا من شجر
إذا أجال الشوق في   تلك المغاني فكري
خرجت من خدي حديـ   ـث الدمع فوق الطرر
وقلت يا خَدُّ ارْوِ مِنْ   دمعي صحاح الجوهري
عهدي بحادي الركب[2] كالـ   ـورقاء عند السحر
والعيس تجتاب الفلا   واليَعْمَلاتُ[3] تَنْبَري[4]
تخبط بالأخفاف مظـ   ـلوم البَرَى[5] وهو بَرِي[6]
قد عطفت عن مَيَدٍ   والتفَّت[7] عن حور
قِسِيٌّ سَيْرٍ ما سوى الـ   ـعزم لها من وتر
حتى إذا الأعلام حلْـ   ـلَت لحفي البشر

---

[1] مفردها غدير: وهو النهر، أو بقية من الماء يتركها السيل.

[2] أي الذي يتغنى بالحداء لتنشيط حرطة الإبل في سيرها.

[3] مفردها يَعْملة: وهي الناقة النجيبة المطبوعة على العمل.

[4] أي تباري بقية الإبل في السرعة.

[5] البَرَى هنا: التراب.

[6] أي بريء؛ وقد خففت الهمزة واكتفي بالياء.

[7] في النفح: ((والتفتتْ))؛ وهو أسلم.

"

واسبتشر النازح بالـ	ـقرب ونيل الوطر
وعين الميقات للسَّـ	ـفْرِ[1] نجاح السفر
والناس[2] بين محرم	بالحج أو معتمر
لبيك لبيك إلـ	ـه الخلق باري الصور
ولاحت الكعبة بيـ	ـت الله ذات الأثر
مقام إبراهيم[3] والمـ	ـأمن عند الذعر
واغتنم القوم طوا	ف القادم المبتدر[4]
وأعقبوا ركعتي السّـ	ـعي استلام الحجر[5]
وعرفوا في عرفا	ت كل عرف أذفر[6]

[1] أي للمسافرين.

[2] في النفح: ((فالناس)).

[3] مقام إبراهيم: هو الحجر الذي وقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام. وضعه له ابنه إسماعيل؛ ليقف عليه؛ وهو يرفع الحجارة على الكعبة؛ فأنطبع أثر قدميه عليه بشكل غائر. وبقي هذا الحجر ملتصقاً بحائط الكعبة؛ إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز؛ الذي فصله عن البيت، وأخره بضعة أمتار؛ لئلا يشغل المصلين والطائفين. وما تزال أثر قدمي إبراهيم الخليل ظاهرة على الحجر إلى الآن. وقد أحيط بغطاء زجاجي مأطر بدعائم مذهبة لحمايته من التأثيرات المناخيه.

[4] أي المبادرة بسرعة والشروع في طواف القدوم.

[5] أي استلام الحجر الأسود؛ سواء بالمسح عليه أو بتقبيله.

[6] أي: كل ذي رائحة طيبة.

"

ثـم أفـاض النـاس سعيـ ـاً في غـد للمشعـر[1]
فـوقفـوا وكبـروا قبـل الصباح المسفـر
وفي منى نالـوا المـنى وأيقنـوا بالظفـر
وبعـد رمـي الجمـرا ت كـان حلق الشعـر
أكرم بذاك الصحب[2] والـ ـلـه وذاك النَّفَـر[3]
يا فـوزه مـن موقـف يا ربحـه مـن متجـر
حـتى إذا كـان الـودا ع وطـواف الصـدر[4]
فـأي صبـر لم يخـن أو جلـد لـم يغـدر
وأي وجـد لـم يصـل وسلـوة لـم تهجـر
مـا أفجـع البيـن لقلـ ـب الوالـه المستغفر[5]
ثـم ثنـوا نحـو رسـو لِ اللـه سير الضمـر
فعاينـوا فـي طيبـة[6] لألاء نـور نيـر

[1] هـو المشعـر الحـرام؛ بيـن عرفـات ومـنى؛ يسـمى مزدلفـة. وفيـه قـال سبحانـه وتعـالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾. سـورة البقـرة؛ الآيـة: **198**. وقـد اخْتُلِفَ في تحديـد مكـان المشعـر بالضبـط؛ فمـن قائـل في جبـل قـزح الرابـض في آخـر مزدلفـة؛ وقائـل مـا بيـن، الجبليـن. ولكنهـم أجعـوا عـلى المزدلفـة كلهـا. وجـاء في الأثـر عـن جابـر أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلـم ((صـلى الفجـر بالمزدلفـة، ركـب ناقتـه حـتى أتى المشعـر الحـرام؛ فـدعى وكبـر وهلـل؛ ولـم يـزل واقفـاً حـتى أسفـر)).

[2] في النفـح: ((السَّفْـر)).

[3] نفسـه: ((السَّفْـر)).

[4] طـواف الصـدر: هـو طـواف الـوداع؛ (الطـواف الأخيـر)؛ ومنـه يتجهـز النـاس للعـودة إلى بلدانهـم.

[5] في النفـح: ((المُستَعْبِـر)).

[6] طيبـة: أحـد أسمـاء المدينـة المنـورة.

"

زاروا رسول الله واسـ   ـتشفعوا بلثم الجدر

نالوا به ما أملوا   وعرجوا في الأثر

على الضجيعين أبي   بكر الرضا وعمر

زيارة الهادي الشفيـ   ـع جُنَّة[1] في المحشر

فأحسن الله عزا   ءَ قاصد لم يزر

ربع ترى مستنزل الـ   ـآيِ به والسور

وملتقى جبريل بالـ   ـهادي الزكي العنصر

وروضة الجنة بـ   ـين روضة ومنبر[2]

منتخب الله ومخـ   ـتار الورى من مضر[3]

والمنتقى والكون من   ملابس الخلق عري

إذ لم يكن في أفق   من زحل أو مُشْتَرِ[4]

ذو المعجزات[5] الغرّ أمـ   ـثال النجوم الزهر

يشهد بالصدق له   منها انشقاق القمر

والضبّ والظبي إلى   نطق الحصى والشجر

من أطعم الألف بصا   ع في صحيح الخبر

---

[1] أي وقاية.

[2] الروضة الشريفة: تقع وسط، وفي مقدمة المسجد النبوي؛ وملاصقة لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره. قال فيها عليه الصلاة والسلام: ((ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة؛ ومنبري على حوضي))؛ وفي رواية: ((ومنبري على ترعة من ترع الجنة)).

[3] مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. أبو عرب الشمال.

[4] في النفح: ((ومشتري)).

[5] سيذكر ـ فيما يلي ـ بعض معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنها: انشقاق القمر، وكلام: الضب والظبي والحصى والشجر، وإطعام الجيش بصاع، واتجاج إيوان كسرى، وانطفاء نار المجوس...إلخ.

والجيـــش رواه بمــــا   ءِ الراحـــــة المنهمـــر

يا نكتـــة الكـــون الـــتي   فاتـــت منـــال الفِكَـــر

يا حجـــة اللـــه على الـــ   ــرائـــح والمبتكـــــر

يا أكرم الرســل على الـــ   ــلــه وخيـــر البشـــر

يا مـــن لـــه التقـــدم الـــ   ــحـــق عـــلى التأخـــر

يـــا مـــن لـــدى مولـــده   المقـــــدس المطهـــــر

إيـــوان كسرى ارتـــج إذ   ضاقت[1] قصور قيصـــر

وموقـــد النـــار طفــــا   كأنهـــا لــــــم تسعــــــر[2]

يا عمـــدتي يـــا ملجـــئي   يـــا مفـــزعي يا وزري

يا من لـــه اللـــواء والـــ   ــحوض وورد الكوثـــر

يا منقـــذ الغـــرقى وهـــم   رهن العـــذاب الأكبـــر

إن لـــم تحقـــــق أمـــلي   بُـــؤْتُ بسعي المخســـر

صلى عليـــك اللـــه يـــا   نـــور الدجـــا المعتكـــر

يا ويـــح نفـــسي كم أرى   من غفلـــتي في غمـــر[3]

واحسرو[4] من قلـــتي الـــ   ــزَّاد وبعـــد السفـــــر

يحجـــني واللـــــه بالـــ   ــبرهان وعـــظ المنبـــر

يا حسنهـــا مـــن خطـــب   لو حركـــت من نَظَـــرِ[5]

يـــا حسنهـــا من شجـــر   لو أورقـــت من ثمـــر

---

[1] في النفـــح: ((ضـــاعت)).

[2] جـــاء هـــذا البيـــت في نفـــح الطيـــب هكـــذا:

((وموقـــد النـــار طـــفى   كأنـــه لـــم يسعـــر)).

[3] ورد هـــذا الشطـــر في النفـــح هكـــذا: ((في غفلـــة مـــن عُمُـــري)).

[4] في النفـــح: ((واحســـرتي))؛ وهـــو أصـــوب.

[5] في النفـــح: ((نظـــري)).

"

أومـــــل الأوبـــة والـــ	ـــأمـــر بكـــف القـــدر
أسَــوِّفُ العـــزم بهـــــا[1]	مـــن شهــــر لشهـــر
مـــن صفـــر لرجـــــب	مـــن رجـــب لصفـــر
ضيعت في الكبـــرة مـــا	أعددتـــه في صغـــري
وليـــس مَا مَـــرَّ من الـــ	ـــأيـــــام بالمنتظـــــر
وقــــلّ مـــا أن حمـــدت	سلامـــة فـــي غــــرر
ولـــي غريـــم لا يـــــني	عـــن[2] طلـــب المنكســـر
يا نفـــس جدي قد بدا الـــ	ـــصبح ألا فاعتبـــري
واتعـــظي بمـــن مـــضى	وارتدعي وازدجـــري
ما بعد شيـــب الفود مـــن	مرتقـــــب فشمـــــري
أنـــت وإن طال المـــدى	في قلعـــة[3] أو سفـــــر[4]
وليـــس من عـــذر يقيـــ	ـــــم حجـــة المعتـــذر
يا ليـــت شعري والمـــنى	تســـرق طيـــب العمـــر
هل ارتـــجي من عـــودة	أو رجعــــــة أو صـــدر
فأبـــرد الغلـــــة مــــن	ذاك الـــزلال الخَصِـــر[5]
مقتديـــاً بمـــن مــــضى	مـــن سلـــف ومعشـــر
نالـــوا جـــوار الله وهـــ	ـــــو الفخـــر للمفتخـــر
أرجـــو بإبراهيم مـــــو	لانـــا بلـــوغ الوطـــــر

---

[1] في النفـــح: ((بـــه)).

[2] نفســـه: ((في)).

[3] أي في انتقـــال.

[4] في النفـــح: ((وسفـــر)).

[5] أي العـــذب البـــارد.

"

فوعـده لا يمتـري   في الصدق منه الممتر[1]

فهو[2] الإمام المرتضى   والخيّر ابن الخيّر

أكرم من نال المنى[3]   بالمرهفات البتر

ممهد الملك وسيـ   ـف الحق والليث الجري

خليفة الله الذي   فاق بحسن السير

وكان منه الخُبْرُ في الـ   ـعلياء وفق الخبر

فصدق التصديق من   مرآه للتصور

ومستعين الله في   ورد له وصدر

فاق الملوك الصيد[4] بالـ   ـمجد الرفيع الخطر

فأصبحت ألقابهم   منسية لم تذكر

وحاز منهم[5] أوحد   وصف العديد الأكثر

برأيه المأمون أو   عسكره المظفر[6]

بسيفه السفاح أو   بعزمه المقتدر

بالعلم المنصور أو   بالذابل المستنصر[7]

بابن[8] الإمام الطـ   ـاهر البر الزكي السير

---

[1] في النفح: ((ممتري)). والممتري: هو الذي يشك في شيء ما.

[2] نفسه: ((وهو)).

[3] نفسه: ((العُلا)).

[4] في النفح: ((الصيدا)).

[5] نفسه: ((منه)).

[6] سيشير فيما يلي بتورية إلى بعض الخلفاء العباسيين.

[7] في النفح: ((المنتصر)).

[8] نفسه: ((يا ابن)).

"

مدحـــك قـــد علـــم نظـــ ـــم الشعر من لم يشعر[1]

جهـــد المقل اليـــوم مـــن مثـــلي كوسع المكثـــر

فـــإن يقصـــر ظاهـــري فلم يقصر مُضْمِـــري

كمـــا أورد ابن الخطيـــب لـــه هـــذه الأبيـــات؛ حيـــن قـــال: ((**ركـــب مـــع السلطـــان** [ابـــن الأحمـــر] **خـــارج الحمـــراء؛ أيـــام ضربـــت اللـــوز قبابهـــا البيـــض، وزينـــت الفحـــص العريـــض، والـــروض الأريـــض؛ فارتجـــل في ذلـــك:**

[أنظـــر إلى النـــوار في أغصانه

يحكي النجوم إذا تبدت في الحلك[2]]

حيا أميـــر المسلميـــن وقال قـــد

عميت بصيرة من بغيـــرك مَثَّلَـــكْ[3]

يا يوسفاً حـــزت الجمال بأســـره

فمحاسن الأيـــام تومي هيـــت لك[4]

[1] نظـــم ابـــن مـــرزوق هـــذه الأبيـــات الأخيـــرة؛ بغـــرض إلقائهـــا في المولـــد النبـــوي؛ أمـــام السلطـــان المريـــني أبي سالـــم إبراهيـــم بـــن علـــي؛ ولكـــن هـــذا الأخيـــر لـــقي مصرعـــه قبـــل المولـــد النبـــوي في سنـــة 762هـــ/1360م.

[2] سقـــط هـــذا البيـــت في الإسكوريـــال.

[3] أي عميـــت بصيـــرة مـــن زعـــم أن لـــك مثيـــلاً.

[4] أي: هلـــم تعـــالى. وجـــاء هـــذا القـــول في الذكـــر الحكيـــم: ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾؛ سورة يوسف؛ من الآية: 23. وقد أوردنا الآية كاملـــة من قبـــل.

"

أنت الذي صعـــدت به أوصافـــه

فيقـــال فيـــه ذا مليـــك أو ملـــك[1]

وممـــا قالـــه عنـــد وداعـــه لأهـــل تونـــس:

أُوَدِّعُكُـــمْ وَأُثْـــنِي ثُـــمَّ أُثْـــنِي

عَـــلَى مَلِـــكٍ تَطَـــاوَلَ بِالْجَمِيـــلِ

وَأَسْـــأَلُ رَغْبَـــةً مِنْكُـــمْ لِـــرَبِّي

بِتَيْسِيـــرِ المَقَاصِـــدِ وَالسَّبِيـــلِ

سَـــلاَمُ اللَّـــهِ يَشْمَلُنَـــا جَمِيعـــاً

فَقَـــدْ عَـــزَمَ الغَرِيبُ عَلَى الرَّحِيـــلِ

وحليـــت بعـــض المراســـلات؛ المتبادلـــة بيـــن ابـــن الخطيـــب وابـــن مـــرزوق؛ بمقطوعـــات شعريـــة؛ منهـــا هـــذه القطعـــة لابـــن مـــرزوق؛ الـــتي رحـــب فيهـــا بمقدم صديقـــه إلى مدينـــة فـــاس؛ للمثـــول بيـــن يـــدي السلطـــان أبي عنـــان المريـــني:

يـــا قادمـــاً وافـــى بكـــل نجـــاج

أبشـــر بما تلقـــاه مـــن أفـــراح

هـــذي ذرى ملك الملوك فلذ بهـــا

تنل المـــنى وتفـــز بكل سمـــاح

---

[1] اقتبـــس هـــذا مـــن قولـــه تعـــالى: ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾. ســـورة يوســـف؛ مـــن الآيـــة: 31. وقـــد سبـــق إثبـــات الآيـــة كاملـــة.

معـــنى الإمـــام أبي عنـــان يممن

تظفـــر ببحر في العـــلى[1] طفـــاح

من قاس جود أبي عنان ذي الندى[2]

بسواه قاس البحر بالضحضـــاح[3]

ملك يفيـــض على العفـــاة نوالـــه

قبل الســـؤال وقبـــل بسطـــة راح

فلجود كعب وابن سعدى[4] في الندى

ذكـــر محـــاه مـــن نـــداه مـــاح

ما أن رأيت ولا سمعـــت بمثلـــه[5]

مـــن أريـــحي للندى مـــرتـــاح

بســـط الأمان على الأنام فأصبحوا

قـــد ألحفـــوا منه بظـــل جنـــاح

وهمى على العافين سيـــب نوالـــه

حتى حـــكى سح الغمـــام الســـاح

فنوالـــــه وجلالـــــه وفعالـــــه

فاقـــت وأعيـــت ألســـن المـــداح

---

[1] في الاستقصـــا: ((بالنـــدا)).

[2] في النفـــح: ((في النـــدى)).

[3] الضحضـــاح: المـــاء القليـــل.

[4] يقصـــد بكعـــب: كعـــب بـــن مامـــة بـــن عمـــرو الإيـــادي الـــذي يضـــرب المثـــل بجـــوده؛ أمـــا ابـــن سعـــدى؛ فهـــو: أوس بـــن خالـــد ابـــن حارثـــة بـــن لام الطـــائي. يضـــرب بـــه المثـــل في الجـــود والفضـــل.

[5] في النفـــح: ((ما إن سمعـــت ولا رأيـــت بمثلـــه)).

"

وبه الدنا أضحت تــروق وأصبحــت
كل المــنى تنقــاد بعــد جمــاح
من كـــان ذا ترح فرؤية وجهــه
متــلافــة الأحــزان والأتــراح
فانهض أبا عبد الإلــه تفــز بمــا
تبغيــه من أمــل ونيــل نجــاح
لا زلــت ترتشــف الأماني راحة
من راحــة المولى بكل صبــاح

ـ ثــم **أبــو عبــد اللــه محمــد بــن أحمــد بــن محمــد بــن أحمــد بــن محمــد بــن محمــد بــن أبي بكــر بــن مــرزوق التلمســاني العَجيــسي** المعــروف بالحفيــد (تــوفي بتلمســان سنــة 842هــ/1438م)؛ وهــو حجــة في الفقــه المالــكي؛ ومــن علمــاء النحــو والأصــول والحديــث والتفسيــر وفنــون أخــرى؛ كمــا أنــه ينظــم الشعــر. ومــن مؤلفاتــه: كتــاب المفاتيــح المرزوقيــة لحــل الأقفــال واستخــراج خبايــا الخزرجيــة؛ وهــو في العــروض والقــوافي، وكتــاب إسمــاع الصــم في إثبــات الشــرف مــن جهــة الأم، وكتــاب المفاتيــح القرطاسيــة في شــرح الشقراطسيــة،

"

وكتاب المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج؛ وخصصه لإجابة ابن سراج في بعض المسائل النحوية والمنطقية، وكتاب الروضة؛ وهو رجز في علم الحديث، وكتاب مختصر الحديقة؛ وهو مختصر مرجوز لألفية العراقي في علم الحديث؛ وكتاب المقنع الشافي؛ أرجوزة في الميقات تحتوي على 1700 بيت، وأرجوزة في ألف بيت على الشاطبية، وأرجوزة في تلخيص المفتاح، وأرجوزة في تلخيص ابن البنا، وأرجوزة في جمل الخونجي، وكتاب نهاية الأمل في شرح الجمل؛ وهو في المنطق، وأرجوزة؛ اختصر بها ألفية ابن مالك، وكتاب اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة،؛ وهو في الفقه والتفسير، وكتاب نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين، وكتاب الدليل الموفي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي، وكتاب النصح الخالص في الرد على المدعي رتبة الكمال للناقص؛ وهو في سبعة كراريس؛ رد فيه على فتوى الإمام قاسم

"

العقبـــاني، ومختصـــر كتـــاب الحـــاوي في الفتاوى؛ لابن عبـــد البـــر التونـــسي، وكتـــاب الاعتراف في ذكـــر مـــا في لفـــظ أبي هريـــرة مـــن الإنصـــاف، وكتـــاب الـــروض البهيـــج في مسألـــة الخليـــج، وكتـــاب أنـــوار الـــدراري في مكـــررات البخـــاري، ورسالـــة في ترجمـــة إبراهيـــم المصمـــودي، وكتـــاب برنامـــج الشـــوارد، وكتـــاب تفسيـــر ســـورة الإخـــلاص؛ اتبع فيـــه طريقـــة الحكمـــاء، وشـــرح عـــلى ابـــن الحاجـــب،، وشـــرح عـــلى التسهيـــل، وثلاثـــة شـــروح عـــلى البـــردة: الأول عـــرف بالأكبـــر؛ هـــو إظهـــار صـــدق المـــودة في شـــرح البـــردة؛ كـــل بيـــت يشتمـــل عـــلى سبعـــة فنـــون، والثـــاني عـــرف بالأوســـط، الثالـــث عـــرف بالأصغـــر؛ وهـــو الاستيعاب لمـــا فيهـــا مـــن البيـــان والإعـــراب. ولـــه أيضـــا بعـــض الكتـــب لـــم يتمكـــن مـــن إكمالهـــا؛ وهي: روضـــة الأريـــب في شـــرح التهذيـــب، والمنـــزع النبيـــل في شـــرح مختصـــر خليـــل، وإيضـــاح المسالـــك في شـــرح ألفيـــة ابن مالـــك، وعقيـــدة أهـــل التوحيـــد المخرجـــة مـــن ظلمـــة التقليـــد، والآيـــات

"

الواضحات في وجه دلالة المعجزات، والدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم، وشرح صحيح البخاري؛ بعنوان المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح والوجه الصبيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح؛ وهو في جزأين. ومما قاله عن تلمسان نظما:

بَلَدُ الجِدَار مَا أمَرَّ نَوَاهَا
كَلفَ الفُؤَادُ بحُبِّهَا وَهَوَاهَا
يَا عَاذِلِي كُنْ عَاذِري فِي حُبِّهَا
يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاؤُهَا وَهَوَاهَا

وقال فيها أيضا ضمن أرجوزة في علم الحديث:

وَمَنْ بِهَا أهْلُ ذَكَاءِ وَفِطَنْ
فِي رَابعٍ مِنَ الأقَالِيمِ قُطِنْ
يَكْفِيكَ أنَّ الدَّاوُدِيَّ بِهَا دُفِنْ
مَع ضَجِيعِهِ ابْن غَزْلُون الفَطِنْ

"

ـ ثم **أبو زكرياء شرف الدين يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن علي ابن عمر بن عَقيل الزرماني العَجيسي** (توفي بالقاهرة سنة 862هـ/1457م)؛ فقيه مالكي، وعالم في النحو، وعلوم العربية، وتاريخ الصحابة؛ كما أنه مشارك في علوم أخرى كثيرة. رحل إلى القاهرة سنة 804هـ/1401م؛ وولي تدريس المذهب المالكي بالشيخونية، وجامع ابن طولون، والأشرفية القديمة، والخروبية. من مؤلفاته: شرح على ألفية ابن مالك؛ في أربعة مجلدات؛ بالإضافة إلى بعض الشروح الأخرى على الألفية أيضا، وشرح على البخاري؛ لم يكتمل، وكتاب التذكرة.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب التلمساني العَجيسي** الشهير بالعبادي (توفي بتلمسان سنة 868هـ/1463م).

ـ ثم **بدر الدين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد العَجيسي** (ت: سنة 871هـ/1466م)؛ فقيه مالكي، ونحوي؛ اشتغل في تديس الفقه بمصر؛ في جامع ابن طولون، والأشرفية، والخروبية.

"

ـ ثم **سليمان بن صالح بن علي بن حسن ابن علي البجائي العَجيسي** (توفي بمكة سنة 884هـ/1479م)؛ فقيه مالكي، له مشاركة في علوم عديدة؛ رحل إلى الحج؛ واختار الإقامة بمكة المكرمة.

ـ ثم ولده **محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق التلمساني العَجيسي**؛ المعروف بالكفيف (توفي بالقاهرة سنة 901هـ/1495م)؛ وهو ولد ابن مرزوق الحفيد؛ كان من أعلام الفقه المالكي. له مؤلفات عديدة؛ منها: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مناقب، وروضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين: الهواري، والتازي، وأبركان، والغماري، ثم كتاب تآليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

ـ ثم **محمد بن أحمد بن محمد بن أبي يحيى ابن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني العَجيسي**؛ المعروف بالسبط؛ لأنه سبط ابن مرزوق الحفيد(كان حيا سنة 920هـ/1514م)؛ وهو فقيه، ومحدث.

ooo

"

أمـا أهـل السيـف، والسياسـة مـن العجيسييـن؛ فلـم تشـر إليهـم المصـادر المتوافـرة حـتى الآن؛ ولا يوجـد تفسيـر لهـذا الصمـت؛ سـوى أن هـذا القبيـل كانـت لـه اهتمامـات أخـرى غيـر الحـرب والسياسـة؛ تبعـا لمـا كـان عليـه حالهـم مـن الضعـف ووهـن الشوكـة. غيـر أن هنـاك استثنـاء واحـدا ويتمثـل في شخـص:

ـ **داود بـن إبراهيـم العجيـسي** (كـان حيـا سنـة 323هـ/934م)؛ ولي عـلى تيهـرت؛ أيـام الدولـة الفاطميـة.

***

ـ ***مواطنهـم:*** كانـت مواطـن عجيسـة مجـاورة لمواطـن قبيلـة تلكاتـة الصنهاجيـة؛ بالمغـرب الأوسـط. ويقـول ابـن خلـدون أن بقاياهـم ـ في وقتـه ـ كانـوا متواجـديـن في **ضـواحي تونـس، وفي الجبـال المشـرفـة عـلى المسيلـة.** أمـا مواطنهـم الأولى فـهي في الجبـل الـذي بنيـت فيـه قلعـة بـني حمـاد؛ قـرب المسيلـة. وقـد تغلبـت عليـه قبائـل عيـاض الهلاليـة؛ حـتى أصبـح يسـمى باسمهـم. ويقـول مـوسى لقبـال أن اسـم عيـاض حرفتـه العامـة؛ حـتى صـار معضـادا، ومعاضيـد؛ كمـا

"

يسمون في الوقت الحاضر. وعليه فقد أصبح **جبل عجيسة**، أو عياض ــ بعد ذلك ــ **يسمى جبل المعاضيد**.[1]

....

6 ــ *كتامة*:

وهم أبناء **كتام** أو (كتم) **بن برنس.** وقد اختلفت الآراء حول الأصل الأول لكلمة كتامة؛ فمن قائل.. بأنها اسم علم؛ لشخص ينتسب إليه أبناء هذه القبيلة. وقائل بعلاقتها بمعنى الكتمان. وقائل آخر بعلاقتها ــ بشكل ما ــ مع كلمتي: **الكتيم**؛ التي أطلقها ابن خلدون على سكان إيطاليا؛ عند احتكاكهم بالقرطاجيين. أو **القطيم**؛ التي ترمي إلى معنى؛ ينسجم مع الشذوذ الخلقي. وقد قام الدكتور موسى لقبال بتحليل هذه الآراء كلها؛ ثم ركز على النقوش البيزنطية؛ المكتشفة في مواطن كتامة القديمة؛ (في فج فيدول **Col de fedoules**)؛ بين ميلة، وجيجل. تلك النقوش التي وردت فيها عبارتان هامتان؛ هي: **Ucutamii** أو **Ucutumani** والعبارة الأخيرة وضعت في صيغة الجمع؛ لدى اللاتينيين؛ وهي تقابل كلمة **كتاميين** المعربة. ومن هنا ننضم

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 295 ــ 296. دور كتامة، ص ص: 70 ــ 71.

"

إلى رأي لقبال؛ الذي يميل إلي وجود اسم كتامة؛ قبل الفتح؛ حيث كان يدل على مجموعة من الناس؛ يعيشون في ظل نظمهم الخاصة؛ بالمناطق المعروفة الآن كمواطن لكتامة.[1] وبطون كتام جميعها تجتمع في ولديه الاثنين: **غرسن**، **ويسودة**. وعنهما تفرعت بطون كتامة كلها؛ فمن بطون غرسن: **إيان وقلان وماوطن مُصالة ومعّاذ وينـاوة وينطاسن**. وتفرع عن إيان: **ملوسة**. أما يناوة فتفرع عنهم بطون: **جيمْلة ووهيصة ومسالتة**. وينطاسن — هم الآخرون — تفرع عنهم: **إجّانة وأوفاس وغسمان**. أما بطون يسودة بن كتام؛ فهم: **دِهاجَة وفلاسة ومَتْوَسَة ووريسن**. ويقول ابن خلدون أن قصور كتامة بالمغرب — في وقته — تنسب إلى دهاجة. وهذه أهم بطون كتامة؛ التي اتفق عليها النسابون. ولكن.. نلاحظ — خلافا لما اتفق عليه نسابة الأمازيغ كلهم — فابن حزم ينسب زواوة إلى كتامة. وكما يقول ابن خلدون أيضا؛ أن **((البرابرة))** ينسبون: **بني**

---

[1] **دور كتامة، ص ص: 93 — 97.**

"

قِنْسيلة ومصالة وهَشْتَيْوَة إلى كتامة. وربما يقصد بعبارة ((البرابرة)) نسابتهم.[1]

ويستحسن الاستعانة ــ في هذا الباب ــ بما قام به موسى لقبال من تحقيقات تتعلق ببطون كتامة. من ذلك أنه تفرع عن **إيان ابن غرسن:** قبيلة **ملوسة**؛ التي تنسب إليهم بلدة **ملوزة** الجزائرية؛ في الوقت الحاضر. وقبيلة ملوسة أو ملوزة ما زالت معروفة؛ وهي متواجدة قرب المسيلة؛ بالجزائر. كما توجد بقية منهم؛ ضمن قبيلة أنجرة؛ المستقرة بين سبتة، وطنجة؛ حيث توجد في تلك الجهات بلدة سماها البكري **ملوثة**؛ ومنهم ــ أيضا ــ فرع **بني زلدوي** الموجودون بالجبال المشرفة على قسنطينة؛ ويعرفون بـ **بني زونداي**؛ حيث كانت تقام بينهم سوق زنداي؛ في أيام الجمعة من كل أسبوع؛ وقد اشتهروا بالشدة، والخلاف، والتمرد، وتعدد الفتن فيما بينهم. ومن ملوسة جماعات أخرى؛ اندرجوا ضمن قبيلة أولاد عبد النور؛ إلى الشرق من جبل غروس؛ ثم إن مدينة **تامالوس**؛ القريبة من القل تنتمي هي الأخرى إلى ملوسة. وعن **قلان**

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 302.

ابن غرسن؛ يقول موسى لقبال أن بلدة **قلال** القرية من سطيف لها علاقة ما؛ بهم؛ وإن تعرض الاسم للتصحيف. كذلك **ماوطن بن غرسن**؛ وهم بنو **ماوطنت**؛ الذين ينتسب إليهم **كادو بن مُعارك الماوطي**؛ ذلك الصبي الذي نصبته جماعة من كتامة بمثابة الإله؛ إذ اتخذوه قبلة يصلون إليه، وكتبوا صفحات زعموا أنها نزلت عليه؛ ثم سموه المهدي؛ كل هذا بسبب العصبية الكتامية؛ التي تحركت في داخلهم؛ بعد أن فاض مرجلها، وتململت من سباقها؛ غيرة على أبناء العم المقتولين بالقيروان. ثم **مُصالة بن غرسن**؛ وهو الذي يرجع إليه – حسبما يبدو – **فج مصالة** أو **فج مزالة**؛ المعرف حاليا. ثم **معاذ بن غرسن**؛ الذي يبدو أن **بني معاذ** – القرية من الميلية – تنتسب إليه. أما **يناوة بن غرسن**؛ فأهم بطونهم هي: قبيلة **جيملة**؛ وهم موجودون – في هذه الأيام – على ضفاف وادي جندين؛ إلى جوار جيجل؛ وقد يمتد انتشار أحيائهم حتى نواحي العلمة. ويطلق اسم هذه القبيلة – بعد تصحيفه – على المدينة الرومانية الأثرية **Cuiculum** المعروفة حاليا بـ **جميلة**. ثم قبيلة

مسالتة؛ التي توجد بقية منهم؛ يدعون بهذا الاسم؛ وهم مندرجون ضمن قبيلة الساحل القبلي بدوار (تالا إيفاسين)؛ هم بين آقبو، وسطيف؛ بالجزائر؛ وربما سمي باسمهم وادي **مسالقة** الواقع بين مدينتي: قالمة، وعزابة؛ بعد أن صحفته ألسن العامة. ثم **لهيصة**؛ التي لم يبق منهم أثر يذكر؛ على الرغم من ظهورهم، ونشاطهم؛ أيام الدعوة الفاطمية. أما ينطاسن بن غرسن؛ فمنهم: قبيلة إجانة؛ التي تكون بقاياهم موجودة بين الميلية، والطاهير؛ وبين جبل سدات، والمسيد؛ حيث تعرف تلك المنطقة — بعد تصحيفها — بـ **أرجانة**؛ كما يسمى أحد أودية تلك الجهة بوادي أرجانة. وربما انتسبت إليهم فئة تسمى ورجانة؛ وهي متواجدة في جهات جبل شلية بالأوراس؛ وتتواجد فئة أخرى في محيط سدراتة. أما **أوفاس**؛ فلا نعرف عنهم — في الحاضر — سوى اسم تالا **إفاسين**؛ بين آقبو وسطيف؛ والتي سبق ذكرها عند الكلام عن مسالتة. أما غسمان؛ فوردت في بعض المصادر — أيضا — عثمان؛ وربما كانت التسمية الأخيرة هي الصحيحة؛ بدليل وجود حي بهذا الاسم؛ قرب

"

فج مزالة؛ في سفح جبل الحلفا؛ كما توجد مدينة باسم العثمانية؛ وتقع على وادي العثمانية أيضا؛ وهي قريبة من قلعة تازروت؛ موطن قبيلة عثمان قديما؛ وإلى هذه القبيلة ينسب بنو عثمان؛ ويوجدون في حوز مكناسة بالمغرب الأقصى.

هؤلاء هم أبناء غرسن بن كتام؛ أما أبناء يسودة بن كتام فهم: **دهاجة أبناء يسودة**؛ ومنها بطن بالاسم نفسه؛ اندرج أبناؤه ضمن قبيلة زردازة (دوار بوطيب)؛ المتواجدة بين سكيكدة، وعنابة؛ حيث يوجد سد زردازة؛ كما كان يوجد بالقرب من سكيكدة ميناء باسم دهاجة؛ ذكره اليعقوبي في كتاب البلدان. وذكر النعمان قبيلة باسم دهاجة؛ بين قبائل ميلة. ونسب إليهم البكري موضعا سماه قصر دهاجة؛ قال أنه بالقرب من جبل صرصر؛ بالمغرب الأقصى. أما **فلاسة أبناء يسودة**؛ فلا نعرف عنهم شيئا. أما **متوسة أبناء يسودة**؛ فهم معروفون الآن؛ بالقرب من مدينة عين البيضاء الجزائرية؛ حيث اندمج أبناؤهم ضمن قبيلة الحراكتة؛ كما يوجد بطن منهم يدعى متوسين؛ اندرج أبناؤه ضمن قبيلة جيملة السابقة الذكر؛ وبالقرب من بجاية؛ توجد قرية

بقيت إلى اليوم؛ تسمى متوسة. أما **وريسن أبناء يسودة**؛ فمن آثارهم قرية **الوريسية**؛ القريبة من إيكجان؛ يبدو أن لها علاقة ما باسم **وريسن**. وثمة قبيلتان من كتامة؛ ولكن.. لا يُعرف تسلسل نسبهم؛ في أبناء كتام؛ مع أن جل النسابين، والمؤرخين يعدوهم من بين قبائل كتامة؛ وهاتان القبيلتان هما: **بنو ثابت**، **وسدويكش**.[1]

وقد أزال موسى لقبال بعض الغموض الذي يكتنف هاتين القبيلتين؛ حين قال عن **سدويكش** أهم اختاروا الحياة في التلول والسهول؛ من مواطن كتامة القديمة. وأبناء هذه القبيلة عُرفوا لدى العامة؛ **بقبائل الحدرة**. وكلمة الحدرة — هنا — صُحفت؛ بسبب لهجة سكان المنطقة؛ من كلمة **حضرة**؛ بمعنى حاضرة؛ أي مدينة؛ إلى كلمة **حدرة**. وكما هو معروف؛ فإن لهجة أبناء المنطقة تنطق الذال دالا. أما **بنو ثابت** فقد ظلوا في مواطنهم الجبلية الأولى. وعليه.. يمكننا — بواسطة هذا التفسير — كشف اللغز الذي تسبب في حيرة ابن خلدون؛ حين قال أنه يجهل إلى أي القبائل من

---

[1] أنظر دور كتامة، ص ص: 98 — 111.

"

كتامة تنتمي هاتان الفئتان (سدويكش وبنو ثابت)؛ وإن كان متيقنا من انتسابهما إلى كتامة. والحقيقة هي أنهما عبارة عن تجمعات قبلية؛ شملت بقايا البطون الكتامية؛ السابقة الذكر؛ فأضحت جميعها تسمى بهذين الاسمين المستحدثين؛ بعد أن أضحوا ينفرون من نسبتهم القديمة لكتامة؛ كما ذكر ابن خلدون: **((وهم ينتفون من نسب كتامة، ويفرون منه؛ لما وقع منذ أربعمائة سنة؛ من النكير على كتامة؛ بانتحال الرافضة، وعداوة الدول بعدهم؛ فيتفادون بالانتساب إليهم. وربما انتسبوا إلى سليم؛ من قبائل مضر؛ وليس ذلك بصحيح. وإنما هم من بطون كتامة))**.[1]

وجملة القول.. تعتبر قبائل كتامة من أشهر القبائل الأمازيغية، وأوفرها عددا، وأمضاها عصبية. وهم من أهل المدر المستقرين في بيوت مبنية بالطين والحجر. مع بعض الاستثناءات الطفيفة؛ التي تخص جماعات من بني سدويكش؛ التي اختارت حياة البدو، والانتجاع. كما تعتبر كتامة من أهم القبائل الأمازيغية التي تركت أثرا بارزا في تاريخ المغرب

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 304.

"

الإسلامي؛ بل تركت أثرا عظيما في التاريخ الإسلامي ككل؛ في المغرب والمشرق. وعلى الرغم من كون هذه القبيلة العظيمة لم تتوصل ـ منفردة ـ إلى إقامة دولة خاصة بأبناء كتامة؛ إلا أنها تمكنت ـ بفضل تضحيات أبنائها، وأبناء صنهاجة ـ من تشييد إمبراطورية إسلامية عظمى للفاطميين؛ أحفاد علي بن أبي طالب.

وإذا كانت عشائر بني سدويكش قد اختارت حياة البدو، بسكنى الخيام، وامتلاك الأغنام، والبقر، والجمال؛ فإن إخوانهم من بني ثابت ظلوا على عادات أسلافهم؛ في سكنى المدر، والاعتزاز بجبالهم الوعرة الشاهقة. وكانت للبطنين المذكورين ارتباطات طاعة، وخضوع نحو دول المنطقة؛ إذ التزمت عشائرهم جميعا؛ بإعطاء الضرائب المستحقة. وقد تولى بعض أبناء بني ثابت مهاما سامية في الدولة الحفصية؛ منهم حسن بن ثابت الذي تولى منصب الحجابة؛ في ديوان السلطان أبي يحيى زكرياء الحفصي. ويبدو أن مهام موظفي الدولة من بني ثابت؛ انحصرت في أعمال الجباية، وجمع المغارم. وقد بقي بنو ثابت على هذه الحال؛ انطلاقا من عهد عبد المؤمن ابن علي؛

"

وحتى عهد أبي العباس الحفصي؛ الذي أزال مشيخة بني ثابت، وأدمجهم في عداد جنده، وحاشيته.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** أما رجالات كتامة، وأعيانها؛ فهم كثيرون؛ في مختلف العهود؛ ظهر أكثرهم بدءا بالعهد الفاطمي. ونبدأ ـ هنا ـ بالحديث عن علمائهم، ثم ننتقل إلى زعمائهم السياسيين، والعسكريين:

ـ **أبو علي حسن بن سعد بن إدريس خلف بن رزيق بن كسلة بن مليكة القرطبي الكتامي** (ت: سنة 332هـ/942م)؛ فقيه؛ من أهل الصلاح؛ رحل مرتين إلى المشرق؛ فزار مصر، ومكة، واليمن، وبغداد. قال عنه ابن الفرضي: **((وكان يذهب إلى النظر، وترك التقليد؛ ويميل إلى قول محمد بن إدريس الشافعي. وكان يحضر الشورى؛ ولما رأى الفتيا دائرة على مذهب المالكيين؛ ترك شهودها، ولزم بيته...وكان شيخا صالحا؛ لم يكن بالضابط جدا)).**[1]

---

[1] تاريخ علماء الأندلس، ص: 110.

"

ـ ثم **أحمد بن عبد الله بن موسى الكتامي** المعروف بابن العجوز (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ كان فقيها، وشاعرا؛ وهو من بيت علم في المغرب.

ـ ثم **أبو زيد عبد الرحمن بن مسعود الكتامي** المعروف بابن عامر (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه مالكي.

ـ ثم **أبو عبد الرحمن عبد الرحيم بن أحمد ابن عبد الرحمن السبتي الكتامي** المعروف بابن العجوز (ت: سنة 418هـ/1027م)؛ مفتي، وفقيه؛ عالم بالمذهب المالكي؛ له رواية واسعة بإفريقية، والأندلس ومفتي.

ـ ثم **أبو جعفر أحمد بن سليمان بن أحمد الطنجي الكتامي** المعروف بابن أبي الربيع (توفي قبل 440هـ/1048م)؛ من المتخصصين في القراءات؛ قام بإقراء الناس في بيجانة، والمرية بالأندلس. وله رحلة إلى المشرق.

"

ـ ثـم **عبـد الرحمـن بـن عبـد الرحيـم بـن أحمـد السبـتي الكتـامي** المعـروف بابـن العجـوز (ت: سنـة 449هـ/1057م)؛ فقيـه، ومفـتي؛ كـان مـن أهـل الفضـل، والاستقامـة.

ـ ثـم **عبـد الواحـد بـن فتـوح الـزواق الكتـامي** المعـروف بالمنبِّـز (مـن أعـلام النصـف الأول مـن القـرن الخامـس للهجـرة)؛ قـال عنـه ابـن رشيـق: **((وهـو كتـامي؛ نشـأ بتونـس؛ وبهـا تـأدب. وهـو شاعـر مفلـق؛ قـوي أسـاس الشعـر، وأركانـه؛ وثيـق دعائمـه وبنيانـه؛ كأنـه أعـرابي بـدوي؛ يركـب ظهـر الشعـر؛ ويخـوض بحـر الفكـر. يتكلـف بعـض التكلـف؛ وفي قصائـده طـول. عريـان الظاهـر مـن حليـة الأدب؛ لغفلـة في طبعـه، وثقـل في سمعـه)).**[1] مـن شعـره؛ مـا قالـه في وصـف ديـك:

وَهَـبَّ لِلأَطْيَـارِ ذُو خِبْـرَةٍ
عَنْـهُ بِمَا يُعْـرِبُ عَنْ خُبْرِهَـا
فَنَّـص جيـدا وَرَقَّى مِنْبَـراً
دَار الـذِي عـوّدَ مِنْ خِدْرِهَـا

[1] الأنمـوذج، ص: 226.

"

وَاسْتَفتـــَحَ الصَّـــوْتَ بتَصْفِيقَـــهِ اسْـــ
ـــتَفْتَاحَ ذَاتِ الطَّارِ فِي شَعْرِهـــَا
فَبَلْبَـــلَ البُلْبُـــلَ فِي غُصْنـــهِ
وَأرَّقَ الوَرَقـــَاءَ فِي وَكْرِهَـــا
كَأَنَّمَـــا تُـــوِّجَ يَاقُوتَـــةً
فَاتَّخَـــذَ الشِّنْفَيْـــنِ مِنْ شَطْرِهَـــا
كَأَنَّمَـــا يَخْطُـــرُ فِي حُلَّـــةٍ
مِنْ عَـــدَنيِّ الوَشْيِ لَمْ يَشْرِهَـــا

ولـــه أيضـــا:

وَمَـــلاَة زِنْجِيـــةٍ كَبُطُـــونِ الـــ
ـــرَّاحِ مَـــرَّتْ بَعِيـــدَة الأرْجَـــاءِ
قَدْ تَجَشَّمْتُ هَوْلَهَـــا وَدُجَى اللَّـــ
ـــيْلِ كَذَيْـــلِ الغِفَارَةِ السَّـــوْدَاءِ

ويصـــف فـــرس؛ فيقـــول:

مُخْلَوْلَـــقُ الصَّهْوَةِ مِثْل المِـــدْوَكِ
يَعْـــدُو وَمُعْدِيـــهِ بِـــلاَ تَحَـــرُّكِ
كَأَنَّـــهُ فَـــوْقَ مِهَـــادٍ مُتَّـــكِ
يَضْحَـــكُ لِلْعَيْـــنِ وَلَمَّا يضْحَـــكِ
ذُو مُقْلَـــةٍ تَنْظُـــرُ فِي مُحْلَوْلَـــكِ
كَأَنَّهَـــا فِلْـــذَة قَلْـــبِ المشْـــرِكِ

"

وعن وصفه للحمام الداجن؛ قال ابن رشيق: **((لا أعرف أحدا وصفه بمثل هذه الصفة))**؛ إذ قال:

يَجْتَابُ أرْدِيَةِ السَّحَاب بخَافِق
كَالبَرْق أوْمَضَ فِي السَّحَابِ فَأبْرَقَا
لَوْ سَابَقَ الرِّيحَ الجُنُوب لِغَايَة
يَوْماً لَجَاءَكَ مِثْلَهَا أوْ أسْبَقَا
يَسْتَقْرِبُ الأرْضَ البَسِيطَة مَذهَباً
وَالأفْقَ ذَا السُّقُفِ الرَّفِيعَةِ مُرتَقَى
وَيَظَلُّ يَسْتَرْقِي السَّمَاءَ بخَافِق
فِي الجَوِّ تَحْسبُهُ الشِّهَابَ المُحْرِقَا
قِسْهُ بأعْتَق كُلِّ حَامِلِ رِيشَةٍ
مِمَّا يَطِيرُ تَجِدْهُ مِنْهُ أعْتَقَا
يَبْدُو فَيَعْجبُ مَنْ يَرَاهُ لِحُسْنِهِ
وَتَكَادُ آيَة عِتْقِهِ أنْ تَنْطِقَا
مُتَرَقْرِقاً مِنْ حَيْثُ دُرْتَ كَأنَّمَا
لَبِسَ الزُّجَاجَة أوْ تَجَلْبَبَ زِئْبَقَا

وقال في القاضي جعفر بن عبد الله الكوفي:

حُرُّ المُرُوءَةِ وَالأبُوَّةِ سَيِّدٌ
ينْمِي لأشْرَفِ سَادَةٍ أخْيَارِ

"

القَاطِعِيـــنَ نِيَـــاطَ كُـــلِّ مُبَالِـــغٍ
فِي المَـــدْحِ تَحْتَ دَقَائِقِ الأفْكَـــارِ
كَانُـــوا إِذَا بَخِـــلَ السَّحَابُ بِمَائِـــهِ
وَهَبُوا سَحَائِـــبَ فِضَّةٍ وَنُضَـــارِ
يَا صَيْـــرَفِيِّ بَنِي الزَّمَـــانِ أَمَا تَـــرَى
عِـــزَّ الفُلُـــوسِ وَذِلَّـــةَ الدِّينَـــارِ

ولـــه في العتـــاب:

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ عِلِّيِـــنَ مَنْزِلَـــتِي
فِي وُدِّكُمْ وَإِذَا بِي أَسْفَلَ الـــدَّرَكِ
يَا حُسْنَ وُدِّي لَوْ أَنِّي نَعِمْـــتُ بِـــهِ
فِيكُمْ وَفُزْتُ بِحَظٍّ غَيْرَ مُشْتَـــرِكِ
يَا رَوْضَـــةً شَأْنُهَا فِي عَيْنِ زَائِرِهَـــا
وَقَدْ تَنَـــزَّهَ مَا فِيهَـــا مِنَ الحَسَـــكِ

ـ ثـــم **إبراهيـــم بـــن يعقـــوب السبـــتي الكتـــامي** (مـــن أعـــلام النصـــف الأول مـــن القـــرن الخامـــس للهجـــرة)؛ فقيـــه.

ـ ثـــم **أبـــو محمـــد عبـــد اللـــه بـــن إبراهيـــم بـــن جمـــاح السبـــتي الكتـــامي** (تـــوفي حـــوالي عـــام 470هــ)؛ فقيـــه، وعالـــم بالتوحيـــد، والاعتقـــاد؛ كمـــا أشتهـــر بالقـــدرة عـــلى الحفـــظ. وهـــو مـــن أصحـــاب أبي الوليـــد البـــاجي؛ حـــتى أنـــه كـــان يستخلفـــه في تدريـــس طلابـــه عندمـــا يسافـــر.

ـ ثم **محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ابن أحمد الكتامي** المعروف بابن العجوز (توفي بفاس سنة 474هـ/1081م)؛ فقيه من بيت علم؛ ولي قضاء فاس.

ـ ثم **أبو طاهر جعفر بن علي بن دواس الكتامي** المعروف بقمر الدولة (توفي بعد عام 500هـ/1106م)؛ وهو من مواليد مصر؛ ثم نشأ بطرابلس الشام. له شعر عذب الإنشاد، حسن المعاني، رشيق الألفاظ؛ كما كان يعزف على العود، ويجيد الغناء؛ وله أسلوب حسن في ذلك؛ انتقل إلى بغداد؛ حيث لقي بها حفاوة؛ تليق به. من شعره:

إنْ صَارَ مَوْلاَيَ ذَا يَسَارِ
فَإنَّني ذَلِكَ المُقِلُّ
كَالشَّمْسِ إنْ زِيدَتِ ارْتِفَاعاً
يَقْصُرُ فَيءٌ لَهَا وَظِلُّ

وله أيضا:

لَمَّا رَأيْتُ المَشِيبَ فِي الشَّعَرِ الأسْـ
ـوَدِ قَدْ لاَحَ صِحْتُ وَاحَزَنِي
هَذَا وَحَقِّ الإلَهِ أحْسَبُهُ
أوَّلَ خَيْطٍ سُدِّي مِنَ الكَفَنِ

"

وقـــال كذلـــك:

أنَـــا مِمَّنْ إذَا أتَى صَاحِبُ البَيْتِ لِلْكِـــرَا
تَتَجَافَى جُنُوبُهُـــمْ كُلَّ وَقْتٍ عَنِ الكَـــرَى

وقـــال:

لاَ يَظُـــنُّ العَـــدُوُّ أنَّ انْحِنَـــائِي
كِبَـــراً عِنْدَمَـــا عَدِمْتُ شَبَـــابِي
ضَاعَ مِـــنِّي أعَـــزَّ مَا كَانَ مِـــنِّي
فَأنَـــا نَاظِـــرٌ لَـــهُ فِي التُّـــرَابِ

وقـــال أيضـــا:

تَعَجَّبَـــتْ دُرُّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَـــا
لاَ تَعْجَبِي فَطُلُوعُ البَدْرِ فِي السَّدَفِ
وَزَادَهَا عَجَباً أنْ رُحْتُ فِي سَمَـــلٍ
وَمَا دَرَتْ دُرُّ أنَّ الدُّرَّ فِي الصَّـــدَفِ

ــ ثـــم **أبـــو القاســـم عبـــد الرحمـــن بـــن محمـــد بـــن عبـــد الرحمـــن بـــن عبـــد الرحيـــم بـــن أحمـــد الكتـــامي** المعـــروف بابـــن العجـــوز (ت: سنـــة 515هـــ/1121م)؛ وهـــو مـــن الذيـــن سمـــع منهـــم الشيـــخ عيـــاض. وقـــال فيـــه: **((مـــن بيـــت علـــم وجلالـــة. فقيـــه ابـــن فقيـــه ابـــن فقيـــه ابـــن فقيـــه؛ خامـــس**

"

خمسة. وعبد الرحيم أكبرهم في العلم، والجلالة، والأمانة؛ وهو المنتقل إلى سبتة من أصيلا؛ وأصلهم من بلدهم: كتامة... كان يميل إلى النظر، والحجة؛ ودرس الفقه ببلدنا. وولي قضاء الجزيرة الخضراء، ثم قضاء سلا، ثم خلافة القضاء بالحضرة؛ وتوفي مصروفا عن ذلك)).[1]

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الإشبيلي الكتامي** (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ فقيه، وراوية.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن عيسى الكتامي** المعروف بابن المدرة (من أعلام النصف الأول من القرن السادس للهجرة)؛ وهو من سكان قصر عبد الكريم؛ كان من أصحاب أبي العباس ابن العريف، وكان له عناية، واهتمام بالآداب.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زكرياء بن عبد الله بن إبراهيم بن حسنون البياسي الكتامي** (توفي بعد عام 560هـ/1164م)؛ تصدر للإقراء، والخطبة، والصلاة في بياسة؛ كما ولي القضاء بها.

---

[1] الغنية، ص ص: 69 ـ 70.

ـ ثم **أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي** (توف بتلمسان وهو في طريقه إلى مراكش سنة 584هـ/1188م)؛ عالم في الفقه والنحو والأدب؛ ولي قضاء بلنسية بالأندلس؛ فترك أثرا محمودا؛ ودرس بها الأصول فاستنفع الناس به؛ ثم ولي القضاء ببجاية أيضا.

ـ ثم **محمد بن خلف الله بن خليفة بن محمد القسنطيني الكتامي** المعروف بابن الشمني (ولد بقسنطينة سنة 593هـ/1196م)؛ وهو عالم في الحديث، والفقه. رحل إلى مصر؛ أين تصدر لتدريس الفقه، والحديث بجامعها؛ كما تولى خطة الشهادة بين الناس.

ـ ثم **أبو علي حسن بن عمر القسنطيني الكتامي** الشهير بابن الفكون (كان حيا سنة 602هـ/1205م)؛ وهو شاعر المغرب الأوسط في وقته؛ بدون منازع. قال فيه الغبريني: **((من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم، وتروق أشعارهم؛ غزير النظم، والنثر؛ وكأنهما أنوار الزهر. رحل إلى مراكش، وامتدح خليفة بني عبد المؤمن، وكانت جائزته عنده من أحسن الجوائز... وهو من الفضلاء، النبهاء؛ وكان مرفع المقدار، ومن له الحظوة والاعتبار.**

"

وكان الأدب له من باب الزينة والكمال؛ ولم يكن يحترف به لإقامة أود، أو إصلاح حال)).[1]

أما ابن القنفذ فذكر في الفارسية؛ بأن ابن الفكون مدح الناصر الموحدي؛ عند وصوله إلى قسنطينة **((بقصيدة عظيمة))**. ومن مؤلفاته: الرحلة؛ التي سجل فيها مشاهداته خلال تنقله من قسنطينة إلى مراكش، ثم ديوان شعر قال فيه الغبريني: **((وهو موجود بين أيدي الناس، ومحبوب عندهم))**. وهذه عينات من شعره؛ نبدأ بمقطع رائع تغنى فيه ببجاية:

دَعِ العِرَاقَ وَبَغْدَادٍ وَشَامِهَا
فَالنَاصِرِيَّة مَا إنْ مِثْلُهَا بَلَدُ

بَرٌ وَبَحْرٌ وَمَوْجٌ لِلْعُيُونِ بِهِ
مَسَارِحُ بَانَ عَنْهَا الهَمُّ وَالنَّكَدُ

حَيْثُ الهَوَى وَالهَوَاءُ الطَّلْقُ مُجْتَمِعٌ
حَيْثُ الغِنَى وَالمُنَى وَالعِشَةَ الرَّغَدُ

وَالنَّهْرُ كَالصِّلِّ وَالجَنَّاتُ مُشْرِفَةَ
وَالنَّهْرُ وَالبَحْرُ كَالمِرْآة وَهوَ يَدُ

---

[1] عنوان الدراية، ص: 334.

"

فَحَيْثُمَـــا نَظَرْتَ رَاقَتْ وَكُلُّ نَـــوَا

حِي الدَّار لِلْفِكْرِ، لِلأبْصَارِ تَتَّقِـــدُ

إنْ تَنْظُـــرِ البَـــرَّ فَالأزْهَـــارُ يَانِعَـــة

أوْ تَنْظُرَ البَحْرَ فَالأَمْـــوَاجُ تَطَّـــرْدُ

يَا طَالِباً وَصْفِهَا إنْ كُنْت ذَا نَصَفٍ

قُلْ جَنَّة الخُلْدِ فِيهَا الأَهْلُ وَالوَلَـــدُ

ثـــم قولـــه في بعـــض ســـادات بـــني عبـــد المؤمـــن؛ حيـــث تعـــض لجمـــال قصـــر الربيـــع:

عَشَوْنَـــا إلَى نَـــارِ الرَّبِيـــعِ وَإِنَّمَـــا

عَشَوْنَـــا إلَى نَارِ النَّـــدَى وَالْمُحَلَّـــقِ

رَكِبْنَـــا بِوَادِيـــهِ جيَـــادَ زَوَارِق

نَزَلْنَـــا إِلَيْهَا عَـــنْ ضَوَامِـــرَ سُبَّـــقِ

وَخُضْنَـــا حَشَاهُ وَالأَصِيـــلُ كَأَنَّـــهُ

بِصَفْحَتِـــهِ تبَـــدَّى مُـــرَوَّق زَنْبَـــقِ

وَسَيِّدُنَـــا قَـــدْ سَـــارَ فِيـــهِ لأَنَّـــهُ

بِزَوْرَقِـــهِ إِنْسَـــانُ مُقْلَـــةٍ أزْرَقِ

فَقُلْـــتُ وَطَرْفِي يَجْتَلِي كُلَّ عِبْـــرَةٍ

وَزَوْرَقُـــهُ يَهْـــوِي بِهِ ثُمَّ يَرْتَـــقِي

أيَـــا عَجَبـــاً لِلْبَحْرِ عَـــبَّ عُبَابَـــهُ

تَجَمَّـــعَ حَتَّى صَارَ فِي بَطْنِ زَوْرَقٍ

"

وَلَمَّــا نزَلْنَــا سَاحَةَ القَصْرِ رَاعَنَــا
بكُلِّ جَمَالٍ مُبْهجِ الطــَّرْفِ مُرْتَــقِ
فَمَا شِئْتَ مِنْ ظِلٍّ وَرِيفٍ وَجَــدْول
ورَوضٍ مَتَى تَلَمَّـــمَ بهِ الرِّيحُ يَعْبَــقِ
وَشَــادِي مَغَاني الحُسْنِ فِي نَغَمَاتِــهِ
يُطَارِحُــهُ هَــدْرُ الحَمَامِ المُطَــوَّقِ
فَيَا حُسْنَ ذَاكَ القَصْرِ لاَ زَالَ آهِــلاً
وَيَــا طِيــبَ رَيَّا نَشْــرِهِ المُتَنَشِّــقِ
رَتَعْنَا به فِي رَوْضَــةِ الأنْسِ بَعْدَمَــا
هَصَرْنَــا بهِ غُصْنَ المَسَــرَّةِ مُــورَقِ
وَيُضْحِكُنَــا طُولَ الوَصَــا وَرُبَّمَــا
يَمُــرُّ عَلَى الأوْهَــامِ ذِكْرُ التَّفَــرُّقِ
فَتَضْحَى مُوصُونَاتُ الدُّمُوعِ هَدَالَــةَ
وَنَحْنُ عَلَى طَرفٍ مِنَ الدَّهْرِ أبْلَــقِ
لِمِثْلِهِمَــا مِــنْ مَنْــزِهٍ وَنَزَاهَــةٍ
يُجَــرِرُ ذَيْــلَ الذيْلِ كُلُّ مُوَفَّــقِ
فِللَّــه سَاعَــاتٌ مَضَيْــنَ صَوَالِــحٌ
عَلَيْهِنَّ مِنْ زَيِّ الصِّبَــا أيُّ رَوْنَــقِ
خَلَعْنَــا عَلَيهَــا النُّسْــكَ إلاَّ أقَلَّــهُ
وَإنْ عَاوَدَتْ، نَخْلَعُ عَلَيْهَا الَّذِي بَقِي

"

ثم يكمل قوله نثراً، ويتبعه بالشعر:

"ولما نضب ماء الأصيل، ورق نسيمه العليل، وهم العشي بالانصرام، وودع النهار بسلام، وأرخى الليل فوقنا سدوله، وجرر على الأفق ذيوله؛ عدنا إلى زورقنا ذلك، ومُحَيَّا الجو غير محتجب، ووجه الأفق غير متلفع بثوب الغمام ولا منتقب، وقد تشكلت الكواكب في الماء؛ فكأنما يجري بنا زورقنا في السماء. فأمروا أعزهم الله بوصف تلك الحالة؛ فبادرتهم بهذه العجالة":

وَلَيْلِ مَسَرَّةٍ مَا زِلْتُ مِنهَا
أمرُّ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمِ
لَبِسْتُ ثِيَابَهُ عِزا إلَي أنْ
تَحَدَّرَتِ النُّجُومُ مِنَ النُّجُومِ
فَنَهْرٌ كَالسَّجَنْجَلِ قَدْ تَرَاءَتْ
عَلَى شَطَّيْهِ جَنَّاتُ النَّعِيمِ
يَسُرُّ النَّفْسَ فِي نَظَرٍ وَشِيمٍ
مِنَ المَرْأى الوَسِيمِ أَوِ النَّسِيمِ
تَشَكَّلَتِ الكَوَاكِبُ فِيهِ حَتَّى
جَرَتْ فِي قَعْرِهِ شُهُبُ النُّجُومِ

"

وَأشْكَــلَ مَنْظَــرَاً عُلْــواً وَسُفْــلاً
مِنَ الفَلَــكِ الأثِيــرِ إلَى التُّخُــومِ
فَمَــا تَمْتَــازُ أرْضٌ مِــنْ سَمَــاءِ
وَحُوتُ المَــاءِ مِنْ حُوتِ النُّجُــومِ

وهــذه القصيــدة أوردهــا العبــدري في رحلتــه؛ كمــا نقلهــا المقــري في كتابــه نفــح الطيــب؛ بعــد أن مهــد لهــا بقولــه: **((قصيــدة مشهــورة عنــد العلمــاء بالمغــرب؛ وهي مــن در النظــام، وحــر الكــلام؛ وقــد ضمنهــا ذكــر البــلاد الــتي رآهــا في ارتحالــه مــن قسمطينــة إلى مراكــش؛ وأولهــا:)).**[1]
ألاَ قُــلْ لِلسَّــرِيِّ ابْنِ السَّــرِيِّ
أبِي البَــدْرِ الجَــوَادِ الأرْيَــحِيِّ

ومنهــا:
وَكُنْتُ أظُــنُّ أنَّ النَّــاسَ طُــرًّا
سِــوَى زَيْدٍ وَعَمْرو غَيْــر شَيِّ
فَلَمَّــا جئْــتُ مِيلَــة خَيْــرَ دَارٍ
أمَالَتْــنِي بِكُــلِّ رَشَــا أبِــيِّ

[1] ج: 2، ص: 483.

"

وَكَـــمْ أوَّرَتْ ظِبَـــاءُ بَني وِرَارٍ
أوَارَ الشَّـــوْق بالرِّيـــقِ الشَّـــهِيِّ
وَجِئْـــتُ بِجَايَة فَجَلَتْ بُـــدُوراً
يَضِيـــقُ بوَصْفِهَا حَرْفُ الـــرَّوِيِّ
وَفِي أرْضِ الجَزَائِـــرِ هَامَ قَلْـــبِي
بمَعْسُـــول المَرَاشِـــفِ كَوْثَـــرِيِّ
وَفِي مِلْيَانَـــةٍ قَدْ ذبْـــتُ شَوْقـــاً
بلِيـــنِ العِطْفِ وَالقَلْبِ القَـــسِيِّ
وَفِي تَنسٍ نَسَيْتُ جَمِيلَ صَبْـــرِي
وَهِمْـــتُ بكُلِّ ذِي وَجْـــهٍ وَضِيِّ
وَفِي مَازُونَـــةٍ مَا زِلْـــتُ صَبًّـــا
بوِسْنَـــانِ المَحَاجِـــرِ لَـــوذَعِيِّ
وَفِي وَهْـــرَانَ قَدْ أمْسَيْتُ رَهْنَـــاً
بظَـــامِي الخَصْرِ ذِي رِدْف رَوِيِّ
وَأبْـــدَتْ لِي تِلِمْسَـــانٌ بُـــدُورا
جَلَبْـــنَ الشَّـــوْقَ لِلْقَلْبِ الخَـــلِيِّ
وَلَمَّا جِئتُ وَجْدَة هِمْتُ وَجْـــداً
بمُنْخَنـــثِ المَعَاطِـــفِ مَعْنَـــوِيِّ
وَحَلَّ رَشَـــا الرِّبَاطِ رِشَا رِبَـــاطِي
وَتَيَّمَـــنِي بِطَـــــرْفٍ بَابِـــلِيِّ

"

وَأطْلَـــعَ قُطْرُ فَاسٍ لِي شُمُوســـاً
مَغَارِبهـــنَّ فِي قَلْـــبِ الشَّـــجِيِّ
وَمَـــا مَكْنَاسَـــة إلاَّ كِنَـــــاسٌ
لأحْوَى الطَّرْفِ ذِي حُسْنٍ سَـــنِيِّ
وَإنْ تَسْألْ عَنَ ارْضِ سَلاَ فَفِيهَـــا
ظِبَـــاءٌ كَاسِـــرَاتٌ لِلْكَـــمِيِّ
وَفِي مَرَاكِـــشٍ يَا وَيْـــحَ قَلْـــبي
أَتَى الوَادِي فَطَـــمَّ عَلَى القَـــرِيِّ
بُـــدُورٌ بَلْ شُمُـــوسٌ بَلْ صَبَـــاحٌ
بَـــهِيٌّ فِي بَـــهِيٍّ فِي بَـــــهِيٍّ
أبَحْـــنَ مَصَارِعَ العُشَّـــاق لَمَّـــا
سَعَيْـــنَ بِهِ فَكَـــمْ مَيْـــتٍ وَحَيِّ
بقَامَـــةِ كُلِّ أسْمَـــرَ سَمْهَـــرِيِّ
وَمُقْلَـــةِ كُلِّ أبْيَـــضَ مشْـــرَفِيِّ
إذَا أنْسَيْنَـــنِي حُسْنـــاً فَـــإنِّي
أنَسِّيهِـــمْ هَـــوَى غَيْـــلاَنِ مَـــيِّ
فَهَا أنَا قَد تَخَذتُ الغَـــرْبَ دَاراً
وَأدْعَى اليَـــــوْمَ بِالمَرَاكِـــشِيُّ
عَلَى أنَّ اشْتِيَـــاقِي نَحْـــوَ زَيْـــدٍ
كَشَوقِكَ نَحْوَ عَمْـــرٍو بِالسَّـــوِيِّ

"

تَقَسَّمَنِي الهَــوَى شَرقـــاً وَغَرْبـــاً
فَيَــا لِلْمَشْـــــرِقِيِّ المَغْــــرِبِيِّ
فَلِي قَلْبٌ بِأَرْضِ الشَّـــرْق عَــانٍ
وَجسْم حَلَّ بالغَـــرْبِ القَـــصِيِّ
فَهَـــذَا بِالغُـــدُوِّ يَهِيـــمُ غَرْبـــاً
وَذَاكَ يَهِيـــمُ شَرْقـــاً بِالعَـــشِيِّ
فَلَوْلاَ اللـــَّهُ مـــتُّ هَوًى وَشَوقـــاً
وَكَـــمْ لِلَّـــهِ مِنْ لُطْــفٍ خَــفِيِّ

ـ ثـم **أبـو بكـر محمـد بـن عـلي بـن عبـد الرحمـن بـن عبـد العزيـز بـن زكريـاء بـن عبـد اللـه بـن إبراهيـم بـن حسنـون البيـاسي الكتـامي** (ت: سنـة 604هــ/1207م)؛ أخـذ القـراءات عـن أبيـه وآخريـن؛ ولي الصـلاة، والخطبـة ببلـده بياسـة. ويعتبـر مـن القـراء الماهريـن؛ ومـن أصحـاب الضبـط المحققيـن، وكـان صحيـح الروايـة.

ـ ثـم **أبـو جعفـر أحمـد بـن محمـد بـن إبراهيـم ابـن يحيـى بـن إبراهيـم بـن يحيـى بـن خلصـة القرطـبي الكتـامي** (تـوفي بقرطبـة في حـدود عـام 609هــ/1212م)؛ وهـو أستـاذ، وعالـم في القـراءات؛ ولي الخطابـة بقرطبـة، وقـام بتدريـس علـوم العربيـة، وآدابهـا، والقـراءات.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى القرطبي الكتامي** المعروف بابن القطان (توفي بسلجماسة سنة 628هـ/1230م)؛ وهو من علماء الحديث. كان بارعا في التمحيص، والنقد؛ مهتما بالضبط، والتقييد؛ عارفا بعلل الحديث؛ حريصا على ذكر الرجال، والتاريخ. ولي القضاء بسجلماسة. ومن مؤلفاته: كتاب الوهم والإيهام الواقِعَيْن على كتاب الأحكام؛ وهو نقد لأحكام أبي محمد عبد الحق بن الخراط الإشبيلي، وله أيضا مقالة في الأوزان، وكتاب النظر في أحكام النظر، وبرنامج؛ ذكر فيه شيوخه، ونظم الجمان في أخبار الزمان.

ـ ثم **أبو محمد عصام بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن يحيى بن خلصة القرطبي الكتامي** (توفي بقرطبة سنة 631هـ/1233م)؛ متمكن من علوم اللسان؛ سواء كانت نحوا أو لغة أو أدبا؛ وله إلمام بالتاريخ؛ كما خلف أباه في الخطابة، والإقراء.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليا ني الكتامي** (توفي بمليانة سنة 644هـ/1246م)؛ عالم في العربية، والفقه، وأصول الدين؛ كما كان يميل إلى التصوف، وينكب على العبادة؛ له تقييدات على كتاب التلقين لمحمد بن علي المازري. وقد علق على ذلك الغبريني بقوله: **((وكان له في "التلقين" تقدم، ونظر لم يكن لغيره، ولم يكن مثل في غيره من الكتب؛ وإن كان الرجل إماما في الفقه؛ ولكنه في هذا الكتاب أجل من غيره من الكتب؛ وله عليه تقييد فيه تنبيهات خفيفة؛ سمعت أنه كمل بعض ما فات المازري على التلقين)).**[1]

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن محجوبة السطيفي الكتامي** (توفي ببجاية سنة 677هـ/1278م)؛ وهو صوفي؛ رحل إلى المشرق، وعاد؛ حيث استقر ببجاية. له كتاب في شرح أسماء الله الحسنى، وله أيضا تقاييد في التصوف؛ وكان ينظم الشعر الصوفي؛ منه:

---

[1] عنوان الدراية، ص: 188.

"

أتَـــتْ وَاللَّيْـــلُ مَمْــدُود الجَنَــاحْ
تَعُـــودُ مُسْهَداً رَطــبَ الجِــرَاحْ
فَقَالَـــتْ: كَيْفَ أنْتَ وَلاَ جَنَــاحٌ؟
فَقُلْـــتُ: العَودُ يَذهَبُ بِالجَنَــاحْ
فَوَالَهْـــفِي عَلَى الشَّكْـــوَى لِسَـــارِ
وَوَاجَزَعِي لإعْجَـــالِ الصَّبَـــاحْ

ــ ثـم **أبـو الحسـن علـي بـن محمـد بـن علـي ابـن يوسـف الإشبيلـي الكتـامي** المعـروف بابـن الضايـع (ت: سنـة 680هـ/1281م)؛ كتـب عنـه ابـن الخطيـب نقـلا عـن أبي جعفـر بـن الزبيـر: ((**قـال الأستـاذ أبـو جعفـر بـن الزبيـر: بلـغ [**ابـن الضائـع**] الغايـة في الفـن النحـوي، وفـاق أصحـاب الأستـاذ أبي علـي الشلوبيـن بأسرهـم؛ ولـه في مشكـلات الكتـاب العجايـب. وقـرأ ببلـده أيضـا علـم الكـلام، وأصـول الفقـه؛ وكـان متقدمـا في هـذه العلـوم الثلاثـة، متصرفـا فيهـا. أمـا فـن العربيـة، وعلـم الكـلام؛ فلـم يكـن في وقتـه مـن يقاربـه في هذيـن العلميـن. أمـا فهمـه، وتصرفـه في كتـاب سيبويـه؛ فمـا أراه يسبقـه في ذلـك أحـد. ولـه إمـلاء علـى طايفـة كبيـرة مـن إيضـاح الفـارسي. وكـان لـه اعتنـاء كبيـر بكـلام**

"

الفارسي على الجملة... وكان بالجملة إماما في هذا كله؛ لا يجارى)).[1] من مؤلفاته: شرح جمل الزجاجي؛ الكبير، والصغير، وكتاب شرح سيبويه، والرد على ابن عصفور. وفيه يقول ابن الأزرق الوادي آشي:

بَضَائِعُكَ ابْنَ الضَّائِعِ النَّدْبَ قَدْ أَتَتْ
بحَظٍّ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالعِلْمِ مَوْفُورِ
فَطِرْتَ عُقَاباً كَاسِراً أَوَمَا تَرَى
مَطَارَكَ قَدْ أعْيَا جَنَاحَ ابْنِ عُصْفُورِ

ـ ثم **أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن إسحاق الكتامي** (توفي بأزمور سنة 693هـ/1293م)؛ وهو فقيه صالح.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الضرير التلمساني الكتامي** المعروف بابن الخضار (ت: سنة 727هـ/1229م)؛ فقيه، ومن علماء الحديث.

---

[1] **الإحاطة، ج: 4، ص: 120.**

"

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن محمد عيسى الزنديوي (الكتامي** (ت: سنة 882هـ/1477م)؛ فقيه، ومفسر؛ ولي القضاء بمدينة قسنطينة في سنة 839هـ/1435م.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن غازي العثماني** (أو الغسماني) **الكتامي** (توفي بفاس سنة 929هـ/1522م)؛ فقيه؛ ولي الإمامة، والخطابة بجامع القرويين؛ كما كان شيخا للجماعة بفاس. وله مشاركة في التاريخ؛ من مؤلفاته: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. وفهرست بعنوان: التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والنادي.

ـ ثم **قاسم بن يحيى بن محمد الفكون القسنطيني الكتامي** (ت: سنة 965هـ/1557م)؛ فقيه مالكي، ومفسر؛ له مشاركة في علوم عديدة؛ ولي القضاء، والإمامة بقسنطينة.

ـ ثم **عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني الكتامي** (توفي في قسنطينة بالطاعون سنة 1073هـ/1662م)؛ وهو عالم المغرب الأوسط في وقته. كان أديبا ونحويا، وعالما في الحديث؛ جمع بين: علمي الظاهر، والباطن. وكان أميرا للحج؛ فهو الذي يقود

"

حجاج الجزائر إلى الديار المقدسة. تصوف؛ فأضحى منقبضا، ومترويا عن الناس؛ وترك كثيرا من العلوم الدنيوية التي كان — من قبل — مهتما بها، وكان إماما يقتدي الناس به فيها، وتعددت تآليفه عنها؛ وشهد له بالتقدم على أهل عصره فيها. ولما تذكر أعماله في تلك العلوم أمامه؛ يقول: "قرأتها لله، وتركتها لله". من مؤلفاته: شرح على البسط والتعريف في علم التصريف؛ للمكودي، وشرح على شواهد الشريف على الأجرومية، ورسالة محدد السنان في نحور إخوان الدخان؛ وهي في تحريمه، وديوان في مدح النبي العربي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ رتبه على حروف المعجم، وشرح جمل المجراد ومخارج الحروف من الشاطبية، وتأليف في حوادث فقراء الوقت؛ ربما كان هو منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية. هذا ونشر له المقري خطابا أرسله إليه، مع قصيدة؛ منها:

لاَ زِلْتَ بَحْراً بِكُلِّ فَن
يَرْوِي بِهِ الطَّالِبُونَ غَايَهْ

"

لَقَـــدْ تَصَــدَّرْتَ فِي المَعَــالِي
كَمــَا تَعَالَيْــتَ فِي العِنَايَــهْ
مِنْ فِيــكَ تُسْتَنْظَــمُ المَعَــانِي
بُلِّغْــتَ فِي حُسْنِهَــا النِّهَايَــهْ
رَقَّــاكَ مَــوْلاكَ كُــلَّ مَــرْقًى
تَحْــوِي بِهِ القُــرْبَ وَالوِلاَيَــهْ
أعْجُوبَــةٌ مَــا لَهَــا نَظِيــرٌ
فِي الحِفْــظِ وَالفَهْــمِ وَالهِدَايَــهْ
بِجَــاهِ خَيْــرِ العِبَــادِ طُــراً
وَالآلِ وَالصُّحْــبِ وَالنُّقَايَــــهْ
صَــلَّى عَلَيْــهِ الإِلَــهُ تَتْــرَى
نُكْــفِي بِــهِ الشَّــرَّ وَالغِوَايَــــهْ

ـ ثــم **أبــو عبــد اللــه محمــد بــن عبــد الكريــم ابــن محمــد بــن عبــد الكريــم الفكــون القسنطــني الكتــامي** (تــوف بعــد عــام 1073هــ/1662م)؛ خلــف والــده في إمــارة الحــج. وكــان عالمــا في الفقــه المالــكي.

ooo

"

هؤلاء بعض علماء، وأدباء كتامة؛ وبقي الآن الحديث عن رجال كتامة؛ ممن تخصص في فن السيف والسياسة. من هؤلاء:

ـ **مهدي بن كناوة** (أو أبي كناوة) **اللهيصي الكتامي** (توفي مقتولا بعد عام 288هـ/900م)؛ وهو شيخ لهيصة، وزعيمها. كان فارسا مقداما، ومقاتلا شجاعا. عارض الدعوة الفاطمية منذ البداية؛ وظل في موقفه المعادي لأبي عبد الله الداعي؛ حتى قتله أخوه أبو مديني ابن كناوة؛ الذي كان متحمسا للدعوة الشيعية. وقد سجل القاضي النعمان خبره؛ فقال: **((وكان جميع المؤمنين أنصار غشمان** (أو غسمان أو عثمان)، **والجماعة المخالفون أنصار لهيصة؛ وكان صاحب أمرهم مهدي بن أبي كناوة؛ وكان أخوه أبو مديني قد دخل الدعوة، وصار إلى أبي عبد الله مهاجرا؛ وكانت له بصيرة ونية ونجدة. وكان أخوه مهدي من أشد فارس كان** (هكذا) **في عصره، وأهوله منظرا. يقال أنه كان أشعر البدن كله؛ هائل المنظر، شديد الضربة. فيقال: أن الأولياء احتالوا عليه في بعض تلك الحروب؛ وقد زحف إليهم، والتحم القتال؛**

"

وفي موضع المعركة مقبرة فيها قبور محجر عليها؛ فأدخلوا له رجالا من أشد من قدروا عليه في ذلك التحجير؛ وقدموا إليه فارسا ليجره إليهم؛ فشتمه، وأغضبه؛ فحمل عليه؛ وانجر له الفارس إلى موضع الرجالة؛ فرماه مهدي برمح؛ فأصابه؛ فأنفذه، وسقط الرمح بين يدي الفارس؛ وظن الناس أنه قد أخطأه؛ فما علموا أنه أصابه حتى رأوه قد سقط عن برذونه؛ وخرج الرجال على مهدي؛ فأخذوا عنانه، وأحاطوا به؛ وحملت الخيل عليه؛ فضرب في الرجالة؛ ففرقهم؛ وحمى نفسه من الخيل؛ وخلص منهم. فكان من شأنه من يومئذ أعجوبة؛ لم ير الناس مثلها)).[1] وهكذا لما عجز الآخرون عن قتل الخصم العنيد للدعوة؛ مهدي ابن كناوة؛ تولى أخوه أبو مديني المهمة. فتم له ذلك بواسطة مكيدة، وخيانة. وبموت مهدي توحد الحيان: غسمان ولهيصة؛ في ظل الدعوة الشيعية.

---

[1] رسالة افتتاح العوة، ص ص: **106 ـــ 107.**

"

ـ ثم **فتح بن يحيى المسالتي الكتامي** المعروف بالأمير (توفي مقتولا سنة 293هـ/905م)؛ وهو من أعيان كتامة الموالين للأغالبة. بقي على عدائه للشيعة حتى قتله أبو عبد الله الداعي؛ عندما فتح طبنة.

ـ ثم **لاوه بن صوحان اللهيصي الكتامي** (كان حيا سنة 288هـ/900م)؛ لم تشر إليه المصادر بعد عام 288هـ/900م. وهو العام الذي تآمر فيه مع أبي مديني لقتل أخيه مهدي. وقد ذكر القصة النعمان؛ فقال: **((وطالت الحرب بين الفريقين** (قبيلة غسمان المناصرة للداعي، وقبيلة لهيصة المعادية له)؛ **ينتصف بعضهم من بعض؛ فلما نظر أبو مديني إلى تمادي أخيه مهدي في غيه، وإصراره؛ اغتم لذلك وساءه؛ وكان ربما وقف إليه؛ فوعظه، ودعاه إلى الله، وخوفه، وحذره عقابه؛ فلا يزداد على ذلك إلا غيا، وتماديا. فلما رآه لا ينصرف عن ذلك؛ اجتمع مع فتى من لهيصة؛ كان قد صار إلى الدعوة، وهاجر إلى تازروت في من هاجر من المؤمنين؛ يقال له لاوة بن صوحان؛ وكان له شدة، ونجدة. فقال له أبو مديني؛ وقد خلا معه: "ويحك فقد ترى**

تمادي مهدي؛ وما أكسبنا من العار، وأدخل لهيصة فيه؛ من الخلاف، والعصيان. ولو قد أراح الله منه لافترق أمر لهيصة، وصاروا إلى الدين. فقد رأيت أن وصاروا إلى الدين. فقد رأيت أن نجتمع؛ أنا وأنت؛ إذا التقينا، ونخرج ناحية إليه؛ على حسب ما كنت أفعله؛ لنعظه، ونكلمه؛ فإذا أمكننا؛ رميناه جميعا؛ برمحين في ساعة واحدة؛ فإن اتقى؛ فلعله أن يتقي أحدهما؛ ولعل الله أن يريح منه، ويقطع أثره. فاتفقا على ذلك، وتعاقدا عليه. فلما التقوا للحرب؛ خرجا ناحية، وَدَعَوَا به؛ فأقبل إليهما؛ وكلمه أخوه أبو مديني؛ بمثل ما كان يكلمه؛ حتى أنس إليه؛ ثم ضرباه جميعا ضربة رجل واحد؛ فاختلف رمحاهما فيه؛ فسقط إلى الأرض. وحمل الأولياء عليه؛ وحملت لهيصة؛ فاستنقذته، وحملته؛ فمات من جراحته تلك؛ بعد أن وصل إلى موضعه. وتفرق أمر لهيصة من بعده، وأقبلوا إلى الدعوة؛ واصطلح غشمان، ولهيصة، وتآلفوا على الدين)).[1]

---

[1] رسالة افتتاح العوة، ص ص: 107 ـــ 108.

"

ـ ثــم **أبــو مديــني بــن كنــاوة اللهيــصي الكتــامي** (كــان حيــا سنــة 296هــ/908م)؛ انضــم إلى الدعــوة الشيعيــة منــذ بدايتهــا. وقــد وصــل تعصبــه للدعــوة؛ انــه قتــل أخــاه مهــدي؛ بعــد استدراجــه؛ وخيانــة ثقتــه فيــه. وقــد أضــحى منــذ ذاك التاريــخ محــل ثقــة أبي عبــد اللــه الــداعي؛ الذي كــان يكلفــه في المهــام الصعبــة؛ عــلى رأس جيشــه.

ـ ثــم **أبــو زاكي تمــام بــن معــارك بــن ضبــارة (أو دبَّــارة) الأجــاني الكتــامي** (تــوفي مقتــولا سنــة 298هــ/910م)؛ وهــو مــن القــادة الكتاميــن الذيــن قامــت عــلى كاهلهــم الدولــة الفاطميــة ببــلاد المغــرب. وهــو ممــن يثــق فيهــم الداعي؛ إذ كــان يوليــه المهــام الكبــرى عنــد الحاجــة. تآمــر مــع أبي عبــد اللــه الــداعي، وأخيــه أبي العبــاس عــلى نقــض طاعــة عبيــد اللــه الشيــعي. فلمــا انكشــف أمرهــم قتلهــم؛ وكــان مقتــل تمــام بواسطــة عمــه ماقنــون؛ الــذي كــان واليــا عــلى طرابلــس؛ إذ بعــثــه إليــه عبيــد اللــه برسالــة حملهــا معــه؛ ولمــا فتحهــا عمــه؛ وجــد بهــا الأمــر بقتــل تمــام. ولمــا عرضهــا قنــون عــلى ابــن أخيــه أجابــه: "يــا عــم؛ نفــذ مــا أمِــرْت بــه!" فنفــذ فيــه الأمــر.

"

ـ ثم **هارون بن يونس المسالتي الكتامي** المعروف بشيخ المشائخ (ت: مقتولا سنة 298هـ/910م)؛ وهو من الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. قتله عبيد الله الشيعي بتهمة التآمر عليه مع عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس.

ـ ثم **أبو حميد دواس بن صولات اللهيصي الكتامي** (توفي مقتولا بعد عام 299هـ/911م)؛ وهو من قادة كتامة الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية. ولاه أبو عبد الله الداعي تيهرت؛ بعد فتحها، وإسقاط الدولة الرستمية.

ـ ثم **كادو بن معارك الكتامي** المعروف بالمارطِيِّ (توفي مقتولا سنة 300هـ/912م)؛ كان صغير السن عندما قدمه قومه الكتاميون عليهم، وادعوا أنه المهدي الحقيقي. وفي هذا يقول ابن عذاري: **((ولحق من كان حوالي رقادة من كتامة ببلادهم. فلما حصلوا بها؛ أظهروا الخلاف على عبيد الله؛ وقدموا على أنفسهم حدثا يعرف بالمارطي؛ واسمه كادو ابن معارك، وجعلوه قبلة يصلون إليه؛ وزعموا أنه المهدي المنتظر؛ وكتبوا كتابا فيه شريعة؛ زعموا أنها نزلت عليه. فتغلب على**

جميع الزاب؛ وقوي أمره، واشتدت شوكته. فأخرج إليه عبيد الله قوادا؛ حاربوهم. وهرب إليهم أحد القواد؛ وهو صولات ابن جندة؛ في نحو مائتي رجل. ثم أخرج عبيد الله ابنه أبا القاسم إلى بلد كتامة؛ لمحاربة المارطي... وكانت له على المارطي وقائع. وهرب من قواد أبي القاسم إلى المارطي رجال؛ ثم أمنهم أبو القاسم، ولاطفهم حتى انصرفوا إليه)).[1] ويبدو أن كلمة مارطي هي نتيجة للتصحيف الذي لحق كلمة ماوطي؛ نسبة إلى فخذ ماوطنت؛ التابع لبطن غرسن؛ من كتامة. هذا وقد تم قتل المارطي (أو بالأحرى ماوطي)، وأنصاره؛ بعد أسرهم، ونقلهم إلى رقادة.

ـــ ثم **حباسة بن يوسف الملوسي الكتامي** (توفي مقتولا سنة 302هـ/914م)؛ وهو أحد كبار القادة في الدولة الفاطمية؛ وممن قامت على عاتقهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. كما تولى مهمة فتح سرت، وأجدابية، وبرقة؛ ونكل بأهلها؛ بوصية من أبي عبيد الله الشيعي؛ لسوء معاملتهم له عند قدومه من

---

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص ص: 166 ـــ 167.

"

المشرق. وكان أيضا هو فاتح الإسكندرية؛ إلى جانب أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي سنة 302هـ/914م، ثم انتقل أبو القاسم إلى الفيوم؛ وهنا حدث الخلاف بينهما؛ إذ أرسل إليه أبو القاسم أبو فريدن القائد ليخلفه؛ على أن يلحق به حباسة إلى الفيوم؛ فغضب حباسة وقال: "لما أشرفت على أخذ البلد؛ يفوز أبو فريدن بخيره وذكره"؛ ثم ركب مع ثلاثين فارسا من كتامة، وعاد إلى المغرب؛ قاصدا تيهرت؛ حيث كان أخوه عروبة واليا عليها؛ ولكن قبض عليه في الطريق، وقتل مع أخيه عروبة. وهكذا انتهت هذه الحملة على مصر بانهزام أبي القاسم، وعودته إلى رقادة.

ـ ثم **أبو ميمون عروبة** (أو غَرَوَيْه) **بن يوسف الملوسي الكتامي** (توفي مقتولا سنة 302هـ/914م)؛ أحد كبار القادة في الدولة الفاطمية؛ وهو من الذين قامت بسواعدهم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. عين واليا على تيهرت. وهو الذي نفذ أمر عبيد الله الشيعي في أبي عبد الله الداعي، وأخيه أبي العباس؛ إذ قتلهما قائلا لأبي عبد الله "أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته، وانخلعت له من الملك بعد توطئته"؛ ثم طعنه. وذكر ابن

"

عذاري نادرة؛ جاء فيها: **((وحدث الثقة أن أبا عبد الله نام يوما بحضرة أصحابه. وعنده جماعة من دعاة كتامة؛ فتحرك في نومه؛ فانكشفت سوءته؛ فنظر بعضهم إلى بعض؛ ولم يقدموا أن يستروه؛ فمد عروبة ابن يوسف يده إلى الملحفة التي كانت عليه؛ فستره بها. وانتبه أبو عبد الله؛ فقال: "من سترني إذا انكشف؟" فقالوا له: "عروبة"؛ فقال: "هو والله قاتلي". فجعل عروبة يبكي بين يديه، ويقول: "ياسيدي مر بقتلي"؛ فقال له: "لا سبيل إلى ذلك؛ لكنك والله قاتلي)).**[1] ومع هذا فقد دارت الدوائر على عروبة؛ بعد خروج أخيه حباسة عن طاعة الدولة؛ فحاول الهرب؛ ولكن قبض عليه؛ وأعدم مع أخيه. وجاء في المصادر التاريخية؛ أن رأسيهما عرضا على عبيد الله الشيعي؛ فقال عند مشاهدهما: " ما أعجب أمور الدنيا! هذه الرؤوس ضاق بها المشرق والمغرب؛ وحملتها هذه القفة".

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص: 164.

ـ ثم **أبو حدو الكتامي** (كان حيا سنة 303هـ/915م)؛ وهو من القادة الكتاميين الذين كانوا ضمن الجيش الفاطمي الزاحف على مصر. انتهز فرصة ما؛ وهرب إلى الجيش العباسي؛ فاستقبل بجفاوة؛ ثم أرسل إلى بغداد؛ أين بقي في خدمة الخلافة العباسية.

ـ ثم **أبو مدين بن فروخ اللهيصي الكتامي** (توفي ببرقة سنة 306هـ/918م)؛ وهو من قادة الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. أعاد فتح برقة؛ بعد خروجها عن الطاعة؛ ثم أسندت إليه ولايتها حتى مماته.

ـ ثم **أبو معلوم فحلون الكتامي** (توفي مقتولا سنة 310هـ/922م)؛ وهو من قادة الدولة الفاطمية ببلاد المغرب؛ بعثه عبيد الله إلي جبل أوراس؛ قصد إخضاع سكانه؛ فأساء السيرة فيهم؛ فقتلوه، وممن معه من جند كتامة كافة.

ـ ثم **معلى بن محمد الملوسي الكتامي الداعي** (توفي مقتولا سنة 315هـ/927م)؛ وهو من الدعاة للمذهب الشيعي؛ في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. أرسله أبو القاسم بن عبيد الله مقيدا إلى أبيه برقادة؛ فأمر بقطع رأسه.

"

ـ ثم **أبو مالك بن يغمراسن بن شُحْمة اللهيصي الكتامي** (كان حيا سنة 323هـ/934م)؛ ولي على تيهرت في ظل الدولة الفاطمية؛ فقام عليه أهلها؛ وأخرجوه منها سنة 223هـ/934م.

ـ ثم **موسى بن محمد الكتامي** (كان حيا سنة 349هـ/960م)؛ وهو من قادة الجيش في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب.

ـ ثم **أبو يوسف ماقنون** (أو ماكنون) **ابن ضبارة** (أو دبَّارة) **الأجاني الكتامي** (كان حيا سنة 349هـ/960م)؛ وهو من قادة الدولة الفاطمية بالمغرب؛ ممن أقاموها، ووطدوا أركانها. والي طرابلس، ثم ميلة في عهد الفاطميين.

ـ ثم **يعقوب الكتامي** (كان حيا سنة 349هـ/960م)؛ كان رئيسا للبحر في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب. وكان موصوفا بالشجاعة، والإقدام؛ قاد النجدة البحرية؛ التي وجهت إلى الإسكندرية؛ لدعم أبي القاسم بن عبيد الله عام 306هـ/918م؛ ولكن الحملة فشلت، وأسر يعقوب؛ وأرسل إلى بغداد؛ ولكنه تمكن من الهرب، والعودة إلي إفريقية.

"

ـ ثم **أبو علي جعفر بن فلاح بن مرزوق الكتامي** (توفي مقتولا بالشام سنة 360هـ/970م)؛ وهو أحد القادة الكبار في جيش الدولة الفاطمية. جهزه المعز لدين الله الفاطمي مع جوهر الصقلي لفتح مصر؛ ولما تحقق لهما ذلك؛ وجهه جوهر على رأس جيش لفتح الشام؛ فتم له ذلك. ولما زحف إليه الحسن بن أحمد القرمطي؛ كان آنئذ جعفر مريضا على نهر يزيد؛ فخرج إليه بعلته فظفر به القرمطي، وقتله. وعنه يقول ابن خلكان: **((قال بعضهم: قرأت على باب قصر القائد جعفر بن فلاح المذكور؛ بعد قتله؛ مكتوبا:**

يَا مَنْـزِلاً عَبَثَ الزَّمَانُ بأَهْلِهِ
فَأَبَادَهُمْ بتَفَرُّق لاَ يُجْمَعُ
أيْنَ الذِّينَ عَهِدْتُهُمْ بكَ مَرَّة
كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
ذَهَبَ الذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ
وَبَقى الذِينَ حَيَاتُهُمْ لاَ تَنْفَعُ

"

وكان جعفر المذكور رئيسا جليل القدر؛ ممدوحا؛ وفيه يقول أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي الشاعر المشهور:

كَانَتْ مُسَاءَلَةَ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنِي
عَنْ جَعْفرِ بْنِ فَلاَحٍ أَطْيَبَ الخَبَرِ
حَتَى الْتَقَيْنَا فَلاَ وَاللَّـهِ مَا سَمِعَتْ
أذنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأى بَصَرِي)).

والناس يرون هذين البيتين لأبي تمام في القاضي أحمد بن داود؛ وهو غلط.)).[1] ولا بد من التنبيه إلى سقوط البيت الثالث من النسخة التي حققها إحسان عباس؛ وهي التي تشير إلى ما كتب على باب قصر جعفر؛ بينما أثبته ابن العماد الحنبلي؛ حين نقل الأبيات إلى كتابه شذرات الذهب.

ـ ثم **أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح ابن مرزوق الكتامي** (توفي مقتولا بالقاهرة سنة 409هـ)؛ وهو أحد أكابر الوزراء في الدولة الفاطمية بمصر؛ فلقب بوزير الوزراء؛ ذي الرياستين الآمر، المظفر، قطب الدولة؛ وكان له النظر في شئون الدولة كلها. كما يعد

---

[1] ـ وفيات الأعيان، ج:1، ص ص: 361 ـــ 362 شذرات الذهب، ج: 3 ص: 29.

"

من قادة جيوشها الكبار؛ إذ قاد الجيوش الفاطمية نحو الشام. ولما مرض سنة 406هـ؛ ذهب الحاكم بأمر الله إلى داره لعيادته. وتم مقتله بمؤامرة؛ إذ قتل بواسطة فارسين متنكرين.

ـ ثم **سيف الدولة حسين** (أو طليب) **بن دواس الكتامي** (ت: سنة 411هـ)؛ كان من كبار القادة في الدولة الفاطمية بمصر. وهو الذي دبر مقتل الحاكم بالله الفاطمي؛ بإيعاز من أخته ست الملك. وكانت العلاقة قد ساءت بينه وبين الحاكم؛ فاستدعاه مرة إلى قصره؛ فلم يجبه؛ ولما التقيا في بعض المناسبات؛ سأله عن عدم تلبية طلبه؛ فأجاب: "لأن تقتلني في داري أحب إلي من أن تقتلني في قصرك". واستغلت ست الملك تغير الحال بينهما؛ فأوعزت إلى ابن دواس بقتل أخيها؛ على أن تطلق يده في شئون الدولة بعده؛ ولكنها خانته؛ بعد استكمال مهمته؛ وأمرت من قتله.

ـ ثم **أبو محمد سند الدولة الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامي** (توفي بحلب سنة 415هـ/1024م)؛ أمير من أمراء الدولة الفاطمية؛ ولي على حصن أفامية بالشام، ثم ولي على

"

حلب. كان هو الذي أرسل إليه أبو العلاء المعري "الرسالة السَّندية" وهي في مجلد واحد.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن شعيب أبي مدين بن مخلوف الغشماني** (العثماني) **الكتامي** (توفي مقتولا سنة 709هـ)؛ وهو من الفقهاء المنحدرين من بيت علم وورع؛ ولي خطة الكتابة، والعلامة في الدولة المرينية؛ ولكنه تعرض لمؤامرة من بعض اليهود؛ الذين بثوا الضغينة عليه؛ في قلب السلطان المريني؛ فقتله ظلما؛ ولكنه اكتشف الدسيسة ـ فيما بعد ـ ففتك بالمتآمرين من اليهود.

***

ـ *مواطنهم:* تمتد مواطن كتامة من تخوم بجاية غربا، إلى بونة شرقا، ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى جبل أوراس جنوبا. قد لخصها ابن خلدون بقوله: **((وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة؛ أكثرها لهم، وبين ديارهم، ومجالات تقلبهم؛ مثل: ايكجان، وسطيف، وباغاية، ونقاوس، وبلزمة، ويتكست، وميلة، وقسنطينة، والسيكرة، والقل، وجيجل؛ من حدود جبل أوراس، إلى سيف البحر؛ ما**

"

بين بجاية، وبونة... وكان من هذه البطون (الكتامية) بالمغرب الأقصى كثير منتدبون عن مواطنهم، وهم بها إلى اليوم)).[1]

....

7 ـ كزولة:

لا يوجد الكثير مما يمكن أن يقال بخصوص **كزولة** أو (جزولة)**.** وكل ما هناك؛ أن جدهم غير معروف؛ وأنهم اخوة لصنهاجة ولمطة وهسكورة؛ من أمهم المسماة **تصكي العرجاء بنت زحيك بن مادغيس الأبتر.** ويقال أنها تزوجت ـ بعد ذلك ـ من أوريغ؛ فولدت له هوار؛ وهكذا يصبح ـ بدوره ـ أخا لهم من أمهم تصكي**.** ويقول ابن خلدون أن بطون كزولة كثيرة**.** وهم ظواعن؛ ينتجعون بأنعامهم في بلاد السوس**.** ومن أفخاذ كزولة فخذ يسمى يزدكتن؛ ببلاد السوس**.** وبعد دخول عرب المعقل إلى تلك الديار؛ تغلبوا على بطون كزولة، وأدرجوهم ضمن رعاياهم.[2]

! ! !

---

[1] العبر مج: 6، ص: 301.

[2] العبر مج: 6، ص ص: 419 ـــ 420.

"

ـ **أعيانهـم:** اشتهـر مـن هـذه القبيلـة عـدد مـن العلمـاء؛ الذيـن خلفـوا أثـرا محمـودا في بـلاد المغـرب كلهـا. مـن هـؤلاء:

ـ **عبـد اللـه بـن ياسيـن بـن مكـوك بـن سيـر علـي بـن ياسيـن الجـزولي** (تـوفي بتامسنـا سنـة 451هـ/1059م)؛ كـان فقيهـا مالكيـا؛ درس العلـم بالسـوس؛ علـى واجـاج بـن زلـو اللمـطي. ولمـا وصـل خطـاب أبي عمـران الفـاسي إلى واجـاج؛ طالبـا فيـه البحـث عـن فقيـه؛ يتوجـه مـع زعيـم صنهاجـة إلى بلـده في الصحـراء؛ لـكي يعلمهـم دينهـم. وقـع اختيـاره علـى عبـد اللـه بـن ياسيـن؛ فأرسلـه معهـم. فكـان بينهـم بمثابـة ابـن تومـرت بيـن الموحديـن؛ إذ أضـحى زعيمـا روحيـا لديهـم؛ يطيعـه الكبيـر والصغيـر فيهـم. وكانـوا لا يقدمـون إلى إمامـة الصـلاة بينهـم إلا مـن صـلى خلـف عبـد اللـه بـن ياسيـن. وكـان يرافـق الجيـوش المرابطيـة في الغـزوات. وتـوفي مقتـولا في إحداهـا.

ـ ثـم **أبـو مـوسى عيـسى بـن عبـد العزيـز بـن يللبخـت بـن عيـسى بـن يومار يـلي اليَزْدَكْتَـني المراكـشي الجـزولي** (تـوفي بمراكـش غيـر أن الآراء اختلفـت في سنـة الوفـاة: 606 أو607 أو610 أو616

"

أو617هـ/1209 أو 1210 أو 1213 أو 1219 أو 1220م)؛ وهو من علماء اللغة، والنحو. كما كان إماما في القراءات. رحل إلى المشرق؛ حيث حج؛ ثم انتقل إلى مصر؛ أين درس فيها على ابن بري الجمل؛ وقام بالتعليق عليها في تسجيلاته. ثم عاد إلى المغرب؛ حيث تصدر لتدريس النحو مدة طويلة في، والجزائر، والمرية. كما وُلِي خطة الخطابة بمراكش. من مؤلفاته: رسالة في النحو بعنوان: الجزولية، وشرح قصيدة بانت سعاد، وكتاب الأمالي في النحو، ومختصر شرح ابن جني لديوان المتنبي؛ وهو كتاب الفَسْر. قال عنه ابن خلكان: **((كان إماما في النحو؛ كثير الإطلاع على دقائقه، وغريبه، وشاذه. وصنف فيه المقدمة التي سماها القانون؛ ولقد أتى فيها بالعجائب؛ وهي في غاية الإيجاز؛ مع الاشتمال على شيء كثير من النحو؛ ولم يسبق إلى مثلها؛ واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها؛ ومنهم من وضع لها أمثلة... وكان إماما في القراءات، والنحو، واللغة. وكان يتصدر في الجامع للإقراء؛ وأنه شرح مقدمته في مجلد كبير؛ أتى فيه بغرائب، وفوائد. وذكر بعض أصحابه أنه حضر عنده**

"

ليقرأ عليه قراءة أبي عمرو؛ فقال بعض الحاضرين: "أتريد أن تقرأ على الشيخ النحو؟" قال: فقلت: "لا". قال: فسألني آخر كذلك. فقلت: "لا"، فأنشد الشيخ، وقال: "قل لهم:

لَسْتُ لِلنَّحْوِ جِئْتُكُمْ لاَ وَ لاَ فِيهِ أرْغَبُ

خَلِّ زَيْدَاً لِشَأنِهِ أيْنَمَا شَاءَ يَذهَبُ

أنَا مَا لِي وَلامْرَيءٍ أبَدَ الدَّهْرِ يَضْرِبُ")).[1]

ـــ **ثم أبو فارس عبد العزيز بن تليلا الجزولي** الشهير بالجزولي (توفي بأزمور سنة 680هـ/1281م)؛ فقيه مالكي، ومفتي؛ تصدر للتدريس بازمور. ثم اتجه نحو التصوف، وكان معظما من طرف السلطان أبي الحسن المريني.

ـــ **ثم أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي** (توفي بفاس سنة 741 أو 744هـ/1340 أو 1343م)؛ وهو من كبار العلماء في الفقه المالكي. قيد طلبته نقلا عنه ثلاثة شروح على رسالة أبي زيد؛ أولها في سبعة مجلدات، وثانيها في ثلاثة مجلدات، وثالثها في مجلدين اثنين.

---

[1] وفيات الأعيان، ج: 3 ص ص: 488 ـــ 490.

"

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي** المعروف بابن الحاج (توفي بفاس سنة 758هـ/1356م)؛ عالم متفنن؛ له اهتمام بفنون عديدة. كان خطيبا بليغا، وكاتبا بارعا، وأديبا محنكا. ولي الخطابة والقضاء بفاس زمنا.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سليمان بن داود الجزولي** (ت: سنة 863هـ/1458م)؛ وهو من علماء الفقه، والعربية، والحساب. مات أبوه وهو في الثامنة تقريبا. فتجول رفقة أخيه عيسى بمراكش؛ وبعدها رحل من بلاد جزولة ـ بعد أن تلقى بها شيئا من العلم ـ قاصدا فاسا، ثم تلمسان؛ أين تلقى علوما مختلفة بهما؛ ثم توجه إلى تونس، فالقاهرة؛ للغرض نفسه. وبعدها ذهب إلى الديار المقدسة؛ حيث زار المدينة؛ ثم استقر بمكة؛ أين تصدر للتدريس، والإفتاء بها. قال عنه القرافي: **((كان بارعا في الفقه، والأصلين؛ متقدما في العربية)).**[1]

ـ ثم **محمد بن سليمان الجزولي** (توفي مسموما بآفغال سنة 870هـ/1465م)؛ وهو فقيه من أهل الصلاح. من مؤلفاته دلائل الخيرات،

---

[1] **توشيح الديباج، ص: 206.**

"

وحـــزب الفـــلاح، وحـــزب الجـــزولي؛ وهـــو بالعاميـــة. ولـــه أتبـــاع يدعـــون "الجزوليـــة" وهـــم عـــلى الطريقـــة الشاذليـــة.

ـــ ثـــم **أبـــو الحجـــاج يوســـف التغاتيـــني الجـــزولي** (تـــوفي في حـــدود سنـــة 900هـــ/1494م)؛ فقيـــه؛ لـــه شـــرح عـــلى ابـــن الحاجـــب.

ـــ ثـــم **أحمـــد بـــن مـــوسى الجـــزولي** (ت: سنـــة 927هـــ/1520م)؛ فقيـــه جزولـــة في وقتـــه؛ ووصفـــه صاحـــب درة الحجـــال بـــ **((عمـــدة بـــلاد جزولـــة))**.

ـــ ثـــم **عبـــد المسيـــح** (أو عبـــد السميـــح) **بـــن محمـــد القنفيـــسي الجـــزولي** (تـــوفي بعـــد عـــام 940هـــ/1533م)؛ فقيـــه بـــلاد جزولـــة في وقتـــه.

ـــ ثـــم **أبـــو إسحـــاق إبراهيـــم بـــن سعيـــد الجـــزولي** (ت: سنـــة 986هـــ/1578م)؛ فقيـــه؛ لـــه اهتمـــام ومشاركـــة في الأصليـــن؛ وكـــان يستظهـــر مختصـــر خليـــل بالكامـــل.

ـــ ثـــم **محمـــد بـــن محمـــد بـــن عـــلي التافجـــروني الـــدرعي الجـــزولي** (تـــوفي بفـــاس سنـــة 988هـــ/1580م)؛ فقيـــه؛ رحـــل إلى مصـــر وحـــج؛ ثـــم عـــاد؛ بعـــد تـــزوده بالعلـــم.

***

"

ـ ***مواطنهم:*** يمكن تحديد مواطن كزولة بأرض السوس؛ حيث يتنقلون في ربوعها؛ طلبا للكلأ. وهم بذلك يجاورون قبيلة لمطة؛ التي تناصبهم العداء؛ إذ كانت تنشب بينهم الفتن؛ بين الحين والآخر. كما أنهم موزعون بين القبائل في المغرب الأوسط. إذ ينسب إليهم جبل كزول؛ القريب من تيهرت.[1]

8ـ لمطة:

فالذي قيل عن قبيلة كزولة يصدق قوله على قبيلة **لمطة.** فهم ـ بدورهم ـ لا يعرف اسم أبيهم؛ أما أمهم فهي **تصكي العرجاء**؛ تلك الأم الأسطورية؛ المشتركة بينهم، وبين كل من: صنهاجة، وكزولة، وهسكورة، وهوارة. حتى وإن كان بعضهم ينسب صنهاجة إلى عاميل بن زعزاع، وهوارة إلى أوريغ بن برنس؛ فإن أباء: لمطة، وكزولة، وهسكورة غير معروفين. وعلى الرغم من قول ابن خلدون بكثرة شعوب لمطة؛ فأنه لم يذكر سوى

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 419، 420.

"

قبيلتين اثنتين؛ هما: قبيلة **زكن**، وقبيلة **لخس**. وقد أضحت هاتان القبيلتان في عداد قبيلة ذوي حسان الهلالية؛ بينما ظل الآخرون من أبناء لمطة في أعماق الصحراء؛ بين الملثمين من صنهاجة.[1]

! ! !

ــ ***أعيانهم:*** ومن أعيان لمطة وعلمائها المذكورين:

ــ **واجاج** (واكاك) **بن زلو اللمطي** (كان حيا سنة 440هـ/1048م)؛ وهو من سكان السوس الأقصى؛ انتقل إلى القيروان؛ حيث تلقى العلم بها عن أبي عمران الفاسي؛ وبعد عودته إلى السوس؛ شيد داراً سماها: "دار المرابطين"؛ وخصصها لطلبة العلم، وقراءة القرآن الكريم.

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 420.

"

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن وقاص الميورقي اللمطي** (توفي مقتولا بميورقة سنة 580هـ/1184م)؛ فقيه، ومفتي ميورقة؛ ولي الخطابة والصلاة بجامعها أيضا. كان قد رحل إلى المشرق، وحج.

ـ ثم **علي بن اللمطي** (توفي مقتولا سنة 602هـ/1205م)؛ كان كاتبا ليحيى بن غانية. وقتل في وقعة تاجرا بين ابن غانية، وجيش الموحدين؛ بقيادة عبد الواحد بن أبي حفص.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن محمد بن وقاص الميورقي اللمطي** (توفي في حدود سنة 618هـ/1221م)؛ فقيه، ومحدث؛ ولي الصلاة، والخطبة بجامع ميورقة. قال فيه ابن الأبار: **((وكان خطيبا مصقعا؛ بليغا مفوها؛ يقرض يسيرا من الشعر؛ أخذ عنه))**.[1]

ـ ثم **مجير الدين عمر بن عيسى بن نصر ابن محمد بن علي بن اللمطي** (توفي بقوص سنة 721هـ/1321م)؛ وهو من أصدقاء أبي حيان النفزي؛ قال فيه محمد ابن شاكر الكتبي: **((كان صحيح الود، حافظ العهد حسن الصحبة))**.[2] اشتغل ـ بعض الوقت ـ كاتبا

---

[1] التكملة، ج: 2، ص: 608.

[2] فوات الوفيات، ج: 3، ص: 139.

"

لـــدى ابـــن دقيـــق القشيـــري؛ القـــاضي بمصـــر. لـــه اهتمـــام بعلـــوم العربيـــة؛ ولـــه أشعـــار مدحهـــا أبـــو حيـــان، ووصفهـــا بالجيـــدة؛ وكـــان قـــد نقلهـــا عنـــه. مـــن شعـــره:

أَبى الدَّمْعُ إلاَّ أنْ يَفِيضَ وَأنْ يَجْـــرِي
عَلَى مَا مَضَى مِنْ مُدَّةِ النَّأيِ مِنْ عُمْرِي
وَمَالِيَ إنْ كَفَفْتُ مَـــاءَ مَحَاجِـــرِي
وَقَدْ بَعُـــدَتْ دَارُ الأَحِبَّـــةِ مِنْ عُـــذرِ
أمَا إنَّه لَـــوْلاَ اشْتِيَـــاقِي لِذِكْرِهِـــمْ
وَلاَ شَـــوقَ إلاَّ مَـــا يُهَيَّـــجُ بِالذكْـــرِ
لَمَا شَاقَنِي نَظْمُ القَرِيـــضِ وَلاَ صَبَـــا
فُؤَادِي عَلَى البَلْوَى إلَى عَمَلِ الشِّعْـــرِ
وَكَانَ لِمِثْـــلِي عَنْ أفَانيـــنَ مَنْطِـــقِي
هُنَالِكَ مَا يُلْـــهِي عَنِ النَّظْـــمِ وَالنَّثْـــرِ

ولـــه أيضـــا:

جَفْـــنٌ قَرِيـــحٌ بِالْبُكَـــاءِ مُوَكَّـــــلُ
فَعَلَـــتْ بِهِ العَبَـــرَاتُ مَا لاَ يُفْعَـــلُ
وَجَوَانِحٌ مِـــنِّي عَلَى شَحَـــطِ النَّـــوَى
أضْحَتْ تُمَزِّقُ فِي الهَوَى وَتُوَصِّـــلُ

"

عَجَبــاً لِحُكْــمِ الحُــبِّ فِيَّ، فَلَيْتَــهُ
يَوْماً يَجُــورُ بِــهِ وَيَوْمــاً يَعْــدِلُ

إِنِّي وَإِنْ أمْــسَى يُحَمِّلُــنِي الهَــوَى
مِنْ ثِقْلِــهِ فِي الحُبِّ مَا لاَ يُحْمَــلُ

فَلَقَــدْ حَلَتْ مِنْهُ مَــرَارَاتُ الجَــوَى
عِنْــدِي وَخَــفَّ لَــدَيَّ مَا يُسْتَثْقَــلُ

لاَ يَطْمَــعِ اللُّــوَامُ فِي تَــرْكِ الهَــوَى
إنْ كَثَّــرُوا مِنْ لَوْمِهِــمْ أوْ قَلَّلُــوا

لَهْفِي عَلَى زَمَــنِي بِمُنْعَــرَجِ اللِّــوَى
وَالشَّمْــلُ مُجْتَمِعٌ وَجَــدِّيَ مُقْبِــلُ

مَا كَانَ أهْنَــا العَيْــشَ فِيــهِ فَلَيْتَــهُ
لَــوْ دَامَ مِنْــهُ رَيْثَمَــا أتَأمَّــلُ

ولــه كذلــك:

وَزَهَّــدَنِي فِي الخِــلِّ أنَّ وِدَادَهُ
لِرَهْبَةِ جَــاهٍ أَوْ لِرَغْبَــةِ مَــالِ

فَأصْبَحْتُ لاَ أرْتَــاحُ مِنْهُ لِرُؤْيَــةٍ
وَلاَ أرْتَجِي نَفْعاً لَدَيْــهِ بِحَــالِ

"

ـ ثم **عبد العزيز بن محمد البوفرجي اللمطي** (توفي بفاس سنة 899هـ/1493م)؛ فقيه، وخطيب القرويين.

ـ **عبد العزيز بن عبد الواحد الميموني اللمطي** (توفي بالمدينة المنورة سنة 980هـ/1572م)؛ ورد هذا التاريخ في درة الحجال؛ لابن القاضي؛ بينما أرخ الزركلي وفاته في سنة 880هـ/1475م. وهو من الفقه، والنحو؛ ألف ألفية في النحو تضاهي ألفية ابن مالك، كما أعد تقييدا على مختصر خليل، وكتاب منهج الوصول، وكتاب مهيع السالك للأصول، ونظم جواهر السيوطي؛ في علم التفسير، وكتاب درر الأصول، وكتاب نتائج الأنظار، وكتاب نخبة الأفكار، وكتاب الجدل، وكتاب نزهة الألباب؛ في الحساب وغيره.

ـ ثم **إبراهيم بن أحمد اللمطي** (ت: سنة 988هـ/1580م)؛ كان أستاذا ؛ وكان يعلم الصبيان؛ فانتفع به عدد كبير من الناس.

ـ ثم **أبو مالك عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الميموني اللمطي** (توفي بالجزائر سنة 988هـ/1580م)؛ وهو من علماء الفقه،

"

والفرائض، والنحو. رحل من فاس إلى الجزائر؛ أين استقر بها، وتوفي فيها.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الواحد الميموني اللمطي** (ولد بعد عام 940هـ/1533م)؛ كان يستظهر مختصر ابن الحاجب؛ وهو أستاذ في النحو؛ أخذ علومه عن والده أبوعمر عثمان اللمطي، وابن غازي.

***

ـ ***مواطنهم:*** ذكر ابن خلدون أن مواطن لمطة؛ تمتد بجوار مواطن الملثمين الصنهاجيين؛ وأكثر أحياء لمطة ظواعن؛ يرتحلون طلبا للنجعة؛ وهم بذلك يصنفون ضمن أهل الوبر. وتتواجد قبيلتان منهم ببلاد السوس؛ هما: **زكن، ولخس.** منهم من اختار الصحراء موطنا، ومنهم من ساح في السهوب الجنوبية لتلمسان، وإفريقية. ولهم بقية ـ الآن ـ مستوطنة بجبل زالغ المشرف على فاس.[1]

....

[1] أنظر العبر، مج: 6، ص:420. وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 332.

"

9 ــ مصمـــودة:

يكتنـــف نســـب مصمـــودة بعـــض الغمـــوض؛ فبينمـــا يتجاهـــل ابـــن حـــزم ذكـــر تسلســـل نسبهـــم؛ مخالفـــا ــ بذلـــك ــ عادتـــه؛ الـــتي اتبعهـــا مـــع جـــل القبائـــل البتريـــة؛ نـــراه ــ مـــع ذلـــك ــ يتطـــرق إلى نتفـــة مـــن نسبهـــم بـــشيء مـــن الاحتشـــام، والاضطـــراب معـــا؛ حيـــن يقـــول: أنهـــم أبنـــاء **مصمـــود بـــن يونـــس بـــن بربـــر.** ثـــم يتخلـــص حيـــن ينتقـــل مباشـــرة إلى تعـــداد قبائلهـــم؛ إذ يقـــول أنهـــم: **بطـــون برغواطـــة، وغمـــارة، وأهـــل جبـــل درن.** وفي الفصـــل المخصـــص لأهـــل جبـــل درن؛ يذكـــر أسمـــاء قبائـــل مصمـــودة؛ وهي: **آصـــادن وتينملـــل وحاحـــة ودكالـــة وركراكـــة وغمـــارة وكدميـــوة وكنفيســـة وهرغـــة وهزميـــرة وهنتاتـــة وهيلانـــة وووريكـــة وواوزكيـــت.** وفي مواضـــع أخرى يضيـــف إليهـــم: **برغواطـــة وكـــلاوة وهزرجـــة.** علمـــا بأنـــه يصـــر عـــلى كـــون برغواطـــة قبيلـــة مصموديـــة.[1]

وبمقابلـــة أسمـــاء القبائـــل المصموديـــة الـــتي وردت في العبـــر؛ مـــع مـــا جـــاء في المقتبـــس مـــن كتـــاب الأنســـاب في معرفـــة الأصحـــاب، ومـــا ورد في كتـــاب قبائـــل المغـــرب؛ يتضـــح الآتي: فبالنسبة إلى قبيلـــة

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 427 ـــ 428. 460 ـــ 471.

"

اصـــادن؛ يذكـــر ابـــن خلـــدون مـــن بطونهـــم: **مسفـــاوة، وماغـــوس**؛ مـــع احتمـــال انتســـاب غمـــارة، ورهـــون، وأمـــول إليهـــم أيضـــا. أمـــا صاحـــب كتـــاب الأنســـاب؛ فيصنفهـــم مـــرة ضمـــن هسكـــورة الظـــل؛ باســـم **آيْصّـــاد**(صـــادة)، ومـــرة أخـــرى ضمـــن فقـــرة القبائـــل باســـم **آصّـــادَن** (صـــادة). وإليهـــم تنســـب المدينـــة الأزليـــة اصـــادة؛ الـــتي قـــال البكـــري: أنهـــا تقـــع جنـــوب مدينـــة يُجاجيـــن؛ التابعـــة لبـــني مســـارة مـــن مصمـــودة. أمـــا قبيلـــة **تينملّـــل**؛ فذكـــر منهـــا صاحـــب كتـــاب الأنســـاب إحـــدى عشـــر فخـــذا. وتكـــاد منـــزلـــة قبيلـــة تينملـــل ـــ بيـــن الموحديـــن ـــ تســـاوي منـــزلـــة هرغـــة؛ قبيلـــة المهـــدي؛ بسبـــب أسبقيتهـــم في نصـــرة الدعـــوة، ولجـــوء المهـــدي إليهـــم، وبنـــاء مسجـــده، ومترلـــه بينهـــم. وقـــد لحـــق بهـــم مـــا لحـــق بهرغـــة مـــن الفنـــاء، والاندثـــار؛ بعـــد أن أكلتهـــم الأقطـــار، والحـــروب. وأضحـــت بقاياهـــم في حكـــم غيرهـــم مـــن المصامـــدة. ويقـــول ابـــن منصـــور أنهـــم أصبحـــوا يعرفـــون بأهـــل وادي نفيـــس؛ الذيـــن يتواجـــدون ـــ الآن ـــ في الجهـــة الجنوبيـــة الغربيـــة مـــن مراكـــش؛ إلى جـــوار قريـــة أميزميـــز. أمـــا قبيلـــة **حاحـــة**؛ فلـــم يرد اسمهـــم بيـــن قبائـــل الموحديـــن في كتـــاب الأنســـاب؛

"

ولكنهم ذكروا في بعض المواضع من كتاب أخبار المهدي؛ كمخالفين للموحدين. ويقول ابن خلدون أن بطني: زكن، وولخص البدويان من حاحة. وهم ضمن حلف ذوي حسان بالسوس. وقال عنهم ابن منصور أن قبائلهم عديدة؛ ويحملون الاسم القديم نفسه، ويسكنون بمواطنهم الأولى؛ على ساحل البحر؛ بين أكادير، والصويرة.

وأما قبيلة **دكالة**؛ فهي الأخرى لم تكن ضمن الحلف الذي يجمع قبائل الموحدين؛ وإن أشار إلى اسمها صاحب كتاب الأنساب بوجود بعض الفئات منهم ضمن قبيلة كدميوة كمهاجرين. أما غالبيتهم فقد انحازوا إلى المرابطين. ويبدو أن موقفهم هذا.. أوهم النسابين بانتمائهم إلى صنهاجة. ومواطنهم في ساحة الجبل من جهته الشمالية؛ ومن مراكش إلى البحر المحيط غربا. وهناك يوجد رباط آسفي؛ الذي اشتهر بأحد بطون دكالة؛ وهم بنو ماكر. وتجاورهم في تلك الجهات قبيلة حاحة. وتوجد بآخر أوطانهم؛ وإلى الجنوب منها؛ بلدة دنست؛ التي يستقر فيها رؤساء دكالة؛ الذين ينتسبون إلى بطن منهم اسمه مغراوة. وبالطبع.. فهم ليسوا من مغراوة

الزناتية. ومن أولائك الرؤساء: إبراهيم بن حسين بن حماد بن حسين، ثم ابنه محمد ابن ابراهيم، ثم ابن عمهم خالد بن عيسى ابن حماد. وكانوا جميعهم في عهد بني مرين. واشتهرت دكالة بوفرة جبايتها، واتساع مغارمها. ويقول ابن منصور أنها بقيت إلى الآن في مواطنها الأولى؛ في السهول الساحلية؛ بين وادي أم الربيع، ووادي نسيفة (تنسيفت). وأن قبائلهم كثيرة؛ اختلطوا مع العرب الهلاليين، واندمجوا فيما بينهم. ومنذئذ انقسمت دكالة إلى قسمين: **دكالة الحمراء**؛ المتمركزة جنوبا؛ حول آسفي؛ وهي معروفة — الآن — باسم **عبدة**، ثم **دكالة البيضاء**؛ المتمركزة شمالا؛ وقد احتفظت باسم **دكالة**. وأما قبيلة **ركراكة**؛ فيقولون أنها أسبق قبائل المغرب الأقصى إلى الدخول في الإسلام؛ وذكرهم صاحب كتاب الأنساب ضمن فقرة القبائل. يقول صاحب قبائل المغرب: أن مواطنهم الأولى كانت على ضفتي وادي نسيفة (تنسيفت)؛ وبالتحديد.. عند مصبه في البحر. ومن بقي منهم؛ اندرجوا ضمن قبائل أخرى.

أما قبيلة **غمارة؛** فلهم شهرة خاصة؛ بسبب دورهم المتميز بين قبائل مصمودة؛ إذ كانوا السباقين لإقامة الدول المصمودية. كما ساهموا في صنع الأحداث التاريخية ببلاد المغرب. وهم أبناء **غمار بن مصمود.** وربما غمار بن مسطاف بن مليل بن مصمود. أو غمار بن أصاد بن مصمود. لهم بطون كثيرة جدا؛ وذكر منها ابن خلدون: **أغصاوة وبني حميد وبني زروال ومتيوة ومجكسة وبني نال.** ومواطنهم الأولى كانت في جبال الريف المغربي؛ وتمتد على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط، وحتى ساحل المحيط الأطلسي؛ مشتملة على: غساسة، فنكور، فبادس، فتيكيساس، فتيطاوين، فسبتة، فالقصر؛ حتى طنجة. ثم تنحدر أوطانهم إلى بسائط قصر كتامة، ووادي ورغة؛ وتمتد إلى حدود تامسنا؛ أين تتواجد برغواطة.

أما قبيلة **كدميوة؛** وهم من قبائل الموحدين؛ فيقول عنهم صاحب كتاب الأنساب: أنهم يتفرعون على 46 فخذا. وصنفهم إلى صنفين: **كدميوة الجبل، وكدميوة الفحص.** ويتواجدون في المناطق الجنوبية من مراكش؛

حيث تقع قرية أميزميز. والجبل الذي يسكنون فيه بجوار جبل هنتاتة. من رؤسائهم أيام الموحدين؛ بنو سعد الله. وفي عهد بني مرين خالفهم شيخ كدميوة؛ يحيى بن سعد الله؛ بامتناعه عن دفع الضرائب؛ فانتهى أمره إلى الهلاك. ثم تقلد رئاسة كدميوة ــ لفترة قصيرة ــ أحد المنافسين ليحيى وهو عبد الكريم بن عيسى؛ ولكنه قتل بدوره من طرف المرينيين. وبعده عادت رئاستهم إلى أسرة بني سعد الله.

أما قبيلة **كلاوة**؛ فلا نعرف عنها ما يكفي؛ سوى أنها تنقسم إلى فرعين: كلاوة شمالية؛ في دائرة أولاد آيت ورير، وكلاوة جنوبية؛ في دائرة وزرزازات. وهم جميعا بالجهة الجنوبية الشرقية من مراكش. أما قبيلة **كنفيسة**؛ فهي ــ أيضا ــ من قبائل الموحدين. وذكر صاحب كتاب الأنساب منهم 22 فخذا. أما ابن خلدون فاكتفى بذكر بطن واحد منهم؛ أعطاه مرتبة قبيلة؛ هي سكسيوة أو (سكساوة)؛ التي قال أن موطنهم: ((**بأمنع المعاقل من هذا الجبل. يطل جبلهم على بسيط السوس من القبلة؛ وعلى ساحل**

"

البحر المحيط من الغرب؛ ولهم بمنعة معقلهم ذلك؛ اعتزاز على أهل جلدتهم)).[1] أما قبيلة **هرغة** (أرغن)؛ فهي قبيلة المهدي؛ وعليه.. فلها مترلة خاصة بين قبائل الموحدين. إذ كانت من بين أولى القبائل تعصبا للدعوة الموحدية. وقد ذكر صاحب كتاب الأنساب من أفخاذهم حوالي 15 فخذا؛ دون المضافين إليهم. ولكنهم فنوا، واندثروا؛ وفي عهد ابن خلدون لم يبق منهم سوى أخلاط، وأوشاب؛ في حكم غيرهم من المصامدة. أما قبيلة **هزميرة**؛ فلم يكونوا ضمن حلف قبائل الموحدين؛ وكل ما نعلمه عنهم أهم تعرضوا للتصفية من طرف جيوش الموحدين. وأهم كانوا يسكنون حوز مراكش.

أما قبيلة **هنتاتة** (ينتي)؛ فتأتي في المرتبة الثالثة؛ بعد هرغة، وتينملل. وذكر صاحب كتاب الأنساب منهم تسع أفخاذ. وكانت مواطنهم في جبل درن المتاخم لمراكش. ومن أهم شيوخهم؛ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي؛ صاحب المهدي، وجد ملوك الدولة الحفصية بتونس. ثم أبو محمد بن يونس؛ وهو من

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 462.

"

وزراء الدولة الموحدية. ومنهم ـ أيضا ـ علي ابن محمد، وموسى بن علي بن محمد، وعبد العزيز بن محمد؛ وكلهم من أسرة أولاد يونس؛ الذين اضطلعوا بخدمة الدولة المرينية؛ منذ انحيازهم إلى أصحابها؛ في أواخر الدولة الموحدية؛ بعد الجفاء الذي حصل بين سلاطين الدولة الموحدية، وبين الهنتاتيين؛ في آخر عمرها.

أما قبيلة **هيلانة** (إيلانة)؛ فجاء في كتاب مفاخر البربر: أنهم ينتسبون إلى إيلان بن مصمود؛ ثم ينقل عن أبي عبد الله بن أبي المجد؛ صاحب كتاب الأنساب؛ زعمه بكون إيلانة من أصول عربية. ومواطنهم كانت بجوار مراكش؛ وبهم يسمى باب إيلان بتلك المدينة، كما تنسب إليهم أغمات إيلان. ويبدو أنهم اندثروا الآن. ومنهم الفقيه المؤرخ أبو علي صالح بن الشيخ الولي أبي صالح عبد الحليم الإيلاني نزيل نفيس(كان حيا سنة 712هـ/1312م).

أما قبيلة **وريكة** (ايوريكن)؛ فهم بجوار هنتاتة؛ وكانت بينهم ـ في القديم ـ فتن، واقتتال دائم. ولما قامت الدولة الموحدية؛ تعزز نفوذ الهنتاتيين؛ وقويت شوكتهم بالولاية؛ فخضعت إليهم وريكة، وصارت في جملتهم.

"

ومواطنهم معلقة في الجبال الشاهقة؛ المطلة جنوب مراكش؛ على أطراف الوادي المنسوب إليهم. أما قبيلة **وازكيتة** (واوزككيت)؛ ذكرهم صاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ضمن أهل تينملل. ويقول ابن منصور أنهم ــ الآن ــ يتواجدون في مواطنهم الأولى بالقرب من مراكش؛ وهم على فرعين: فرع **وزكيتة**؛ بجوار آسني، وفرع **آيت واوزكيت**؛ بجوار ورزازات؛ ويتكونون من 25 قبيلة؛ كما اندرجت بعض أفخاذهم ضمن قبائل أخرى.

أما **برغواطة**؛ فقد اختلف المؤرخون، والنسابون في تحديد نسبهم؛ فبعضهم يميلون إلى الاعتقاد بأنهم خليط من قبائل عديدة؛ **بترية**، **وبرنسية**؛ تجمعوا في حلف يسمى **برغواطة**؛ نسبة إلى **قرية برباط** في الأندلس؛ حيث نشأ صالح ابن طريف؛ مؤسس دولتهم؛ ومن هؤلاء: البكري، وصاحب كتاب مفاخر البربر، ولسان الدين بن الخطيب. أما الآخرون فيرون بأن برغواطة قبيلة من قبائل مصمودة؛ وينكرون هذه الرواية؛ وأبرز هؤلاء ابن خلدون؛ الذي يستند ــ كعادته ــ إلى حجة الموطن الذي يجاور مصمودة. ويقول: ((**وقد**

"

يغلط بعض الناس في نسب برغواطة هؤلاء؛ فيعدهم في قبائل زناتة، وآخرون يقولون في صالح أنه يهودي؛ من ولد شمعون بن يعقوب... وقيل له برباطي؛ نسبة إلى الموطن الذي نشأ به؛ وهو برباط؛ وادٍ بفحص شريش من بلاد الأندلس؛ فعربت العرب هذا الاسم؛ وقالوا برغواط. ذكر ذلك كله صاحب نظم الجوهر، وغيره من النسابين للبربر. وهو من الأغاليط البينة. وليس القوم من زناتة؛ ويشهد لذلك كله موطنهم، وجوارهم لإخوانهم المصامدة. أما صالح بن طريف؛ فمعروف منهم؛ وليس من غيرهم. ولا يتم الملك، والتغلب على النواحي، والقبائل لمنقطع جذمة، دخيل في نسبه. سنة الله في عباده. وإنما نسب الرجل في برغواطة؛ وهم شعب من شعوب المصامدة معروف)).[1]

ونلاحظ – هنا – كيف يعلل ابن خلدون موقفه بأمرين: **الموطن، والنسب**. وكلا الأمرين؛ فيهما قول. فبالنسبة للموطن؛ فقد سبق أن أشرنا إلى شواهد أخرى؛ تثبت أن كثيرا من القبائل المتباينة الأنساب؛ تعيش في مواطن قريبة،

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 434 ـــ 435.

"

ومتداخلة مع بعضها. وأبرز مثال — في هذا المجال — اختلاط قبائل مصمودة، مع قبائل صنهاجة وغيرها؛ في موطن واحد؛ كـ: كزولة ولمطة وهسكورة. ومن جهة أخرى؛ فمواطن برغواطة — في الأصل — هي مواطن لزناتة وزواغة؛ وليست لمصمودة فحسب.[1] أما قضية النسب؛ فابن خلدون بنفسه؛ وضع بعض الاستثناءات في نظريته عن العصبية إذ يقول: **((أنه يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصبية)).**[2] وصالح بن طريف كما نعلم؛ من أهل النصاب الملكي؛ نظرا لمرتبة والده بين الأمازيغ الثوار؛ على الحكم الأموي. أما قبيلة **هزرجة** (ايليزركن)؛ فقد ورد اسم هذه القبيلة في كتاب الأنساب؛ ضمن فقرة القبائل. ويعتقد ابن منصور أن قبيلة الزرقيين؛ المتواجدة في جنوب وادي درعة؛ ممن تبقى من هزرجة.

---

[1] أنظر البكري؛ المغرب، ص: 135. وقبائل المغرب، ج: 1، ص: 323.

[2] المقدمة، ج: 2، ص: 635.

"

وقد تركت قبائل مصمودة أثرا كبيرا في تاريخ دول المغرب الأقصى. فمنذ الفتح الإسلامي برزت منهم غمارة؛ بشمال المغرب الأقصى؛ حيث شيدت إمارة غمارية بجتة في سبتة؛ عرفت بدولة بني عصام، ثم إمارة أخرى في حمايتهم وحماية صنهاجة؛ في نكور؛ كان يتأمر عليها عربي؛ هو صالح بن منصور الحميري. هذا بالإضافة إلى البدع التي ظهرت في أوساط تلك القبيلة؛ مثل: تنبؤ حاميم بن من الله بن حريز الغماري، وتنبؤ عاصم بن جميل اليزدجومي الغماري. ويخالف ابن خلدون من سبقه؛ بخصوص برغواطة؛ كما سبقت الإشارة إليه. وإن صح ما يزعم ابن خلدون؛ في كون برغواطة من مصمودة. عندئذ تضاف بدعة أخرى إليهم؛ تتمثل في النحلة البرغواطية. تلك النحلة التي يزعم أصحابها أن صالحا نبي يوحى إليه. والفرق بين غمارة، وبرغواطة؛ يكمن في أن برغواطة تمكنت من الصمود بنحلتها؛ زمنا أطول بكثير مما عرفته غمارة. ومع هذا فقد انتهى أمرهما جميعا إلى الفشل، والاندثار. وأهم الأدوار التي قامت بها قبائل مصمودة؛ يمكن إجمالها في وقوفها وراء نشأة الدولة الموحدية، والتمكين لها

"

في البلاد. وقد تحققت تلك الملحمة بفضل عدد من قبائلهم؛ هي: **هرغة، تينملل، وهنتاتة، وكنفيسة، وكدميوة.** بالإضافة إلى قبائل حليفة من غيرهم؛ مثل: **كومية، وصنهاجة القبلة، وصنهاجة الظل.**[1]

! ! !

ـ أعيانهم:

لمصمودة علماء كبار، ورجالات عظماء؛ تركوا وراءهم ذكرا محمودا؛ كما خلفوا آثارا جليلة ببلاد المغرب الإسلامي؛ منهم:

ـ أبو العلاء عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي الثقفي الجزيري (من أعلام النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة)؛ عاش في عهد الحكم بن هشام في الأندلس. انتقل إلى المشرق في صغره رفقة والده؛ فتقى علوما كثيرة ثم عاد إلى الأندلس؛ حيث أسند إليه الأمير الحكم خطة القضاء بشذونة والجزيرة الخضراء. وكان عالما في اللغة والفقه، وشاعرا مجيدا. وقال فيه ابن الفرضي: ((**فلقي الأصمعي**

---

[1] للتوسع أنظر: أنظر إبراهيم الهرغي؛ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص ص: 33 ـ 49. وابن خلدون؛ العبر؛ مج: 6، ص ص: 427 ـ 446. 460 ـ 472. وإبن منصور؛ قبائل المغرب، ج: 1 ص ص: 321 ـ 328.

"

وغيره من علماء البصريين والكوفيين... ثم إن العباس بن ناصح انصرف إلى الأندلس فلم يزل مترددا على الحكم ابن هشام بالمديح، ويتعرض للخدمة. فاستقضاه على شذونة والجزيرة. وولي القضاء بعده ابنه عبد الوهاب ابن عباس؛ وكان شاعرا. ثم ابن ابنه محمد ابن عبد الوهاب بن عباس؛ وكان شاعرا؛ فهم ثلاثة قضاة في نسق، وثلاثة شعراء في نسق. وكان عباس من أهل العلم باللغة العربية. وكان جزل الشعر؛ يسلك في أشعاره مسالك العرب القديمة. وكان له حظ من الفقه والرواية؛ لم تشهر عنه لغلبة الشعر عليه. وقرأت في كتاب محمد بن احمد بخطه: عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي)).[1]

ومن الحكايات التي ذكرها عنه المقري: أن عباسا قدم من مدينة الفرج بوادي الحجارة إلى قرطبة. ولما مثل أمام الحكم ابن هشام أخبره بما قام به النصارى من فساد وعيث في ديار المسلمين؛ وذكر له أنه سمع امرأة تقول: "واغوثاه بك يا حكم، لقد أهملتنا حتى

[1] تاريخ علماء الأندلس، ج: 1، ص ص: 296 ـــ 297.

"

كلب العدو علينا، فأيمنا وأيتمنا" ثم أنشد أمامه قصيدة أولها:

تَمَلْمَلْتُ فِي وَادِي الحِجَارَةِ مُسْهَرَاً
أرَاعِي نُجُوماً مَا يُرِدْنَ تَغَوُّراً
إِلَيْكَ أَبَا العَاصِي نَضَيْتُ مَطِيَّتِي
تَسيرُ بِهَمٍّ سَارِياً وَمُهَجِّرَا
تَدَارَكْ نِسَاءَ العَالَمِينَ بِنصْرَةٍ
فَإِنَّكَ أَحْرَى أنْ تغِيثَ وَتَنْصُرَا

فلما سمع الحكم قوله؛ نادى ـــ في الحال ـــ إلى الجهاد، وخرج بعد أيام ثلاثة. فأثخن في ديار العدو، وأعاد للمسلمين حقهم، وخلص النساء من الأسر. ثم طلب تلك المرأة فمثلت بين يديه. فقال للعباس سلها: هل أغاثها الحكم؟ فأجابت المرأة: والله لقد شفى الصدور، وأنكى العدو، وأغاث الملهوف؛ فأغاثه الله، وأعز نصره. فارتاح لقولها، وظهر السرور على محياه؛ ثم أنشد:

أَلَمْ تَرَ يَا عَبَّاسُ أَنِّي أَجَبْتُهَا
عَلى البُعْدِ أَقْتَادُ الخَمِيسَ المُظَفَّرَا
فَأَدْرَكْتُ أَوْطَاراً وَبَرَّدْتُ غُلَّة
وَنَفَّسْتُ مَكْرُوباً وَأغنَيْتُ مُعْسِرَا

"

وهذه الحكاية شبيهة بحكاية المرأة المستنجدة بالخليفة العباسي المعتصم من عمورية في المشرق؛ وعلى الرغم من قدم القصة الأندلسية وأسبقيتها ـ زمنيا ـ إلا أنها لم تشتهر؛ بسبب ما كان يغلف التراث الأندلسي من إهمال.. فالقصة الأندلسية حدثت سنة 194هـ/809م، بينما تكون القصة المشرقية وقعت في سنة 224هـ/838م. وأبطال القصة الأندلسية هم: الأمير الحكم بن هشام، والشاعر الفقيه عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي، والمرأة المستنجدة بالأمير في الثغر. أما القصة المشرقية فأبطالها هم: الخليفة العباسي المعتصم، والشاعر العباسي أبو تمام، والمرأة المستنجدة في عمورية بندائها: "وامعتصما".[1]

ـ **عبد الوهاب بن عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ وهو فقيه وقاضي؛ ومن شعراء الأندلس. خلف والده في قضاء شذونة والجزيرة.

---

[1] أنظر القصة في نفح الطيب، ج: 1، ص ص: 343 ـ 344.

ـ **محمد بن عبد الوهاب بن ناصح بن تلتيت المصمودي** (من أعلام النصف الأول من القرن الثالث للهجرة)؛ فقيه وقاضي خلف أباه أيضا في منصب القضاء بشوذنة والجزيرة. ويعد أيضا من بين شعراء الأندلس. كما كان عليه والده وجده.

ـ **أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وَسلاَسْ بن شملل بن منقايا القرطبي المصمودي** الشهير بالليثي (ت: سنة 233هـ/944م)؛ جده كثير المكنى بأبي عيسى هو الذي دخل الأندلس مع طارق بن زياد. وهو من مصمودة طنجة رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة؛ فسمع من مالك بن أنس؛ ثم حج. كما سمع في مكة من سفيان بن عيينة؛ وفي مصر من الليث ابن سعد، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم؛ وتفقه بالمدينة، وبمصر من علماء الفقه المالكي. ومن النوادر التي نقلها المؤرخون؛ أنه كان يوما في مجلس مالك؛ فسمعوا بعضهم يقول: قد حضر الفيل؛ فانفض المجلس من الطلاب؛ حبا في مشاهدة الفيل؛ ولم يبق مع ملك إلا يحيى؛ فقال له مالك: "مالك لا تخرج فتراه؛ لأنه لا

"

يكون بالأندلس؟" فأجابه يحيى: "إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلم من هديك، وعلمك؛ ولم أجيء لأنظر إلى الفيل". فاستحسن مالك جوابه؛ وسماه عاقل أهل الأندلس. وعاد إلى الأندلس بعد ذلك. ثم كانت له رحلة ثانية إلى المشرق؛ فوجد مالكا مريضا؛ وتوفي أثناء وجوده بالمدينة؛ فحضر جنازته. وبعدها لقي عددا من أصحاب مالك؛ فاستفاد منهم بعلم غزير.

ـ ثم **حاميم بن منَّ الله بن حرير بن عمر بن رحفو المجكسي الغماري المصمودي** (توفي مقتولا سنة 315هـ/927م)؛ ادعى النبوة، وابتدع نحلة، وانتحل نصوصا؛ زعم ـ باطلا ـ بأنها أوحيت إليه من الله. وأورد صاحب مفاخر البربر بعض أخباره؛ فقال: ((**وحاميم ابن منَّ الله الملقب بالمفتري؛ ادعى النبوة ببلاد غمارة سنة 310هـ/922م؛ وشرع ديانة تشبه ديانة برغواطة؛ في الضلالة، والكفر؛ وهي صلاتان: صلاة عند شروق الشمس، وأخرى عند غروبها. وفرض صوم يوم الاثنين، والخميس، وعشرة أيام من رمضان. وأحل لهم الأنثى من الخنازير؛ وقال: " إنما حرِّم في**

"

قرآن محمد الذكر!" وجعل الحوت لا يؤكل إلاَّ بذكاة، وحرم رأس كل حيوان. ونحو هذا من الضلالة، والكفر. فبعث إليه الأمير الناصر الأموي – من قرطبة – عسكرا ضخما؛ فالتقوا معه في قصر مصمودة؛ بمقربة من طنجة؛ فقتل، ورجع أصحابه للإسلام)).[1]

وأورد ابن خلدون عينات من النصوص التي ادعى بأنها وحي؛ فقال: **((وصنع لهم قرآنا كان يتلوه عليهم بلسانهم؛ من كلامه: "يا من يخلي البصر، وينظر في الدنيا، خلني من الذنوب. يا من أخرج موسى من البحر؛ آمنت بحاميم، وبأبيه أبي خلف منَّ الله. وَأمِّنْ رأسي، وعقلي، وما يكنه صدري، وأحاط به دمي، ولحمي؛ وآمنت بتابعيت عمة حاميم؛ أخت أبي خلف منَّ الله)).**[2] وكانت عمته هذه تشتغل بالسحر، والكهانة. ويلجأ إليها الناس في الحروب، وسنوات القحط؛ مستغيثين بها. وفي ذلك قال بعض الشعراء:

وَقَالُوا افْتِرَاءً: إنَّ حَامِيمَ مُرْسَلٌ
إلَيْهِمْ بِدِينٍ وَاضِحِ الحَقِّ بَاهِرِ

---

[1] مفاخر البربر، ص: 77.

[2] العبر، مج: 6، ص: 446.

"

فَقُلْتُ: كَذبْتُمْ! بَدَّدَ اللـــَّهُ شَمْلَكـــُم!
فَمـــَا هُوَ إلاَّ عَاهِـــرٌ وَابْنُ عَاهِـــرٍ!
فَإنْ كَانَ حَامِيـــمُ رَسُـــولاً، فَإنَّـــني
بمُرْسِـــلِ حَامِيـــم لأَوَّلُ كَافِـــرِ!
رَوَوْا عَنْ عَجُوز ذَاتِ إفْـــكٍ بَهيمَـــةٍ
تَجَـــاوَزَ فِي أسْحَارِهَـــا كُلَّ سَاحِـــرِ
أحَادِيثُ إفْـــكٍ حَاكَ إبْلِيسُ نَسْجَهَـــا
يُسِرُّونَهَا وَاللَّـــهُ مُبْـــدِي السَّرَائِـــرِ!

ــ ثــم **أبــو إسحــاق إبراهيــم بــن هــارون بــن خلــف بــن عبــد الكريــم بــن سعيــد الأشبــوني المصمــودي** المعــروف بالزاهــد (ت: سنــة 360هــ/970م)؛ أقــام بقرطبــة في طلــب العلــم مــدة أربعيــن سنــة قــال فيــه ابــن الفــرضي: **((كــان ضابطــا لمــا كتــب؛ ثقــة فيمــا روى))**.[1]

ــ **أبــو الأصبــغ عيــسى بــن عبــد الرحمــن بــن حبيــب بــن واقــف بــن يعيــش بــن عبــد الرحمــن ابــن مــروان بــن سكثــان الشــذوني المصمــودي** (تــوفي بأشونــة سنــة 366هــ/976م)؛ رحــل إلى مصــر، ومكــة؛ أيــن سمــع عــلى عــدد مــن

[1] تاريــخ علمــاء الأندلــس، ج: 1، ص: 17.

"

العلماء، ثم عاد إلى الأندلس؛ حيث ولاه المستنصر بالله الأموي قضاء أشونة وما يتبعها.

ـ ثم **يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى ابن كثير بن وسلاس بن شملل بن منقايا المصمودي** (ت: سنة 367هـ/977م)؛ كان من أفاضل الفقهاء؛ وله مرتبة جليلة بين قضاة الأندلس. ولي قضاء إلبيرة، وبجانة، وجيان، وطليطلة.

ـ ثم **أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب المصمودي** (ت: سنة 404هـ/1013م)؛ وهو من علماء النحو، واللغة.

ـ ثم **أبو الزبير طلحة بن الزبير بن سليمان بن تميم الحاحي المصمودي** (توفي في العشر الأول من القرن الخامس للهجرة)؛ وهو من الأدباء؛ وله تأليف بعنوان: الترجبح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ. وقال صاحب مفاخر البربر: أنه ليس من تأليفه؛ وإنما رواه عن صاحبه أبي علي الكفيف الماجري.

ـ ثم **أبو القاسم خَلِفَة بن تامَصَلْت بن يحيى البرغواطي المصمودي** (كان حيا سنة 467هـ/1074م)؛ وهو عالم بالقراءات.

"

ـ ثم **محمد بن عبد الله بن وُجَلِّيد بن تامصال بن حمزة بن عيسى الهرغي المصمودي** الشهير بابن تومرت والمدعو المهدي (ت سنة 522 أو 524هـ/1128 أو 1129م)؛ أختلف الناس في نسبه، وفي أسماء أسلافه. وهناك من ينسبه إلى سليمان بن عبد الله حفيد علي بن أبي طالب. غير أن بعض المحققين ينفون هذا النسب. ونشأ ابن تومرت في بيت نسك، وعبادة. وكان محبا للعلم، حريصا على المعرفة، ساعيا للتزود بها؛ حيثما توفرت؛ وعليه فقد سافر للمشرق ـ بعد مروره ببلاد الأندلس ـ طلبا للعلم. فكانت وجهتة الأولى ـ بعد الأندلس ـ الإسكندرية، ثم الحجاز؛ بغرض أداء فريضة الحج؛ ثم انتقل إلى العراق؛ أين لقي جملة من العلماء الأفاضل؛ منهم الإمام الغزالي؛ فتتلمذ عليه. وفي هذا يقول ابن خلدون: **((ولقي جلة العلماء يومئذ، وفحول النظار. وأفاد علما واسعا. وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يديه؛ لما كان الكهان، والحزاء يتحينون ظهور دولة يومئذ بالمغرب. ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي، وفاوضه بذات صدره في ذلك؛ فأراده عليه؛ لما كان**

"

فيه الإسلام يومئذ بأقطار المغرب من اختلال الدولة، وتقويض أركان السلطان الجامع للأمة، المقيم للملة؛ بعد أن سأله عمن له من العصابة، والقبائل؛ التي تكون بها الاعتزاز، والمنعة، وبشأنها يتم أمر الله في درك البغية، وظهور الدعوة. وانطلق هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا؛ منفجرا من العلم، وشهابا واريا من الدين. وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة، وأخذ عنهم، واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية، والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدور أهل البدعة. وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث... وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية من الشيعة. وألف في ذلك كتابه في الإمامة الذي افتتحه بقوله: "أعز ما يطلب". وصار هذا المفتتح لقبا على ذلك الكتاب. واحتل بطرابلس؛ أول بلاد المغرب؛ مفتيا بمذهبه ذلك، مظهرا النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه. وأخذ نفسه بتدريس العلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ما استطاع؛ حتى لقد

"

لــقي ــ بســبب ذلــك ــ إذايــات في نفســه؛ احتسبهــا مــن صالــح أعمالــه)).[1] مــن منظومــه:

أَنِّي وَفِي النَّفْــسِ أشْيَــاءٌ مُخَبَــأة
لأَلْبسَــنَّ لَهَــا دِرْعــاً وَجِلْبَابَــا
وَاللَّــهِ لَوْ ظَفِــرَتْ كَفِّي بِبُغْيَتِهــَا
مَا كُنْت عَنْ ضَرْبِ أعْنَاقِ الوَرَى آبى
حَتَّى أطَهِّــرَ هَذَا الدِّينَ مِنْ نَجَــسٍ
وَأوجبُ الحَــقَّ لِلسَّــادَاتِ إيجَابَــا
وَأمْلأ الأرْضَ عَدْلاً بَعْدَ مَا مُلِئَــتْ
جُــوراً وَأفْتَحُ لِلْخَيْــرَاتِ أبْوَابَــا

ولــه أيضــا:

أخَــذْتَ بِأعْضَادِهِــمْ إذْ نَــأوا
وَخَلَّفَــكَ القَــوْمُ إذْ وَدَّعُــوا
أخَــذْتَ بِأعْضَادِهِــمْ إذْ نَــأوا
وَخَلَّفَــكَ القَــوْمُ إذْ وَدَّعُــوا
فَكَمْ أنْــتَ تَنــْهَى وَلاَ تَنْتَــهِي
وَتُسْمِــعُ وَعْظــاً وَلاَ تَسْمَــعِ
فَيَا حَجَــرَ الشَّحْذِ حَتَّى مَــتَى
تَسِــنُّ الحَدِيــدَ وَلاَ تقْطَــعُ

---

[1] العبــر، مج: 6، ص ص: 465 ـــ 467.

"

ومما كان يردده في مدح عبد المؤمن بن علي:

تَكَامَلَتْ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِصْتَ بِهَا
فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطُ
السِّنُّ ضَاحِكَة، وَالكَفُّ مَانحَة
وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ، وَالوَجْهُ مُنْبَسِطُ

ولابن تومرت مؤلفات عديدة؛ في الأصول والفقه؛ أهمها: كتاب أعز ما يطلب؛ سمي هذا؛ تبعا للجملة الأولى التي ابتدأ بها الكتاب. وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الرسائل التي تعالج مواضيع أصولية وفقهية وسياسية وجهادية وأحاديث للرسول. ثم كتاب موطأ الإمام المهدي؛ ويسمى في الأصل "محاذي الموطأ"؛ وهو ــ في الحقيقة ــ موطأ الإمام ملك برواية يحيى بن بكير؛ تم اختصار السند فيه. ثم كتاب مختصر صحيح مسلم. ثم مجموعة من الرسائل الأخرى، وبعض الأدعية، والخطب؛ التي لم ترد في كتاب أعز ما يطلب؛ وقد نشر بروفنسال أربع رسائل في كتاب أخبار المهدي. كما كتب باللسان الأمازيغي المصمودي رسائل أخرى منها: السبعة أحزاب، و(الدواتر)؛ وهو الطهارة، وعلامة المنافق،

"

و(أمحانت أكوصت)، و(تازكوت أن تيتار) (أو تحيار)، و(نوفنا درا أن يا العالمين).[1]

ـ ثم **أبو الربيع بن جابر الدكالي المصمودي** (توفي في العشر الأول من السنة السابعة للهجرة)؛ وهو فقيه، وراوية.

ـ **أبو سعيد بن تونارت الدكالي المصمودي** (من أعلام القرن السابع للهجرة)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي. كان مستوعبا للفقه، ومتمكنا من مواضيع المدونة؛ تولى التدريس ببجاية.

ـ ثم **عبد الله بن ياسين الرجراجي المصمودي** (ت: سنة 624هـ/1226م)؛ فقيه، ومفتي.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن عبد الكريم الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 654هـ/1256م)؛ وهو فقه؛ رحل من المغرب إلى المشرق؛ ولما مر بطرابلس؛ أطال الإقامة فيها؛ حيث أسمع لطلاب العلم كتابه في الفرائض، وكتب أخرى. وكان هذا في السنة المذكورة آنفا.

---

[1] يمكن التوسع من خلال مراجعة كتاب أعز ما يطلب الذي حققه عمار طالبي. وكتاب المهدي بن تومرت لعبد المجيد النجار.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 658هـ/1259م)؛ وهو فقيه، وولي القضاء بطرابلس في السنة المذكورة.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن مناد البرغواطي المصمودي** (توفي بسبتة سنة 670هـ/1271م)؛ وصفه صاحب مفاخر البربر بـ ((**الفقيه البارع، والأديب المتفنن**)).

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري المصمودي** (توفي بتونس سنة 682هـ/1283م)؛ وهو فقيه مالكي، وقاضي. جمع بين علوم: الفقه، وأصول الدين؛ وبين فنون الأدب. وكانت له عناية بالتنقيح، والمنهج المفيد.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن علي الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 684هـ/1285م)؛ فقيه مالكي.

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز البرغواطي المصمودي** (توفي بأزمور سنة 688هـ/1289م)؛ هو فقيه من أهل الفضل.

ـ ثم **أبو بكر بن فتح الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 706هـ/1306م)؛ وهو فقيه، وأديب من سكان نفزاوة؛ بالجنوب التونسي. قال فيه التجاني: ((**وهذا الفقيه أبو بكر بن**

"

فتح له من الأدب، ولطافة الشعر ما تراه؛ وهو ممن يستغرب وجوده في مثل تلك البقاع؛ وله التقدم في حسن الخط؛ وهو انفرد فيه بطريقة اخترعها؛ لم تعرف قط في أنواع الخط المعدودة، وبرع فيها في وقتنا هذا جماعة من أهل الجريد أخذوها عنه)).[1]

ومن شعره قصيدة طويلة مدح بها ابن اللحياني؛ منها الأبيات التي تعرض فيها لذكر التجاني؛ كاتبه:

هَذا انْتِصَابُ العَبْدِ خِيفَةَ نَاقِدٍ
أوْ ذِي مَعَارِفَ يَسْتَطِيلُ بَيَانِي
لاَ سِيَّمَا وَلَدَيْكَ جِهْبِذُ نَقْدِهَا
وَالوَبْلُ مِنْ ثَجَّاجِهَا التِّيجَانِي
الفَاضِلُ الفَطِنُ المُجَلِّي فِي المَدَى
وَالأخْصَلُ المُخْتَارُ خَصْلَ رِهَانِ
بِأبِي مُحَمَّدٍ اسْتَقَلَّ رِوَاؤُهَا
وَشَفَى الرِّوَى مِنْهَا صَدَى الضَّمْآنِ
غَوَّاصُ لُجَّتِهَا وَمُخْرِجُ مَا بِهَا
مِنْ لُؤْلُؤٍ رَطْبٍ وَمِنْ مَرْجَانِ
وَمُقَلِّدُ الأجْيَادِ كُلَّ سَنِيَّةٍ
أرْبَتْ عَلَى اليَاقُوتِ وَالعِقْيَانِ

---

[1] الرحلة، ص: 153.

"

وَلَرُبَّمَا أهْـــدَى إِلَيَّ جَمِيـــلَ مَـــا
مِنْـــهُ بظَهْـــرِ الغَيْـــبِ قَدْ أوْلاَنِي
فَلأجْعَلَـــنْ مِمَّـــا عَنَـــانِي شُكْـــرَهُ
وَأسَجِّلَـــنْ فِيـــهِ هُمُـــومَ عِنَـــانِي
وَأعُـــوذُ مَـــنْ بـَـاعَ ذَوِي قَرِيحَـــةٍ
خَمَـــدَتْ بِحُكْمِ طَوَارِقِ الأزْمَـــانِ
وممـــا كتبـــه للتجـــاني أيضـــا:
يَا أَيُّهـَـا السَّيِّـــدُ وَالْمُسْتَفَـــادْ
جَوْهَـــرَةَ أحْســـدُ فِيهَا العِبَـــادْ
خَاطَبْتُ ذاكَ الَمجْدُ أَثْنَاءَ مَـــا
رَفَعْتُ لِلْمَوْلَى الأجَـــلِّ العِمَـــادْ
وَإن عَـــلَيَّ أَنَّـــهُ صَائِـــرٌ
إِلَيْـــكَ تَقْرِيـــراً عَنِ الاعتمـــادْ
إلى أن يقـــول:
مُنْتَظِراً عَنْهُ الجَـــوَابَ الـــَّذِي
أنَا الثَّرَى وَهُوَ انْسكَابُ العِهَـــادْ
مُسَافِـــراً مِنْـــهُ تَـــزَوَّدْتُ مِنْ
رِضَـــاه زَاداً مَا لَـــهُ مِنْ نَفَـــادْ
وَأنْـــتَ زَوِدْنِي مُقِيمـــاً فَـــلِي
مِنْ فَضْلِ سَعْيٍ صَالِح خيـــر زَادْ
زَادَانِ ذَا يُغْـــنِي لأدْنَى مَـــدَى
وَذاك يَبْـــقَى ذُخْـــرَة لِلْمَعَـــادْ

"

وَدُمْ لِعَيْـــنِ الأدَب المُنْتَـــقَى
قَرِيـــرَ عَيْنِ قُـــرَّةٍ فِي السَّـــوَادْ

وكتـب جوابـا عـلى أبيـات بعـث بهـا التجـاني إليـه:

أرَاحَـــة غِـــبٍّ أَلِيـــم العَنَـــا
أمْ سِنَـــة مِنْ بَعْدِ طـُـولِ السُّهَـــادْ
أمْ فَجْأة الوَصْـــلِ عُقَيْـــبَ الجَفَـــا
أمْ مُسْتَطَـــابُ الـــرَّيِّ بَعْدَ الجِـــرَادْ
أمْ رِقْعَـــة مَنَّ بِهَـــا سَيِّـــدٌ
طَابَـــتْ بهَا الأذكَارُ فِي كُلِّ نَـــادْ
أشْعَـــرَنِي البُشْـــرَى وَحَسْـــبي بمَا
قَـــرَّرَ مِنْ ودّ وَحُسْـــنَ اعْتِقَـــادْ
أيَّتُهَـــا النَّفْـــسُ اتِّكَـــالاً عَـــلَى
مَنْ رَفَـــعَ السَّبْعَ الطِّبَـــاقِ الشِّـــدَادْ
وَفِعْـــلِ مَوْلَى شَـــدَّ رُكْنِ العُـــلَى
مُطَـــرِّزاً أعْلاَمُهَـــا بِالجِهَـــادْ
أيَّـــدَهُ اللَّـــهُ بأيْـــدٍ لَـــهُ
فِعْـــلَ العَوَالِي وَالسُّيُـــوف الحِـــدَادْ
وَأنْـــتَ يَا أفْضَـــلَ مَنْ يُرْتَـــجَى
لِفَضْـــلِ سَـــعْيٍ صَالِـــحٍ مُسْتَفَـــادْ
دَارَكَـــكَ اللَّـــهُ بألْطَافِـــهِ
مُقَرِّبـــاً شَمْلَـــكَ بَعْـــدَ البِعَـــادْ

"

صَابرْ لَكَ الخَيْــرُ ضُرُوبَ النــَّوَى
وَاقْطــَع مَسَافَاتِ الرُّبَى وَالوِهــَادْ
فَعَــنْ قَلِيــلٍ سَــوْفَ تُلْــفِي الأُلَى
مُحْضَتُهــُمْ مِنْــكَ صَرِيح الــوِدَادْ
قَرِيــرُ عَيْــنٍ بالَّذِي شِئْــتَ مِــنْ
قُرْبَ وسَــادٍ بَعْدَ طــُولِ السُّهَــادْ
وَفَضْــلُ نُعْــمَى بِرْدُهَــا سَابــغٌ
مَا انْهَــلَّ قَطْرٌ فَوْقَ قطْــرٍ وَجَــادْ
وَصَلِّ صَــلاَةَ اللــَّهِ لِلْمُصْطــَفَى
خَيــْرَ شَفِيــعٍ ضَامِنِ الخُلْدِ هَــادْ

وأرســل إليــه أرجــوزة مداعبــا؛ نذكــر منهــا:
إرْبَــأ بِنَفْسٍ حُرَّةٍ عَنْ ذِكْرِ مَــا
يُبَلْبــلُ البَالَ لِسُكَّــانِ الحِــمَى
وَعَــدِّ عَنْ رِقَةِ طَبْــعٍ عُــذري
فَمَــا لِذِي عَقْلٍ بِــهِ مِنْ عُــذر
وَإنَّمَــا الإنْسَــانُ بالشَّهَامَــه
فَدُمْ بهَا حَفَّــتْ بكَ الكَرَامَــه
وَاحْتَمِــلِ القَسْــوَة وَالبَــدَاوَه
وَأَهْلَهَــا مَا دُمْــتَ فِي نَفْــزَاوَه
طَبْــع المِيَــاهِ وَالهَــوَاءِ وَالبَلَــد
لُذ عَائِــذَاً بِقُلْ هَوَ اللَّــهُ أحَــد

"

إنْ هِيَ إلاَّ سَفْـرَة سَتُسْفِـر
عَنْ حُسْـنِ عُقْبى مَعَ وَفْرٍ يَفِـر
لَوْ بِعْـتَ فِي أثْنَائِهَـا دُنْيَاكَـا
وَأنْـتَ ذُو مُلْـكٍ وَمَا أدْرَاكَـا
بِجَلْسَـةٍ بَيْـنَ يَـدَيْ عِمَـاد
وُقِيـتَ فِيهَـا أعْيُـنَ الحُسَّـاد
وَنَظْـرَة لِوَجْهِـهِ مُشْتَقَـه
مِنْ نَظْـرَةِ النَّعِيـمِ فاعلمْ وَافْقَـه
كُنْتَ عَلىَ مَا بِعْتَ مِنْـهُ رَابِحَا
فَاضْمُمْ عَلَى يَقِينِـكَ الجَوَانِحَـا
زَهْرُ النُّجُومِ حَاسِدَاتٌ مَوضِعَـك
إيْ وَالَّـذِي بِفَضْلِهِ قَدْ رَفَعَـك
وَأنْـتَ بِالتَّمْيِيـزِ جِـدّ عَالِـم
بَيْـنَ الَّذِي رَأيْـتَ مِنْ عَوَالِـم
فَاحْكُـمْ بِعَقْلٍ رَاجِـحٍ وَفَهْـم
تَجِـدْكَ فُـزْتَ بِأجَـلِّ سَهْـم
فَاشْكُـرْ يَزِدْكَ اَللَّـهُ مِنْ إكْرَامِه
وَالحَسَـبُ المَـرْضِيِّ مِنْ إمَامِـه
بِأفْضَـلِ الخَصْلَـةِ وَالمَرَاتِـب
أضْحَى لَكَ الخَيْـرُ وَيُمْنُ رَاتِـب
صَابِـرْ عَلَى التَّأوِيبِ وَالإدْلاَج
وَدَائِـمِ الإلْجَـامِ وَالإسْـرَاج

"

وَاقْطَـعْ مَدَاهَـا فَدْفَداً فَفَدْفَـدَا
وَاصْـغ لِحَادٍ فِي مَرَاعِيهَا حَـدَا
وَاشْرَبْ زُلاَلاً لاَ زُعَاقـاً آسِـن
وَعَـدِّ عَنْ تَعْتِيـقِ كُلِّ مَاجِـنِ
كَـذاكَ حَتَّى تُبْصِـر المَعَالِمَـا
مِنْ دَارِ تَرْشِيشَ صَحِيحاً سَالِمَـا

ـ ثـم **أبـو زيـد عبـد الرحمـن بـن الهزميـري المصمـودي** (تـوفي بفـاس سنـة 706هـ/1306م)؛ وهـو مـن الصوفيـة.

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد الجليـل بـن ويجـلان الدكـالي المصمـودي** (تـوفي بأغمـات قبـل عـام 712هـ/1312م)؛ وهـو فقيـه، ومـن الزهـاد الصالحيـن.

ـ ثـم **أبـو علـي عمـر بـن أبي العبـاس أحمـد ابـن سلكـو الدكـالي المصمـودي** (تـوفي قبـل سنـة 712هـ/1312م)؛ وهـو فقيـه، وولي القضـاء.

ـ ثـم **أبـو عيـسى الدكـالي المصمـودي** (تـوفي قبـل سنـة 712هـ/1312م)؛ وهـو مـن الزهـاد، والصوفيـة؛ مـن مؤلفاتـه: كتـاب تلقيـن المريديـن.

ـ ثـم **أبـو يعقـوب الحسـاني الغمـاري الصمـودي** (تـوفي قبـل سنـة 712هـ/1312م)؛ وهـو فقيـه، ومحـدث، وراويـة.

"

ـ ثم أبو عبد الله بن أبي علي عمر بن **مخلد الدكالي الحاحي المصمودي** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه ابن فقيه.

ـ ثم **أبو العباس حميد بن قاسم الحاحي المصمودي** (ت: سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، من أهل الصلاح.

ـ ثم **أبو علي صالح بن أبي صالح عبد الحليم الإيلاني المصمودي** (كان حيا سنة 712هـ/1312م)؛ كان مقيما بنفيس. وهو فقيه، وتاريخي.

ـ ثم **أبو زيد عبد الرحمن الرجراجي المصمودي** (ت: سنة 718هـ/1318م)؛ وهو من فقهاء المالكية؛ ومن الحفاظ. كان يعلق في دروسه على المدونة في مسجد الطاعة بفاس.

ـ ثم **أبو القاسم بن محمد الغماري المصمودي** (كان حيا سنة 720هـ/1320م)؛ وهو فقيه مالكي، ومحدث؛ اشتغل في تدريس المدونة بمسجد زنقة حجامة. كان متفوقا في حفظ المدونة، وتحصيل مسائل المذهب؛ ومعترف له بالعلم. ومن أنشاده:

قُنُوعُ النَّفْسِ يَعْقِبُهَا رَوَاحاً
وَحِرْصُ النَّفْسِ يُدْنِي لِلتَّوَانِي

"

وَلَيْسَ بِزَائِدٍ فِي الرِّزْقِ حِرْصٌ
وَلَيْسَ بِنَاقِصٍ مِنْهُ التَّوَانِي
إِذَا مَا اللَّهُ سَبَّبَ رِزْقَ عَبْدٍ
أَتَى لَكَ بِالتَّوَانِي وَالتَّدَانِي

ـ **ثم أبو محمد عبد الكريم بن الحسين ابن عبد الملك بن يحيى بن باسيو بن تادررت اليدرازتيني الواغديني التنمالي المصمودي** (توفي بجهات غرناطة سنة 723هـ/1323م)؛ وهو من الفقها، والعلماء؛ ذوي الفضل، والصدق. ولد ببجاية، ثم انتقل إلى غرناطة؛ فولي القضاء ببعض جهاتها؛ مثل ما كان يعرف باسم شالش؛ التابعة لغرناطة. من مؤلفاته: كتاب المعاني المبتكرة الفكرية في ترتيب المعالم الفقهية، وكتاب الإيجاز في دلالة المجاز، وكتاب نصرة الحق ورد الباغي في مسألة الصدقة ببعض الأضحية، وكراس المباحث البديعة في مقتضى الأمر من الشريعة.

ـ **ثم أبو عمران موشى المصمودي** (توفي بتلمسان سنة 730هـ/1329م)؛ هكذا جاء اسمه في درة الحجال؛ بالشين؛ وقال ابن القاضي ـ في جملة مقتضبة ـ أنه فقيه، وتوفي بتلمسان.

ولسنا ندري الأسباب التي جعل المصادر الأخرى تصمت عنه.

ـ ثم **يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطي المصمودي** (توفي في سجنه بالمطبق سنة 768هـ/1366م)؛ وهو من أهل أنفا. انقطع لمعاشرة السائرين في طريق الصوفية؛ من الفقراء، والصالحين؛ ثم ذهب إلى الأندلس؛ دون أن يتخلى عن تعبده؛ فنزل برباط السودان؛ خارج مالقة. وهناك اشتهر أمره، وتزاحم عليه الناس من كل مكان. قال فيه ابن الخطيب: **((هذا الرجل نسيج وحده في الكفاية، وطلاقة اللسان؛ مدل على أغراض الصوفية، حافظ لكل غريبة من غرائب طريقتهم؛ متكلم في مشكلات أقوالهم، قايم على كثير من أخبارهم؛ يستظهر حفظ جزأي إسماعيل الهروي؛ المسمى بـ: منازل السائرين إلى الحق، والقصيدة الكبيرة لابن الفارض. عديم النظير في ذلك كله؛ مليح الملبس، مترفع عن الكُدْية، عزيز النفس، قليل الإطراء، حسن الحديث، عذب التجاوز فيه، على سنن من السذاجة، والسلامة، والرجولة، والحمل؛ صاحب شهرة قرعت به أبواب الملوك بالعدوتين. وعلى**

"

ذلـــك فمغضـــوض منـــه، محمـــول عليـــه؛ لمـــا جبـــل عليـــه مـــن رفـــض الاضطـــلاع، وتـــرك السمـــت، واضطـــراح التغافـــل، وولوعـــه بالنقـــد، والمخالفـــة في كـــل مـــا يطـــرق سمعـــه؛ مرشحـــا ذلـــك بالجـــد المبـــرم؛ ذاهبـــا أقـــصى مذاهـــب القحـــة؛ كثيـــر الفلتـــات. نالتـــه بسبـــب هـــذه البليـــة محـــن كثيـــرة؛ أفلـــت منهـــا بجريعـــة الذقـــن؛ وَوُسِـــمَ بالوَهـَــنِ في دينـــه؛ مـــع صحـــة العقـــل... وأفـــضى بـــه الهـــوى، وتســـور حـــمى السياســـة؛ والإغيـــاء في ميـــدان القحـــة إلى مصـــرع الســـوء؛ فجلـــد جلـــدا عنيفـــا بيـــن يـــدي السلطـــان؛ كـــان سبـــب وفاتـــه في المطبـــق)).[1] لـــه مؤلفـــات عديـــدة؛ منهـــا: نِسْبَـــة الذنـــب إلى الذاكـــر؛ وصـــف بأنـــه جـــزء نبيـــل وغريـــب المأخـــذ، وفيمـــا أشكـــل مـــن كتـــاب أبي محمـــد بـــن الشيـــخ، ،كتـــاب في الاعتقـــاد؛ وهـــو في مجلـــد كبيـــر؛ وقـــد اشتمـــل عـــلى كثيـــر مـــن الأقـــوال، والحكايـــات؛ كـــان قـــد استحسنـــه عبـــد اللـــه بـــن المقـــري؛ ولـــم يعجـــب تلميـــذه ابـــن الخطيـــب.

[1] الإحاطـــة، ج: 4، ص ص: 427 ـــ 428.

"

ـ ثم أبو عبد الله محمد بن موسى بن عابد الغماري المصمودي (كان حيا سنة 780هـ/1378م)؛ رحل إلى مكة، واستقر بها في السنة المذكورة. وهو من الزهاد، والعباد.

ـ ثم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الركراكي (الرجراجي) **المصمودي** (توفي بحمص الشام سنة 793هـ/1390م)؛ عاش في مصر، والشام. وهو فقيه مالكي، وعالم بالأصول، والمعقول؛ فاتهم من جراء آرائه؛ وسجن، ثم نفي إلى الشام. وبعدها ولاه الظاهر القضاء؛ إلى أن مات. وقد رثاه حجاج بن عيسى بقوله:

لَهْفِي عَلَى قَاضِي القُضَاةِ مُحَمَّدٍ
ألف العُلُوم الفَارِس الرَّكْرَاكِي
قَدْ كَانَ رَأساً فِي القَضَاء فَلأجْلِ ذا
أسِفَتْ عَلَيْهِ عِصَابَةِ الأتْرَاكِ

ومما قاله القرافي بخصوصه: **((من المائة الثامنة قدم من الغرب؛ وقد راهق، أو بلغ الحلم. فلازم الاشتغال على مشائخ عدة من أبناء العرب والعجم؛ ومهر في المعقول، وقرأ الأصلين، والعربية؛ وكان غاية في الذكاء؛ وحصل من الفقه طرفا جيدا. فأول ما**

"

اشتهر أمره أن نازع البرهان الأخنائي في تدريس المنصورية. وكان كثير الاستهتار بالكبار، والاستهزاء بالصغار. فكتبوا فيه محاضر؛ ونسبوه إلى العمل بالنجوم، والسحر؛ فخلعه أكمل الدين. ثم ولاه بدر الدين الأخنائي مدرس الحجازية، وتصدر بالجامع الأزهر، ثم شغر درس الفقه بالشيخونية؛ فقرره فيه الأكمل. ثم درس بالقمحية بمصر؛ واتصل بالملك الظاهر؛ فراح عليه، وأجلسه عنده يوم المحاكمات)).[1]

ـ ثم **شمس الدين محمد بن محمد بن علي ابن عبد الرازق الغماري** (توفي بمصر سنة 802هـ/1399م)؛ فقيه وعالم في النحو، وكان عارفا باللغة العربية؛ وكان من الحفاظ؛ فيستظهر كثير من الشعر؛ وله مشاركة جليلة في فنون الأدب.

ـ **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المصمودي** (توفي بتلمسان سنة 805هـ/1402م)؛ نشأ وترعرع في بلاد صنهاجة؛ قرب مكناسة؛ إذ تلقى تعليمه الأول بتلك الديار، ثم أكمل تعليمه بفاس؛ وبعدها انتقل إلى تلمسان؛ أين استقر حتى وفاته. وهو من شيوخ ابن مرزوق الحفيد،

---

[1] توشيح الديباج، ص:255.

"

ومحمد المجاري الأندلسي. غلب عليه الاتجاه الصوفي. وصفه المجاري بقوله: **((قرأت عليه في بيته جميع البرهانية في أصول الدين؛ تفقها بلطي. وكان ــ رحمه الله ــ صائم الدهر، شديد الانقباض عن الناس. وكان بيته في غاية الضيق؛ كانت له فيه سجادة يصلي عليها، وعليها ينام؛ إذا غلبه النوم، ويتوسد حجرا، ولباسه كساء. وبالجملة إني لم ألق مثله؛ من جمع العلم، والعبادة... وكان شيخنا الإمام أبو عثمان العقباني رحمه الله يحدث له تردد في بعض المسائل؛ في أصول الدين؛ فيبعثني إليه أسأله عن نظره فيها، وأرد عليه الجواب؛ فإذا أخبرته بما عنده فيها استحسنه غاية)).**[1]

ــ ثم **أبو حفص عمر الرجراجي المصمودي** (توفي بفاس سنة 810هـ/1407م)؛ وهو من فقهاء المالكية؛ يميل إلى الزهد، والورع؛ وكان متقدما في الفقه. ولي إمامة جامع الأندلسيين بفاس.

---

[1] برنامج المجاري، ص: 133.

ـ ثم **أبو وكيل ميمون بن مساعد المصمودي** (توفي جوعا في تلمسان سنة 816هـ/1413م)؛ وهو من علماء النحو، والعربية؛ توفي مع جماعة من الفقهاء؛ من جراء المجاعة التي انتشرت بتلك الديار في السنة المذكورة. من مؤلفاته: كتاب الدرة، وكتاب التحفة، ونظم الأجرومية.

ـ ثم **أبو مهدي عيسى بن علال المصمودي** (ت: سنة 823هـ/1420م)؛ وهو ينسب إلى قصر كتامة؛ أين يتواجد قومه؛ من مصمودة الهبط. وهو فقيه مالكي؛ له تعليق على مختصر ابن عرفة.

ـ ثم **محمد بن يعقوب الغماري المصمودي** (من أعلام النصف الأول من القرن التاسع للهجرة)؛ فقيه مالكي، وعالم في الأصول، والفروع.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان الهزميري المصمودي** (من أعلام القرن التاسع للهجرة)؛ نزيل مصر. وهو من علماء اللغة، والنحو، والفقه.

"

ـ ثم **أبو مهدي عيسى بن علال المصمودي** (ت: سنة 830هـ/1426م)؛ وهو إمام جامع القرويين؛ ولي القضاء؛ وكان زاهدا، ورعا. وله تعليق على مختصر ابن عرفة.

ـ ثم **أبو محمد الهنتاتي المصمودي** (توفي بتونس سنة 833هـ/1429م)؛ وهو من كبار الفقهاء؛ اشتهر بالتحقيق. ولي من طرف أبي فارس في خطة القضاء. وله تأليف في الرد على البرزلي؛ بخصوص العقوبة بالمال؛ التي كان البرزلي يجيزها؛ هذا وقد رد عليه البرزلي بدوره. ونقل عنه الونشريسي بعض فتاويه في المعيار.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد الحسين بن أحمد الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 839هـ/1435م)؛ وهو أخو السلطان أبي فارس عبد العزيز. كان من كبار الفقهاء بتونس. وهو مفتي العسكر بالدولة الحفصية.

ـ ثم **عبد الله بن أبي البركات الغماري المصمودي** (توفي مقتولا في السجن سنة 853هـ/1449م)؛ فقيه؛ ولي حجابة أبي العباس أحمد ابن أبي حمو الزياني، وكان صاحب أشغاله أيضا. أمر بقتله خنقا في محبسه.

— ثم **أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن البجائي الغماري** (توفي بتونس سنة 862هـ/1457م)؛ وهو فقيه وأديب؛ ولي القضاء بتونس؛ كما أسند إليه السلطان المستنصر الحفصي مهمة السفارة؛ مرات عديدة.

— ثم **أحمد بن الحسن التلمساني الغماري المصمودي** (توفي بتلمسان سنة 874هـ/1469م)؛ وهو من الصوفية، والزهاد الصالحين.

— ثم **بدر الدين الغماري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة)؛ فقيه مالكي؛ ولي القضاء بدمشق.

— ثم **محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي** (توفي بفاس سنة 885هـ/1480م)؛ كان فقيها مالكيا؛ ولي القضاء بفاس؛ فكان محمود السيرة.

— ثم **الحسين بن علي الشوشاوي الرجراجي المصمودي** (توفي في آخر المائة التاسعة للهجرة)؛ فقيه مالكي؛ قام بإعداد شرح على كتاب مورد الضمآن، وشرح على تنقيح القرافي، وله أيضا نوازل في الفقه المالكي.

"

ـ ثـم **أبـو مالـك عبـد الواحـد بـن الحسـن الرجـراجي المصمـودي** (تـوفي في حـدود عـام 900هـ/1494م)؛ تصـدر للإقـراء؛ ولـه مؤلفـات؛ منهـا: في ظـاءات القـرآن، وطـاءات القـرآن، وذالات القـرآن، ودالات القـرآن.

ـ ثـم **أبـو إسحـاق إبراهيـم الفـاسي المصمـودي** (تـوفي بفـاس سنـة 912 أو 913هـ/1506 أو 1507م)؛ وهـو مـن علمـاء الفرائـض، والحسـاب.

ـ ثـم **شمـس الديـن محمـد بـن عـلي المصمـودي** (ت: سنـة 915هـ/1509م)؛ فقيـه مالـكي . قـال فيـه ابـن العمـاد: **((كـان فقيهـا فاضـلا؛ نـاب عـن العفيـف بـن حنبـل قـاضي المالكيـة بحلـب؛ وكتـب بهـا عـلى الفتـوى)).**[1]

ـ ثـم **أبـو محمـد عبـد الحـق المصمـودي** (ت: سنـة 955هـ/1548م)؛ وهـو فقيـه مالـكي؛ متمكـن مـن الفرائـض، والحسـاب.

ـ ثـم **أحمـد بـن عـلي بـن عرضـون الغمـاري المصمـودي** (تـوفي بعـد عـام 970هـ/1562م)؛ وهـو فقيـه، ومحاسـب، وفـرضي.

---

[1] شـذرات الذهـب، ج: 8، ص: 72.

"

ـ ثم **مبارك بن علي بن إبراهيم التورختي المصمودي** (ت: سنة 980هـ/1572م)؛ فقيه مالكي؛ سماه ابن القاضي "شيخ الجماعة".

ـ ثم **إبراهيم بن الحسن المصمودي** (كان حيا سنة 999هـ/1590م)؛ وهو من الفقهاء، والنحويين؛ ولي إمامة جامع علي بن يوسف بمراكش.

ـ ثم **عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله الرجراجي المصمودي** (كان حيا سنة 999هـ/1590م)؛ كان يستظهر مختصر خليل، وله مشاركة في علوم أخرى.

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن الحسن** (أو الحسين) **بن عرضون الرجني الغماري المصمودي** (ت: سنة 1012هـ/1603م)؛ وهو فقيه، ونحوي؛ له دراية جيدة بألفية ابن مالك؛ كما أنه متمكن من علوم العروض، والأصلين، والمنطق، والبيان؛ وله أيضا نضم حسن. ولي خطة قاضي القضاة بشفشاون. ومن شعره قوله لرفيق له؛ يحرضه على مواصلة العادة في الخروج لوادي ويَسْلان للتنزه:

إذَا القَلْبُ مِنِّي دَهَاهُ شَجَنْ

وَأجْفَانُ عَيْنِي جَفَهَا الوَسَنْ

"

وَجَمْـــرُ الغَضَا فِي الحَشَا قَدْ أضَـــا
حَشَـــتُ المَـــطِيَّ إِلَى وِيسَلَـــنْ
فَسَرَّحْتُ طَـــرْفِي وَأجْرَيْتُ طِـــرْفِي
وَمَسَّتْ فَشَاهَتْ وُجُـــوهُ الحَـــزَنْ
كَتَائِـــبُ نُـــورٍ رَكَائِـــبُ طَيْـــرِ
أمَيَـــرُ الجَمِيـــعِ ذُرَاهُ سَكَـــنْ
وَهَـــذَا الخَمِيـــسَ ألاَ نُزْهَـــة
بِبَطْحَائِـــهِ يَـــا سَلِيـــلَ الحَسَـــنْ
نُدِيـــرُ كُئُوسَـــاً نُسَـــلِّي نُفُوسَـــاً
بِتَرْجِيـــعِ أوْتَـــارِ أمِّ الحَسَـــنْ

"وأم الحســـن" هـــو طائـــر العندليـــب أو الشحـــرور؛ عنـــد أهـــل المغـــرب. ومـــن شعـــره أيضـــا:

أجَنَّـــة الخُلْـــدِ هَـــذِي يَابْـــنَ عَدْنَـــانِ
أجبْ هُدِيتَ أرَوْضٌ لابْنِ رَضْـــوَانِ؟
أمَا تَـــرَى الطَّيْر فِي الأدْوَاحِ سَاجعَـــة
أدْمَـــتْ أنَامِلُهَـــا أوْتَـــارَ عِيـــدَانِ؟
تَحْـــكِي مَزَامِيرَ مَنْ لاَنَ الحَدِيـــدَ لَـــهُ
تَشْدُو الزُّجَيِّـــل فِي رَصْدٍ وَزِيـــدَانِ
تَنْفِي عَنِ الصَّبِّ مَا بالقَلْبِ مِنْ كَـــرَبِ
بَلْ تَتْرُكُ الصَّبَّ فِي تيهِ الهَوَى عَـــانِ

"

وَإنْ أرَدْتَ مِنَ الأوْصَافِ صَفوَتَهَا
فَانْظُرْ لِمَائِدَةٍ حُفَّتْ بِألْوَانِ
لاَ يَسْتَطِيعُ لِسَانٌ وَصْفَ لَهْجَتِهَا
عَلَى الكَمَالِ وَلَوْ لِسَان سُبْحَانِ

وله كذلك:

يَا وَاهِماً نَحْوَ المُصَلَّى هَائِماً
بِاللَّهِ فَاصْعَدْ عَلَى سَنَامِ المَنْبَرِ
وَانْظُرْ إلَى النُّورِ المُنِيرِ كَأَنَّهُ
دُرَرٌ نُثِرْنَ عَلَى أدِيمٍ أخْضَرِ

OOO

الكلام السابق يتعلق بأهل العلم من بني مصمودة؛ وبقي الآن التطرق لأهل السيف والسلطان والسياسة منهم؛ وهم:

ـ **سفيان بن عبد ربه المصمودي** (ت: سنة 211هـ/826م)؛ وهو حاجب الدولة الأموية بالأندلس؛ أيام عبد الرحمن بن الحكم. كان قبل وصوله إلى هذه المرتبة المكلف بالخزانة الكبرى. وقال فيه ابن حيان: **((كان من أكابر رجال أهل الخدمة الكفاة المستقلين بأعبائها؛ ممن جمع إلى الغناء، والكفاءة، والعفة، والأمانة. قد تولى خدمة الخزانة الكبرى أيام**

"

الأمير الحكم؛ وهو أول من استخزن بالأندلس؛ وحمل هذا الاسم الذي اعتور من عمل عمله إلى اليوم... ولم يزل يتنقل في مراتب الخدمة إلى أن نال الحجابة. ومن ولده الأديب أبو الأسود؛ وكان ذا وجاهة عند الناس؛ حدثا، مؤنس الجليس، ممتعا؛ توفي في أيام الخليفة الناصر لدين الله رحمه الله)).[1]

ــ ثم محمود بن عبد الجبار بن زاقلة المصمودي (توفي مقتولا في جليقية سنة 225هـ/839م)؛ قاد ثورة سنة 213هـ/828م ضد الأمير الأموي؛ عبد الرحمن بن الحكم؛ فاستبد بماردة؛ فلم يتمكن عبد الرحمن من إخراجه منها حتى عام 215هـ/830م. ولكنه نقل ثورته إلى، وعصيانه إلى حصن منت شلوط؛ القريب من بطليوس؛ فأخذ ــ من هناك ــ يشن الغارة تلو الأخرى على مدن الدولة الأموية؛ المجاورة لحصنه. فلاحقه عبد الرحمن بصوائفه، وطاولته حتى اضطرته إلى اللجوء إلى ملك جليقية؛ الذي منحه قلعة في شمال البرتغال سنة 223هـ/837م. ومع هذا لم يهنأ باله في الغربة؛ فأرسل إلى الأمير عبد الرحمن؛ طالبا الأمان؛

---

[1] المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ص: 25 ــ 26.

"

بغرض العودة؛ ولكن أمره اكتشف؛ فهاجمه ملك جليقية؛ قبل تحقيق بغيته؛ فقتل في معركة دارت بنه وبين النصارى؛ قتل فيها. وذلك أن جواده اصطدم في شجرة بلوط – نتيجة لجموحه – فسقط محمود قتيلا. ويقال: أنه بقي مجدلا على الأرض مدة؛ دون أن يجرأ أحد من أعدائه الاقتراب منه؛ خوفا أن تكون مكيدة منه.

– ثم **منصور البرغواطي المصمودي** (توفي مقتولا بسفاقص سنة 451هـ/1059م)؛ كان من صنائع الزيريين، وقادهم البارزين. وقد اشتهر بالشجاعة، والإقدام. أسند إليه المعز ابن باديس أعمال سفاقص؛ فأغرته نفسه بالاستبداد، فشرع في مفاوضة أحياء بني هلال؛ المتغلبين على ضواحي تلك الجهات؛ فواعدوه بالمساندة. ولكن ابن عمه حمو بن مليل البرغواطي غدر به قبل تحقيق هدفه؛ وقتله في الحمام؛ وانتصب بدلا منه في حكم سفاقص، والاستبداد بها. وعندما وصل الأعراب؛ حلفاء منصور؛ عرض عليهم بعض المال في مقابل تأييده؛ بدلا من ابن عمه؛ فقبلوا، ووقفوا إلى جانبه.

"

ـ ثم **سوَّاجـات البرغواطي** الشهير بسقوت (توفي في معركة بينه وبين المرابطين سنة 471هـ/1078م)؛ كان مولى ليحيى بن علي بن حمود؛ اشتراه من حداد؛ سبق أن حصل إليه من سبي برغواطة. ونظرا لكفاءته، ونباهته؛ ولاه ـ مع فتى آخر يسمى رزق الله ـ سبتة؛ وانتقل هو إلى الأندلس. وفي سنة 453هـ/1061م انقض سوجات على زميله رزق الله، وقتله؛ ثم استقل بملك سبتة، وطنجة؛ مستبدا على الحموديين. وبعدها تسمى بالمنصور؛ كما أورث إمارته ابنه العز بن سواجات؛ الذي عرف بالحاجب. وأورد ابن عذاري خبرا طريفا قال فيه: **((وذكر عن أبي الوليد بن جهور؛ صاحب قرطبة أنه قال: "وردت علي من الكتب في يوم واحد: كتاب من ابن صمادح؛ صاحب المرية؛ يطلب جارية عوادة، وكتاب من ابن عباد؛ يطلب جارية زامرة، وكتاب من سواجات؛ صاحب سبتة؛ يطلب قارئا يقرأ القرآن". فـوَجَّـهَ إليه من طلبة قرطبة رجلا يعرف بعون الله بن نوح.**

"

وعجب أبو الوليد من ذلك؛ وقال: "جاهل يطلب قارئا، وعلماء يطلبون الأباطيل")).[1]

ـ ثم **المعز بن سواجات** (سقوت) المعروف بالحاجب (توفي قتيلا في سبتة سنة 476هـ/1083م)؛ خلف والده في الإمارة؛ بعد مقتله في موقعة ضد المرابطين. وبقي يقاوم تحرشات المرابطين مدة؛ حتى اشتد حصارهم لسبتة من جهة البحر. وهكذا انتهت معركته ضدهم؛ بسقوط سبتة، وقتله في السنة المذكورة آنفا.

ـ ثم **حمو بن مليل البرغواطي المصمودي** (توفي بعد عام 493هـ/1099م)؛ كان من أتباع منصور البرغواطي؛ المتغلب على سفاقص؛ فانتهز فرصة سنحت؛ فغدر به؛ في الحمام، وقتله في عام 451هـ/1059م، ثم استولى على مقاليد الأمور في تلك المدينة؛ وتآمر مع الأعراب ضد دولة المعز بن باديس. ولما مات المعز، وخلفه ابنه تميم؛ كانت بينهما أحداث ووقائع عديدة؛ انتهت باستعادة سفاقص من طرف تميم سنة 493هـ؛ فهروب حمو إلى قابس؛ أين أجاره أميرها مكن بن كامل الدهماني؛ فبقي عنده حتى مات.

---

[1] البيان المغرب، ج: 3، ص: 250.

"

ـ ثم **إسماعيل بن يسلاَّلي** (يحيى) **الهزرجي المصمودي** (توفي قتيلا سنة 549هـ/1154م)؛ وهو من أصحاب العشرة بين الموحدين. سماه صاحب المعجب إسماعيل بن يحيى؛ وكان المهدي أذن له بالقضاء بين الناس؛ ونسب إليه صاحب المعجب مواقف سامية في الفداء، والتضحية؛ منها أنه نبه المهدي عندما أنصار الدولة المرابطية قتله؛ إذ سأله عن إعراب الآية: ((إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين)). فانتبه المهدي للخطر المحدق به؛ ورحل. والموقف الثاني حدث له مع عبد المؤمن؛ حينما علم بالمؤامرة التي دبرت لقتله من طرف أقرباء المهدي؛ طلب من عبد المؤمن أن يترك له فراشه تلك الليلة؛ فلبى عبد المؤمن طلبه؛ معتقدا أن نفسه هوت ذلك؛ ولما نام فيه وقع قتل خطأ بدل عبد المؤمن.

ـ ثم **عمر بن تفراجين** (تفراكين) **التينملي المصمودي** (توفي قتيلا سنة 549هـ/1154م)؛ وهو من أهل الخمسين في النظام الموحدي؛ الذي أحدثه ابن تومرت. تركه عبد المؤمن بن علي واليا على مراكش. ولما أراد أقرباء

"

المهدي (بنو أمغار) الثورة بها قتلوه؛ لأنه عارضهم.

ـ ثم **محمد بن عبد الكريم الرجراجي** (الركراكي) **المصمودي** (توفي بسجن المهدية سنة 597هـ/1200م)؛ وهو من قادة الموحدين؛ الموصوفين بالشجاعة، والإقدام. نشأ بالمهدية؛ بين جند الموحدين؛ إذ كان أبوه منهم. وقد قدم محمد هذا للدولة، وسكان المهدية خدمات جليلة؛ في مكافحة الأعراب، ومطاردتهم في تلك النواحي؛ إذ كان الولاة بتلك المناطق قد أطلقوا يده، وفوضوا له أمر مكافحة الفساد؛ دون أن يحاسبوه على شيء؛ فتمكن من كبح، الأعراب، وأزالة فسادهم، وعيثهم من تلك الجهات؛ فانتشر الأمن، وازدهرت الأوضاع الاقتصادية. ولم تكن قبائل الأعراب تجرؤ على الانتجاع في الأراضي التي في حماه إلا بإذنه؛ فنوه بذكره الناس، واشتهرت مزاياه بينهم؛ حتى أنهم كانوا يدعون له في المساجد؛ بعد كل صلاة. ولما استبدل الوالي الموحدي في إفريقية؛ وقدم إليها الشيخ أبو سعيد المؤمني؛ أحضر معه أخاه أبا علي، وأسند إليه أعمال المهدية؛ تراجع عما جرت عليه العادة مع ابن عبد الكريم؛ وطالبه بأسهامه فيما يغنمه

خلال غزوه للأعراب؛ فأبى، وطلب مجاراته على ما سبق مع الولاة السابقين. فقبض عليه أبو علي، وامتحنه، وأهانه. فاستنجد أبن عبد الكريم بأبي سعيد؛ الوالي على إفريقية؛ فلم يلتفت إليه. وخلال هذه الأحداث؛ بدأ الفساد في الانتشار عبر الطرقات، وفي البراري، وفي الساحل؛ حيث استفحل شأن الأعراب من جديد؛ بسبب الفراغ الأمني. فطلب الناس من أبي علي إطلاق سراح ابن عبد الكريم؛ فرفض؛ وكادت أن تنشب فتنة؛ جراء ذلك؛ فاضطر إلى إطلاق سراحه؛ طلبا منه الخروج للأعراب. وبدلا من توجهه إلى الأعراب؛ فقد اختار الهجوم على القصر، واعتقال أبي علي. وتم له ذلك، ثم استبد بالمهدية؛ بعد ثورته تلك؛ ولم يطلق أبا علي إلا بفدية ثقيلة. وكانت نهايته بسقوط المهدية؛ في براثن ابن غانية؛ فمات مسجونا لديه.

ـ ثم **سبع بن منخفاد الغماري المصمودي** (توفي مقتولا سنة 562هـ/1166م)؛ وهو الذي تزعم الثورة ضد الموحدين بجبال غمارة. هذا وقد انتهت ثورته بالفشل؛ وقتل ثم صلب.

"

ـ ثم **أبو عبد الله محمد بن يغمور الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 603هـ/1206م)؛ وهو من شيوخ الموحدين؛ ولاه الناصر الموحدي المهدية؛ بعد إخراج ابن غانية منها.

ـ ثم **أبو محمد عبد الواحد أقوسقور** (أقسجور) **بن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي** (توفي بتونس سنة 618هـ/1221م)؛ وهو من شيوخ الموحدين. أسند إليه الناصر الموحدي أعمال إفريقية؛ ومطاردة ابن غانية في أطرافها. فتدعم بواسطته سلطان الموحدين بتلك الربوع. وبوجوده في تلك الديار مهد لأبنائه التعرف عليها، والتطلع للبقاء فيها.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد ابن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي** المعروف بـ عبو (كان حيا سنة 625هـ/1227م)؛ ولاه العادل الموحدي إفريقية؛ فبقي بها؛ حتى خلعه أخوه أبو زكرياء بإيعاز من المأمون الموحدي؛ ثم سجنه بقصر من قصور تونس.

ـ **ميمون بن موسى الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 626هـ/1228م)؛ ولي خطة الوزارة في عهد أبي زكرياء الحفصي؛ ولكنه نكبه فيما بعد؛ واستصفى أمواله، ثم نفاه إلى الإسكندرية.

"

ـ ثم **أبو عبد الرحمن يعقوب بن يوسف ابن محمد الهرغي المصمودي** (توفي قتيلا سنة 639هـ/1241م)؛ اشتهر بالشجاعة والأقدام. وكانت تجمعه بالجوهري؛ صاحب الأشغال في الدولة الحفصية صداقة؛ ولما سمع بمقتله؛ خاف أن يأتي دوره بعده؛ فحاول الشروع في الثورة في طرابلس، والاستبداد على السلطان أبي زكرياء الحفصي؛ ولكنه مني بالفشل منذ البدء؛ إذ قبض عليه من طرف أعيان طرابلس، ثم جاءهم الأمر بقتله، وصلبه؛ فتم ذلك.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي** (توفي خارج بونة سنة 647هـ/1249م)؛ هو المؤسس الأول للدولة الحفصية بتونس؛ بعد أن فصلها عن سلطان الدولة الموحدية سنة 627هـ/1229م. وقام بعد الاستبداد بتدعيم سلطانه، وتوسيع نفوذه بإفريقية، والمغرب الأوسط. وكان متقشفا، جماعا للمال، محبا للعلم، للعلماء. وكان أديبا، وينظم الشعر؛ من شعره ما قاله في الجوز:

تَفَضَّلْ بِطَعْمٍ لَهُ مَلْبَسٌ
صَلَابَة وَجْهِ لَئِيمٍ حَكَى

"

إذَا بَـــزَّ عَنْ جسْمِـــهِ ثَوْبَـــهُ
أتَـــاكَ كَمَا يُمْضَـــغُ المُصْطَـــكَى

وفي وصفـــه للرمـــح يقـــول:
وَأسْمَـــرَ غرٍّ شَيَّبَ النَّقْـــعُ رَأسَـــهُ
ألاَ إنَّمَـــا بَعْدَ القَشِيب مَشِيـــبُ
مَـــدَدْتُ بِـــهِ كَـــفِّي إلَيْهِمْ كَأَنَّـــهُ
رِشَـــاءٌ وَمِنْ قَلْبِ الكَمِيِّ قَلِيـــبُ

ولـــه أيضـــا:
أمَالِكَـــتَيْ قَلْبِ الكَئِيب تَعَطُّفـــاً
بِسَاكِنَـــتَيْ رَبْعِ الضُّلُوعِ تَرَحُّمَـــا
عَلَى هَائِـــمٍ أعْيَاهُ حَمْلُ غَرَامِـــهِ
وَأعْقَبَـــهُ فَـــرْط الغَـــرَامِ تَألُّمَـــا
فَلَـــمْ يُبْـــقِ فِيهِ البَيْنُ إلاَّ تَنَفُّسَـــا
وَلَمْ يُبْـــقِ فِيهِ الشَّوْقُ إلاَّ تَوَهُّمَـــا

ـ ثـــم أبـــو يحـــيى زكريـــاء بـــن يحـــيى بـــن عبـــد الواحـــد بـــن أبي حفـــص الهنتـــاتي المصمـــودي (تـــوفي ببجايـــة سنـــة 646هـــ/1248م)؛ وهـــو ولي عهـــد أبي زكريـــاء؛ ولكنـــه تـــوفي في حياتـــه؛ حينمـــا كـــان ببجايـــة؛ واليـــا عليهـــا؛ مـــن طـــرف أبيـــه.

"

ـ ثم أبو عبد الله المستنصر بالله **محمد ابن أبي زكرياء يحيى الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 675هـ/1276م)؛ في عهده أسقط المغول الخلافة العباسية ببغداد؛ فانتهز هذه الفرصة؛ فأعلن نفسه خليفة للمسلمين؛ وبالفعل وصلته بيعة نيلبة عن أهل مكة؛ خصه بها عبد الحق بن سبعين. ويبدو أنه كان متقلب المزاج؛ فكان سرعان ما ينقلب على المقربين منه. وهو الذي أمر بقتل ابن الأبار؛ بسبب بعض الوشايات في حقه؛ فعذب قبل قتله، وأحرقت كتبه، ومؤلفاته؛ ويقال أنها كانت نحو خمسة وأربعين تأليفا.

ـ **ثم أبو زكرياء الواثق يحيى بن محمد المستنصر الحفصي الهنتاتي المصمودي** (توفي بعد 678هـ/1279م)؛ افتتح عهده بإطلاق المساجين، ورفع المظالم كافة، وإلغاء المكوس، والسعي لبناء، وترميم المساجد؛ ومنها جامع الزيتونة؛ والإحسان إلى الجند. ولكن اتضح فيما بعد أنه كان ضعيفا، وخاملا؛ فترك شئون دولته بيد كاتبه وصاحب علامته الفقيه يحيى بن أبي مروان فاستبد عليه. وكان مكروها؛ فأساء لنفسه، وللسلطان الواثق؛ فكان سببا في تحول الناس عنهما؛ والتطلع إلى الأمير أبي إسحاق؛

"

الموجود بالأندلس؛ فراسله بعضهم؛ طالبين إليه المسير إليهم؛ وإنقاذ الدولة. فلم يتردد أبو إسحاق في ذلك؛ وهو المعارض؛ واللاجئ السياسي لدى ابن الأحمر؛ فسارع بالذهاب إلى إفريقية؛ بمساعدة سلطان تلمسان؛ فأسقط الواثق، واعتقله، وعذب حتى مات.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق بن تفراجين** (تفراكين) **التينملي المصمودي** (كان حيا سنة 681هـ/1282م)؛ وهو من شيوخ الموحدين في تونس. أسند إليه الدعي مهمة تأديب الأعراب؛ فأتمها.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي** (توفي مقتولا سنة 682هـ/1283م)؛ بعد أن أسقط الواثق؛ نكل به، وبأسرته، وحاشيته؛ فهرب من بينهم أحد فتيان المستنصر إلى المغرب؛ حيث تآمر مع مغامر من أهل بجاية يدعى ابن أبي عماره؛ وعرف ـ فيما بعد ـ بالدعي. وقد تسببت هذه المؤامرة في قتل أبي إسحاق ببجاية، وهلك أبنائه. ويبدو أنه غير صالح للحكم؛ فمما قاله ابن القنفذ: ((**وكان الأمير أبو إسحاق فيه غلظة، وشجاعة، وخفة،**

"

وغيبة عن مجلسه؛ في لهوه، وأنسه. وكان ل ينظر في عواقب الأمور... واستولت العرب في أيامه بتونس على القرى، والمنازل، ونهبوا الأموال، والحريم. وهو أول من كتب البلاد الغربية للعرب بالظهائر؛ وزاد في العوائد؛ ليجد الراحة في لذاته؛ بعد تقدم غزواته؛ وقلت المجابي، في أيامه، وكثر الإخراج والإنفاق)).[1]

ـ ثم أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي المصمودي (ت: سنة 694هـ/1294م)؛ كان عاقلا، وحليما، وكريما؛ ويعظم العلماء؛ اشتهر خلال عهده بالتسامح، وعدم إراقة الدماء. ومع اتصاف أيامه بالهناء والأمن والعدل؛ إلا أنها عرفت غزوا من طرف النصارى؛ الذين اعتدوا على جربة والمهدية؛ فعاثوا بهما فسادا. هذا بالإضافة إلى عبث الأعراب، واستبدادهم بالقرى، والبوادي. ومن جهة أخرى طمع في الاستيلاء على الدولة؛ الأمير أبي زكرياء ابن السلطان أبي إسحاق؛ الذي اقتطع قسنطينة، وبجاية.

---

[1] الفارسية، ص: 139.

"

ـ ثم مسلم بن سعيد التنملي المصمودي (توفي بغرناطة سنة 698هـ/1298م)؛ كان من عامة الناس؛ فتمكن بذكائه ودهائه وكفايته من التقرب إلى سلطان بني نصر محمد بن محمد بن يوسف؛ ثاني ملوكهم؛ فأسند إليه خطة الحفازة؛ وهي التي ينظر صاحبها في عموم الجبايات، وجمع الأموال، ومعاقبة المتهاونين، والمتحايلين؛ فعظم شأنه، واشتدت سطوته؛ ونمت ثروته؛ فصاهر البيوتات الكبيرة، ،أضحى من عظماء خدام الدولة. ويبدو أن ولي العهد كان يحقد عليه؛ لشيء في نفسه منه. فكان ينتظر فرصة وصوله إلى سدة الحكم؛ لكي يشفي غليله منه؛ ولكن شاءت الظروف أن يموت مسلم قبل تملكه. فلما اعتلى السرير ـ بعد مدة ـ نبش قبر مسلم، واحرق رفاته. وبذلك أطفأ نار حقده.

ـ ثم أبو زكرياء يحيى بن إبراهيم بن أبي زكرياء الحفصي الهنتاتي المصمودي (توفي ببجاية سنة 700هـ/1300م)؛ كان قد نجى إلى تلمسان أيام أبي عمارة؛ فتمكن من الاستيلاء على بجاية، وقسنطينة وتشيد إمارة بهما؛ فقسم الدولة إلى دولتين. ثم حاول الاستيلاء على تونس؛ ولكنه فشل. كان حكمه في إمارته

"

محمودا؛ إذ عرف بحسن السيرة، والعدل بين الناس، والبعد عن المنكرات.

ـ ثم أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن أبي زكرياء الحفصي الهنتاتي المصمودي (ت: سنة 709هـ/1309م)؛ حاول استعادة قسنطينة ـ بعد اعتلائه سدة الحكم ـ ولكنه أخفق. وفي وقته هدد النصارى تونس؛ ثم عادوا من حيث أتوا.

ـ ثم أبو عبد الله محمد بن محمد المزدوري الهنتاتي المصمودي (كان حيا سنة 711هـ/1311م)؛ وهو من أعيان الموحدين؛ كان شيخا لدولة زكرياء بن اللحياني؛ وكان له دور كبير في وصول ابن اللحياني إلى الحكم. يبدو أنه كان ينظم شيئا من الشعر؛ إذ أورد له التجاني بيتين من الرجز؛ قالهما عندما اضطر لسكنى بلد بين سفاقص وطرابلس؛ يسمى عيون وَذرفْ:

هَذِي عُيُونُ وَذرِفِ   دَعِ العُيُونَ تَذرِفِ
بَدِّلْتُ مِنْ أرْضِي بِهَا   وَا أَسَفِي وَا أَسَفِي

"

ـ ثم **أبو يحيى زكرياء بن أحمد بن اللحياني الحفصي الهنتاتي المصمودي** (توفي بمصر سنة 728هـ/1327م)؛ استولى على الحكم بعد عودته من الحج؛ فوجد البلاد قد تغلبت عليها قبائل الأعراب؛ من بني هلال وسليم. بالإضافة إلى الانشقاقات بين أفراد العائلة المالكة؛ لذا فقد حدث له ما سبق أن أحدثه هو لغيره؛ إذ خرج عليه أمير بجاية وقسنطينة؛ فلم يمهله طويلا؛ حتى استولى على دولته. فلجأ بأمواله، وذخائره إلى مصر؛ أين توفي بها. وكان إلى جانب مرتبته السلطانية فقيها، وأديبا، وله منظومات شعرية.

ـ ثم **أبو بكر بن يحيى بن أبي إسحاق إبراهيم الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 747هـ/1346م)؛ زحف من قسنطينة ـ مسقط رأسه ـ إلى تونس؛ حيث افتك الحكم من اللحياني؛ واعتلى سدة الحكم بها. عرفت فترة حكمه حروبا شديدة؛ بينه وبين بني عبد الواد؛ الذين تمكنوا من احتلال تونس لبعض الوقت. ولكنه استرجعها؛ بدعم من بني مرين. كما استطاع التكيف ـ بذكاء ـ مع الوضع المردي في إفريقية؛ بسبب تغلب الأعراب على أغلب جهاتها.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن تفراجين** (تفراكين) **التينملي المصمودي** (توفي قتيلا سنة 747هـ/1346م)؛ كان وزير في الدولة الحفصية.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن تفراجين** (تفراكين) **التينملي المصمودي** (توفي بتونس سنة 766هـ/1364م)؛ وهو الحاجب الوزير بالدولة الحفصية؛ ذاع صيته، واستفحل أمره؛ حتى أضحى نفوذه يفوق نفوذ السلطان الحفصي نفسه.

ـ **أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن بن أبي هلال الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 769هـ/1367م)؛ كان وزيرا في الدولة الحفصية.

ـ ثم **عامر بن محمد بن علي الهنتاتي المصمودي** (توفي مقتولا سنة 771هـ/1369م)؛ وهو من كبار زعماء هنتاتة؛ ترعررع في ظل الدولة المرينية؛ إذ كان أباه، وعمه في خدمة الدولة؛ منذ قيامها؛ فتوليا الجباية. ولما كبر عامر هذا؛ التزم بخدمة السلطان أبي الحسن؛ فأخلص له، وتفانى في الحفاظ على أمواله، وأبنائه. وقد وصفه ابن الخطيب، بصفات جليلة؛ كما أورد ابن خلدون جملة من أخباره؛ التي تدل على مترلته الرفيعة بين بني مرين.

"

ـ ثم **أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن يحيى بن أبي إسحاق إبراهيم الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 796هـ/1393م)؛ كان أميرا على بجاية وقسنطينة؛ فزحف على تونس، وأحتلها بالقوة؛ ثم اعتلى سدة الحكم بها. وقد أعاد الاستقرار إلى الدولة؛ بفضل حزمه، وحنكته. كما استرجع الأمصار التي تغلبت عليها قبائل بني هلال؛ فثاروا عليه؛ ولكنه أخضعهم بالمطاولة. وفي وقته هجمت جيوش جنوة على المهدية؛ ففشل مسعاهم.

ـ **إبراهيم ابن الكاتب أبي يعقوب يوسف ابن القائد إبراهيم الغماري المصمودي** (ت: سنة 798هـ/1395م)؛ وهو فقيه، وكاتب ببلاط الدولة الحفصية؛ كما ولي في بعض المهام السامية في الدولة.

ـ ثم **أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي الهنتاتي المصمودي** (ت: سنة 837هـ/1433م)؛ افتتح عهده بمواصلة ما شرع فيه والده؛ من تمهيد الدولة، وتعزيز سلطانها. وبالفعل فقد تمكن من استعادة بعض الهيبة إليها. كما حاول غزو مالطة؛ إذ قام جيشه بحصارها؛ دون جدوى، ثم غزا صقلية؛

"

فغنم جيشه منها بعض المغانم، وعاد. وتوفي بالقرب من ونشريس؛ وهو في طريقه لحرب سلطان تلمسان.

ـ ثم **محمد بن الحسن بن محمد الحفصي الهنتاتي المصمودي** (كان حيا سنة 981هـ/1573م)؛ وهو آخر السلاطين الحفصيين. سار على نهج بعض أسلافه؛ في التحالف مع الأسبانيين؛ ضد إرادة مواطنيه. فانتهى عهده بانهزامه أمام العثمانيين؛ برفقة حلفائه الأسبان؛ والهجرة معهم إلى أسبانيا؛ في السنة المذكورة.

***

ـ ***مواطنهم:*** تمتد مواطن مصمودة من منطقة الريف شرقا، إلى المحيط الأطلسي غربا. ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى تخوم تامسنا، ودكالة جنوبا. وتشمل جبال الأطلس الكبير؛ حيث تنتهي عند سفوحها المتصلة بإقليم السوس. ومنها تتجه حدودهم شرقا مع اتجاه السلسلة الجبلية؛ حتى بداية جبال الأطلس الأوسط؛ على مشارف تازة، وتادلا. وهناك

"

تجاورهـــم قبائـــل صناكـــة (صنهاجـــة) السابقـــة الذكـــر.[1]

....

10ــ هسكـــورة:

وهـــم ــ كمـــا سبـــق ذكـــره ــ مـــن أبنـــاء تصـــكي العرجـــاء. ولا يعـــرف لهـــم أب. اندرجـــوا ــ في عهـــد الموحديـــن ــ ضمـــن حلـــف مصمـــودة؛ بانتمائهـــم إلى الدعـــوة الموحديـــة؛ مـــع أن أغلبهـــم ــ في بدايـــة الدعـــوة ــ كانـــوا معاديـــن لهـــا؛ ثـــم التحقـــوا بهـــا لاحقـــا؛ بعـــد فتـــح مراكـــش؛ حاضـــرة الدولـــة المرابطيـــة. وقـــد قســـم صاحـــب كتـــاب الأنســـاب في معرفـــة الأصحـــاب هسكـــورة إلى قسميـــن؛ همـــا: هسكـــورة القبلـــة، وهسكـــورة الظـــل. وذكـــر مـــن أفخـــاذ القســـم الأول سبعـــة أفخـــاذ؛ هـــم: **ايزمـــراون (زمـــراوة)**، **وايفسفيســـن (فسفيســـة)**، **وايكرنـــان (كرنانـــة)**، **وايمغـــران (مغرانـــة)**، **وايونيلـــن (نيلـــة)**، **وآيـــت ووارت (بنـــو واوارت)**، **وآيـــت يلفتـــن (بنـــو يلفتـــن)**. أمـــا القســـم الثـــاني فإحـــدى عشـــر فخـــذا؛ هـــم: **ايزمـــراون** (زمـــراوة)، **ايسايويـــن** (سايويـــة)، **ايصـــاد** (صـــادة)، **ايغجدامـــن** (غجدامـــة)، **اينتيفـــت**

---

[1] العبـــر، مج: 6، ص ص: 428 . 436. 460 ــــ 462.

"

(هنتيفة)، **آيت سكور** (بنو سكور)، **اين لسيد** (لسيدة)، **اين ماصوص** (ماصوصة)، **آيت مصطاو** (مصطاوة)، **اين ميمونة** (ميمونة)، **اين ولتان** (هلتانة).[1]

أما ابن خلدون فقال أن لهسكورة بطونا عديدة، وواسعة؛ أهمهم:[2] **نتيفت وبنو رسكونت وزمراوة وغجرامة وفطواكة ومصطاوة وبنو نفال.** وقد برزت منهم أحياء: **انتيفت وفطواكة وبنو نفال.** فالرئاسة في **انتيفت** محصورة في أسرة **أولاد هنو**؛ ومنهم **يوسف بن كنون**؛ صاحب حصن تاقيّوت، وأولاده هم: علي ومخلوف وهلال بن مخلوف. وكانت **لأنتيفت** مواقف مضطربة تجاه الدولة؛ تميل إلى الطاعة أحيانا، وتجنح إلى العصيان أحيانا أخرى. أما **فطواكة** فهم أوسع بطون هسكورة، وأكبرها؛ وعليه فرئاستهم في هسكورة هي الأعظم والأهم؛ ولرؤسائهم ميزة الاجتماع، والاتصال بملوك الدولة؛ الذين يرجعون إليهم عندما يتعلق الأمر ببطون هسكورة كلها. كانت رئاستهم أيام المأمون (سلطان بني عبد المؤمن)،

---

[1] ص: 44.

[2] العبر، مج: 6، ص ص: 420 ـــ 424. 552 ـــ 556.

"

وابنه الرشيد؛ ممثلة في شخص **عمر بن وقاريط الهسكوري**؛ ثم خلفه على رئاسة القبيلة **مسعود بن كلداسن.** وقال ابن خلدون أن الأسرة التي تترأس **فطواكة**، ومن ورائها هسكورة كلها؛ هي أسرة **بني خطاب**؛ الذين ينتسبون إلى جدهم مسعود بن كلداسن. وكانت فطواكة ــ بدورها ــ متقلبة في ولائها للدولة الموحدية. ولما ظهر بنو مرين؛ انحازت فطواكة إليهم؛ فتعزز موقف رؤسائهم (من بني خطاب)؛ داخل قبيلتهم هسكورة. ويبدو أن أبرز المهام التي كانت تسندها الدول المختلفة إلى أولئك الرؤساء؛ هي جمع المغارم، والجباية، داخل قبائلهم، ثم حشد المقاتلين؛ ووضعهم في خدمة الدولة.

ومع هذا يرى ابن خلدون بأن هسكورة كانت في منعة من قهر الدولة؛ إذ يقول: **((واعتصم هسكورة هؤلاء بمعقلهم، واعتزوا فيه بمنعتهم؛ فلم يغمسوا في خدمتهم يدا،** (الكلام هنا عن بني مرين) **ولا أعطوهم مقادا، ولا رفعوا بدعوتهم راية؛ إنما هي منابذة لأمرهم، وامتناع عليهم سائر الأيام. فإذا زحفت الحشود، وتمرست بهم العساكر؛ دافعوا**

"

بطاعة معروفة، وإتاوة غير ملزمة؛ ورئيسهم مع ذلك يستخلص جبايتهم لنفسه، ويدفعهم في المضايق لحمايته؛ وربما تخطاهم إلى بعض قبائل الجبل، ومن قاربه من أهل بسائط السوس)).[1] أما **بنو نفال**؛ فهم ـ كذلك ـ ممن حاول مقاومة نفوذ الدولة؛ ولكنهم أذعنوا لقوتها، وغلبتها. وقد انحصرت الرئاسة فيهم ضمن أسرة **أولاد ترويميت**؛ ومنهم **علي بن محمد**؛ الذي ترأس عليهم في عهد أبي سعيد، وابنه أبي الحسن المريني.

! ! !

ـ ***أعيانهم:*** من أعلام هسكورة، وعلمائها الأعيان:

ـ **أبو عبد الله بن شعيب الهسكوري** (توفي بتونس سنة 664هـ/1265م)؛ وهو من العلماء الزهاد.

ـ ثم **أبو محمد صالح الهسكوري** (توفي بفاس قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه؛ من أهل الزهد، والورع.

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 552 ـ 553.

"

ـ ثم **أبو محمد عبد الله الهسكوري** (ت: سنة 716هـ/1316م)؛ فقيه.

ـ ثم **أبو عمران موسى بن يموين بن باكرين بن ياسين بن العلم بن زيري الهسكوري** المعروف بالبخاري (كان حيا سنة 723هـ/1323م)؛ كان من أقدر الناس ـ في وقته ـ على الحفظ؛ فكان يستظهر كتاب سيبويه، ومتون في الفقه. عرف بصلابته، وحبه لإظهار المخالفة.

ـ ثم **أبو محمد عبد الحق الهسكوري** (كان حيا سنة 770هـ/1368م)؛ فقيه؛ تصدر للتدريس بفاس.

***

ـ *مواطنهم*: تتواجد مواطن هسكورة بجبال درن، ومنها إلى تادلا من الجهة الشرقية؛ ثم إلى درعة من ناحية الجنوب. وهذا نص لابن خلدون يصف فيه حال هسكورة، وموطنها: **((وأما هسكورة فكان لهم بين الموحدين مكان، واعتزاز؛ بكثرتهم، وغلبهم؛ إلا أنهم كانوا أهل بدو، ولم يخالطوهم في ترفهم، ولا أنعموا في نعيمهم. وكان جبلهم الذي أوطنوه**

"

مـــن حالـــه؛ دون القنـــة منهـــا، والـــذروة. واعتصمـــوا منـــه بالآفـــاق الفـــدد، واليفـــاع الأشـــم، والطـــود الشاهـــق؛ قـــد لمـــس الأفـــلاك بيـــده، ونظـــم النجـــوم في مفرقـــه، وتلفـــع بالسحـــاب في مروطـــه، وآوى الريـــاح النجـــوم في مفرقـــه، وتلفـــع بالسحـــاب في مروطـــه، وآوى الريـــاح العواصـــف الدجـــوة، وألـــقى إلى خبـــر السمـــاء بإذنه، وأظـــل عـــلى النجـــوم في مفرقـــه، وتلفـــع بالسحـــاب في مروطـــه، وآوى الريـــاح العواصـــف الدجـــوة، وألـــقى إلى خبـــر السمـــاء بإذنـــه، وأظـــل عـــلى البحـــر الأخضـــر بشماريخـــه، واستدبـــر القفـــر مـــن بـــلاد الســـوس بظهـــره، وأقـــام سائـــر سائـــر جبـــال درن في حجـــره)).[1]

....

[1] العبـــر، مج: 6، ص: 552.

إضافــــة

هــذا مــا أمكــن إثباتــه في هــذا الكتــاب؛ بخصــوص القبائــل الأمازيغيــة؛ الــتي كانــت معروفــة في العصــر الاســلامي. ولكــن ثمــة معلومــات أخــرى متفرقــة تشيــر إلى بعــض الأعــلام؛ مــن الأمازيــغ وإلى نشاطاتهــم؛ دون أن تنسبهــم إلى قبيلــة تذكــر؛ وقــد اكتفــت المصــادر بذكــر الجــذم أو الشعــب الــذي يرجعــون إليــه؛ فاستعملــت عبــارة: البرنــسي، أو البربــري؛ دون تخصيــص. وعليــه فــلا مانــع مــن ذكــر بعــض الأعيــان عــلى هــذه الصــورة؛ لمــا لهــم مــن أهميــة، وتفــوق في المجــالات العلميــة، والأدبيــة، والسياسيــة. ومــن هــؤلاء:

ـــ **رزيــن البرنــسي** (مــن أعــلام النصــف الثــاني مــن القــرن الأول للهجــرة)؛ ربمــا كــان هــو الجــد الأول لبــني رزيــن الهوارييــن؛ قبــل انتقالهــم إلى السهلــة؛ المعروفــة بهــم؛ خاصــة وأن هــوارة مــن البرانــس. وفي القــرون المتقدمــة؛ كــان اســم الجــذم (برنــس أو أبتــر) هــو البــارز، والمهيمــن؛ حيــث كــان ينتســب إليــه أبنــاؤه مباشــرة. و نقــل ابــن حيــان عــن الــرازي خبــرا مفــاده؛ أن رزيــن هــذا هــو أول مــن اختــط منيــة الرصافــة بقرطبــة؛ وليــس

"

عبد الرحمن الداخل كما اشتهر. ومما قاله: **((وكانت خطة منية الرصافة هذه في الإسلام لرزين البرنسي؛ أحد أكابر رجال البربر الداخلين إلى الأندلس في جيش طارق؛ وإليه ينسب البلاط الذي بها، والزيتون الذي بازائها؛ فكان المختط للرصافة. ولرزين هذا آثار كثيرة بقرطبة وغيرها؛ منها المسجد المنسوب إليه بالربض الغربي؛ وينسب إليه أيضا الجنان التي تجاور عين قُبَّش بذلك الربض. وانتقلت الرصافة عن ورثتها؛ فاشتراها الأمير الداخل عبد الرحمن بن معاوية)).**[1]

ـ ثم **أبو عبد الله عكرمة البربري** مولى ابن عباس رضي الله عنه (ت: سنة 105هـ/723م)؛ قال فيه المالكي: **((كان كثير الرواية عن مولاه، وعليه معتمده، وروى عن عبد الله ابن عمر بن العاص، وعن أبي هريرة؛ وروى عنه خلق يطول ذكرهم. أدخله مالك في موطئه؛ وكنى عن اسمه فقال: "أخبرني مخبر عن ابن عباس"؛ وهو عكرمة... وقيل لسعيد ابن جبير: "تعلم أحدا أعلم منك؟" قال:**

[1] المقتبس؛ تحق مكي، ص: 234.

"

"نعم؛ عكرمة". قال قتادة: "أعلم الناس بالتفسير عكرمة". قال أبو بكر: وقد اختلف بالحديث في عكرمة؛ فممن وثقه وأثنى عليه يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبو الحسن الكوفي، وإسماعيل القاضي؛ وضعفه غيرهم؛ ولكنهم متفقون على حفظه، ومعرفته بالعلم، وتفسير القرآن الكريم". دخل عكرمة إفريقية، وأقام بالقيروان، وبث بها العلم؛ وكان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غربي الصومعة. [قال] أبو العرب: "ذكر أحمد بن صالح أن أصل عكرمة من بربر إفريقية؛ وذكر غيره أنه من سبي إفريقية. اشتراه (أي باعه) [ولد] ابن عباس. فقيل له: "أتبيع علم أبيك"؟؛ فاسترده، وأعتقه... توفي هو وكُثَيِّر عزة في يوم واحد؛ وصلي عليهما جميعا؛ فقيل: "مات أشعر الناس، وأعلم الناس".)).[1]

---

[1] رياض النفوس، ج: 1، ص ص: 145 ــــ 146.

"

ـ ثم **ميمون بن سعد البربري** مولى الوليد ابن عبد الملك (من أعلام النصف الأول من القرن الثاني للهجرة)؛ دخل الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية سنة 138هـ/755م. وولاه عبد الرحمن على طليطلة. وهو الذي قتل يوسف الفهري.

ـ ثم **حبيب البرنسي** (كان حيا سنة 236هـ/850م)؛ ثار في السنة المذكورة بالجزيرة الخضراء على عبد الرحمن بن الحكم؛ فاجتمع إليه عدد كبير من الثوار؛ ولما نهض الأمير عبد الرحمن إليه؛ سبقه جمع من البربر؛ إلى ملاقاة الثوار، وقمعوا ثورتهم؛ ولكن قائدهم حبيب البرنسي هذا تمكن من النجاة؛ ثم اختفى ذكره نهائيا.

ـ ثم **داود بن ميمون بن سعد البربري** (من أعلام القرن الثاني للهجرة)؛ لم يتجه نحو دروب الحكم، والسلطان؛ مثلما كان أبوه؛ ولكنه وانغمس في العبادة، والزهد؛ فأضحى بذلك مثالا صادقا للزهد والنسك والورع.

"

ـ ثم **أبو القاسم عباس بن فرناس التاكرني البربري** (ت: سنة 274هـ/887م)؛ كان شاعرا فحلا، وعالما في الهندسة، والكيمياء، والحكمة، والتنجيم؛ فكان بذلك موسوعة يجمع علوما، وفنونا عديدة. ومما قاله فيه صاحب المُغْرب: **((ذكر ابن حيان أنه نجم في عصر الحكم الربضي؛ ووصفه بأنه حكيم الأندلس؛ الزائد على جماعتهم بكثرة الأدوات، والفنون. وهو مولى بني أمية، وبيته في برابر تاَكُرُنَّا. وكان فيلسوفا حاذقا، وشاعرا مُفْلقاً؛ مع علم التنجيم. وهو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وأول من فك بها كتاب العروض للخليل؛ وكان صاحب نَيْرَنْجَات؛ كثير الاختراع والتوليد، واسع الحيل؛ حتى نسب إليه السحر، وعمل الكيمياء؛ وكثر عليه الطعن في دينه. واحتال في تطيير جثمانه؛ فكسا نفسه الريش على سَرَقِ الحرير؛ فتهيأ له أن استطار في الجو؛ من ناحية الرصافة، واستقل في الهواء؛ فحلق فيه حتى وقع على مسافة بعيدة. وقال فيه مؤمن** [بن سعيد]:

"

يَطُـــمُّ عَلَى العَنْقَـــاءِ فِي طَيَرَانِهَـــا
إذَا مَا كَسَا جُثْمَانَهُ رِيشَ قَشْعَـــمِ

وتـــوفي في أعقـــاب أيـــام محمـــد بـــن عبـــد الرحمـــن سنـــة أربـــع وسبعيـــن ومائتيـــن. فتـــداول صحبـــة السلاطيـــن الثلاثـــة؛ مدحهـــم أجمعيـــن؛ وعمـــل المنقانـــة؛ لمعرفـــة الأوقـــات، ورفعهـــا للأميـــر محمـــد)).[1] أمـــا المقـــري فيقـــول فيـــه: ((ومـــن حكاياتهـــم في الذكـــاء، واستخـــراج العلـــوم، واستنباطهـــا؛ أن أبـــا القاســـم عبـــاس ابـــن فرنـــاس؛ حكيـــم الأندلـــس؛ أول مـــن استنبـــط بالأندلـــس صناعـــة الزجـــاج مـــن الحجـــارة، وأول مـــن فـــك بهـــا كتـــاب العـــروض للخليـــل، وأول مـــن فـــك الموسيـــقى... وطـــار في الجـــو مسافـــة بعيـــدة؛ ولكنـــه لـــم يحســـن الاحتيـــال في وقوعـــه؛ فتـــأذى في مؤخـــره؛ ولـــم يـــدر أن الطائـــر إنمـــا يقـــع عـــلى زَمكِّـــه؛ ولـــم يعمـــل لـــه ذنبـــا... وصنـــع في بيتـــه هيئـــة السمـــاء؛ وَخَيَّـــل للناظـــر فيهـــا النجـــوم، والغيـــوم، والبـــروق، والرعـــود. وفيـــه يقـــول مؤمـــن ابـــن سعيـــد أيضـــا:

---

[1] المغـرب في حـلى المغـرب، ج: 1، ص: 333.

"

سَمَـــاءُ عَبَـــاسٍ الأَدِيـــب أبي الـــ
ـــقَاسِمِ نَاهِيكَ حُسْنُ رَائِقِهَـــا)).[1]

كمـــا يعـــد **عبـــاس بـــن فرنـــاس** مـــن الشعـــراء المتازيـــن في بـــلاد الأندلـــس؛ وهـــذه عينـــات مـــن شعـــره؛ وهي قصيـــدة هنـــأ بها الأميـــر محمـــد بـــن عبـــد الرحمـــن بالخلافـــة؛ جـــاء فيهـــا:

مَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى أشْرَقَ القَمَـــرُ
مُحَمَّـــدٌ فَارْتَضَـــاهُ اللَّـــهُ وَالبَشَـــرُ
يَا لَيْلَة أسْفَرَتْ قَبْلَ الصَّبَـــاحِ عَنِ الـــ
ـــمَهْدِيِّ يَفْدِيكَ مِنِّي السَّمْعُ وَالبَصَـــرُ
لَتُطْبِقَـــنَّ عَـــلَى الدُّنْيَـــا خِلاَفَتُـــــهُ
سَمَـــاءَ جَوْدٍ لَهَا مَاء اللُّـــهَى مَطَـــرُ
وَيَهْلِكُ الشركُ فِي أقْـــصَى مَدَاخِلِـــهِ
حَـــتَّى يَغِيـــبَ فَلاَ يُـــدْرَى لَهُ أثَـــرُ
بِـــذاكَ تُخْبِرُنَا غُـــرُّ النُّجُـــوم كَمَـــا
أوْحَى إلَيْهَا بِـــذَاكَ الشَّمْسُ وَالقَمَـــرُ

وقـــال بعـــد إتمـــام توسيـــع المسجـــد الجامـــع:

مَحَمَّـــدٌ خَيْرُ مُسْتَرْعًى وَمُؤْتَمِـــن
لِلْمُسْلِمِيـــنَ جَمِيعاً حَيْثُمَا كَانُـــوا

[1] نفـــح الطيـــب، ج: 3، ص: 374.

"

بَنَى لَهُمْ مَسْجِــداً جَلَّتْ عَجَائِبُــهُ
لَوْلَا السَّمَـاءُ لَمَا ضَاهَــاهُ بُنْيَــانُ
كَــذَا يَكُونُ الإمَامُ المُرتَضَى أبَــداً
أقْــوَى صَبَابَاتِــهِ تَقْــوَى وَإيمَــانُ

وعنــد إنجــاز الأعمــال الإضافيــة لمنيــة الرصافــة أعــد قصيــدة طويلــة؛ نذكــر منهــا:

وَأعْرَافُــهُ الشُّــمُّ الــتِّي لاَحَ دُونَهَــا
نُجُومُ الثُّرَيَّــا وَالسِّمَاكَيْــنِ وَالغَفْــرِ
إذَا بَلَــغَ النَّضْــرُ المُكَثَّــرُ فَرْعَهَــا
وَصَوَّبَ لَمْ يَبْلُغْ إلَى الأرْضِ فِي شَهْــرِ
لَهَا الغُرَفُ البيضُ التِّي يَضْحَكُ الضُّحَى
وَتُلْحِفُهَــا مِنْ نُورِهَا فِي سَنَــا الغُــرِّ
كَــأنَّ قُصُــورَ الأرْضِ بَعْدَ تَمَامِــهِ
نُتُوءُ الذرَى أخْفَى شُخُوصاً مِنَ الــذرِّ
وَتَنْتَشِــرُ الأبْصَارُ مِنْهَا إلَى مَدَى التَّـ
ـنَــزُّهِ بالأطْيَارِ وَالوَحْــشِ وَالزَّهْــرِ
وَأعْجَــبُ منْ أفْيَائِهَــا الغُــرَرِ الَّــتِي
يَقِيــلُ بهنَّ البَــرْدُ فِي غُــرةِ الحَــرِّ
يَنِــمُّ بِأخْــفَى سِرِّهَــا غَيْــرَ كَاتِــمٍ
صَدَاهَــا فَأخْفَى السِّرِّ فِيهَا مِنَ الجَهْــرِ
كَأنَّ الَّذِي يُخْفِي الحَدِيــثَ بِنَجْوِهَــا
عَلَى أخْفَضِ الأصْوَاتِ يَشْدُو عَلَى وِتْرِ

"

نؤومُ الضُّحَى ضَافِي العُلَى سَجْسَجُ السَّنَا
تُـضِيء بلاَ شَمْسٍ عَلَيْهَا وَلاَ بَـدْرِ
وَيَاحَبَّـذَا أنْبَاتُهَـا الخُضْـرُ حَوْلَهَـا
وَأنْهَارُهَا البيضُ التِي تَحْتَهَـا تَجْـرِي
تَـرَى البَاسِقاتِ النَّاشِرَاتِ فُرُوعَهَـا
موَائِـسَ فِيهَـا مِنْ مُزَاوَلَـةِ الوَفْـرِ
كَأنَّ صِبَاغـاً صِيـغَ فَوْقَ غُصُونهَـا
مِنَ الذهَب النَّاريِّ عَرَاجِينَ مِنْ تَمْـرِ
تَبَدَّلْـنَ حَـالاَتٍ ثَلاَثـاً لَهُـنَّ فِي
مَصُوغ الحُلَى شَكْلٌ وَفِي الجَوْهَرِ النَّضْرِ
نَشَتْ لُؤلُـؤاً ثُمَّ اسْتَحَالَـتْ زُمُـرُّداً
يَعُودُ إلَى العِقيَانِ بَعْـدَ جَـنى البُسْـرِ
وَقَدْ يُشْتَهَى مِنْهَا شَـرَابٌ ألَـذُّ مِنْ
تَضَرُّع مُشْتَـاق إلَى عَاشِـقِ الكِبْـرِ
وَمِنْ أرجَـاتٍ فِي الغُصُـونِ كَأنَّهَـا
خُدُودُ عَذَارَى فِي مَقَانِعِهَا الخُضْـرِ

إلى أن يقـول:

يُغـرِّدُ فِيهَا كُلُّ مُخْتَضِـب الشَّـوَى
مُوَشَّى القَرَا قَاني الطُّلَى أخْضَرَ الصَّدْرِ
إلَى كُلِّ سَلْتـاء أضَاعَـتْ خِضَابَهَـا
مُدَبَّجَةِ الكَشْحَيْـنِ وَالبَطْنِ وَالظَّهْـرِ

"

إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ فِي شَجِيٍّ غِنائِهَا
يُنَسِّيكَ تَرْجاعَ اليَرَاعِ بِلاَ زَمْرِ

ثم يقول:

وَكُلِّ بَدِيعٍ فِيهِ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ
مِنَ الطَّيْرِ وَالنِّينَانِ وَالتَّمْرِ وَالقُمْرِي
وِرَاثَة آبَاء تَوَلَّوْا خَلاَئِفٍ
بَهَالِيلَ أمْلاَكٍ خَضَارِمَةٍ زُهْرِ

ولما صنع المنقانة (الساعة) نقش فيها أبياتا من نظمه؛ هي:

ألاَ إِنَّنِي لِلدِّينِ خَيْرُ أدَاةِ
إذا غَابَ عَنْكُمْ وَقْتُ كُلِّ صَلاَةِ
وَلَمْ تُرَ شَمْسٌ بالنَّهَارِ وَلَمْ تُنرْ
كَوَاكِبُ لَيْلٍ حَالِكِ الظُّلُمَاتِ
بِيُمْنِ أمِيرِ المُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ
تَجَلَّتْ عَنِ الأوقَاتِ كُلُّ صَلاَةِ

ومن مقطوعاته الشعرية التي كان يعدها للتلحين والغناء؛ هذه الأبيات التي كتبها بالذهب على تفاحة؛ ثم قدمها إلى الأمير محمد؛ الذي أمر أن تغنى:

"

تُفَّاحَــــةٌ مُصْفَـــرَّةُ البَعْـــضِ
بِخَوْفِهَـــا مِـــنْ أَلَـــمِ العَـــضِّ
أَمَّنْتَهَـــا ذَاكَ وَكَتَّبْتُهَـــــا
حُسْنـــاً بِذَا مِنْ ذَهَبٍ مَحْـــضِ
وَقُلْتُ فِيهَا الحَقَّ مِنْ بَعْدِ ذَا
وَمَا لِقَـــوْلِ الحَـــقِّ مِنْ نَقْـــضِ
"مُحَمَّدٌ أَكْرَمُ مُسْتَخْلَــفٍ
مِـــنْ خُلَفَـــاءِ اللَّـــهِ فِي الأَرْضِ"

وفي أخـــرى يقـــول:

تَحَفَّظْ مِنَ الهِجْرَانِ إنْ كُنْتَ تَقْـــدِرُ
يَمُوتُ الفَتَى فِي حُبِّـــهِ حِينَ يَهْجُـــرُ
فَأَمَّـــا إذا مَا بَـــانَ عَنْـــهُ حَبِيبُـــهُ
فَلاَ شَـــكَّ فِيـــهِ: ذَلِكَ اليَوْمَ يُقْبَـــرُ
رَأَيْـــتُ أَمِيـــرَ المُؤمِنِيـــنَ مُحَمَّـــداً
وَفِي وَجْهِـــهِ بَـــدْرُ المَجَـــرَّةِ يُبْصِـــرُ
هُمَامٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ تُلْقِي شُعَاعَهَـــا
عَلَى الخَلْـــقِ مِنْه حِينَ يَبْدُو وَيَظْهَـــرُ

وقـــال مادحـــا:

وَمُخْتَلِفِ الأَصْوَاتِ مُؤْتَلِفِ الزَّحْـــفِ
لَهومِ الفَـــلاَ عَبْـــلِ القَنَابِـــلِ مُلْتَـــفِّ

"

إذا أوْمَضَتْ فِيـــهِ الصَّـــوَارِمُ خِلْتَهَـــا
بُرُوقاً تَرَاءَى فِي الجِهَـــامِ وَتَسْتَخْـــفِي
كـــأنَّ ذُرَى الأعْـــلاَمِ فِي سَيلانـــهِ
قَرَاقِيـــرُ يَمٍّ قَدْ عَجَـــزْنَ عَنِ القَـــذفِ
وَإنْ طَمَحَـــتْ أرْكَانُـــهُ كَانَ قُطْبُـــهُ
حِجَى مَلِكٍ نَجْـــدٍ شَمَائِلُـــهُ عَـــفٍّ
سَـــمِيِّ خِتَـــامَ الأنْبَيَـــاء مُحَمَّـــدٍ
إذَا وُصِفَ الأَمْلاَكُ جَلَّ عَنِ الوَصْفِ
فَمِـــنْ أجْلِـــهِ يَوْمَ الثُلاثَـــاء غَـــدْوَة
وَقَدْ نَقَضَ الإصْبَاحُ جُلَّ عُرَى السَّجفِ
بَكَى جَبَـــلاً وَادِي سَلِيـــطٍ فَأعْـــوَلاَ
عَلَى النَّفَـــرِ العُبْدَانِ وَالعُصْبَةِ الغُلْـــفِ
دَعَاهُـــمْ صَرِيخُ الحَيْـــنِ فَاجْتَمَعُوا لَـــهُ
كَمَا اجْتَمَعَ الجُعْـــلاَنُ لِلْبَعْـــرِ القُـــفِّ
يُرِيـــدُونَ إرْعَـــابَ الأمِيـــرِ جَهَالَـــة
بسَعْرِ كِلاَب الحَرْب فِي حَشْوَةِ العَصْفِ
فَمَا كَـــانَ إلاَّ أنْ رَمَاهُـــمْ بِبَعْضِهَـــا
فَوَلَّـــوْا عَلَى أعْقَاب مَهْزَلَـــة كُشْـــفِ
كَـــأنَّ مَسَاعِيـــرَ المَـــوَالِي عَلَيْهِـــمُ
زَمَامِيـــجُ حَادَتْ لِلْغَرَانِيـــقِ بالنَّشْـــفِ
بِنَفْسِي تَنَانِيـــنَ الوَغَى حِينَ صَمَمَـــتْ
إلَى الجَبَلِ المَشْحُونِ صَفاً عَلَى صَـــفِّ

"

يَقُولُ ابْنُ بَلـــُّوشٍ لِمُــوسَى وَقَدْ دَنَــا
أرَاىَ المَوْتَ قُدَّامِي وَتَحْتِي وَمِنْ خَلْفِي
قَتَلْنَاهُـــمُ أَلْفــاً وَأَلْفــاً وَمِثْلَهَــــا
وَأَلْفــاً وَأَلْفاً بَعْدَ أَلْــفٍ إِلَى أَلْــفِ
سِوَى مَنْ طَوَاهُ النَّهْــرُ فِي مُسْلَحِبِّــهِ
فَأَغْرِقَ فِيــهِ أَوْ تَدَهْــدَهَ مِنْ جُــرْفِ
لَقَــدْ نَعِمَــتْ فِيَــهِ غُــزَاةُ نُسُورنَــا
وَسَمَّعَتِ الذؤبَــانُ قَصْفاً عَلَى قَصْــفِ

ويقـــول أيضـــا:

يَا بْنَ الخَلائِــفِ يَا مُحَمَّـــدُ يَا
مَـــنْ سَيْفُــهُ فِي رَاحَــةِ النَّصْــرِ
مَا إِنْ تَقُومُ لِحُرٍّ بَأسِكَ فِي الــ
ــدُّنْيَــا مُحَصَّنَــة مِــنَ الدَّهْــرِ
أَضْحَــتْ طُلَيْطِلَــة مُعَطَّلَــة
مِــنْ أهْلِهَــا فِي قَبْضَــةِ الصَّقْــرِ
تُرِكَــتْ بِلاَ أهْــلٍ تُؤَهِّلُهَــا
مَهْجُــورَةَ الأَكْنَــافِ كَالْقَبْــرِ
مَا كَانَ يُبْــقِي اللَّــهُ قَنْطَــرَةَ
أَضْحَــتْ سَبِيلَ كَتَائِــبِ الكُفْــرِ

"

وقــال مهنئــا بالنصــر، وعيــد الفطــر معــا:

إنَّ القفُــولَ الَّذِي أوْفَى بعِيدَيْــنِ
مُكَرَّمَيْنِ عَلَى الدُّنْيَــا عَزِيزَيْــنِ

قُدُومُ أكْرَمِ مَنْ فِي الأَرْضِ قَاطِبَــة
قُدُومُ فِطْــرٍ، فَكَانَا خَيْرَ عِيدَيْــنِ

طَابَا كَتُفــاَّ حَتَيْ خَدَّيْ مُنَعَّمَــةٍ
تَــوَرَّدَا فِي بَيَاضٍ بَيْنَ صَدْغَيْــنِ

مُعَقْرَبَيْنِ كَنُــونَيْ كَاتِــبٍ نُقِطَــا
فَقَابَلاَ مِنْ مِدَادِ المِسْــكِ رَاءَيْــنِ

أوْ مُقْلَتَيْ رَشَــأٍ فِي طَرفِهِ حَــوَرٌ
مَكْحُولَتَيْــنِ بسحْــرِ البَابِلِيَّيْــنِ

أوْ كَاجْتِمَاعِ الهَوَى وَالوَصْلِ فِي قَرَنٍ
لِعَاشِــقٍ حَارَ بَيْنَ الهَجْرِ وَالبَيْــنِ

دَلَّ اجْتِمَاعُهُمَــا فِي الأَرْبعَاءِ عَلَى
هَلاكِ سِبْطَيْنِ مِنْ أهْلِ الكِتَابَيْــنِ

مِنَ العَبَاشِمَةِ الغُــرِّ الأُلَى كَرِهُــوا
فَمَا شَرَى اللَّهُ بَيْعَ النَّقْدِ بِالدَّيْــنِ

"

ـ ثم **أبو القاسم مطرف بن فرج بن علي المادي البربري** (توفي ببطليوس سنة 322هـ/933م)؛ فقيه، وراوية؛ من حفاظ المسائل.

ـ ثم **أبو الأحوص معن بن محمد بن معن البربري** (توفي بسرقسطة سنة 330هـ/641م)؛ ولاه الناصر على قضاء سرقسطة؛ وبقي في منصبه حتى وفاته. قال فيه ابن الأبار: **((وكان حصيف العقل، معروفا بالدهاء، حاضر الجواب، حسن الرد؛ له فهم وإدراك. ولا ينسب إليه فقه، ولا علم)).**[1]

ـ ثم **أبو رزين هشام بن محمد بن أبي رزين الشذوني البربري** (توفي بشريش سنة 336هـ/947م)؛ وهو من حفاظ المسائل؛ وهو المفتي بشذونة وما يتبعها؛ كان يروي المدونة، ويرحل الناس إليه للسماع منه.

ـ ثم **ملحان بن عبد الله بن ملحان بن سالم القرطبي البربري** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ اشتغل مؤدبا، ثم أصبح كاتبا لعيسى بن فطيس؛ كاتب عبد الرحمن الناصر. وكان نحويا، وعروضيا، وراوية للأشعار.

---

[1] التكملة، ج: 2، ص: 729.

ـ ثم **عبد الله بن مطاهر بن أصبغ بن هانئ بن قيس القرطبي البربري** (من أعلام النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)؛ وهو من القراء المجودين.

ـ ثم **أبو إسحاق إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خَمَّار الأستجي البربري** المعروف بابن العطار (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ من أهل العلم، وطلبه؛ وهو والد سهل بن إبراهيم الآتي ذكره.

ـ ثم **إسماعيل بن تاجيت الجياني البربري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه.

ـ ثم **محمد بن تاجيت الجياني البربري** (من أعلام النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة)؛ فقيه.

ـ ثم **أبو القاسم سهل بن إبراهيم بن سهل بن نوح بن عبد الله بن خَمَّار الأستجي البربري** المعروف بابن العطار (توفي بالبيرة سنة 387هـ/997م)؛ وهو من العلماء الحفاظ؛ مستوعب لمعاني القرآن الكريم، والحديث؛ وكان بصيرا بالمذهب، ومتحكما في

"

الإعــراب، والحســاب. وكــان مــن أهــل الفضــل، والزهــد.

ــ ثــم **أبــو عثمــان سعيــد بــن عثمــان بــن أبي سعيــد بــن محمــد بــن سعيــد بــن عبــد اللــه بــن يوســف بــن سعيــد القرطــبي البربــري** المعــروف بابــن القــزاز ويلقــب بلحْيَــة الذّبْــل (ت: سنــة 394 أو 395هــ/1003 أو 1004م)؛ وهــو مــن علمــاء اللغــة. قــال فيــه ابــن الفــرضي: **((وكــان أبــو عثمــان هــذا حافظــا للغــة والعربيــة؛ حســن القيــام بهــا؛ ضابطــا لكتبــه؛ متقنــا في نقلــه. ولــه كتــاب في الــرد عــلى صاعــد ابــن الحســن اللغــوي البغــدادي ضيــف محمــد بــن أبي عامــر في مناكيــر كتابــه في النــوادر والغريــب المســمى بالفصــوص؛ وأكثــر التحامــل عليــه فيــه. وكانــت لــه عنايــة بالحديــث، وروايــة عاليــة عــن قاســم بــن أصبــغ وغيــره؛ وكــان ثقــة. وكــان مــن أجــل أصحــاب أبي عــلي البغــدادي؛ ومــن طريقــه صحــت اللغــة بالأندلــس بعــد أبي عــلي)).**[1]

---

[1] الصلــة، ج:1، ص ص: 208 ـــ 210.

"

ـ ثم **يحيى بن أيوب بن خيار بن خطاب ابن مقسم الجياني البربري** (من أعلام القرن الرابع للهجرة)؛ قال فيه ابن الفرضي: **((كان عالما بالرأي؛ متفننا، حاذقا بالكلام في المسائل؛ عاقدا للشروط. وألف في ذلك كتابا)).**[1]

ـ ثم **أم العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية** (من أعلام القرن الخامس للهجرة)؛ كانت شاعرة متميزة؛ قال فيها صاحب المسهب: **((أنها ممن تفخر به بلدها وقبيلها))**. ومن شعرها:

كُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنْكُمْ حَسَنُ
وَبعَلْيَاكُمْ يُحَلَّى الزَّمَنُ
تَعْكُفُ العَيْنُ عَلَى مَنْظَرِكُمْ
وَبذِكْرَاكُمْ تَلَذُّ الأذُنُ
مَنْ يَعِشْ دُونَكُمُ فِي عُمْرِهِ
فَهْوَ فِي نَيْلِ الأمَانِي يُغْبَنُ

ولها أيضا:

أفْهَمْ مَطَارِحَ أحْوَالِي وَمَا حَكَمَتْ
بِهِ الشَّوَاهِدُ وَاعْذُرْنِي وَلاَ تَلُمِ

---

[1] تاريخ علماء الأندلس، ج: 2، ص: 183.

"

وَلاَ تَكِلْــنِي إِلَى عُــذرٍ أُبَيِّنــهُ
شَــرُّ المَعَاذِيرِ مَا يَحْتَــاجُ للْكَلِــمِ
وَكُلُّ مَا جئْتــهُ مِنْ زَلَّــةٍ فَبمَــا
أَصْبَحْتُ فِي ثِقَــةٍ مِنْ ذلِكَ الكَــرَمِ

ومــن شعرهــا كذلــك:
لِلّــهِ بُسْتَــــانِي إِذَا
يَهْفُــو بِه القَصَبُ المُنَــدَّى
فَكَأَنَّمَــا كَــفُّ الرِّيَــا
حِ قَدْ أَسْندَتْ بَنْــداً فَبَنْــدَا

وفي ردهــا عــلى رجــل أشيــب قالــت:
الشَّيْبُ لاَ يُخْــدَعُ فِيهِ الصِّبَــا
بِحِيلَةٍ فَاسْمَعْ إِلَى نُصْــحِي
فَلاَ تَكُنْ أَجْهَلَ مَنْ فِي الــوَرَى
يَبِيتُ فِي الجَهْلِ كَمَا يُضْحِي

وتقــول أيضــا:
لَــوْلاَ مُنَافَــرَةُ المُــدَامَــةِ لِلصَّبَابَــةِ وَالغِنَــا
لَعَكَفْتُ بَيْنَ كُئُوسِهَا وَجَمَعْتُ أَسْبَابَ المُنَى

"

ـ ثم **أبو سعيد خلوف بن خلف الله البربري** (توفي بفاس سنة 515هـ/1121م)؛ فقيه؛ ولي قضاء غرناطة في عهد المرابطين، ثم ولي قضاء فاس حتى وفاته.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الله ابن أبوب اللنتي البربري** (توفي بالمرية سنة 515هـ/1121م)؛ فقيه.

ـ **أبو عمر عثمان السلالجي البربري** (ت: سنة 564هـ/1168م)؛ وهو من كبار أئمة المغرب في علم الاعتقاد.

ـ ثم **أبو الحكم أحمد بن علي بن هردوس البربري** (توفي بمراكش سنة 572 أو 573هـ/1176 أو 1177م)؛ سمته بعض المصادر باسم هرودس؛ ويبدو أن الاسم الصحيح هو هردوس؛ فهذه الكلمة بالأمازيغية تعني الفحولة. وكان ابن هردوس هذا كاتبا لحاكم غرناطة عثمان بن عبد المؤمن. وهو من الشعراء المجيدين؛ تناول في شعره ألوانا مختلفة؛ أبرزها الموشحات. ومن شعره هذه الأبيات التي بعثها إلى أحمد بن عبد الملك ابن سعيد:

يَا سَمِيِّي فِي عِلْمِ مَجْدِك مَا يحـ

ـتَاجُ فِيهِ هَذا النَّهَارُ المَطِيرُ

"

نَـــدَفَ الثَّلْـــجُ مِنْهُ قُطْنـــاً عَلَيْنـــَا
فَغَدَوْنَـــا بِعَدْلِكُـــمْ نَسْتَجِيـــرُ
وَالَّذِي أَبْتَغِيـــهِ فِي اللَّحْـــظِ مِنْـــهُ
وَرِضَـــاهُ فِي كُلِّ أَمْـــرٍ يَسِيـــرُ
يَـــوْمُ قَـــرٍّ يَـــوَدُّ مَنْ حَـــلَّ فِيـــهِ
لَـــوْ تَبَـــدَّى لِمُقْلَتَيْـــهِ سَعِيـــرُ

ولـــه أيضـــا:

لِيَ مِنْ وَجْهِـــكَ بَـــدْرٌ قَصَّرَتْ عَنْـــهُ البُـــدُورُ
أيُّ أفْقٍ لُحْـــتَ فِيـــهِ جُنْـــحَ لَيْـــلٍ لاَ يُنِيـــرُ
لَيْـــسَ إِلاَّ بِكَ يَا مَـــوْ لاَيَ يُحْتَـــلُّ السُّـــرُورُ

ومـــن شعـــره كذلـــك:

إِذَا ضَاقَـــتْ عَلَيْـــكَ فَوَلِّ عَنْهَـــا
وَسِرْ فِي الأَرْضِ وَاخْتَبِرِ العِبَـــادَا
وَلاَ تُمْسِـــكْ رِحَالَـــكَ فِي بِـــلاَدٍ
غَـــدَوْتَ بِأَهْلِهَا خَبَـــراً مُعَـــادَا

ـ ثـم **أبـو عـلي سالـم بـن سلامـة السوسي التارودانـتي البربـري** (ت: سنـة 579هـ/1183م)؛ وهـو مـن فقهـاء المالكيـة؛ تصـدر لتدريـس الفقـه بفـاس.

"

ـ ثم **عبد الله بن محمد بن علي الفندلاوي البربري** (ت: سنة 598هـ/1201م) وكان من أئمة العلم في المغرب.

ـ ثم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج البربري** المعروف بابن الياسمين (توفي قتيلا بمراكش سنة 600هـ/1203م)؛ وهو عالم بالحساب، ومن الكتاب في بلاط الدولة. اكتفت المصادر بالقول أنه بربري؛ دون ذكر القبيلة. هذا وقد توفي بمترله ذبيحا. ومن مؤلفاته: أرجوزة في الجبر والمقابلة؛ مع شرح عليها لسبط المارديني.

ـ ثم **أبو علي الحسن بن عبد الله بن بختيار المغربي البربري** (توف بالقاهرة سنة 685هـ/1286م)؛ وهو فقيه وأستاذ؛ تصدر للإقراء بالقاهرة.

ـ ثم **أبو زكرياء يحيى بن محمد بن أبي محمد صالح بن ينصارن البربري** (توفي بأسفي سنة 687هـ/1288م)؛ وهو من الفقهاء الحفاظ.

ـ ثم **أبو عبد الله البوغاغي البربري** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو من الفقهاء؛ له كتاب منار العلم.

"

ـ ثم **أبو الحسن بن سعيد البربري** المعروف بابن تامسري (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ كان فقيها مالكيا؛ وولي القضاء بتونس.
ـ ثم **أبو علي الحسن بن علي بن حسون الماجري البربري** الكفيف (توفي باسفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو فقيه، ومحدث؛ من أهل الحفظ، والتقى. له كتاب الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ.
ـ ثم **أبو محمد عبد الجليل بن موسى البربري** (توفي قبل سنة 712هـ/1312م)؛ وهو من الفقهاء؛ له كتاب الشعب.
ـ ثم **أبو القاسم التازغدري** (ت: سنة 830هـ/1426م)؛ وهو فقيه مالكي.
ـ ثم **أحمد بن عمر المَزْجَلْدي** (توفي بفاس سنة 864هـ/1459م)؛ وهو من فقهاء المالكية. كان من حفاظ المدونة؛ ومرجعا لها.
ـ ثم **أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق اليزليتني** المعروف بحلولو القروي (كان حيا سنة 895هـ/1489م)؛ وهو من فقهاء المذهب المالكي، والأئمة الحفاظ؛ ولي القضاء بطرابلس. من مؤلفاته: شرحان على مختصر خليل؛ أحدهما كبير والآخر صغير، وشرحان

"

علـى جمـع الجوامـع؛ صغيـر وكبيـر أيضـا، واختصـار لفتـاوى الإمـام البـرزلي؛ وصفـه القـرافي بالجيـد.

ـ ثـم **أحمـد بـن أحمـد بـن محمـد بـن عيـسى البرنـسي** المعـروف بـزروق (تـوفي قـرب طرابلـس سنـة 899هـ/1493م)؛ وهـو فقيـه مالـكي؛ مـن أهـل الصـلاح. لـه مؤلفـات عديـدة؛ منهـا: شرحـان علـى رسالـة أبي زيـد، وشـرح مختصـر خليـل، وشـرح الوغليسيـة، وشـرح العقيـدة القدسيـة للغـزالي، وأكثـر مـن عشريـن شرحـا علـى الحكـم، وكتـاب الجنـة للمعتصـم مـن البـدع بالسنـة، وتعليـق علـى البخـاري، وكتـاب في علـم الحديـث.

À À À

كلمة أخيرة

هذا ما تيسر ذكره ــ في هذا المجال ــ فيما يخص القبائل الأمازيغية؛ سواء كان ذلك عن أدوارها، وحركاتها عبر التاريخ، أو عن مواطنها الأولى، وما استوطنته ــ لاحقا ــ من بلاد، ومواطن جديدة. كما اكتفيت بما بين يدي من مصادر؛ للإشارة إلى أعيان القبائل الأمازيغية؛ تاركا لغيري إكمال الباقي؛ لأن هذا الموضوع لا يتسع له كتاب واحد؛ بل يتطلب مجالا واسعا؛ قد يتجاوز حيزه مجلدات عديدة.

ومع هذا فقد حرصت على إبراز عينات كهذه؛ لكي تكون منطلقا لغيري، كما تكون رسالة صريحة للذين يشككون، أو يتجاهلون الثروة العلمية، والثقافية العظيمة التي انبثقت من بلاد المغرب؛ وسطع نورها على البلاد الإسلامية غربا وشرقا؛ حيث أضافت إلى سجل التراث الإسلامي صفحات ذهبية؛ أفادت أجيال، وأجيال ولكنها تمت في صمت غريب؛ سببه التواضع، ونكران الذات، من جهة؛ ومن جهة أخرى يبدو أنهم كانوا ضحية سحابة صمت

"

وتجاهل؛ مبعثهما الغرور الزائف؛ الذي كان يشوب أوساط ثقافية إسلامية أخرى.

غير أن هذا الاعتقاد لا يكفي لتفسير تلك الظاهرة الغريبة؛ التي حجبت هؤلاء العظماء من أبناء المغرب الإسلامي؛ إذ هناك ظاهرة أخرى أكثر غرابة؛ وإثارة للعجب..!! وهي المتمثلة في القوة الخفية الطاردة؛ لكل عبقرية تظهر في بلاد المغرب ــ باستثناء الأندلس ــ فتجبرها أخيرا على الهجرة إلى بلاد أخرى. وهنا يحق لنا التساؤل: هل تكون بلاد المغرب بمثابة المشتلة؛ التي تنبت فيها العبقريات؛ ولكن شيئا ما في تلك البيئة يمنع نمو العبقريات المذكورة..؟ بل وربما ماتت لو بقيت؛ فتضطر إلى الهجرة إلى بيئة أخرى قابلة للنمو، والازدهار. فإن كان هذا غير صحيح؛ فبماذا نفسر انتقال عباقرة هذه الديار وهجرتهم؛ بمجرد ظهور بوادر النبوغ الأولى عليهم..؟!

يبدو أن للنزعة القبلية دورا خطيرا في هذه الظاهرة السلبية. فالمحيط القبلي عاجز ــ على ما يبدو ــ على احتضان العبقريات المستنيرة؛ حتى ولو كان ميلادها داخل النظام القبلي؛ الذي يهملها ــ بعد ذلك ــ ويعجز عن

"

تطويرهـــا، وتنميتهـــا. بـــل يحـــدث في أحيـــان تناقـــض، وتضـــارب في النظـــر للحيـــاة. وعليـــه يشعـــر العلمـــاء، والعظمـــاء بضيـــق داخـــل وسطهـــم القبـــلي؛ فيهجرونـــه نهائيـــا إلى أوســـاط أخـــرى متحضـــرة، ومتقدمـــة اجتماعيـــا.

وهـــذا هـــو التفسيـــر الراجـــح في وجـــود مجتمعـــات جاذبـــة للعبقريـــات، والعلمـــاء مـــن كـــل الجهـــات، ومجتمعـــات أخـــرى طـــاردة لهـــا؛ عـــلى الرغـــم مـــن منيتهـــا فيهـــا.

وقبـــل الختـــام وجـــدت أنـــه مـــن واجـــبي ــــ كمتتبـــع للتـــراث الثقـــافي المغـــربي ــــ لفـــت النظـــر إلى هـــذا الكـــم الهائـــل مـــن المؤلفـــات، والنصـــوص الأدبيـــة والفلسفيـــة والدينيـــة؛ الـــتي تزخـــر بهـــا مئـــات المجلـــدات، والـــتي كتبـــت جميعهـــا باللغـــة العربيـــة، ومـــن طـــرف علمـــاء أمازيـــغ؛ حملـــوا عـــلى عاتقهـــم مهـــام جليلـــة، وثقيلـــة؛ لـــكي يرفعـــوا الثقافـــة العربيـــة الإسلاميـــة إلى مراتـــب ساميـــة بيـــن الثقافـــات الإنسانيـــة؛ فكـــان لهـــم مـــا سعـــوا إليـــه.

....

أهم المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

ـ إبراهيمي؛ ك: ـ **تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1982م.

ـ ابن الأبار؛ محمد بن عبد الله البلنسي (ت: 658 أو 659هـ/1260م): ـ **التكملة لكتاب الصلة**، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد 1956م.

ـ ابن أبي زرع؛ علي بن عبد الله، أو عبد الحليم بن صالح: ـ **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر. ثم نسخة مطبوعة؛ تحقيق كارل يوحنا تورنبورغ، دار الطباعة المدرسية، أوبسال بالسويد، 1359هـ/1943م.

ـ ابن أبي الضياف؛ أحمد بن عمر (ت: 1291هـ/1845م): ـ **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، والدار التونسية للنشر، 1396هـ/1976م.

— ابن الأثير؛ علي بن أبي المكارم الجزري (ت: 630هـ/1332م): — **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي ببيروت، 1403هـ 1983م.

— ابن الأحمر؛ إسماعيل بن يوسف (ت: 807هـ/1406م): — **روضة النسرين في أخبار بني مرين**؛ تحقيق جورج مارسي، وغوثي بوعلي باريس 1336هـ/1917م. ثم كتاب **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**؛ تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة ببيروت 1967م.

— ابن بسام؛ علي الشنتريني الأندلسي (ت: 542هـ/1147م): — **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**؛ تحيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1395هـ/ 1975م — 1399هـ/ 1979م.

— ابن بشكوال؛ خلف بن عبد الملك (ت:578هـ/1182م): — **كتاب الصلة**، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.

— ابن بطوطة؛ محمد بن عبد الله اللواتي (ت: 779هـ/1377م): — **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**؛ تحقيق علي المنتظر الكتاني، مؤسسة الرسالة ببيروت، 1395هـ/1975م.

"

ــ ابن بكار؛ محمد بلهاشمي الغريسي: ــ **مجموع النسب والحسب والتاريخ والأدب**، المطبعة الخلدونية بتلمسان، 1381هـ/1961م).

ــ ابن تاويت؛ محمد الطنجي، وعفيفي؛ محمد: **الأدب المغربي**، دار الكتاب اللبناني ببيروت، 1389هـ/1969م.

ــ ابن تَغْرِي بَرْدِي؛ أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت: 874هـ/1469م): ــ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر 1383هـ/1963م.

ــ ابن تومرت؛ محمد بن عبد الله المهدي (ت: 424هـ/1129م): ــ **أعز ما يطلب**؛ تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1406هـ/1985م.

ــ ابن حزم؛ علي بن أحمد الأندلسي (ت: 456هـ/1063م): ــ **جمهرة أنساب العرب**؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون، ثم كتاب **المفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج:1، 1317هـ، ج: 2 ــ 3، 1320هـ، المطبعة الأدبية بمصر، ج: 4، 1321هـ، مطبعة التمدن بمصر، ج: 5، 1321هـ، مطبعة الموسوعات بمصر.

ـــ ابـــن حمـــاد الصنهـــاجي؛ محمـــد بـــن عـــلي (ت: 626هـ/1230م): ـــ **أخبـــار ملـــوك بـــني عبيـــد**؛ تحقيـــق جلـــول البـــدوي، المؤسســـة الوطنيـــة للكتـــاب بالجزائـــر، 1405هـ/1984م.
ـــ ابـــن حيـــان؛ حيـــان بـــن خلـــف بـــن حسيـــن القرطـــبي (ت: 479هـ/1076م): ـــ **المقتبـــس مـــن أنبـــاء أهـــل الأندلـــس**؛ وهي القطعـــة الـــتي حققهـــا محمـــود عـــلي مـــكي، دار الكتـــاب العـــربي ببيـــروت 1393هـ/1973م. ثـــم القطعـــة الثانيـــة وهي بعنـــوان: **المقتبـــس في أخبـــار بلـــد الأندلـــس**؛ تحقيـــق عبـــد الرحمـــن عـــلي حـــجي، دار الثقافـــة ببيـــروت 1965م.
ـــ ابـــن خاقـــان؛ الفتـــح بـــن محمـــد الإشبيـــلي (ت: 529هـ/1134م): ـــ **قلائـــد العقيـــان في محاســـن الأعيـــان**، المكتبـــة العتيقـــة بتونـــس 1966م.
ـــ ابـــن الخطيـــب لســـان الديـــن؛ محمـــد السلمـــاني (ت: 776هـ/1374م): ـــ **أعمـــال الأعـــلام في مـــن بويـــع قبـــل الاحتـــلام مـــن ملـــوك الإســـلام** (القســـم المخصـــص لتاريـــخ إسبانيـــا الإسلاميـــة)؛ تحقيـــق ليـــفي بروفنســـال، دار المكشـــوف ببيـــروت، 1956م. ثـــم (القســـم الثالـــث الخصـــص لتاريـــخ المغـــرب العـــربي)؛ تحقيـــق أحمـــد العبـــادي، ومحمـــد الكتـــاني، دار الكتـــاب بالـــدار البيضـــاء، 1884هـ/1964م. ثـــم الإحاطـــة في أخبـــار

"

غرناطة؛ تحقيق محمد عنان، مكتبة الخانجي بمصر، ج: 1، 1393هـ/1973م، ج: 2، 1394هـ/1974م، ج: 3، 1395هـ/1975م، ج: 4، 1397هـ/1977م. ثم اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق ببيروت، 1978م.

ـ ابن خلدون؛ عبد الرحمن (ت: 808هـ/1405م):

ـــ **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني ببيروت، مج: 1، 1967م، ومج: 2، 3، 1977م، ومج: 4، 1968م، ومج: 5، 6، 7، 1968م. ثم **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**؛ تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، 1370هـ/1958م. **ثم مقدمة ابن خلدون**؛ تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ج: 1، 1384هـ/1965م، وج: 2، 1386هـ/1966م، وج: 3، 1387هـ/1967م، وج: 4، 1388هـ/1968م.

ـ ابن خلدون؛ يحيى (ت: 780هـ/1378م): ـــ **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**؛ تحقيق ألفرد بل، والغوثي أبو علي، مطبعة فنطانة الشرقية بالجزائر، ج: 1، 1321هـ/1903م، وج: 2، 1328هـ/1910م، والنسخة المحققة للجزء الأول من طرف عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية بالجزائر، 1400هـ/1980م. أما الجزء الثاني فحققه

"

بوزيـــاني الـــدراجي؛ برعايـــة وزارة الثقافـــة الجزائريـــة، وإنجـــاز دار الأمـــل للدراســـات والنشـــر والتوزيـــع بالجزائـــر ســـنة 2006م.
ـــ ابـــن خلكـــان؛ أحمـــد بـــن محمـــد (ت: 681هـ/1282م):
ـ **وفيـــات الأعيـــان وأنبـــاء أبنـــاء الزمـــان**؛ تحقيـــق إحســـان عبـــاس، دار صـــادر ببيـــروت. ج:1، 1968م، ج: 2، 1969م، ج:3، 1970م، ج: 4، 5، 6، 7،1971م، ج: 8، 1972م.
ـــ ابـــن رشيـــق؛ حســـن القيـــرواني (قـــد تكـــون وفاتـــه في ســـنة 456هـ/1063م): ـ **أنمـــوذج الزمـــان في شعـــراء القيـــروان**؛ تحقيـــق محمـــد العـــروسي المطـــوي وبشيـــر البكـــوش، الـــدار التونسيـــة للنشـــر بتونـــس، والمؤسســـة الوطنيـــة للكتـــاب بالجـــزائـــر 1406هـ/1986م.
ـــ ابـــن الزبيـــر؛ أحمـــد بـــن إبراهيـــم الأندلـــسي (ت: 708هـ/1308م): ـ **صلـــة الصلـــة**، مكتبـــة خيـــاط ببيـــروت.
ـــ ابـــن سعيـــد؛ عـــلي بـــن مـــوسى: (ت: 685هـ/1274م)
ـ **كتـــاب الجغرافيـــا**؛ تحقيـــق إسماعيـــل العـــربي، ديـــوان المطبوعـــات الجامعيـــة بالجزائـــر 1403هـ/1982م. ثـــم **المغـــرب في حـــلى المغـــرب**، بمشاركـــة آخريـــن؛ تحقيـــق شـــوقي ضيـــف، دار المعـــارف بمصـــر، 1384هـ/1964م.

ـ ابن سودة؛ عبد السلام: ـ **دليل المؤرخ في المغرب الأقصى**، دار الكتاب بالدار البيضاء، 1380هـ/1960م.

ـ ابن شاكر؛ محمد بن أحمد الكتبي (ت: 764هـ/1362م): ـ **فوات الوفيات والذيل عليها**؛ تحقيق إحسان عباس دار الثقافة ببيروت 1973 ـ 1974م.

ـ ابن صاحب الصلاة ؛ عبد الملك (كان حيا سنة 594هـ/1198م) ـ **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم من الوارثين، وظهور المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة أمير المؤمنين وأخيرا (بعض) الخلفاء الراشدين**؛ تحقيق عبد الهادي التازي، ج: 2، دار الأندلس للطباعة والنشر ببيروت 1383هـ/1964م.

ـ ابن عبد الحكم؛ عبد الرحمن بن عبد الله: (ت:257هـ/871م): ـ **فتوح مصر والمغرب**؛ تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي بالقاهرة، 1961م.

ـ ابن عذاري؛ محمد المراكشي (ت: 669هـ/1272م): ـ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،

تحقيق ليفي بروفنسال، وكولان، وإحسان عباس، دار الثقافة، ببيروت، 1967م.
ـ ابن العماد؛ عبد الحي الحنبلي (ت: 1089هـ/1678م): ـ **شذرات الذهب في من أخبار من ذهب**، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.
ـ ابن عميرة؛ محمد: ـ **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1984م.
ـ ابن فرحون؛ إبراهيم بن علي المالكي؛ (ت: 799هـ/1396م): ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**؛ تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر بالقاهرة 1972م.
ـ ابن الفرضي؛ عبد الله بن محمد الأزدي (ت: 403هـ/1012م): ـ **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.
ـ ابن القاضي؛ أحمد بن محمد المكناسي (ت: 1025هـ/1616م): ـ **درة الحجال في أسماء الرجال (وهو ذيل وفيات الأعيان)**؛ تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس 1970 ـ 1971م.

"

ـ ابن القنفذ؛ أحمد بن الحسين (ت: 810هـ/1406م): ـ **الفارسية في مباديء الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ثم **كتاب الوفيات**؛ تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة ببيروت 1403هـ/1983م.
ـ ابن مرزوق؛ محمد (الرابع) بن أحمد (ت: 781هـ/1379م): ـ **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**؛ تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.
ـ ابن مريم؛ محمد الشريف (كان حيا سنة 1025هـ/1611م): ـ **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**؛ تحقيق محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية بالجزائر، 1326هـ/1908م.
ـ ابن منصور؛ عبد الوهاب: ـ **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية بالرباط، 1388هـ/1968م.
ـ أبو حمو الثاني، موسى بن يوسف الزياني (ت:791هـ/1388م): ـ **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر. ثم نسخة مطبوعة بمطبعة الدولة التونسية بتونس، 1279هـ/1862م.

ـ أبو رزاق؛ أحمد بن محمد: ـ **الأدب في عصر دولة بني حماد**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1979م.

ـ أبو زكرياء؛ يحي بن أبي بكر الورجلاني (ت:471هـ/1078م): ـ **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1405هـ/1984م.

ـ أبو ضيف؛ أحمد عمر: ـ **القبائل العربية في المغرب (في عصر الموحدين وبني مرين)**، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1403هـ/1982م.

ـ أبو العرب؛ محمد بن أحمد القيرواني (ت: 333هـ/944م): ـ **طبقات علماء إفريقية وتونس**؛ تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الباني الدار التونسية للنشر 1968م.

ـ إحسان عباس؛ ـ **تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)**، دار الثقافة ببيروت 1978م.

ـ الإدريسي؛محمد بن عبد الله الحمودي السبتي (يكون قد توفي سنة 560هـ/ 1164م) ـ **مقتبس من نزهة المشتاق (القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس)** تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1983م.

ـ اسماعيل؛ العربي ـ **دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة**، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1983م، ثم كتاب **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر وتوزيع بالجزائر 1980م، ثم كتاب **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1984م.

ـ الأصفهاني؛ محمد بن محمد (ت: 597هـ/1200م): ـ **خريدة القصر وجريدة العصر (قسم المغرب والأندلس)**؛ تحقيق محمد المرزوقي، وآخرين، الدار التونسية للنشر بتونس، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1971 ـ 1972 ـ 1973م.

ـ ألفرد؛ بل: ـ **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**؛ ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي ببيروت 1181م.

ـ أماري؛ ميخائيل: ـ **المكتبة العربية الصقلية (نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع)**، مكتبة المثنى ببغداد و PRESSO F. A.
.BROCKHAUS Libraio Della Societa LIPSIA. 1857.

ـ الأوسي المراكشي (ت: 703هـ/1303م)؛ محمد ابن محمد الأنصاري: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**؛ تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت 1965م.

ـ باجية؛ صالح ـ **الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى**، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع بتونس، 1976م.

ـ الباروني؛ سليمان (ت: 1359هـ/1940م): ـ **مختصر تاريخ الإباضية.**

ـ البكري؛ عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1094م): ـ **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (جزء من أجزاء كتاب المسالك والممالك)**؛ تحقيق ماك قوكين دي سلان MAC GUCKIN DE SLANE، مكتبة أمريكا والشرق بباريس Librairie D'Amérique et D'Orient, Paris، 1965م.

ـ البلاذري؛ أحمد بن يحي (ت: 279هـ/892م): ـ **كتاب فتوح البلدان**؛ تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

ـ بورويبة؛ رشيد: ـ **ابن تومرت**؛ ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1982م، ثم ـ **كتاب الدولة الحمادية وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، والمركز الوطني للدرسات التاريخية.

ـ بوزياني؛ الدراجي: ـ **نظم الحكم والرسوم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية 1993م.

"

ـ بونار؛ رابح: ـ **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1969م.

ـ البيذق؛ أبو بكر بن علي الصنهاجي: ـ **كتاب أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**؛ تحقيق ليفي بروفنسال E. Lévi- Provençal، مكتبة المستشرقين Librairie Orientaliste بباريس 1928م. ثم نسخة أخرى بتحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزئر، 1394هـ/1974م.

ـ بيضون؛ إبراهيم: ـ **الدولة العربية في إسبانيا**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت 1980م.

ـ التجاني؛ محمد عبد الله (كان حيا سنة 717هـ/1317م): ـ **رحلة التيجاني**؛ الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1981م.

ـ التنسي؛ محمد بن عبد الله التلمساني (ت: 899هـ/1493م): ـ **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم مما مضى من الزمان**، مخطوط،الخزانة العامة بالرباط، ثم نسخة مطبوعة تحت عنوان **تاريخ بني زيان ملوك**

تلمسان؛ بتحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1405هـ/1985م.
ـ الجزائري؛ محمد بن عبد القادر: ـ **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، دار اليقظة العربية ببيروت 1384هـ/1964م.
ـ جودت؛ عبد الكريم: ـ **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1984م.
ـ جوليان؛ شارل أ ندري: ـ **تاريخ إفريقيا الشمالية**؛ ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر بتونس والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1978م ـ 1983م.
ـ الجيلالي؛ عبد الرحمن: ـ **تاريخ الجزائر العام**، دار الثقافة ببيروت 1400هـ/1980م، ثم **تاريخ المدن الثلاث: الجزائر، لمدية، مليانة**، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه بالجزائر 1392هـ/ 1972م.
ـ حاجات؛ عبد الحميد: ـ **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1394هـ/1974م.
ـ حجاب؛ محمد فريد: ـ **المهدي المنتظر بين العقيدة الدينية والمضمون السياسي**، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1984م.

"

ــ حركات؛ إبراهيم: ــ **المغرب عبر التاريخ**، مطبعة دار السلمي بالدار البيضاء بالمغرب 1384هـ/1965م، ثم كتاب **النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين**، مكتبة الوحدة العربية الدار البضاء.

ــ الحميدي؛ محمد بن أبي نصر الأزدي (ت: 488هـ/1095م): ــ **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.

ــ الحميري؛ محمد بن عبد المنعم (ت: 727هـ/1326م): ــ **الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع مسرد عام)**؛ تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ببيروت 1975م.

ــ خوجة؛ حسين بن علي (ت: 1145هـ/1732م): ــ **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان**؛ تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1975م.

ــ خوجة؛ حمدان بن عثمان الجزائري (ت: 1255هـ/1840م): ــ **المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر)**؛ تحقيق محمد ابن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة ببيروت 1972م، ونسخة أخرى بعنوان: **مرآة الجزائر**؛ حققها رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1394هـ/ 1974م.

"

ـ دبوز؛ محمد علي: ـ **تاريخ المغرب الكبير**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة 1963م ـ 1974م.

ـ الدرجيني؛ أحمد بن سعيد (ت: 670هـ/1271م): ـ **طبقات المشائخ بالمغرب**؛ تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث بقسنطينة 1394هـ/1974م.

ـ دوزي؛ رينهارت: ـ **تاريخ مسلمي إسبانيا (ج: 1، الحروب الأهلية)**؛ ترجمة حسن حبشي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963م.

ـ الرصاع؛ محمد الأنصاري (ت: 894هـ/1488م): ـ **فهرست الرصاع**؛ تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة بتونس 1967م.

ـ الرقيق القيرواني؛ إبرهيم بن القاسم (ت: بعد 417هـ/1026م): ـ **تاريخ افريقية والمغرب**؛ تحقيق المنجي الكعبي، نشر رفيق السقطي بتونس 1968م.

ـ الزركشي؛ محمد بن إبراهيم اللؤلؤي (كان حيا سنة 894هـ/1488م). ـ **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**؛ تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة بتونس 1966م.

ـ الزركلي؛ خير الدين: ـ **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العب**

"

والمستعربين والمستشرقين)، مطبعة كوستا توماس وشركاه (1373هـ/1954م ـــ 1378هـ/1959م).

ـــ السراج؛ محمد بن محمد الأندلسي (ت: 1149هـ/1736م): ـــ **الحلل السندية في الأخبار التونسية**؛ تحقيق محمد الحبيب الهيله، الدار التونسية للنشر بتونس 1970 ـــ 1973م.

ـــ سعد الله؛ أبو القاسم: ـــ **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى القرن 14هـ**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بالجزائر 1401هـ/1981م.

ـــ سعدي؛ عثمان: ـــ **عروبة الجزائر عبر التاريخ**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1982م.

ـــ السلاوي؛ أحمد بن خالد الناصري (ت:1315هـ/1897م): ـــ **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**؛ تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب بالدار البيضاء بالمغرب، 1954 ـــ 1956م.

ـــ السِّلَفِي؛ أحمد بن محمد (ت: 576هـ/1180م): ـــ **أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السِّفر للسِّلَفِي)**؛ تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت 1963م

"

ـ شاوش؛ محمد بن رمضان: ـ **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي**، المطبعة العلوية بمستغانم 1385هـ/1966م.

ـ شعيرة؛ محمد عبد الهادي: ـ **المرابطون تاريخهم السياسي**، مكتبة القاهرة الحديثة.

ـ شكري؛ فيصل: ـ **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول (نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي)**: دار العلم للملايين ببيروت 1966م.

ـ الشهرستاني؛ محمد بن عبد الكريم (ت: 548هـ/1153م): ـ **الملل والنحل**، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت 1395هـ/1975م.

ـ الضبي؛ أحمد بن يحيى بن عميرة (ت: 599هـ/1202م): ـ **بغية الملتمس في تلريخ رجال أهل الأندلس**، مكتبة المثنى ببغداد، وطبع بمطبعة روخس بمدريد 1884م.

ـ الطالبي؛ محمد: ـ **الدولة الأغلبية (التاريخ السياسي)**؛ ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي ببيروت 1985م.

ـ الطبري؛ محمد بن جرير (ت: 310هـ/923م): ـ **تاريخ الأمم والملوك**، مكتبة خياط ببيروت.

ـ الطمار؛ محمد بن عمرو: ـ **تلمسان عبر العصور (دورها في السياسة وحضارة الجزائر**،

المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1405هـ/1984م، ثم كتاب **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1404هـ/1983م.

ـ العامري؛ محمد الهادي: ـ **تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الإزدهار والذبول**، الشركة التونسية للتوزيع بتونس 1974م.

ـ العبادي؛ أحمد مختار: ـ **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع.

ـ العبدري؛ محمد بن محمد البلنسي (كان حيا سنة 688هـ/1289م.): ـ **ما سما إليه الناظر المطرق في خير الرحلة الى بلاد المشرق (الرحلة المغربية)**؛ تحقيق أحمد بن جدو، كلية الآداب، بالجزائر.

ـ عبد الوهاب؛ حسن حسني: ـ **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية**، مكتبة المنار بتونس 1966 ـ 1972م.

ـ العدوي؛ إبراهيم : ـ **بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي**، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة 1970م.

"

ـ عـلام؛ عبـد اللـه: ـ **الدولـة الموحديـة بالمغـرب في عهـد عبـد المؤمـن بـن عـلي**، دار المعـارف بمصـر 1971م.

ـ عنـان؛ محمـد عبـد اللـه: ـ **دولـة الإسـلام في الأندلـس (العصـور: الأول، والثـاني، والثالـث، والرابـع)**، لجنـة التأليـف والترجمـة والنشـر بالقاهـرة 1380هـ/1960م ـ 1389هـ/1969م.

ـ عويـس؛ عبـد الحليـم: ـ **دولـة بـني حمـاد صفحـة رائعـة مـن تاريـخ الجزائـر**، دار الشـروق ببيـروت 1400هـ/1980م.

ـ الغبريـني؛ أحمـد بـن أحمـد (ت: 714هـ/1315م): ـ **عنـوان الدرايـة فيمـن عـرف مـن العلمـاء في المائـة السابعـة ببجايـة**؛ تحقيـق عـادل نويهـض، لجنـة التأليـف والترجمـة والنشـر ببيـروت 1969م.

ـ الغـزالي؛ عـلي مصطـفى: ـ **تاريـخ الفـرق الإسلاميـة ونشـأة علـم الكـلام عنـد المسلميـن**، مكتبـة ومطبعـة محمـد عـلي صبيـح وأولاده بالقاهـرة 1378هـ/1959م.

& & &

"

المراجـــع باللغـــة الأجنبيـــة:

- ABOU OBEID EL-BEHRI: - **Description de l'afrique septenrionale**. Tràduit par MAC GUCKIN de Slane. librairie D'Amerique et D'Orient ADRIEN- MAISONNEUVE, PARIS,1965.
- BEL - ALFRED: - **La religion musulmanes en Berbérie** (Esquisse d'histoire et de sociologie religieuses), PARIS,1938.
- BOURDIEU. PIERRE: - Sociologie de L'Algérie. Presses Universitaires de Paris, 1970.
- BOUSQUET (G.H.): - **Les Berberes**. Presses Universitaires de france 1967.
- BRAHIMI; (C): - **Initiation a la Préhistorique de L'Algérie.** S. N. E. D. Alger, 1978.
- BREMOND. C.R (Général): - **Berbères et Arabes**, Payot, Paris, 1950.
- BRUNSCHVIG ROBERT: - **La Berbérie Orientale Sous Les Hafsides** (Des Origines à la fin du XVème siécle) Librairie D'Amérique et D'Orient, Andrien Maisonneuve, Paris, 1982. et - **Deux Récits de voyage inedits en Afrique du Nord**. (Abdelbasit Ben Khalil et Adorne), Paris, 1936.
- DHINA ATALLAH: - **Les Etats De L'Occident Musulman (Aux XIIIème, XIVéme, XVéme siécles).** Office des Publications Universitaires, Alger, 1984. et - **Le Royaume Abdelouadide à l'époque D'Abou Hammou Moussa 1er, et D'Abou Tachfin 1er**, Office des Publications Universitaires, Alger, 1985.

- GAUTIER. (EMILE .F.): - **Le Passé de L'Afrique du Nord. (les Siécles Obscures)** Payot , Paris, 1952.
- IDRIS. Hady Roger: - **La Berbérie Orientale .Sous les Zirides (Xème - XIIème Siècles).** Librairie D'Amérique et D'Orient Adrien - Maisonneuve , Paris, 1981.
- JEAN LEON LAFRICAIN: - **Description de L'Afrique.** Librairie d'Amérique et D'Orient Maisonneuve, Paris 1981.
- KADDACHE; MAHFOUD: - **L'Algérie Medievale.** S. N. E. D. Alger.1982.
- LEVI-PROVENCAL: - **Documents inédits. D'Histoire Almohade**, Librairie Orientaliste. 1928. et - **LE Musnad D'ibn Marzuk**. Emile Larose Editeur, Paris. 1925.
- MARCAIS GEORGES: - **La Berbérie Musulmane et L'Orient Au Moyen Age,** Editions Montaigne , Paris. 1946. et - **Les Arabes en Berbérie**, (du XIéme - au XIVéme siécle). Constantine et Paris. 1913.
- ROBER MONTAGNE: - **Les Berbéres et Le Makhzen Dan Le Sud Du Maroc.** Librairie Félix Alcan. 1930.

"

لوائـح توضيحية

. .

. .

. .

. .

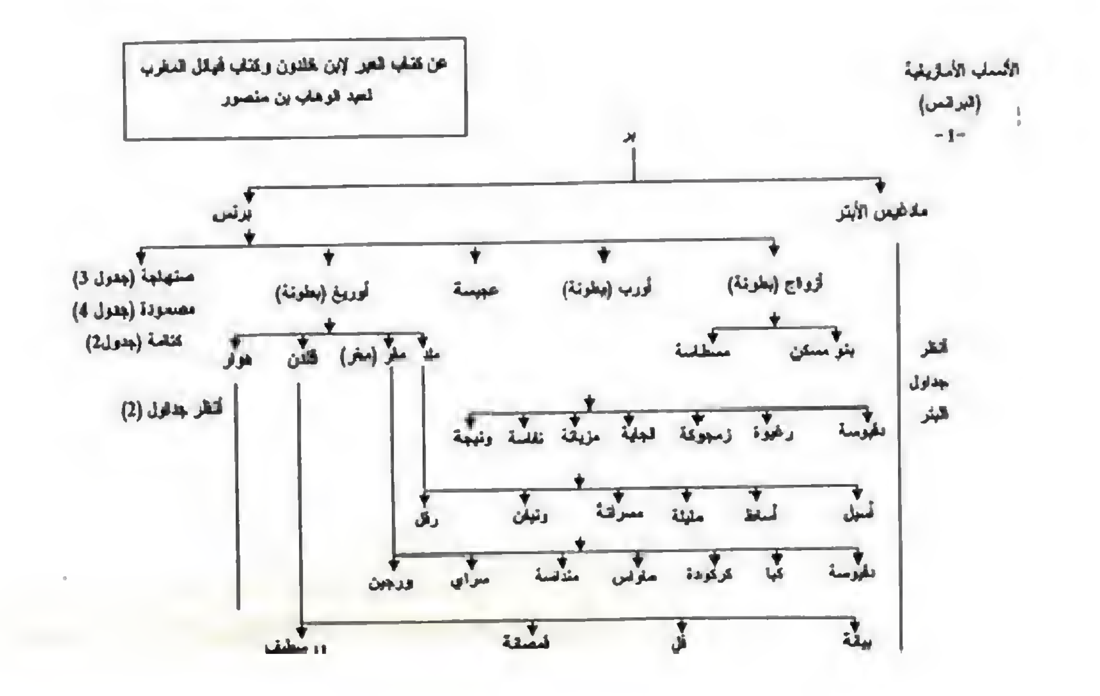
. .

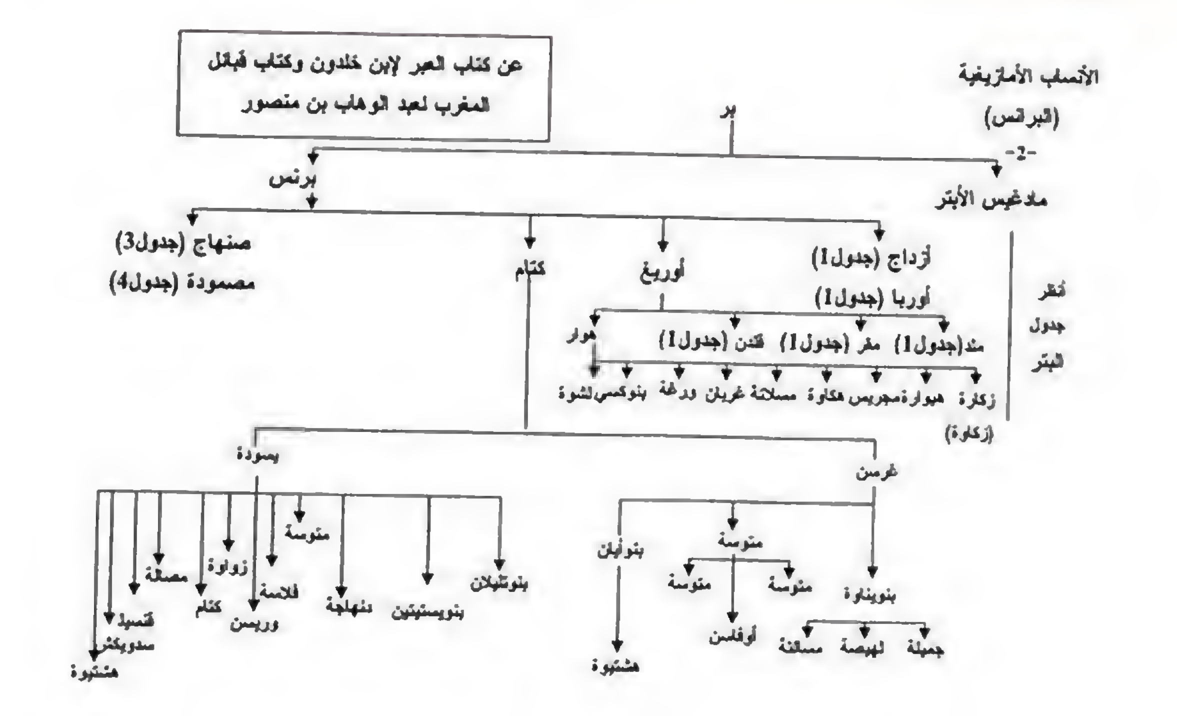
. .

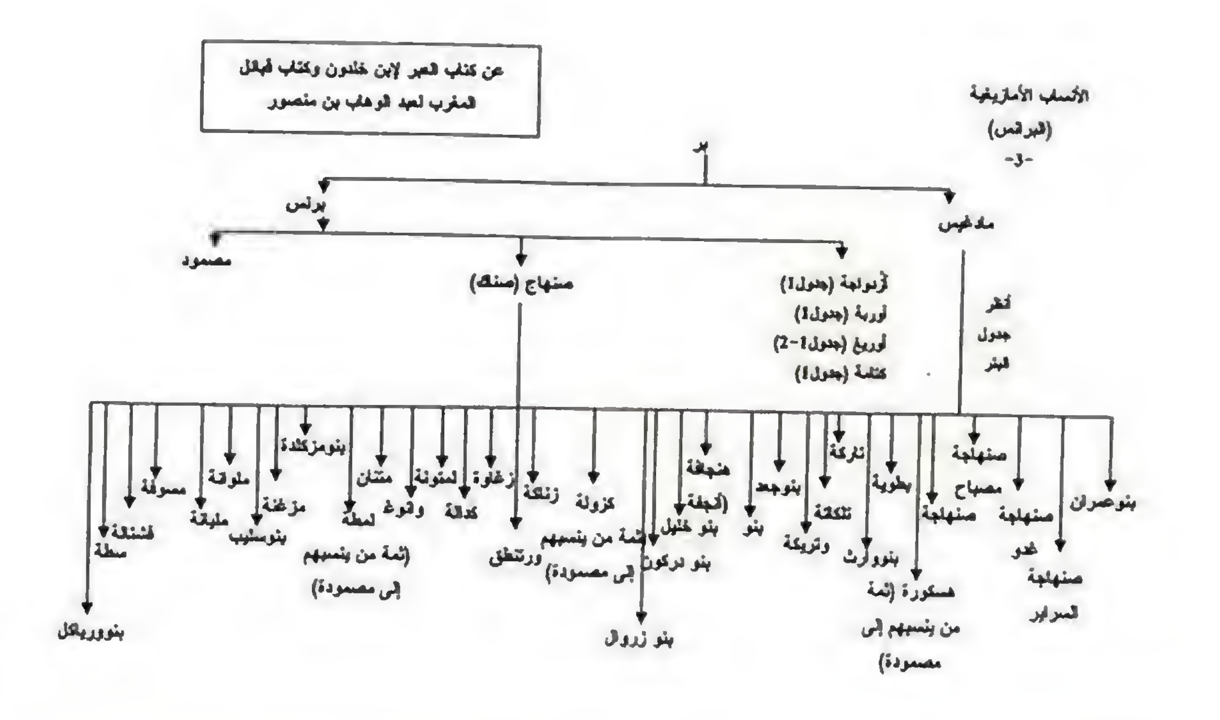
. .

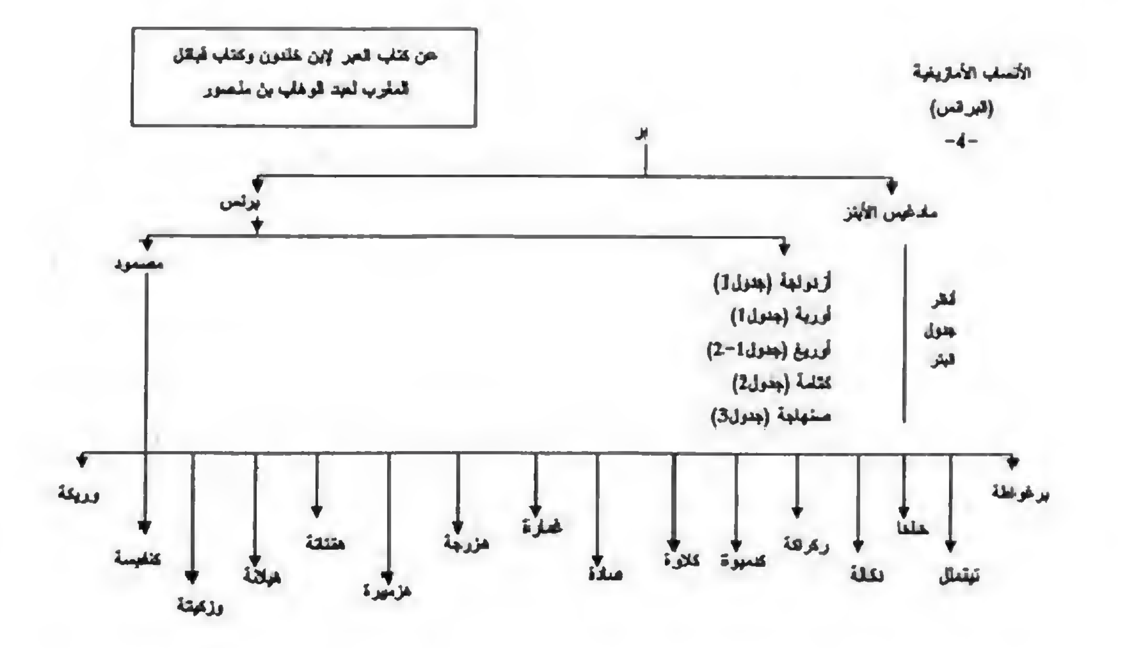
. .

. .


الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-1-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب
لعبد الوهاب بن منصور
بر
ماذغيس الأبتر
برنس
أزواج (بطونة)
أورب (بطونة)
عجيسة
أوريغ (بطونة)
صنهاجة (جدول 3)
مصمودة (جدول 4)
كتامة (جدول2)
بنو مسكن
مسطاسة
أنظر
جداول
البتر
مل
مغر (مغر)
قلدن
هوار
أنظر جداول (2)
دهيوسة
رغيوة
زمجوكة
لجاية
مزياتة
نفاسة
ونبهة
أسيل
أساط
مليلة
مسراتة
ونيفن
رقل
دهيوسة
كبا
كركودة
ماوس
منداسة
سراي
ورجين
بيقة
قل
لمصاتة
سطيف


الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-2-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
برنس
مادغيس الأبتر
صنهاج (جدول3)
مصمودة (جدول4)
كتام
أوريغ
أزداج (جدول1)
أوربا (جدول1)
أنظر جدول البتر
هوار
قلدن (جدول1)
مغر (جدول1)
مند(جدول1)
بنوكمي
لشوة
ورفة
غريان
مسلاتة
هكاوة
مجريس
هيوارة
زكارة
(زكاوة)
يسودة
غرسن
متوسة
زواوة
مصالة
فلاسة
كتام
وريسن
دنهاجة
بنويستيتين
بنوتليلان
قسيد
سدويكش
هشتيوة
بنوأيان
متوسة
متوسة
متوسة
أوفاسن
بنويناوة
مسالتة
لهيصة
جميلة
هشتيوة


الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-3-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
برنس
مادغيس
مصمود
صنهاج (صناك)
أزدواجة (جدول1)
أوربة (جدول1)
أوريغ (جدول1-2)
كتامة (جدول1)
أنظر جدول البتر
بنوعمران
صنهاجة غدو
صنهاجة المرابر
صنهاجة مصباح
صنهاجة
مسكورة (ثمة من ينسبهم إلى مصمودة)
بطوية
بنوورث
تاركة
تلكاتة
وتريكة
بنوجعد
بنو
هنجافة (أنجفة)
بنو خليل
بنو دركون
بنو زروال
كزولة (ثمة من ينسبهم إلى مصمودة)
زنالكة
ورتنطق
زغاوة
كدالة
لمتونة
واتوغ
متنان
لمطة (ثمة من ينسبهم إلى مصمودة)
بنومزكلدة
مزغنة
بنوسليب
ملواتة
ملياتة
مسوفة
فشتالة
سطة
بنووريكل



الأنساب الأمازيغية
(البرانس)
-4-
عن كتاب العبر لإبن خلدون وكتاب قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور
بر
برنس
مادغيس الأبتر
مصمود
أزداجة (جدول1)
أوربة (جدول1)
أوريغ (جدول1-2)
كتامة (جدول2)
صنهاجة (جدول3)
أنظر
جدول
البتر
برغواطة
نكالة
ركراكة
كلاوة
صادة
غمارة
هزرجة
كنفيسة
وريكة

فهرس المحتويات